

التَّطَوُّعُ الْعِمْرَانِيُّ وَالتُّرَاثُ الْمِعْمَارِيُّ

لِلْحِجَاةِ السَّالِمَةِ



د. فاطمة بنت حسن بن مسفر السليطي

الدوحة - قطر

التَّطَوُّرُ العِمْرَانِيُّ وَالتُّرَاثُ المِعْمَارِيُّ لِلْجُمُهوريةِ

د. فاطمة بنت حسن بن مسفر السليطي

الذَّوْحَة - قطر





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(سورة المجادلة : ١١)













مَجْدُورٌ صَاحِبُ السُّمُورِ
السَّيِّحُ رَمِيحُ بَنِي حَمْدٍ خَلِيفَةُ الثَّانِي
أَمِيرُ الْبَلَادِ الْمَقْدِي



إهداء

إلى مقام سمو الأمير الشيخ / تميم بن حمد آل ثاني

والى سمو الأمير الوالد الشيخ / حمد بن خليفة آل ثاني

والى سمو الشيخة / موزا بنت ناصر المسند

والى سعادة الشيخة / المياسة بنت حمد آل ثاني

إذا كانت صروح المدن تقام لتبني حضارات الأمم، وإذا كانت نظراتنا للتراث المعماري
تزيدنا ثقة بأصالتنا.

فإن قائد مسيرة قطر،

وباني نهضة قطر،

ومؤسسة تعليمها وثقافتها،

وبانية لثقافتها ومتاحفها وتراثها،

هم بحق الأولى

أن أهدى إليهما هذا البحث للتطور العمراني والتراث المعماري للحي الإسلامي...

الباحثة



تمهيد

عرّف (جميل أكبر) البيئة العمرانية بأنها مجالٌ متحركٌ ديناميكيٌّ، وهي ليست بكياناتٍ ثابتةٍ (استاتيكيةٍ)، وأن كلَّ مكونٍ لها يمرُّ بالعديدٍ من المتغيراتِ الماديةِ الطبيعيةِ والتبعيةِ أثناء دورة حياته، فإن مستخدمي البيئة العمرانية يمارسون أنشطة التغيير والتطوير فيها، وذلك بإضافة فراغاتهم المعيشية وتقسيمها، وتغيير واجهات مبانيهم، أو تعديل وظائف هذه المباني واستخداماتها، التي غالباً ما تواكب احتياجات ديناميكية متباينة للمستعملين.

هنا تتضح إشكاليةٌ رئيسةٌ، وهي أن عمليات التطور للبيئة العمرانية في مختلف الفترات، لم يكن في إطار يكفل الحفاظ على التراث المعماري للمدينة أو أجزائها دون أي تغيير، فبعض الدراسات أو معظمها على أقلّ تعبير تجد أن هذه المدينة لم تتغير بشكل كبير، ومثل هذا الكلام يرفضه العقل المحصن المفكر المنقّب عن هذا الموضوع، فمن المحال على أي حال أن تبقى هذه المباني التي مرّ عليها الكثير من الخلافات على مرّ العصور على حالها. وهذا الكتاب يهتم بإثبات العكس تماماً؛ من أن العمران في أحياء دمشق تطور على فترات متلاحقة، متأثراً بتعدد الثقافات التي عاصرها. وهذا ما سيجادل الكتاب أن يثبته من خلال البحث في العلاقة بين المراحل الإسلامية باختلاف ثقافتها وتراثها من حيث المؤثرات، وهي ليست بالمهمة اليسيرة - وسيركز الكتاب على الوقوف على الدراسات التي تحدّثت عن أحياء مدينة دمشق بصورة عامة أحياناً وبصورة مفصلة أحياناً أخرى. و يلاحظ قلةً وندرة المصادر التي تطرقت إلى المؤثرات الثقافية الأخرى في مدينة دمشق عبر العصور، والتطور العمراني بشكل دقيق. ويسعى الكتاب إلى الوقوف على أهم خصائص عمارة (حي ساروجة) وتطوره وتغييره عبر الزمن. إن حي ساروجة يعد من المناطق ذات القيمة الأثرية الهامة في مدينة دمشق التاريخية. وسيطرح الكتاب الأسئلة التالية للوصول إلى الحلول المناسبة لها:

- ما التأثيرات والتغيرات التي طرأت على الحي على الصعيد المعماري والفراغي؟

- ما أسبابها؟

- مدى تطوره عبر التاريخ؟

هنا تكمن المشكلة في معرفة المؤثرات والاختلافات التي طرأت على حي ساروجة بشكل دقيق، ومعرفة العوامل التي أسهمت في إنماء المؤثرات وتطورها. ومن خلال الدراسة نصل إلى معرفة المؤثرات والمتغيرات التي طرأت على أحياء مدينة دمشق. ومعرفة ماهية تلك التغيرات والاختلافات وهذا هو هدف الكتاب. وتلك هي المشكلة التي ينوي الكتاب معالجتها هنا.

عندها نعرف أثر التطور العمراني عبر التاريخ الذي رافق تنوّع الحقب الزمنية، والجهود الزمنية الأخرى، التي نزلت

على الحكم في دمشق. باختلاف خلفياتها وثقافتها ونوعيتها العرقية، وتفاوت الحالة الاقتصادية بين فترة وأخرى من حيث الرخاء والإنفاق على المدنية، وتطوير بعض أجزاء المدينة، وتداخل بعضها ببعض بسبب التوسع العمراني، والزيادة السكانية، أو الحروب والهجمات المختلفة. وحين ذلك نصل إلى التعرف على نشأة الحي ونموه العمراني وتطوره، وتحديد دور الخصائص الطبيعية والسكانية له، وتحليل الوضع القائم للحي من حيث المشكلات وآفاق التطور ودراسة العلاقات القائمة بين الحي والمناطق المحيطة به، وتحليل وتفسير العلاقات الوظيفية بين حي ساروجة والأحياء المجاورة، ومن ثم إبراز الخصائص التي يمتاز بها الحي، والتي تشكل الأساس للتطور، والتي تسمح له بالتوسع والنمو كجزء من مدينة كبيرة.

هنا نجد أنفسنا في هذا الكتاب مضطرين لتوضيح الآتي:

توضيح المراحل التاريخية لنشأة حي ساروجة ونموه، والتعرف على تخطيطه وتركيبته الوظيفية.

التوصل إلى الحقائق والمعلومات الجديدة الخاصة بالحي، من حيث الاتساع ونوع العلاقات بينه وبين الأحياء الأخرى.

التعرف على أهم جوانب العمران الحضري، ومشكلات الحي، والخصائص الطبيعية التي أدت إلى تشكيله.

لذلك نحن ملزمون بالحديث عن قلة المصادر وندرتها، والتقارير التي تناولت هذا الموضوع بدقة، كي نستنبط في نهاية الكتاب مدى التغيرات التي طرأت على (حي ساروجة)، والتي نتابع من خلالها تطور الطابع الخاص بالعمارة الإسلامية وتشكلها في جزء من أحياء دمشق. وهنا نكون قد وصلنا إلى إجابة على سؤال طرحه الكتاب وهو معرفة التغيرات والتطورات بالعمارة لمدينة دمشق عبر دراستنا للتطور الذي طرأ على أحياء مثل ساروجة باختلاف المراحل الإسلامية.

المقدمة

تعتبر كل أمة أو شعب بطريقة خاصة عن نفسها، من خلال نشاطها الحضاري المتمثل في الفنون والآداب والعلوم بمختلف أنواعها. ويعد الفن المعماري من أهم الفنون تعبيراً عن حضارة الأمة ورفيها، بل هو تجسيد حقيقي لكل ما تملكه من عادات وتقاليده وثقافات.

استخدم الدارسون والباحثون في فن العمارة أساليب مختلفة. تحليلية وإجرائية. للخروج بنتائج عن ماهية العمارة الإسلامية وفنونها، وكان الإرث الحضاري الذي خلفه المسلمون وفيراً وغنياً ومادة خصبة للباحثين. لذلك وجدنا غزارة في الأبحاث التي درست الحضارة الإسلامية من مختلف جوانبها وخاصة فن العمارة.

استطاعت العمارة الإسلامية أن تفيد من الحضارة (الرومانية، الفارسية والبيزنطية)، ولكنها كونت لنفسها في النهاية هوية عمرانية مستقلة. تعبر عن القيم الإسلامية التي تجمع بين الاحتياجات الوظيفية والبعد الروحاني العميق، مما أدى إلى ظهور أنماط وفراغات معمارية جديدة حديثة. مكنت العالم الإسلامي من التميز على مر العصور. إضافة إلى تميز النواحي الفنية عن كل ما هو سابق ومعاصر لها، بارتباطها ارتباطاً مباشراً بالعمارة وتفردها بالوحدة، والتشكيل المستمد من البيئة الإسلامية، وتفاعلها مع المجتمع الإسلامي وثقافته.

نشأت السمات العامة للمدينة الإسلامية بفضل الإسلام. وانتقلت إلى المناطق التي دخلها الإسلام فيما بعد، وكان العرب يضعون بصمتهم المميزة التي تميزهم عن غيرهم من الأمصار في أي مكان دخلوه. وبالتالي فإنها كانت أكثر بروزاً ووضوحاً في المناطق التي طال فيها الحكم الإسلامي، كما في الهند وبلاد الأندلس.

وقد تأثرت خصائص العمارة في المدن الإسلامية وصفاتها بشكل كبير بالدين الإسلامي والنهضة العلمية التي تبعتها. وكان المسجد النبوي المركز الأهم للإسلام والمسلمين. يديرون فيه كل أمور المجتمع الإسلامي. فكان المسجد أول المدارس الإسلامية. ومقر مجلس الشورى، وعقد الرايات، وتجهيز الجيوش، وإدارة شؤون الأمة صغيرها وكبيرها. إضافة إلى أنه دار الإمارة. ثم انتشرت بعده مساجد كثيرة شملت كل أجزاء دار الإسلام.

حدث الإسلام على الإبداع فظهرت منظومة جديدة من الوظائف المعمارية الحديثة المستمدة منه، فظهر الجامع. وظهرت الزوايا والمدارس. والتكايا. والأربطة. وغيرها الكثير من الوظائف المعمارية التي شكلت في مضمونها فناً جديداً من العمارة، سواء كان ذلك من ناحية الشكل. أو من ناحية المضمون، الذي ارتقى إلى مستوى الاهتمام بالتفاصيل المعمارية الدقيقة والتقنية ذات المحتوى الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي، وامتزج الجانب الوظيفي للعمارة ضمن الهدف المعماري الفني الذي حدد له.

تأثرت المدن الإسلامية إلى حد كبير بتاريخ الإسلام و تطور حضارته بشهادة العديد من النظريات الحديثة. وقد تعددت النظريات التي حاولت تفسير كيفية نشوء المدن ومن ثم المعايير التي تميز المدينة عن غيرها من مراكز الاستيطان الأخرى. بدأ نشوء المدينة الإسلامية من (يثرب) بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ، والتي حولتها إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح، انسحب على تسميتها فأصبحت تسمى (المدينة المنورة) حيث سعى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تحقيق طفرة حضارية أساسها الدعوة إلى الإسلام، فتمت تهيئة المجتمع الإسلامي لحياة حضارية على أساس قيم الإسلام وتعاليمه، والتي تنسجم مع اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالكيان المادي للمدينة . وكان هذا سبباً رئيساً، أدى إلى حدوث نوع من التكامل الحضاري الإسلامي لتلك المدن.

تكاملت الهيئة المعمارية بعمارة المساجد ودور السكن بشكل واضح من خلال توزيعها على خطط المدينة بشكل محدد ومحكوم من حيث وظائف كل منها. وكان هذا الاتجاه في التخطيط هو الأساس المتبع في إنشاء كل المدن الإسلامية الجديدة ، بل تم إعادة رسم لكل المدن القديمة التي فتحها المسلمون كدمشق وقرطبة بشكل إسلامي.

كان لسياسة الحكام الهادفة إلى العمران بالغ الأثر في تطور المدن، وتوسعها العمراني، وتبلور كثير من النظم الإسلامية التي ساعدت على التوسع العمراني لتلك المدن. وخير دليل على ذلك ظهور المدارس والخانقات والربط والزوايا. وكان لعملية الوقف دور بارز في إحياء المدن وتطورها. وقد انتشرت الأوقاف بشكل ملحوظ لدرجة أنه خصص لها ديوان عرف بديوان الأحداث أو الأوقاف، وظهر دوره في عمران المدن الإسلامية بشكل واضح، وبصفة خاصة في أوائل القرن السادس للهجرة، وظل مؤثراً من المؤثرات الدافعة إلى التطور العمراني للمدينة الإسلامية ، بل كان له تأثير واضح في تشكيل الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

لا يخفى علينا بأن الإسلام أقر مبدأ الوقف. وقد بين فقهاء المسلمين المبادئ الواجب اتباعها عند الوقف. وتم تصنيف الأوقاف وفق النوع ، وحددوا شروط الوقف، ولهذا ظهر أثر الوقف في عمران المدينة الإسلامية باعتبارها حيزاً لأوجه نشاطه المعماري .

لا يختلف أحد على أن رعاية منشآت الأوقاف، والزيادة من إنشائها، والاهتمام بالمباني الموقوفة ، وحسن إدارتها ، يترتب عليه تحقيق مصلحة الوقف وظهور أهميته في عمران المدينة الإسلامية ، خاصة في الفترات التي ازدهرت فيه الأوقاف مع بداية العصر الأيوبي .

تستمد دراسة الحضر لمدينة أو أجزاء منها كآحياء أو حارات معلوماتها من مصادر متعددة، حيث إن المدينة تعبر بطريقة أو بأخرى عن كل شيء في الحياة تقريباً، لذا فمادتها متنوعة ومتطورة، حيث تشمل دراسة نشأة المدينة وتطورها، ومشكلة الإسكان

الحضري، ومشكلات أخرى مختلفة كمشكلة المرور، ومدى وفرة الخدمات العامة، والأنشطة التجارية، وكافة المتطلبات الخدمية الأخرى .

لوحظ حدوث قفزة في دراسة أنظمة المدن في الفترة الأخيرة، متجهة نحو الاتجاه التطبيقي، ما جعلها تسهم بشكل فاعل في بناء تخطيط عمراني سليم، يوفر راحة ومدنية لسكان تلك المدن، حيث اتجهت الأبحاث الأثرية إلى دراسة المدن من حيث الموقع ووظيفة المدينة وتركيبها، وقد زادت دراسات المدن في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لتسهم في تخطيط المدن التي دمرت في الحرب (الحرب العالمية الثانية)، حيث ظهرت دراسات حديثة تهتم بتخطيط المدن .

وهذا لا يعني أن تخطيط المدن نشأ ما بعد الحرب العالمية الثانية، بل إن الشواهد التاريخية أثبتت أن التخطيط كان موجوداً منذ القدم، فهناك ما يثبت أن قدماء المصريين والإغريق والرومان من أوائل من استخدم التخطيط، وهناك بعض الأدلة على ذلك، حيث كانت مدينة أخناتون سنة ١٣٧٠ ق. م أول مدينة ظهر فيها التخطيط. كذلك اهتم الجغرافيون المسلمون بدراسة المدن حيث ذكر ابن حوقل في كتابه «صوره الأرض» وصفاً لكثير من المدن كقرطبة وفاس، وذكر القلقشندي أيضاً في كتابه «صبح الأعشى» غالبية المدن التي تقع على بحر الروم (البحر المتوسط) .

ذكر في «مقدمة ابن خلدون» حديث عن علاقة البدو والبدواء بالحضر، حيث ذكر ابن خلدون موضوع نشأة المدن والأمصار وكيف يمكن رعاية المدن وحمايتها بالأسوار، متوخياً المواقع الطبيعية لذلك، وضرورة ابتعادها عن المستنقعات والمياه الراكدة . ومن خلال دراستنا لما كتبه ابن خلدون نجد أنه قد تشابهت رؤيته مع كثير من الآراء الحديثة .

إذا انتقلنا إلى أحياء دمشق التي قسمت الى ثمانية أجزاء من داخل سور المدينة، و المناطق المحيطة بها خمس منها خارج السور و ثلاث داخله. نجد أن غالبية الأحياء بها الكثير من المباني الأثرية الهامة، ونستطيع من خلال رؤيتها معرفة مدى المشكلات التي تعاني منها بسبب الإهمال وسوء التخطيط. مما يجب على الأثريين وذوي الاختصاصات الاهتمام بها من خلال وضع اقتراحات، تساعد على حل تلك المشكلات، مع وجوب تناسبها مع الظروف البيئة المحيطة بتلك الأحياء والمدن. إن الاهتمام بتلك الآثار يعد مطلباً أساسياً لسكان تلك المدن، وسبباً أساسياً من أسباب الاستقرار والنمو، والمحافظة على تاريخها وتراثها.

نذكر من هذه الأحياء حي (ساروجة) والذي قيل أنه يرجع تاريخ إنشائه إلى القرن الرابع عشر الميلادي في عهد الأمير المملوكي سيف الدين قطز، وقد نسب اسم الحي إلى الأمير المملوكي صاروجة صارم الدين. وكان من أهم ما يميز الحي هو السوق الكبير وتعدد حماماته ومدارسه .

تعرض هذا الحي للتخريب نتيجة صراعات الأمراء في الفترة المملوكية، وخاصة في عهد المماليك البرجية، مما أدى إلى

دمار المدرسة الشامية البرانية . وازداد الحال سوءاً بعد أن غزا تيمورلنك دمشق عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م، فأصبح الحي مركزاً لمنجنيقاته التي كانت ترمي باتجاه قلعة دمشق. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد قام تيمورلنك بإحراق دمشق بما فيها حي ساروجة قبل أن ينسحب منها.

أخذت الكثير من ملامح الحي والسوق بالتبدل مع انتهاء العصر المملوكي ودخول الاحتلال العثماني إلى دمشق، ونظراً لوقوع الحي خارج سور المدينة القديمة، فقد تميز بسوقه الكبير ومنازله الواسعة وحماماته ومساجده الفخمة. وهذا ما دفع رجال الدولة العثمانية إلى التمرکز فيه ، بعد أن أجلوا العائلات المملوكية منه، وأطلقوا على الحي اسم (أسطنبول الصغرى) نسبة إلى الطبقات الأرستقراطية العثمانية التي كانت تقطنه.

توجد في حي ساروجة مجموعة من المشيدات الأثرية التي تعطينا صورة حيّة عن تاريخ الحي ، ومنها المدرسة الشامية البرانية التي اكتسبت شهرة واسعة . حيث كان الأمراء والعلماء يقيمون الحفلات الرسمية بها ، ومنها أيضاً جامع الورد المعروف باسم (برسبای) ، نسبة للأمير المملوكي برسبای الناصري نائب حلب وطرابلس في العهد المملوكي، الذي شيد سنة ٨٣٠ هـ ١٤٢٦ م ويُعرف أيضاً بجامع الورد. وهناك أيضاً المدرسة المرادية البرانية ، التي أُقيمت في منزل الشيخ مراد علي البخاري، وحمام الورد، ويقع خلف جامع برسبای ، حيث يُعتقد أن الأمير ساروجة صارم الدين هو من بناه.

وقد تطور الحي وازدادت رقعة مع بداية دخول العثمانيين العصر الحديث .

وهذا الكتاب يقدم دراسة تطور (حي ساروجة) على مر التاريخ من حيث دراسة النشأة والنمو والظروف البيئية المحيطة، ومدى تأثير تلك الظروف على نموه وتطوره، إضافة الى دراسة المباني الإسلامية الأثرية الموجودة به. وكذلك عرض المشكلات التي تواجه تلك الأحياء ، ومحاولة طرح حلول افتراضية لتطوير الحي وترميمه .

أهمية دراسة التطور العمراني و المعماري :

يطمح الكتاب إلى إبراز أهم المعالم الأثرية (حي ساروجة) ، ودورها من حيث إنها إفراز طبيعي للتفاعلات الحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي مرت بها المدينة في كل مرحلة حتى العصر الحديث. فكلنا يعلم أن التطور العمراني هو مظهر من مظاهر التطور الإنساني، حيث تأثرت البيئة العمرانية باحتياجات كل مرحلة من مراحل التطور الإنساني، وقد تغيرت تبعاً لتغيراتها، وإن ما يعد تراثاً معمارياً، كان جزءاً من الحياة اليومية . ويرغب الكتاب في الوصول إلى أن البيئات التراثية في الدول الإسلامية تعد من أهم نطاقات المدن القديمة، التي تكسبها المعنى الحضاري والاجتماعي، وتؤثر على ثقافتها وعلى الجوانب الانتمائية لدى المجتمع، فهي تكتسب قيمتها من أنها مرتبطة بأحداث هامة أو شخصيات معروفة، أو بما تملكه من قيمة معمارية تشكيلية أو قيمة دينية مميزة، أو بأنها مناطق تاريخية، تمثل سجلاً زمنياً لفترات متلاحقة، أي أنها تمتلك مجموعة من المفردات التراثية التي تعبّر عن خصائص المجتمع؛ مثل القيم العمرانية الموجودة في المباني، إلى جانب الملامح غير العمرانية، التي تشمل العادات والتقاليد، وأنشطة السكان الاقتصادية والاجتماعية. ويركز على دراسة أثر الثقافات المختلفة، والتغيرات التي أثرت بدورها على المباني وتخطيط الأحياء. و من خلال دراسة التطور الذي واكب كل مرحلة من المراحل التي من خلالها نستنبط الهوية الخاصة بأحياء مدينة دمشق «حي ساروجة» كمثال، وكيف وصلت إلى الطابع المميز لها، حيث يمكننا من خلال هذه الدراسة تحليل أسباب هذه المؤثرات والتغيرات، وطرق انتقالها، سواءً عن طريق سكانها أو الهجرة من الحرفيين وغيرهم. فالتوسع و التغير العمراني الذي شهدته مدينة دمشق منذ فجر الإسلام، لم يكن فقط بسبب العوامل الاقتصادية والسياسية وحدها، ولكن كان ذلك نتاجاً لتداخل عدّة ثقافات مختلفة توالى عليها. وإن الفوارق في أشكال المنشآت الأثرية الموجودة بمدينة دمشق شاهدٌ صريحٌ وواضحٌ على انصهار الثقافات الواردة والمحلية التي كونت هوية العمارة الدمشقية التي تتميز بها عن سائر العواصم. فنكون من خلال دراستنا لهذا الجزء المهم من الأحياء الأثرية في دمشق، قد ركزنا على أهمية معرفة أهم المؤثرات والمتغيرات، التي أسهمت في تغيير ملامح العمارة بدمشق وتطورها . وخصوصاً التأثير التراثي المعماري.



الباب الأول

حي ساروجة

ومراحل تطوره التاريخية والعمرانية

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

الفصل الأول

الموقع والتسمية

التسمية:

يُعد حي ساروجة من أوائل الأحياء في دمشق التي بنيت شمالي المدينة، أي خارج الأسوار، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، حول محور مواز لنهر بردى وللأسوار، على مسافة مئة إلى مئة وخمسين متراً، درءاً لمخاطر الفيضان الربيعي^(١). تبلغ مساحته الكلية نحو ٣٤ هكتاراً، أي ما يعادل ٣٤٠٠٠٠ م^٢.

تقع هذه المنطقة إلى الشمال الغربي من قلعة دمشق، ويحدها من جهة الشمال منطقة البساتين الزراعية، وعين كرش تلك النبعة التي زالت وبقي اسمها شائعاً^(٢) ومن الناحية الشرقية العقيبة والعمارة البرانية^(٣) المنسوبة إلى عمارة الأخنائي، منذ القرن الثامن الهجري، وهي القسم البراني لحي العمارة، كما يحدها أيضاً سوق الهال القديم^(٤) ومن الجهة الجنوبية السنجقدار^(٥) ومن الغرب البحصّة البرانية^(٦).

أما حدود ساروجة وفق اقتراح المديرية العامة للآثار والمتاحف، فقد تم تحديدها بشارع الثورة من الجهة الشرقية، وشارع الاتحاد من الجهة الجنوبية، وشارع كرجية حداد من الجهة الشمالية، وكذلك الشارع الواصل من شارع الاتحاد إلى ساحة يوسف العظمة. (الشكل ١)

(١) Dorthée Sack. Histoire et Developpement de la ville ancienne de Damas P.71

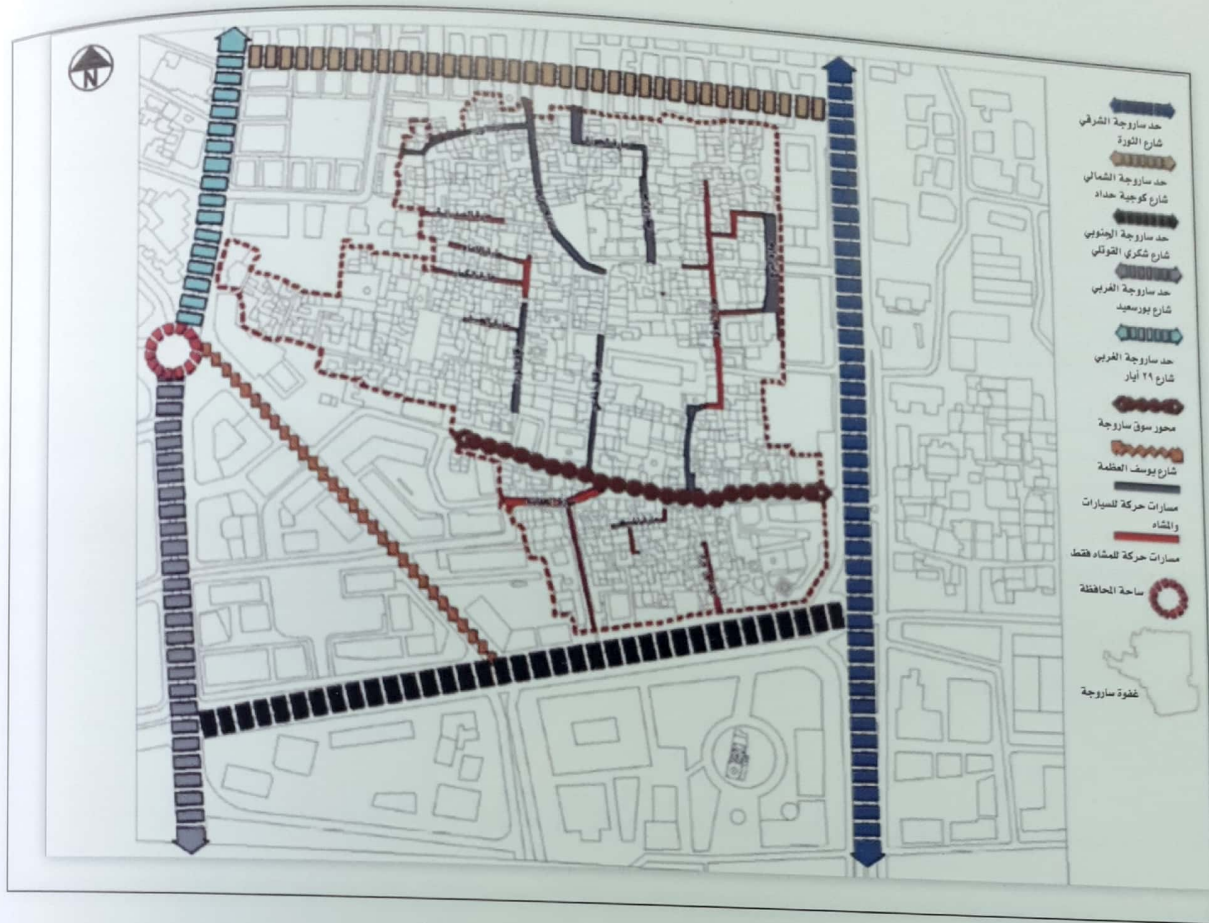
(٢) عين كرش: نبعة ماء، كانت جنوبي المدرسة الحافظية تحت نهر تورا، (منطقة المزرعة اليوم) وكانت مياه هذه النبعة تمر في الحي الذي يحمل اسمها اليوم محلة عاين الكرش، التي تقع شمال ساروجة. وقد اندثرت وزال مأواها. انظر: الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤١٨؛ الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٩٢

(٣) العمارة البرانية: حي كبير شمال دمشق القديمة، وقد قسم هذا الحي إلى قسمين: الأول داخل سور المدينة ويدعى العمارة الجوانية، والآخر خارجه ويدعى العمارة البرانية. انظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٦؛ الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤١٣، ٤١٤؛ النعيمي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٨

(٤) انظر الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣٣٢؛ الشهابي، د. قتيبة: أسواق دمشق، ص ٤٩٠؛ الشهابي، د. قتيبة: دمشق تاريخ وصور، ص ٨٩

(٥) السنجقدار: محلة تقع بين ساحة المرجة وقلعة دمشق، والسنجق كلمة فارسية ومعناها الراية التي كانت تحمل إلى جانب المحمل في الحج. الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٩٦؛ ابن عبد الهادي: المرجع السابق، ص ٢٢٧؛ الشهابي، د. قتيبة: أسواق دمشق، ص ٢١٧

(٦) حي البحصّة: يمتد من ساحة المرجة حتى غرب جامع الطاووسية. انظر الشهابي، د. قتيبة: دمشق تاريخ وصور، ص ١١٦



الشكل-١ حدود ساروجة حسب وضع وزارة الثقافة المديرية العامة للآثار والمتاحف عام ٢٠٠٣م. تبلغ مساحة منطقة ساروجة حوالي ٣٤ هكتار وتشكل المنطقة جزءاً من المناطق المعمورة القديمة والتي تبلغ مساحتها ٦٧٠ هكتاراً بموجب المصور العام الأول لمدينة دمشق (مخطط دانجيه - ايكوشار) المصدق عام ١٩٣٧ و مع نمو المدينة و تزايد عدد سكانها توسعت رقعة المناطق المعمورة فيها إلى ٢٠٠٠ هكتار عام ١٩٦٥ وإلى حوالي ٧٠٠٠ هكتار عام ١٩٩٤.

تسمية الحي :

إن تأويل اسم الحي في نظر بعضهم جاء من اشتقاق الاسم من التركية sari صارى (ويلفظ حرف العلة الأخير بحركة مهانة بين الضمّ والسكون) أي أصفر اللون أو لون الصفرة، تليها اللاحقة ca (جا، جه) التركية التي تفيد الصفة، فيصبح معنى ساروجة بذلك: من شاب شعره صفرة أو شقرة، وبالفصحى: الأصهب أو صهيب.

وفي تفسير آخر لمعنى الاسم وفق ما ذكره أهل الحي، فيعود إلى أحد أولياء الله الصالحين من أصحاب الخطوة الذي كان يقطن في الحي، والذي مازال ضريحه قائماً شرقي جامع الورد، كما يروي بعض السكان أن هذا الشيخ قدم من الحجاز

إلى الشام بلمح البصر، وكان من أهل الخطوة، وعاد باللحظة نفسها إلى أصحابه في الحجاز، فقال أصحابه في ذلك اليوم: (صاحبنا سار وإجاً)، أي سار وجاء. ومنذ ذلك اليوم غلب عليه هذا الاسم (ساروجة)، ثم على الحي بعد أن دفن فيه.^(٧)

وأرجع بعضهم تسمية الحي للأمير المملوكي صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفري، الذي كان أميراً في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وانتقل إلى دمشق، وعمر بها عمائر مشهورة منها السويقة، خارج دمشق إلى جهة الصالحية، وكان صارم الدين صاروجا صاحب أدب وحشمة ومعرفة، وقد تنقل في الإمارة حتى انتهى به الأمر إلى بيت المقدس، مبعداً من قبل دولة الناصر محمد بن قلاوون ومات ببيت المقدس عام ٧٤٣هـ/١٣٤٣م.^(٨) وكان الاسم الأولي لهذا الحي هو سويقة صاروجا، ثم تحرف فأصبح (حي ساروجة أو سويقة ساروجة) وكان الشائع في دوائر الطابو القديمة: سوق ساروجة.^(٩)

وحي ساروجة أو ما يطلق عليه (سويقة)، أي التجمع السكني الصغير المستقل، له بوابة أحياناً، وبه مسجد وسوق صغير وحمام وفرن وجميع المستلزمات الحياتية للمجتمع المدني،^(١٠) وتعد ساروجة نموذجاً أو مثلاً للأحياء التقليدية في المدينة الإسلامية، وذلك من ناحية التخطيط والعمارة، وبما فيه من آثار تحمل أهمية تاريخية وفنية كبيرة. ولقد كان حي ساروجة واحداً من امتدادات المدينة، ونتيجة من نتائج التوسع العمراني.

ويمكن القول بأنه قد ظهرت ثلاثة أرباض في ولاية ظهر الدين طفتكين سنة (٤٩٠-٥٢٢هـ / ١٠٩٧-١١٢٨م)، وهو أتابك دقاق بن الأمير السجلوقي تتش (ولد في القرن ١١هـ/١٧م، وتوفي عام ٤٩٧هـ/١١٠٤م)، وهذه الأرباض الثلاثة هي العقيبية في الشمال، والشاغور في الجنوب، وقصر الحجاج في الجنوب الغربي، إضافة إلى أحياء جديدة حول سور مدينة دمشق، وهي نتيجة الحراك العمراني بمدينة دمشق، حيث نمت هذه الأرباض حول الطرق المؤدية إلى مركز المدينة، وقد بدا هذه النشاط العمراني منذ العهد السلجوقي كما أسلفنا، وسمي الحي بذلك العهد (العويّنة) وكان من الأماكن غير المعمورة، بالقرب من المدينة القديمة بين حي العقيبية وبوابة الصالحية.

كما أحاط بساروجة العديد من الأسواق، هي ساحة سوق الخيل، وسوق التبن، وسوق العتيق، ودار البطيخ. وبتتبعنا لبداية نمو هذه الأسواق فقد عكس لنا ذلك فكرة النشوء المتأثر بأهمية المحور الاقتصادي. (الشكل ٢)

(٧) الشهابي، د. قتيبة: دمشق تاريخ وصور، ص ٧٥؛ الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢١٢

(٨) بدران، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٢٢٣

(٩) الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢١٢

(١٠) الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٠٩

وهناك شواهد كثيرة على توضع العمران في منطقة ساروجة، فقد اشتمل المكان على الوراقين، أي صناعة الورق وما إلى ذلك من حرف، سنأتي على ذكرها في فصل لاحق. وبذلك نستطيع القول بأنه من خلال وجود بعض المساجد والحمامات التي شيدت قرب هذه المنطقة، فإن ذلك يدل على أن تلك المنطقة أهلة بالسكان.

مراحل تطور حي ساروجة التاريخية والعمرانية:

حي ساروجة في المرحلة السلجوقية والأتابكية: (الشكل ٣)

منذ أن تغلب السلاجقة على الفاطميين وطردوهم من البلاد، استقرت الأمور وانبسطت الرعية، وعادت المشاريع العمرانية لدمشق، فقام السلاجقة ببناء القلعة السلجوقية فوق الأصل الروماني، كذلك بدؤوا بأعمال بناء الأحياء السكنية الأولى خارج أسوار المدينة في الشمال والجنوب، والتي استمر إعمارها خلال فترة نور الدين محمود الزنكي، الذي وصل دمشق عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م. ومع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وبعد أن أمر نور الدين محمود بإنشاء ميدانين لتمرارين الخيالة واستعراضهم، نمت المدينة خارج الأسوار في الجهات الشمالية الغربية نمواً متزايداً وملحوظاً عمرانياً وتجارياً، وبدأت المدينة تتوسع بهذا



الشكل-٣ يوضح مشيدات الفترة السلجوقية في حي ساروجة.

الاتجاه، وظهرت الكثير من المباني الهامة في هذه الجهة، كالأسواق التي كانت مراكز هامة، كما قام نهر بردى الذي يمر في هذه المنطقة بدور كبير كشريط انتشرت على طرفيه أعمال العمران. ومع تولي الملك العادل زمام الأمور في دمشق، استمر امتداد المدينة خارج الأسوار شمالاً وجنوباً وعلى طريق ساروجة، وذلك بعد ظهور عدة جوامع هامة خارج الأسوار.^(١١)

وعندها بدأ السلاجقة بالخروج من المدينة، فكان حي ساروجة أحد الأرباض^(١٢) المتاخمة للمدينة ولم يكن بها عمران يذكر إلا بعض المنشآت الصغيرة، وكان يسمى (العوينة) أو عوينة الحمى وكانت مقبرة متواضعة محاطة بالبساتين، ثم أنشئت بعض الترب والقباب التي ظهرت في عهد الأتابكة^(١٣) كتربة الأتابك معين الدين (لاوجود لها حالياً) والتربة النجمية التي تضم قبور بعض الأمراء الأيوبيين (وذلك قبل نشوء الدولة الأيوبية).^(١٤) وازدهرت هذه المنطقة بإنشاء المدرسة الشامية، واشتملت على عدة عيون للمياه، منها عين علي التي تقع شرق حي ساروجة اليوم إلى جانب المدرسة الشامية البرانية، وعين دار البطيخ الواقعة جنوب هذا الحي. وتعد هذه المرحلة نقطة البداية في ازدياد أهمية هذا الحي.

حي ساروجة في المرحلة الأيوبية: (الشكل ٤)

ازدادت أهمية حي ساروجة مع بناء المدرسة الشامية البرانية، لأن عمارتها كانت نقطة تحول في هذه المنطقة. فقد أنشأت الخاتون ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي في عهده هذه المدرسة، وتأثرت الحركة العلمية بدمشق بعد ذلك، وظهرت المدرسة كجزء من شريط من المباني بمنطقة كانت تسمى بأرض الحكام^(١٥) تعرف بالشرف الأعلى،^(١٦) عمرت في بدايتها كتربة لعلية القوم في عهد السلاجقة وضفة الشرف الأعلى، وكانت تشكل شريطاً من المباني، يطل على وادي بردى من الشمال... حيث كان الأمراء الأيوبيون يفضلون إقامة تربهم الخاصة إلى جوار المدرسة الشامية. وقد بنيت العديد من الأسواق كسوق التبن وسوق العتيق وساحة سوق الخيل وتوسعت، وهذه المنشآت والأسواق كانت عاملاً في توسع العمران والنشاط المعماري، كما وضعت الأسس لظهور حي، سيكون له شأن كبير في العهدين المملوكي والعثماني.

(١١) عوض، نزيير: تقرير عن أعمال الدراسة والتنقيب في منطقة سوق العتيق بدمشق، مديرية المباني والتوثيق الأثري، ص ٥، ٤

(١٢) الرّيش: بفتح الباء، ما يشبه الأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع... والربض كما قال بعضهم أساس المدينة. انظر ابن منظور: المصدر

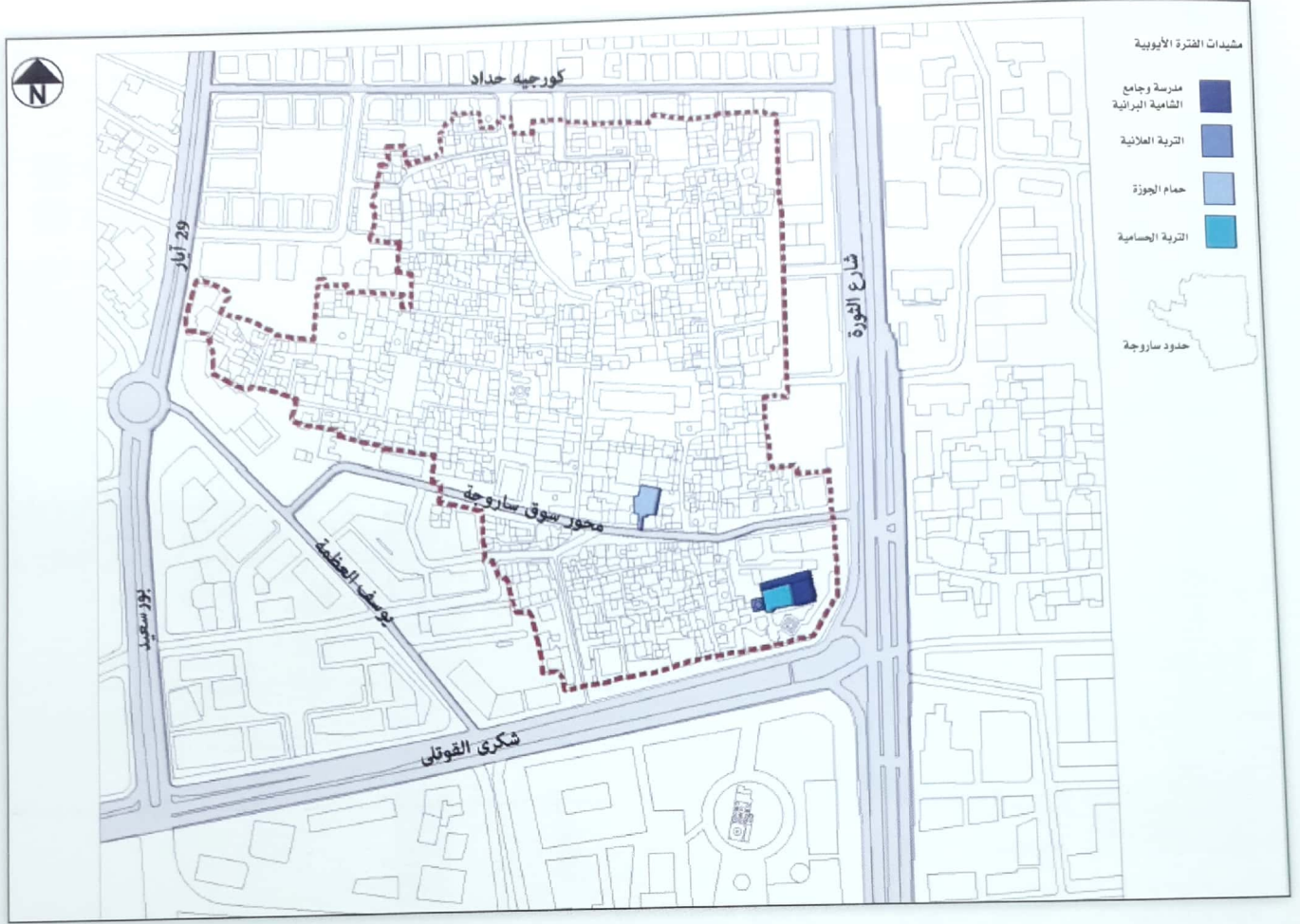
السابق، ج ١، ص ١١٠٧، ١١٠٨

(١٣) الأتابكة هم قواد جيوش السلاجقة. الباحثة

(١٤) الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣١٠

(١٥) Russ Burns. Damascus A History. p177

(١٦) الشرف الأعلى: هي المنطقة التي تمتد في وقتنا من البحصنة غربي ساروجة. فندق روز الشام (الميرديان سابقاً) و الأركان، أما الأدنى فمن ساحة المرجة والسرايا إلى التكية والمعروض. الباحثة



الشكل - ٤ يوح مشيدات الفترة الأيوبية في حي ساروجة.

حي ساروجة في المرحلة المملوكية: (الشكل ٥)

مع نزول المماليك في دمشق تبلورت الحالة العمرانية لمنطقة تحت القلعة، حيث قام اليحياوي ببناء جامع يلغا الذي يقع في الجهة الشمالية لساحة المرجة، وإلى الغرب من مدخل البحصّة وسوق الخيل سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وكان أكبر المراكز الروحية والتعليمية خارج القلعة لمنطقة تحت القلعة التي سكنها عسكر المماليك منذ بداية عصرهم. وكان موضع هذا الجامع تلة تستعمل للشنق وعرفت بتلة المستقين.^(١٧) وقد هدم هذا الجامع من قبل دائرة الأوقاف الإسلامية بدمشق عام ١٩٧٥م، وأقيم موضعه مجمع باسل الأسد.

(١٧) انظر النعمي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٣؛ ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٥٩؛ الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٣٧



الشكل ٥- يوضح مباني الفترة المملوكية في حي ساروجة.

وقد نشأت وحدات عمرانية هامة، مركزها سوق الخيل، ما بين جامع تنكز^(١٨) في الجنوب الغربي وجامع يلغا وسوق الخيل^(١٩) ومباني حي ساروجة في الشمال، حيث تحكمت المباني المذكورة بالتطور العمراني في هذه المنطقة شكلاً ووظيفة حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

(١٨) جامع تنكز: بناه الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بدمشق سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م في الشرف الأعلى (حكر إسماع) (شارع النصر الآن)، واستغرقت عمارته سنة واحدة وثمانية أشهر. وهو يشرف على الأنهار ومرجة الميدان. يمر نهر بانياس وسط صحته، وبه ناعورتان وأشجار ورياحين وأزهار وبركة مربعة، وعرف باسم (الجامع السيفي التنكزي). وقد حوله الفرنسيون - في أيام الانتداب - إلى مدرسة عسكرية، وهدموه سنة ١٩٤٥م حين ضربوا دمشق بمذابحهم، وأقامت مديرية الأوقاف مكانه بناء ضخماً مؤلفاً من عدة حوانيت، وفوقها مسجد واسع جميل، وفي الداخل مدرسة للعلوم الشرعية، واحتفظت بمئذنته القديمة الهامة، وهي في الجهة الشمالية منه. العليبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

(١٩) ساحة سوق الخيل: ذكر اسم هذه الساحة في مؤلفات العصر المملوكي من أسواق منطقة تحت القلعة، وكانت تقع شرق ساحة المرجة، ويفتح بها من جهة الشرق سوق العتيق، ومن الجنوب سوق التب، على امتداد شارع الملك فيصل، ومن الشمال زقاق جوزة الحدبا. للمزيد انظر: الشهابي، د. قتيبة: أسواق دمشق القديمة، ص ٤٧٠.

نشطت حركة العمران في الدولة المملوكية خاصة بعد القضاء على الصليبيين الغزاة في عهد السلطان المنصور قلاوون وولديه، فقد تسلطن ٣٢ عاماً كانت حافلة بالازدهار العمراني والحضاري، وحظيت دمشق باهتمام كبير، لأن الناصر كان قد قضى طفولته فيها، وقد انعكس حبه لهذه المدينة من خلال انتشار العمران وازدهار الحرف والفنون، ونعم أهل المنطقة باستقرار لم يكونوا قد عرفوه منذ قرون عديدة بسبب الغزوات والحروب .

عانت دمشق الكثير من الخراب بسبب عسكر تيمورلنك الذين ألحقوا الضرر الكبير بالمدينة، وعاد الازدهار إلى المدينة بعد أن تولى حكمها بارسبائي (٨٥٢-٨٤١ هـ / ١٤٢٢-١٤٣٨ م) ومن بعده الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١ هـ / ١٤٦٨-١٤٩٥ م) حيث ازدهرت أهمية حي ساروجة في هذه المنطقة مع نشوء حي تحت القلعة على امتداد الضلع الشمالي لها، حيث سكنه العسكر الذين أوكلت لهم مهمة حماية المدينة.

ومع فقدان السوق الكبير في الشارع المستقيم لأهميته تدريجياً، نشأ مركز تجاري جديد حول سوق الخيل تلبية لحاجات العسكر الذين سكنوا قريباً منها، حيث أنشئت سوق جديدة للخضار، وهي دار البطيخ، وكذلك سوق السروجية، وسوق الهال، في الشمال الغربي. وكانت هذه الأسواق أهم المراكز التجارية في حينها.

أدى سوق الخيل دوراً في بيع المواشي والذبائح، وارتبطت توسع هذه المنطقة وامتدادها مع التوسع الذي حصل على التوازي باتجاه الجنوب (اتجاه طريق الحج).

حيث ازدهرت أهمية حي ساروجة في هذه المنطقة مع نشوء حي تحت القلعة على امتداد الضلع الشمالي لها، حيث سكنه العسكر الذين أوكلت لهم مهمة حماية المدينة.

وفي منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، قام عدد من الأمراء المماليك بإنشاء عدد من المساكن الفخمة والكبيرة في حي ساروجة، وألحقوا بهذه البيوت المباني العامة مثل الترب والحمامات والسبل والمساجد، ^(٢٠) فأصبحت المنطقة خاصة بسكن الضباط والجنود المماليك كما يرى سوفاجيه ^(٢١) وقد ذكر ابن طولون حارتي الديلم والسودان في سويقة ساروجة، وهؤلاء من العسكر المملوكي (انظر حارة العبيد من بحثنا في الباب الثاني) كما قامت مجتمعات مدنية في هذه المنطقة، بدليل وجود مسجد القرمشي ومسجد الورد وتربة بلبان، حيث كونوا بذلك مجموعات معمارية تقدم لحي ساروجة شواهد على أعمال التنظيم العمراني والكثافة السكانية التي كانت قائمة في تلك الفترة، والتي مازالت محتفظة بخصوصيتها حتى يومنا هذا. ^(٢٢)

ارتبطت مرحلة التطور العمراني لساروجة في البداية بالعصر المملوكي، حيث أدى التوسع في الحركة التجارية في منطقة تحت القلعة إلى جذب أسواق، وأن تكون أنشطة هذه الأسواق معتمدة على إشباع متطلبات المماليك، لذلك نجد أن هذه الأسواق

(٢٠) الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢١٢

(٢١) سوفاجيه: المرجع السابق، ص ٤١

(٢٢) الرباط، ناصر: مقدمة لدراسة تطور السوق، ص ٨٤

انتقلت من موقعها القديم داخل السور إلى خارجه من جهة الشمال، وقد ساعد هذا الانتقال الذي لم يكن تاماً حتى نهاية العصر المملوكي في توافر المساحة اللازمة لهذه الأسواق على الأرض البكر، وخاصة أن حاجة السكان إلى التوسع ومن ثم الضغط العمراني في مركز المدينة قد جعل بقاء هذه الأسواق في موقعها القديم أمراً صعباً، وبالتالي كان لابد من الزحف خارج الأسوار، مما أسهم في توسع الأرباض في حد ذاتها، لذلك اكتسبت ساروجة أهمية اقتصادية بفضل هذا التوسع، ولا سيما فيما يتعلق بهذه الأسواق وزيادة المنشآت ذات الأهمية كالحمامات والمساجد وما إلى ذلك من منشآت.^(٢٣)

حي ساروجة في المرحلة العثمانية: (الشكل ٦)

دخل العثمانيون دمشق نحو عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، ونعلم أن دورها السياسي تراجع مع بقاء دورها التجاري، ولم تشيد أبنية جديدة تذكر في الأحياء خارج السور إلا في مواقع قليلة.

استمر التطور العمراني لحي ساروجة في هذه الحقبة، وشهد تطوراً جديداً، خاصة بعد أن قطنه العديد من كبار موظفي الدولة العثمانية وذواتهم من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، حيث كان معظم سكانه من الأتراك المسلمين تحديداً، وما تزال أسماء الكنى الباقية تدل على ذلك. وقد ازداد في تلك الفترة عدد المساكن الفخمة والفارحة، التي كان يملكها عدد من الأعيان والحمامات الجميلة، وصار حي ساروجة مركزاً تقطنه فئة معينة من جند الدولة العثمانية وهي البرلية (الانكشارية)^(٢٤) في القرنين الثالث عشر هجري / التاسع عشر ميلادي. وقد استحدث هذا النظام أي نظام الفرق في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، حيث ارتكز عليها التوسع العمراني للدولة العثمانية في آسيا وإفريقيا. وبذلك نجد أن حي ساروجة أصبح في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مركز جذب للعديد من العائلات الكبيرة والغنية، الحاكمة منها خاصة، أو الذين كانوا مقربين من الحاكم. وقد هاجرت عائلات عديدة من مختلف أحياء دمشق لتسكن فيه.

وقد بدأ الحي بالاتساع شمالاً نحو عين الكرش وبساتين الصالحية، واستمر بالرقى والاتساع حتى لقب بـ (اسطنبول الصغيرة) نسبة إلى الطبقات الأرستقراطية العثمانية التي كانت تقطنه، فقد كانت اسطنبول في ذلك الوقت عاصمة الشرق.^(٢٥)

(٢٣) عوض، نذير: المرجع السابق، ص ٦٠٥.

(٢٤) الانكشارية: من التركية العثمانية وتعني: «الجنود الجدد» أو «الجيش الجديد» وهي طائفة عسكرية من فيالق المشاة العثمانيين، شكلوا تنظيمًا خاصاً، لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذاً. للمزيد انظر رجا الحمود، نوفان: العسكر في بلاد الشام العثماني، من منتصف القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٨١ أطلق على فيالق المشاة النظامية في الجيش التركي عليها، وإحلال فرق أخرى حديثة محلها. نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وهو تاريخ القضاء ببيروت ١٩٨١م نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد (دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨١م

(٢٥) الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣١٢، ٣١٤



الشكل ٦- يوضح مباني الفترة العثمانية في حي ساروجة.

وقد حافظ حي ساروجة على مكانته كحي راق حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية في مطلع القرن العشرين.

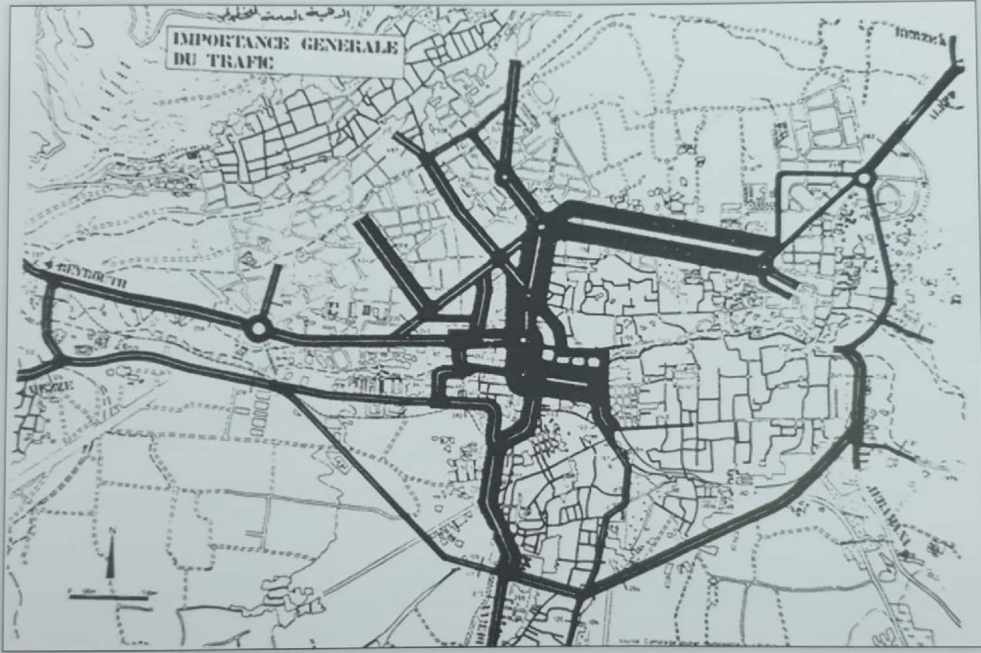
ويمكننا القول بأن أسباب التوسع خارج أسوار مدينة دمشق، والنمو المطرد الذي اتسمت به تلك الضواحي، يرجع إلى أن عدد السكان قد تجاوز قدرات المدينة داخلياً، وبالتالي كان لا بد من النزوح خارج الأسوار، وعليه كان هذا النمو يتطلب وجود حالة أمنية مرضية، حيث لا يمكن تصور إمكانية استقرار عدد كبير من السكان من مناطق محيطية بالمدن، دون تمتعهم بحماية كافية من فترات الاضطرابات، أو في حالة وجود خطر خارجي، إضافة إلى أن العصر العثماني بعد ذاته كان عصراً إيجابياً وبشكل واضح. كما أن الدولة العثمانية من خلال وجودها في محيط شاسع كانت تضمن أمن المدن التابعة لها ضد العدوان الخارجي إلا في حالات استثنائية، كما أنها حققت نهضة عمرانية بصفة عامة، لذلك كان من الطبيعي مشاهد الانسياب في نمو ضواحي شاسعة غير محمية، ساعدت المدن على استيعاب التوسع السكاني خارج المناطق المزدهمة بالسكان.

الفصل الثاني

تحولات النسيج العمراني وواقع منطقة حي ساروجة و ما صاحبها من تطورات:

تم الإذن بتطبيق قانون تنظيم عمران المدن على مناطق مختلفة منها منطقة غربي سوق الهال، و التي يُعد حي ساروجة أحدها، وذلك عام ١٩٥٨م.

و قد كانت جميعها مبنية بنسيج تاريخي. هذا و يعكس قانون التنظيم الرغبة في تنفيذ الطرقات الواردة على مخطط إيكوشارد^(٢٦) (الشكل ٧) المهندس الفرنسي الذي وضع مخطط تنظيمي لمدينة دمشق المصدق عام ١٩٣٤م، حيث كان هدف



الشكل ٧- مخطط إيكوشارد عام ١٩٣٢.

فقد وضع مقترح طريق رئيس، و فرض طريق دائري حول المدينة القديمة لتخفيف مشكلة الازدحام في المركز فقط غربي المدينة القديمة، و لتمكين الوصول السهل للمدينة. و لم توضع هذه الخطة حيز التنفيذ حتى الآن.

نقلًا عن: Lababedi.Zara. The Urban Devepment of Damascus: Astudy of its past, presentand future. University of

.London. faculty of the built Environment. London 2008. P35

(٢٦) إيكوشارد: قام بتنفيذ دراسة معمقة لدمشق، أخذاً في الاعتبار العناصر التاريخية والاقتصادية والاجتماعية عند وضعه لمخطط دمشق عام ١٩٣٤م، ومن أجل المحافظة على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للمدينة، تبنى فكرة الفصل بين المناطق التقليدية القديمة للمدينة والمدينة ذات المخطط الحديث، مما عزز الزيادة في إهمال المناطق التراثية، خاصة خارج سور مدينة دمشق القديمة. الباحثة

مخطط إيكوشارد للإدارة الحضرية، تقسيم التركيبة الوظيفية للمدينة، وقد اعتمد هذا المخطط عام ١٩٦٠م، وأكمل عام ١٩٩٤م، وكان السبب في اعتبار منطقة ساروجة منطقة تجارية بتصنيفها باسم (ل) تجاري، وعدم اعتبارها من الأحياء ذات الصفة الأثرية أو التراثية.^(٢٧)

وفي هذا الخصوص قامت أمانة العاصمة بتنظيم مسابقة هندسية محلية لإعداد المخطط التنظيمي لمنطقة شرقي المرجة ومنطقة البحصة ومنطقة سوق الهال نظراً لتجاورها، ولتحقيق الخطوط الرئيسة للمخطط التنظيمي العام لمدينة دمشق، واستناداً للمشروع الفائز تم إعداد المخطط التنظيمي للمناطق الثلاث، وتم تصديقه نهائياً من قبل وزارة الشؤون البلدية والقروية عام ١٩٧٠م، وتم إنجاز الإجراءات اللازمة، وكذلك تم بيع بعض المقاسم الناتجة بالمزاد العلني، وتوزيع المقاسم الباقية توزيعاً إجبارياً، وعلى هذا الأساس تم التسجيل بالسجل العقاري عام ١٩٧٧م، وألغيت الصحائف العقارية للعقارات القديمة، والتي ما زال بعضها قائماً حتى الآن.^(٢٨)

هذا وقد تعرضت ساروجة إلى بعض الإساءات والانتهاكات نتيجة تطبيق المخطط التنظيمي، وتعرضت للإهمال وما نتج عنه من التداعي والخراب وهجر بعض السكان لمنازلهم، وتقسيم بعضها إلى غرف للتأجير، كما أن تحويل بعض البيوت إلى مشاغل وورشات الحرف وصناعات، قضت على عناصر معمارية لا تعوض، إضافة إلى التعديات المتمثلة في الهدم والبناء العشوائيين لأبنية كان من الممكن الحفاظ عليها، فيما لو توافر نظام عمراني مرن يسمح للمالكين بالتحرك ضمن إطار معماري معين. وهذا بخلاف أن العامل الاقتصادي كان من أهم العوامل التي أساءت وتسيء للأحياء القديمة، حيث أصبح بالإمكان جني الملايين من تجارة الأراضي وتجارة البناء.^(٢٩)

وقد صاحبت هذه التحولات في تغيير منطقة ساروجة ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: تشتمل الفترة السابقة على تصديق المصور التنظيمي تصديقاً نهائياً من الوزارة عام ١٩٧٠م. وقد هُدم في هذه الفترة جامع يلغا، وشيدت مجموعة مقاسم.

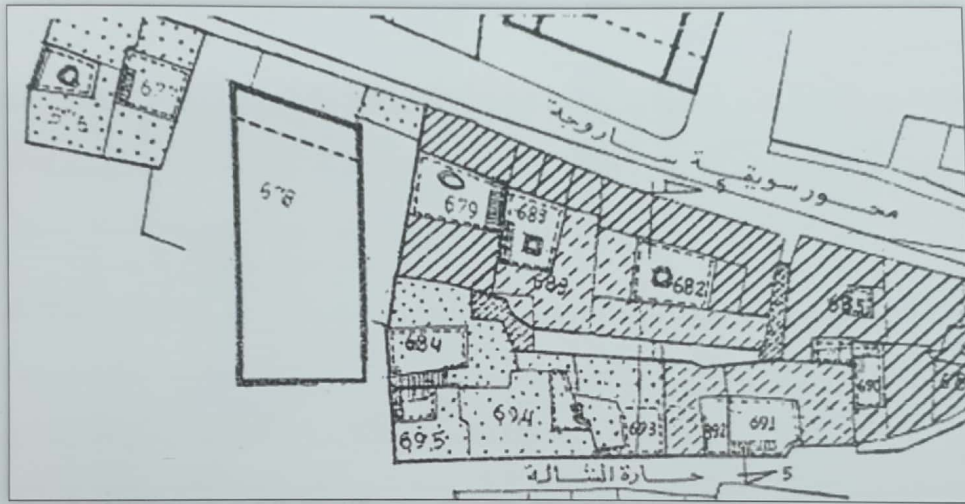
المرحلة الثانية: إعداد المصور ٢/١٠ كتل ساروجة المصدق عام ١٩٧٦م للمنطقة الواقعة شمال البحصة وغرب سوق الهال، والتي كانت تخضع إلى منطقة الأحياء القديمة (خريطة ساروجة الوضع الراهن). أصبحت منطقة ساروجة تحت اسم (ل) تجاري وفق إيكوشارد. كما تم خلال هذه المرحلة تنفيذ شارع الاتحاد والثورة.

(٢٧) Lababedi Zara .The Development of Damascus.pp.34-38

(٢٨) دغمان، موفق: تقرير عن تطورات سوق ساروجة، محفوظ في دائرة آثار مدينة دمشق بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٣م، ص٤

(٢٩) دغمان، موفق: المرجع السابق، ص٤

المرحلة الثالثة: تمتد حتى عام ١٩٨٨ م، حيث بنيت في هذه الفترة عدة مقاسم، وأهمها مقسم الهاتف الآلي وبناء مجموعة مقاسم أخرى. وأهم ما يميز هذه المرحلة اختلاف مفهوم الحفاظ على المناطق التاريخية، وإيقاف هدم النسيج التاريخي.^(٣٠) وفي تاريخ ١٩/ صفر/ ١٤٢٣ هـ الموافق ٢١/٤/ ٢٠٠٣ م، صدر القرار ١٦٤ القاضي بتسجيل منطقة ساروجة ضمن المناطق المسجلة أثرياً لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف-مديرية المباني. و شمل القرار تحديد حدود منطقة ساروجة بالشوارع وتسجيل المنطقة الموضحة حدودها بالخط المنقط المبين على المخطط المحفوظ لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف، في عداد المناطق الأثرية في دمشق. (الشكل ٨)



الشكل ٨- محور حي ساروجة.

يتضح محور ساروجة على المخطط الموضوع من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف ٢٠٠٣ م.

كذلك تُعد المنطقة الواقعة بين المنطقة المسجلة أثرياً، وحدودها منطقة حماية، ويطبق على العرصات^(٣١) غير المبنية والأبنية الحديثة القائمة فيها، نظام البناء المعمول به في محافظة دمشق، كذلك تطبق على الأبنية الحديثة القائمة الواقعة ضمن المنطقة المسجلة شروطاً تتعلق بالتصميم المعماري الخارجي، بما يتوافق مع الطابع التراثي للمنطقة، والالتزام بالشروط عند الهدم، وإعادة البناء للأبنية الحديثة. هذا ويمكن القول بأن المنطقة اليوم تتألف من ٣٢ محضراً محفوظة في المجالس العقارية، وكل محضر يضم أرقام العقارات التابعة إليه.

(٣٠) دغمان، موفق: المرجع السابق، ص ٢٠٥

(٣١) العرصة: اسم مؤنث يجمع جمع مؤنث سالم بعرصات، ومعناها البقعة أو الأرض حول الدور، وهي واسعة خالية من أي بناء، أو هي المكان حيث وسط الدار. معجم المعاني

حي ساروجة وعناصره العمرانية :

من المعروف أن ازدهار المدن العربية في العصور الإسلامية، قد تميزت بتوجهها إلى الداخل من خلال عناصرها العمرانية المختلفة، والتي عادة ما تتسم بالثبات.

ويمكننا القول بأن حي ساروجة هو واحد من تلك الأحياء بالمدينة الإسلامية، ويتفرع عن المحور الرئيس لهذا الحي حارات جانبية شبه متعامدة عليه. فمحور حي ساروجة شارع مركزي، حيث تتجمع التجارة والتجهيزات والصروح، فهو الشارع الذي فسح المجال بالتوسع العمراني باتجاه الشمال.^(٢٢)

وقد اتصفت الأحياء في المدينة الإسلامية بمعايير تخطيطية، نجد أنها مطبقة تماماً بحي ساروجة، منها تكتل المباني وتلاصقها والخلخلة في النسيج العام فيما يتعلق بالأفنية الداخلية المفتوحة والساحات العامة، كذلك التزام مباني الأحياء بالارتفاع، ليكون ثابتاً فيما عدا المساجد؛ إضافة إلى تشعب مسارات الشوارع والدروب والطرق في خطوط ملتوية، وتشعب منها أيضاً شجيرات من المسالك المقفولة لتوفير الحماية الأمنية داخل الأحياء.^(٢٣)

كما أن تخطيط الأحياء لمدينة دمشق يكشف لنا بأن الشكل المعماري للأحياء يتبلور في مصفوفات المنازل، وهي مصفوفات ضيقة تحتويها أسوار وحوائط، حيث يوجد نظام معقد من المساحات، يبدأ بفناء داخلي يُعد ملاذاً للراحة، ثم شبكة الأزقة والشوارع والأسواق التي تؤدي إلى الساحة الرئيسية التي هي منطقة الحياة العامة.

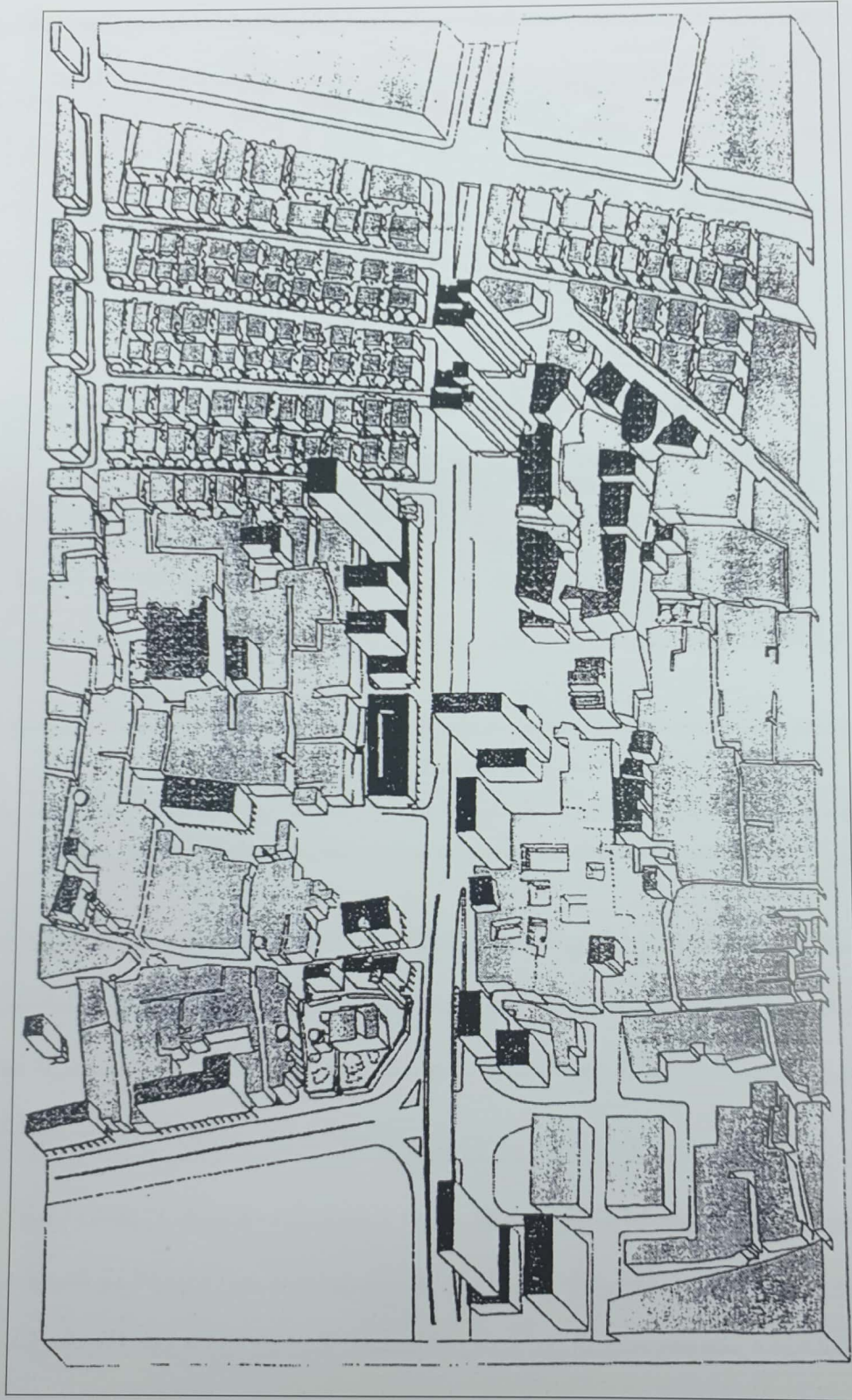
وإذا رجعنا إلى العناصر العمرانية التي تشكل حي ساروجة والتي أوضحنا من خلالها الحارات كعنصر يعبر عن ذلك الشكل العمراني للمباني السكانية، فإن هناك أيضاً الشوارع كواحدة من تلك العناصر، وهي القنوات التي يتحرك سكان المدينة عبرها، إما يومياً أو في فترات متباعدة. ويمكن تحليل شبكة المرور في تلك الشوارع إلى ثلاثة مكونات، متدرجة في الأهمية وظيفياً وفراغياً، هي الدرب والزقاق والطريق غير النافذة التي يطلق عليها السكك، والعقد حيث سيتم شرح هذه المكونات في الفصل الثالث من هذه الدراسة بشكل مفصل.

ويتصف شكل محور حي ساروجة بالمحورية المتأثرة بالنسيج العمراني المتوضع على طرفيه.

(الشكل ١٠٩) وقد تميز مدخل المحور في الماضي بتوضع مئذنة المدرسة الشامية على يسار الداخل إليه، إلا أن المباني الحديثة التي تم تنظيمها، والطرق التي شقت مؤخراً غيرت من مدخل محور السوق، الذي يضيق ويتسع ما بين ١٥م و ٧ أمتار،

(٢٢) P.75Dorthée Sack. Histoire et Developpement de la ville ancienne de Damas

(٢٣) إسماعيل، محمد عبد اللطيف: الملائمة الوظيفية للعمران التراثي في المدينة العربية، القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٩١، ١٩٢



الشكل ٩- أنواع التحول بساروجة.

التحول الجزئي لمختلف أنواع النسيج العمرانية القديمة و الحديثة الموجودة في ساروجة منذ عام ١٩٣٢ و حتى اليوم.

نقلا عن: S.Sauvager: Esquisse d'une histoire de la villa de Damas. Revue des etudes Islamiques



الشكل ١٠- تحول النسيج العمرانية بساروجة ١٩٩٥.

التحول الجزئي لمختلف أنواع النسيج العمرانية القديمة و الحديثة الموجودة في ساروجة و التنظيم المدني الحديث في شارع الثورة
Histoire et developement de la villa anienne de Damas planche IV نقلًا عن:

وتبدأ بعد جامع الورد الكبير الأبنية الحديثة الدخيلة على النسيج العمراني الذي كانت تتميز به المنطقة، فتصبح النهاية الحالية للمحور عند الصالحية، في حين تستمر بقايا النسيج القديم على الجهة الجنوبية من المحور لمسافة تبلغ نحو ٢٠ متراً، حيث تبدأ مباني منطقة البحصنة، ويصبح عرض المحور عند هذه المنطقة نحو ٦ أمتار، الأمر الذي يزيد من تأثير الارتفاع الكبير للمباني السكنية المحدثّة إلى القرب من جامع الورد.

وإذا استثنينا بعض الأحياء الفقيرة، فإننا نجد أن شوارع دمشق القديمة قد تم تبليطها بالحجارة المحدبة والمكعبة المنتظمة، وهذا يطابق محور حي ساروجة ونزلة جوزة الحدياء، أما بقية الأزقة والسكك فقد غطيت بطبقة حديثة من الإسفلت،^(٢٤) هذا ما يتعلق بالدرب، أما ما يتعلق بالزقاق فهو ضيق، ويقل في المساحة العرضية عن الدرب، وهو يتفرع عنه ليتصل بدرب آخر أو شارع رئيس آخر.^(٢٥)

(٢٤) كارل واتسينجر وكارل والتسنجير: المرجع السابق، ص ٦٦

(٢٥) الرباط، ناصر: الحارة في دمشق، ص ٥٤١

وإن الناظر لمحور السوق بحي ساروجة يشهد بعض الحارات الجانبية التي تتعامد أزقتها مع المحور حيث يتفاوت التباعد بين هذه الأزقة، وتضيق هذه أحياناً ليصل عرضها إلى ثلاثة أمتار أو إلى مترين ونصف المتر. أما السكك أو الطرق غير النافذة فتتفرع السكك عن الأزقة وتنتهي عند أبواب المنازل.

وتتصف هذه السكك بالضيق الشديد، حيث إن المساحة العرضية لا تسمح بمرور أكثر من شخصين،^(٣٦) وحي ساروجة مليء بهذه السكك التي يتراوح متوسط عرضها من مترين اثنين إلى متر واحد ونصف المتر. ويمكننا القول بأن من أهم المعايير التخطيطية المتعلقة بشبكة الشوارع للأحياء الإسلامية هي الارتفاق بالشوارع النافذة كحق للجميع، كما يحق لمن يملك على هذه الشوارع بيتاً أو أرضاً أن يفتح له باباً، على ألا يضر هذا الحق بالجيران، كما يحق للملاك الأراضي حول الشوارع النافذة الارتفاع بجانبهم دون قيد أو شرط، هذا ولا يسمح بسقف الشوارع النافذة بين رصيفين، كذلك يتم السماح بعمل بروزات شرفات تتعدى هذه الشوارع، شرط أن تكون هذه البروزات مرتفعة بالقدر الذي لا يضر المارة. وفي حالة الشارع أو الطريق الخاص، فقد حدد عرضه بمترين اثنين، ولا يجوز الارتفاع به إلا لأهله وحدهم. ويسمح أيضاً باستخدام الشوارع الضيقة غير المستقيمة لتوفير مساحات مظلة ولمنع الرياح. هذا وقد كانت الحارات تنتهي ببوابات لإغلاق المناطق السكنية لتحقيق الأمن والخصوصية.^(٣٧)

أما العنصر الآخر الذي يشكل شبكة الشوارع بحي ساروجة فهي العقد الرحبة أو الساحة وتمثل بؤرة الحركة الرئيسة في الحارة، وهي عادة نتاج تقاطع ممرين أو أكثر، أو هي مركز خدمي للمنطقة أو الحي^(٣٨) وتتوضع الرحبة الرئيسة بحي ساروجة من تفرع المحور الرئيس إلى محور جوزة الحدباء من الجنوب، ومحور حارة الشاله قديماً من الغرب.

والجدير بالذكر أن هذه الساحات تشتمل على المباني ذات الصفة العامة، كالمساجد والمقاهي وذلك مثل مسجد بليان، الذي يقع عند تقاطع حارة القولي، وكذلك المقهى الواقع في بداية نزلة جوزة الحدباء، كما أن المباني المطلة على هذه الساحات، يزداد ارتفاعها بما يتجاوز أو يصل إلى تسعة أمتار.

والعنصر الثالث الذي يشكل هيئة المعمار في ساروجة هو الحدود، وهي خاصة بالتميز المعماري، لذلك نجد أن حي ساروجة لا يحتوي على حدود معمارية مميزة، إلا أن هناك فواصل تشكل هيئة المعمار في ساروجة في ما يسمى بالحدود، وهي خاصة بالتميز المعماري، لذلك نجد أن حي ساروجة لا يحتوي على حدود معمارية مميزة، إلا أن هناك فواصل تشكل شياً مفهوماً

(٣٦) الرباط، ناصر: المرجع السابق، ص ٥٤١

(٣٧) أكبر، جميل: عمارة الأرض في الإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨ م، ص ١٦٣

(٣٨) إسماعيل، كمال خلف: الإطار العام للتشريعات المنظمة للعمارة والمدينة العربية، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الهندسة، جامعة الأزهر القاهرة،

١٩٩٣ م، ص ١٧٨

الحدود، والتي تتمثل في الجدران تُعد في حد ذاتها عنصر احتواء، لأنها تعبر عن كل ما يقع داخلها كملكية محددة. وقد أصبح الجدار عنصراً فاصلاً ومحدداً للملكية الحيازات الفراغية، نسبة للعديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.^(٣٩)

إضافة إلى أن الدخول إلى هذه المناطق أو هذه الأحياء كان محدوداً ببوابات معينة، فاشتمل حي ساروجة على أربع بوابات، يمكن الدخول من خلالها إليه، وذلك من اتجاهات مختلفة ما عدا منطقة البساتين المحيطة به، إذ لم يكن هناك أي منفذ منها إلى ساروجة، وقد كانت مواضع هذه البوابات عند الصالحية وبساتينها، وأخرى من جهة الشمال عند عين الكرش، وهناك البوابة الواصلة بين النهرين ومحلة البحصّة، كذلك هناك بوابة الآغا في محلة عين علي.^(٤٠)

التغيرات في النسيج العمراني لحي ساروجة:

يقع حي ساروجة اليوم في مركز مدينة دمشق التجاري والإداري والخدمي، إذ يحاط بعدد من الأسواق الرئيسة المركزية، وعدد كبير من المؤسسات والدوائر والوزارات الحكومية الرسمية، إضافة إلى العديد من المصارف والفنادق السياحية، وقد تجمعت هذه الأخيرة بشكل واضح في هذا الموقع من المدينة أي بمنطقة البحصّة، وربما يكون لهذا التجمع تأثير إيجابي على المنطقة المدروسة، إذا ما تم استغلاله بشكل مدروس وبالمقياس المناسب. هذا وقد أدى شق شارع الثورة وشارع شكري القوتلي إلى فصل منطقة السوق عن باقي النسيج المحيط، وإلى بتر المحور الذي كان يصل دمشق ضمن الأسوار بمنطقة الصالحية.

و مع توسع دمشق طرأ تحول على طبيعة المحور ووظائفه، فبعد أن كانت المنطقة عبارة عن ضاحية سكنية خارج أسوار المدينة، أصبحت محوراً هاماً في مركزها. وبالتالي لم تعد الحركة قاصرة على سكان المنطقة، وإنما شملت حركة المشاة والسيارات التابعة للوظائف المجاورة للمحور من جهة شارع الثورة، ومن جهة شارع يوسف العظمة.

ولدى دراسة حالة الأبنية الموجودة في المنطقة، تبين أن الضرر الأكبر أصاب البيوت المتاخمة للمباني الحديثة المنشأة على محيط ساروجة، ولم يتأثر النسيج فيزيائياً فحسب، وإنما تضررت خصوصية المنازل والحارات بسبب الارتفاع الكبير لهذه الكتل، مما أدى إلى هجرة المكان وتحويلهم البيوت القديمة من سكنية إلى وظائف تجارية أو حرفية، أسهمت في زيادة الإساءة إلى هذه البيوت.^(٤١)

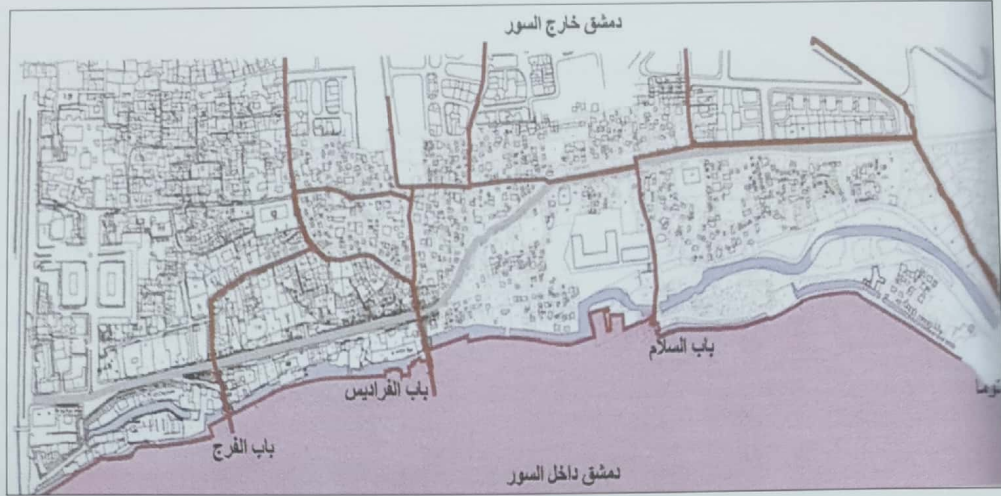
ويوضح مخطط استعمالات الأراضي الراهن للمنطقة الصفة التجارية والخدمية التي أصبحت المنطقة تتسم بها.

(٣٩) الرباط، ناصر: المرجع السابق، ص ٥٤٠، ٥٤١

(٤٠) محفوظ، محمد: معالجة بيت سكني في ساروجة، مشروع دبلوم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٨٨، ص ١٣

(٤١) البنسلي، لمى: تحليل وتوظيف شريحة في منطقة ساروجة، مشروع دبلوم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق ١٩٩٧م، ص ٦، ٧

وقد نجم عن ذلك كثافة أكبر لحركة العبور ضمن محور الحارات المتفرعة عنه، وهي حركة لا يستهان بها، إذا أخذنا بعين الاعتبار عرض المحور وطبيعته الأصلية. (الشكل ١١)



الشكل ١١- محاور الحركة داخل المدينة

يمثل الشكل محاور الحركة بين دمشق داخل السور وخارجها في الوقت الحالي
مفتاح الشكل :

اللون الأحمر يمثل الطرق الرئيسية للثقل - اللون الأزرق نهر بردى - اللون الموف الفاتح دمشق داخل السور
نقلًا عن طلاب في كلية الهندسة المعمارية جامعة دمشق ٢٠١٠

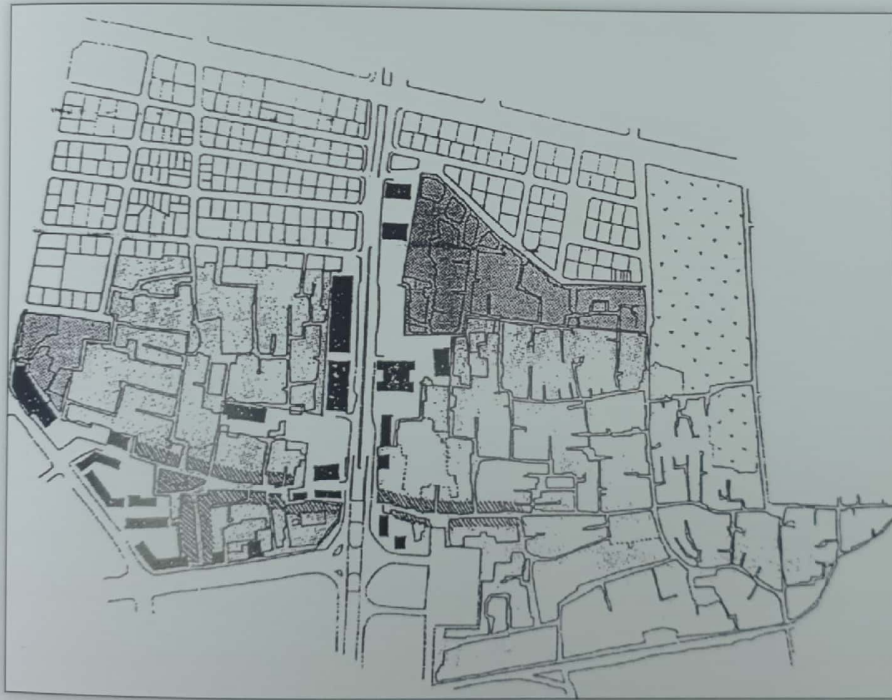
كما أصبحت الحارات المتفرعة عنه تستخدم كصلة وصل بين منطقة عين الكرش ومنطقة البحصنة. و مما سبق يمكننا تتبع هذا التحول من خلال ثلاثة مخططات لساروجة، من خلال مقارنة النسيج العمراني ما قبل عام ١٩٣٠م وهي أقدم مخططات موجودة للحي، ومن ثم التطورات التي طرأت حتى عام ١٩٩٥م.

ففي المخطط الأول للنسيج العمراني للحي عام ١٩٣٠م وما قبل، نستطيع القول بأن المخطط المرسوم في السجل العقاري، أوضح التعديلات التي تعرضت لها البنية القديمة منذ ذلك التاريخ، وبذلك عندما تدمر النسيج العمراني المدني، من شوارع، وأراض، ومبان؛ حافظ المخطط التنظيمي عارضاً الحدود التفصيلية القديمة، وفتح المجال أمام التمييز بين المباني المشيدة قبل ذلك الوقت، والمباني المشيدة بعد هذا التاريخ، كما تمت الإشارة إلى المنازل القديمة أو المهدة وكذلك تمت الإشارة إلى المباني المدمرة والصروح والمباني الضخمة، وهي العناصر التي تحافظ على بنية الحي التراثية: من المساجد، والأضرحة، والحمامات، والمنازل الكبيرة وكذلك بعض الأماكن الخدمية مثل: الأفران والمدارس.

هذا ونستطيع عند قراءة المخطط، ملاحظة أنماط كبرى من التعديلات على النسيج العمراني القديم في جنوب غرب حي

ساروجة وشماله، حيث يترافق التدمير الكامل للنسيج المعماري مع مشروع تجديد شامل، كما طرحت المخططات الجديدة شبكة طرق جديدة، و مباني مكونة من أربعة طوابق أو أكثر، وتُعد المساحة الفارغة بين المباني مساحة عامة تستخدم حالياً كمكان لركن السيارات.^(١٢)

أما المخطط الثاني فإن مخططه يعطي صورة مركبة عن الحي، ويستطيع دعم التفكير التخطيطي المهتم بالحفاظ على النسيج العمراني القديم للحي و على التطور الحاصل فيها، حيث اشتمل على النسيج القديم الذي يُظهر ارتفاع الأراضي، التي تشير إلى الاحتفاظ بهذه الأجزاء من الحي النابض بحياة اجتماعية معاصرة، كما اشتمل على محور السوق الذي يصل الحي من شرقه إلى غربه محاطاً بالأبنية الأثرية (جامع الورد-حمام الجوزة-المدرسة الشامية البرانية-تربة بلبان) الموجودة في الحي. وهذه الأبنية التراثية اليوم مهددة بالزوال نتيجة تطبيق المخططات التنظيمية، كما اشتمل المخطط على الأحياء الجديدة المتوضعة جنوب ساروجة و شمال العقبية، حيث يتطلب تموضع هذه الأحياء مع النسيج العمراني القديم معالجة خاصة لتجنب التحولات على مجموع الحي، و ذلك يتم تدريجياً. و أخيراً اشتمل المخطط على شارع الثورة و البنى الجديدة في جنوب غرب ساروجة. (الشكل ١٢)



الشكل ١٢- حي ساروجة صورة مركبة عن الحي النسيج القديم بالرمادي الفاتح ومحور الحي مظلّل على المخطط.
نقلا عن: المعهد الفرنسي للشرق الأدنى للدراسات الأثرية.

أما المخطط الثالث: (شبكة الطرق) فيمكن القول بأنه يظهر مخطط عام ١٩٣٠م المتعلق بتنظيم شوارع الحي القديمة، حيث يظهر في شمال الحي، الطريق الجديد المستقيم كلياً (ضاحية بغداد) والذي كان مرسوماً ومخططاً له. وينتمي هذا الطريق إلى شبكة الضواحي الكبيرة، التي تشكل بنية المدينة الحديثة منذ عام ١٩٣٠م. (الشكل ١٣ و ١٤)



الشكل-١٣ مخطط شبكة الطرق في ساروجة عام ١٩٣٠.

نقلا عن: Histoire et developement de la villa ancienne de Damas. planche III



الشكل ١٤- مخطط شبكة الطرق في ساروجة عام ١٩٩٥.

نقلا عن: Histoire et developement de la villa ancienne de Damas. planche III

وإضافة إلى نظام الطرق في الحي، فإنه مرسوم بهندسة مثالية شرقية غربية، وهذه الهندسة متوافقة مع الاتجاهات الأمامية للشوارع المؤدية إلى غوطة دمشق. كذلك نجد أن محور السوق في الحي هو طريق موصلات يؤدي إلى ضاحية الصالحية ومركز المدينة. أما شبكة الطرق الفرعية والطرق المسدودة أو غير النافذة، فإنها تتعامد مع امتدادات شوارع الحي وهي التي تقسم مجموع أجزاء الحي.^(٤٣)

وإذا نظرنا إلى مخطط عام ١٩٩٥م، فنجد أنه يُظهر الأشكال المختلفة للنمو والتطور منذ عام ١٩٣٠م، حيث توسع الحي في شمال المدينة الحديثة الممتدة على الاتجاه المؤدي إلى ضاحية بغداد، وصولاً إلى الحدائق وفق تخطيط تربيعة أكثر أو أقل تنظيماً، وعليه تزايدت شوارع الحي وأزقته.

وترجم التزايد الذي حدث في النسيج المعماري المدني القديم، من جنوب إلى غرب ساروجة إلى أرض الواقع من خلال تنفيذ المخططات المعمارية والتنظيمية الحديثة في مركز المدينة. حيث النظام الجديد يتجاهل القديم، وشوارع الحي لا تؤدي إلى الطرق الجديدة، أو تنتمي عند تلاقيها بالسلالم المؤدية إليها.

أما ما يتعلق بالمخطط الرابع والخاص بالتحويل الجزئي للحي، فنجد أن هذا المخطط يقدم لنا تحليلاً تخطيطياً مختلف أنواع النسيج العمرانية القديمة والحديثة الموجودة في ساروجة، حيث يظهر حي ساروجة بشكل جزء مغلق متجانس مفعّل، عن طريق شبكة الشوارع التي تتخلل حاراته.

أما في الشمال، فقد تم فرز منطقة عين الكرش، والمباني الحديثة مقسمة وفق ارتفاعها، لتخترق بشكل واضح الجزء المغلق المتجانس من الحي، وكذلك المباني المدينة المترافقة مع شق شارع الثورة.

لقد كان هذا الحي يشكل مع جواره تكاملاً عمرانياً هاماً، خاصة بالنسبة للتطور العمراني والتاريخي لمدينة دمشق. كما أن الحدود التي كانت تفصل بين منطقة ساروجة والمناطق الأخرى المجاورة لها (العقيبة، العمارة، البحصّة...) كانت حدوداً غير واضحة تماماً فيزيائياً وتغلب عليها صفة الحدود الإدارية والاجتماعية.

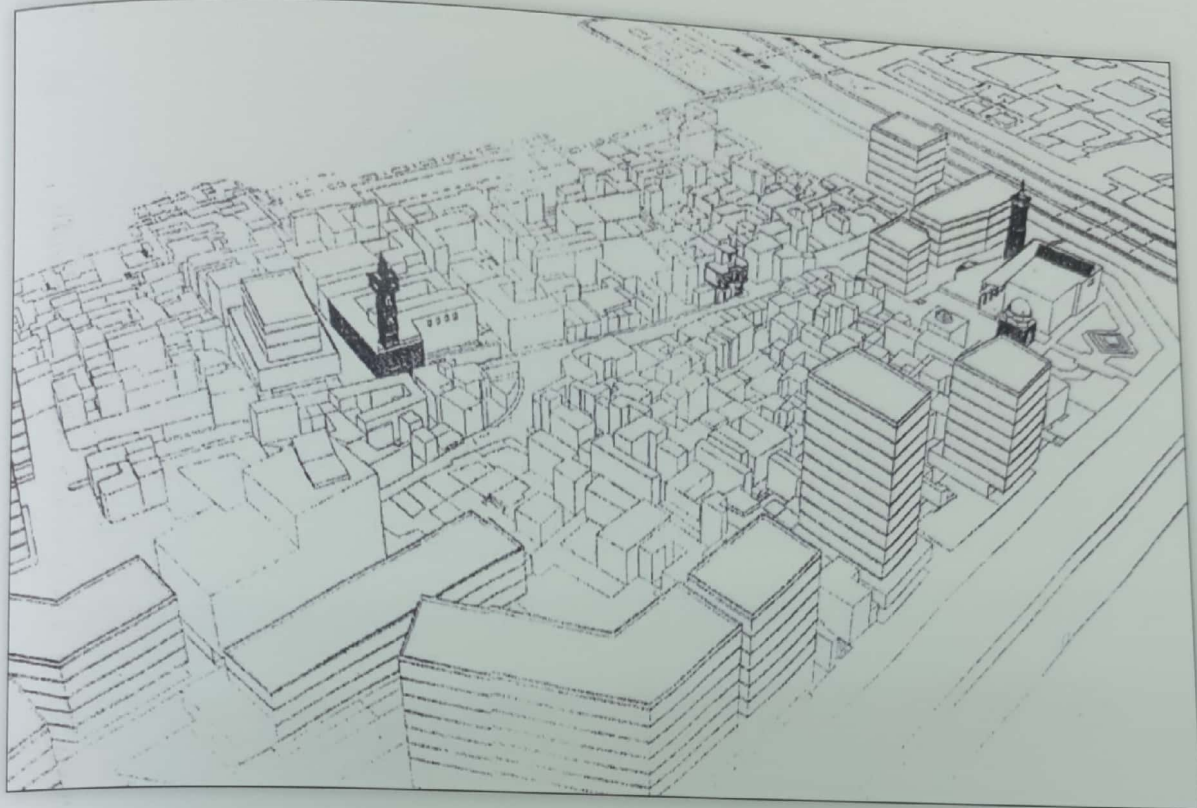
الأشكال من ١٥ و ٢٧ توضح النسيج العمراني في سوق ساروجة.



الشكل ١٥- تحولات النسيج العمراني بحي ساروجة.
وتظهر كتل المباني الحديثة.



الشكل ١٦- حالة الأبنية في الوقت الراهن



الشكل-١٧ حي ساروجة مخطط يظهر كتل المباني الحديثة
حيث أحاطت و اخترقت الحي في وقتنا الحالي



الشكل-١٨ مخطط الأحياء - مخطط أحياء خارج مدينة دمشق القديمة وضع عام ٢٠١١
نقلا عن الأستاذ نذير عوض مدير مركز الوثائق التاريخية (بيت خالد العظم)



الشكل-١٩ بعض الصروح والأوابد التاريخية في سوق ساروجة عام ٢٠١١

تظهر المعالم التالية:

- ١-الديرية النجمية
 - ٢- قبة و تربة علاء الدين
 - ٣- المدرسة الشامية
 - ٤- شارع الثورة
 - ٥-البيت الشامي (متحف دمشق التاريخي)
 - ٦- حمام الخانجي و سبيل
- نقلًا عن: المعهد الفرنسي للدراسات الأثرية في الشرق الأدنى



وزارة الثقافة
المديرية العامة للآثار والمناحف
دائرة آثار دمشق

كامل الشريحة معينة أثرياً وهي
ضمن منطقة الحماية بالقرار
1/37 عام 2010

متحف دمشق التاريخي

مركز الوثائق التاريخي

مديرية الآثار:

مديرية الثقافة - إدارة المواقع الأثرية - مديرية التخطيط
جمعيات أهلية: جمعية أسدقاء دمشق - الجمعية البيئية

بيت اليوسف

مديرية المباني - مخبر ترميم العجمي

اتحاد الأثريين العرب - مهندسة

حمام الخاخي

العقارات 665 - 666

2011/01/17

إعداد: م. نسرين البوطة إشراف: د. غزوان باغي

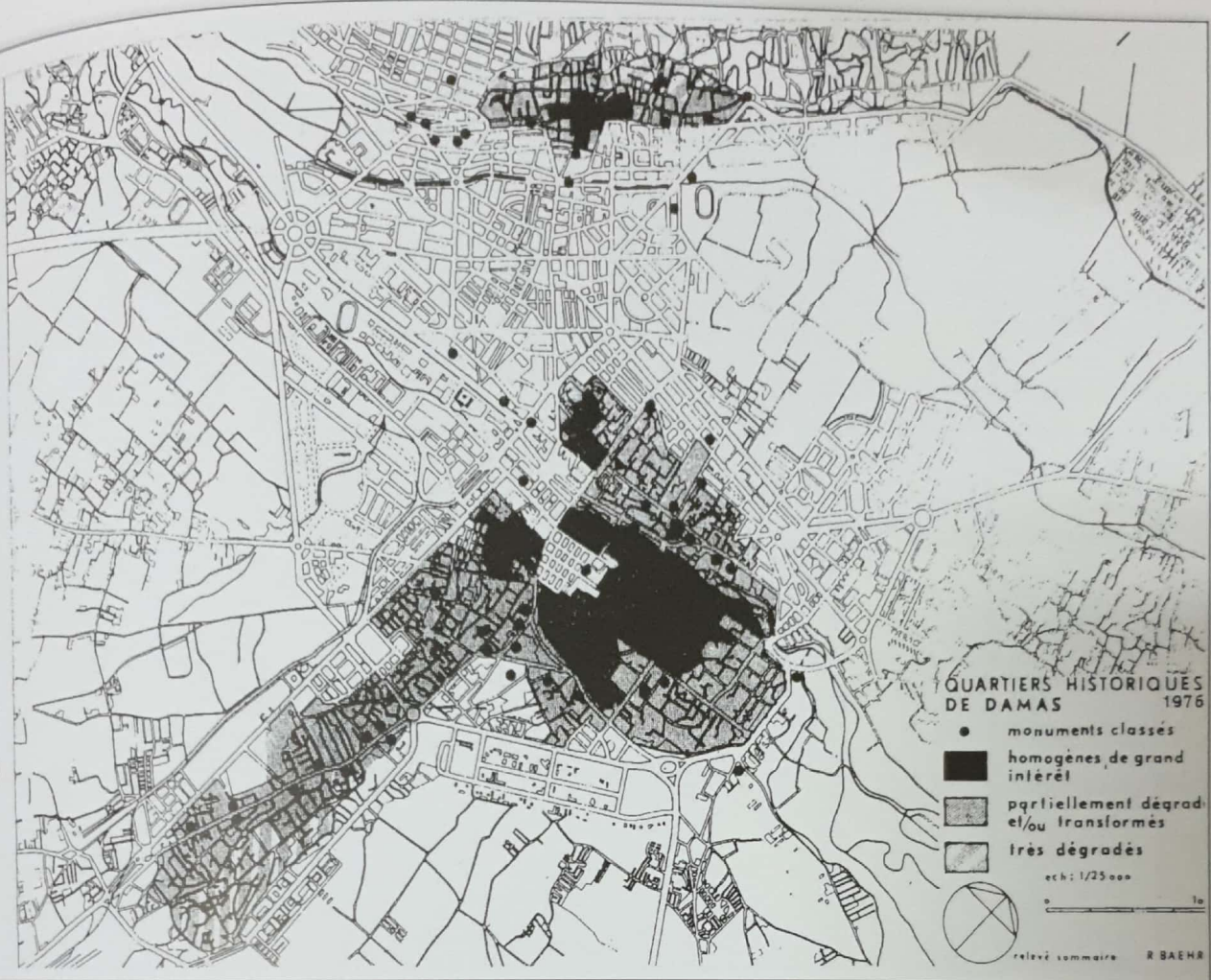
الشكل-٢٠ الشريحة حول بيت خالد العظم في الوقت الحالي
حيث تظهر أهمية و غنى هذه الشريحة
نقلاً عن دائرة آثار مدينة دمشق

EVOLUTION HISTORIQUE DE DAMAS

- XIII^e SIECLE
- XIV^e SIECLE
- XIX^e SIECLE
- XX^e SIECLE

ech 1/20,000
d'après JEAN SAUVAGET

Histoire et developpement de la ville ancienne de Damas, planche IV : نقلاً عن



الشكل-٢٢ يمثل تطور مدينة دمشق عام ١٩٧٦.
حيث اتسعت المدينة بشكل ملحوظ وواسع اتجاه الشمال
نقلًا عن :

Histoire et development de la ville ancienne de Damas. planche IV



الشكل-٢٣ توضح الصورة نقاط العلام المميزة بالمنطقة

مفتاح الشكل:

- ١- مجمع يلغا
- ٢- حديقة القرمانى
- ٣- مدرسة ست الشام
- ٤- أبراج
- ٥- أبراج
- ٦- مسجد الورد
- ٧- بيت العابد
- ١٠- بيت خالد العظم
- ١١- أبراج حديثة
- ١٢- سوق الهال القديم

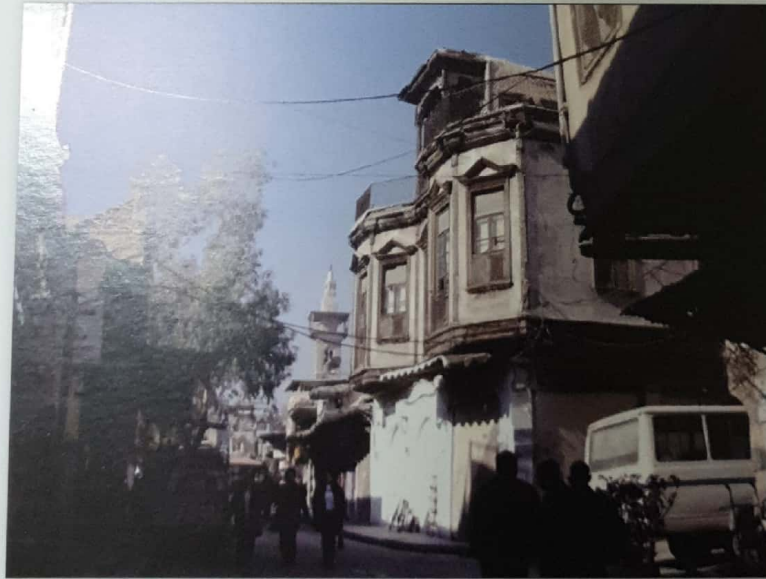
نقلًا عن: طلاب في كلية الهندسة المعمارية جامعة دمشق ٢٠١٠



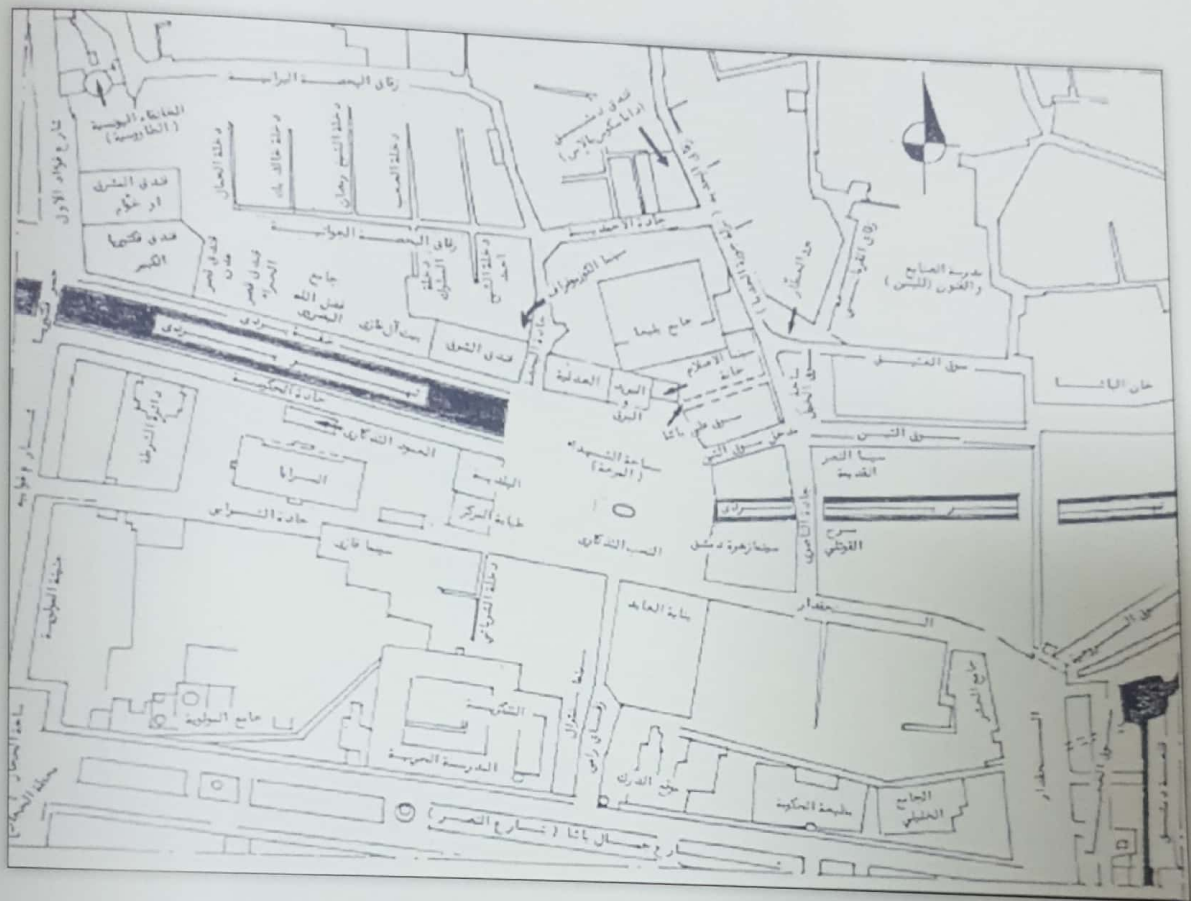
الشكل-٢٤ المحاضر التي تقسم ساروجة
 خريطة توضح المحاضر التي تقسم ساروجة، وأرقام العقارات ضمن كل محاضر
 نقلاً عن محمد محفوظ، معالجة بيت سكني في ساروجة، ص ٢



الشكل-٢٥ بداية محور سوق ساروجة
تجاور البناء القديم مع البناء الحديث



الشكل-٢٦ بداية محور ساروجة من الشرق باتجاه الغرب
حيث نرى النسيج العمراني المتوضع على خط المحور



الشكل ٢٧- مخطط المنشآت والمباني في ساحة الشهداء ومحيطها حسب توضعها لا حسب زمنها.
 بالاستناد إلى خريطة دمشق التي نظمها البلدية عام ١٩٢١-١٩٢٤ وخريطة شرطة دمشق سنة ١٩٢٢-١٩٢٤ والخرائط الإفرنسية أبان الاحتلال.
 نقلا عن أرشيف قتيبة الشهابي.

علاقة حي ساروجة بالأحياء المجاورة:

إن المحور الواصل من باب العمارة في المدينة القديمة إلى العقبة فسويقة ساروجة، والذي يفضي إلى منطقة الصالحية في جبل قاسيون، يُعد أحد المحاور التاريخية الهامة في دمشق، حيث كانت هذه الأرباض (الأحياء الموجودة خارج الأسوار) تتصل من خلاله مع أسواق المدينة وجامعها الكبير وبقية الفعاليات المركزية الأخرى. ويجدر الذكر أن هذا المحور قد قطع عند فتح شارع الثورة، ويفضل أن يتم إيجاد طريقة مناسبة لإعادة هذه العلاقة الهامة للمنطقة مع المدينة القديمة.

إن الدخول إلى هذه الأحياء كان محدداً ببوابات معينة، فلقد كان لساروجة بوابتان، تسمحان بالدخول مباشرة إلى هذا الحي، إحداهما كانت بوابة الصالحية، وهي التي كانت تصل بين ساروجة ومحلة الصالحية وبساتينها. كذلك كان هناك بوابة أخرى من الجهة الشمالية الغربية هي بوابة عين الكرش، التي كانت تصل إلى منطقة البساتين والأراضي الزراعية.

أما دخول حي ساروجة من جهة الجنوب، فقد كان يتوجب القدوم من البوابة الواصلة بين بوابة بين النهرين (ساحة المرجة) ومحلة البحصّة، أو المرور بجوزة الحدباء إلى حي ساروجة، كذلك كان من الممكن الدخول من البوابة الجنوبية الشرقية والمسماة بباب الآغا في محلة عين علي، مروراً في زقاق القرماني للوصول إلى ساروجة.

لم يكن هناك أي منفذ مباشر لساروجة من البساتين المحيطة، وكانت كما هو معروف تفتح دوماً على أفنيئتها، كما تفتح أبوابها على أزقة الحي، بينما تدير ظهورها للبساتين. ومن هنا جاءت تسمية (قفا الدور).

حي ساروجة من تطور إلى تدهور:

شكلت دمشق على مر العصور جبهة للمقاومة، من مغول وحملات صليبية وغيرها، أما ساروجة (هذا الحي القديم) فقد قاوم غزاة من نوع جديد وهو التوسع العمراني الحديث.

ويُعد حي ساروجة من أكثر الأحياء التي تعرضت للإهمال والتقدم الحضاري المتمثل بالعمران الحديث، مثل سوق الخجا، ومرآب شارع الثورة، والمركز الثقافي الفرنسي، وبعض الفنادق الحديثة والمحلات التجارية، أما منازل الحي فغالبيتها بحالة سيئة وبحاجة للصيانة وغالباً ما يتخلى عنها سكانها. ويشار إلى وقوع عدد من الانهيارات والحرائق في منطقة ساروجة في السنوات الأخيرة، بسبب تهالك البيوت، التي يعود بناء معظمها إلى أكثر من ٢٠٠ عام، وعلى مر الأعوام تم هدم قرابة ثلث الحي، وبات الملاك الجدد يشيدون مباني، شوّهت مكيفات الهواء واجهاتها، وفي عام ١٩٩٧م تم بناء مقسم آلي ومرآب في أحد

العقارات التي هدمت، وأثمرت جهود السكان والصحافة عن قرار المحافظة على حي ساروجة جزئياً، واعترفت البلدية بالقيمة التاريخية للمنطقة السكنية في ساروجة بعد جدل طال ٢٠ سنة، وشجعت السكان على ترميم بيوتهم وتحويلها إلى فنادق ومقاه ومعارض فنية، بشكل يحول الحي إلى نقطة جذب سياحية، ولكن السوق العتيق تجاوز مرحلة الإنقاذ باستثناء حمام القرماني، الذي يعود إلى القرن السادس عشر.

لقد قامت محافظة دمشق بهدم المباني التاريخية التي كانت قائمة في المنطقة المذكورة بشكل غير منهجي، ودون إتاحة الفرصة لتوثيقها بشكل منهجي ولائق، وبالتالي هدمت بيوت دمشقية وأسواق وبقايا لأبنية تاريخية هامة تعود لفترات تاريخية مختلفة، وأتت الآليات على الكثير من العناصر المعمارية الهامة، ثم قامت المحافظة بتحويل المكان إلى حديقة، بإضافة أمتار مكعبة من التربة الزراعية بعد ترحيل الأنقاض. وعلى الرغم من الاحتفاظ بالحمام الوحيد الذي بقي في منتصف الحديقة وهو حمام القرماني، إلا أن الكثير من المباني تم هدمها لتلحق أخوتها التي هدمت سابقاً، كجامع يلبغا وغيرها التي اختفت مع توسيع الساحات والطرق في محيط المنطقة منذ سبعينيات القرن الماضي، وحتى أواسط الثمانينيات منه وهذا تفصيل لن ندخل فيه. لم تقدم محافظة دمشق المساعدة اللازمة على الرغم من تعهداتها بذلك لبعثة التنقيب، التي واجهت صعوبات مختلفة أهمها: تجمع القمامة بشكل يومي وغزير في مربعات التنقيب، وارتفاع مستوى المياه الجوفية، وصعوبات أخرى كثيرة لن ندخل في تفاصيلها.^(٤٤)

(٤٤) عوض، نزيير: المرجع السابق، ص ٢٠١، ٢٠٢.

الباب الثاني

وصف وتحليل

المكونات العمرانية والمعمارية لحي ساروجة

القطرية ا
من الإسلام
سلامية، و
يس الأكاد

ة العمارة
ضارات
عن الج
تاريخ ال
الثقاي

الأعما
في به
قليد

ة،
سا
الا
ام
ة

الفصل الأول

المرحلة الأيوبية:

تُعد الفترة الأيوبية (٥٧٠-٦٥٨هـ/١١٧٤-١٢٥٩م) من أخصب فترات تاريخ بلاد الشام، فمع قدوم الأيوبيين شهدت البلاد تطوراً جديداً في خصائص العمارة التي كانت سائدة عصرئذ، لكنها لم تخرج عن الإطار العام للعمارة السلجوقية، بل كانت استمراراً لها، مع قيامها بإضافات معينة ميزت المرحلة الجديدة.^(٤٥)

حكم دمشق في تلك الفترة زعيمان عظيمان من زعماء العالم الإسلامي، هما نور الدين الزنكي،^(٤٦) وصلاح الدين الأيوبي.^(٤٧) وفي ظلّه ما ازدهرت دمشق بعد أن غابت عنها عوامل الازدهار في العصر العباسي، وغدت خلال قرن مركزاً سياسياً وحضارياً مرموقاً، ونشطت فيها الحركات الثقافية والعمرانية والاقتصادية، وبدأ الانتعاش يتسرب إليها في الحياة العمرانية، منوهين إلى تميز المرحلة الأيوبية بكثرة الحروب والقتال؛ مادفع القائمين على البلاد إلى إنشاء أبنية كبيرة، فبنيت قلعة دمشق، وظهرت المدارس المستقلة عن الجامع الأموي،^(٤٨) وأعاد نور الدين الزنكي بناء سور دمشق القديمة المحيط بالمدينة، والذي كان قد تهدم نتيجة الفتن والحروب، ورمم بوابته، وفتح بوابات جديدة؛ كما زودها بسويقة في مقدمة الباب، ليتمون منها أهل المنطقة. وبذلك زالت آثار الخراب الذي لحق بالمنطقة لتقوم مكانها المؤسسات العامة، والمدارس،^(٤٩) ودور العلم، والخانقاهات، ودور الضيافة، ومنازل للصوفية، والأضرحة ذات القباب.

وقد استندت سياسة ترسيخ سلطان الأيوبيين، والمقصود بها تعظيم الثقل السياسي والجهاد إلى عناصر خمسة رئيسة هي:

(٤٥) مانيكه، ميخائيل: نتائج المسح الأثري لتلال الصالحية، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٣٥، ص ١٧٦.

(٤٦) نور الدين محمود الزنكي (١١١٨ - ١١٧٤م / ٥١١ - ٥٦٩هـ): هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر. يلقب بالملك العادل، ومن ألقابه الأخرى ناصر أمير المؤمنين، تقي الملوك، ليث الإسلام، كما لقب بنور الدين الشهيد، على الرغم من وفاته بسبب المرض. حكم حلب بعد وفاة والده، وقام بتوسيع إمارته بشكل تدريجي، كما ورث عن أبيه مشروع محاربة الصليبيين، و شملت إمارته معظم الشام، وتصدى للحملة الصليبية الثانية. ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٧٨.

(٤٧) صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان أبو المظفر. انحدر من قرية (دوين) الواقعة قرب مدينة سنه في شرق كردستان، وهم من «قبيلة هذباني الكردية، بطن من قبيلة الروادية». كان لجده ولدان، هما أيوب وشيركو، نزل بهما أبوهما إلى تكريت، وفيها ولد يوسف (صلاح الدين) وتوفي جده (شاذي). ذهب أيوب مع أخيه إلى الموصل، ودخلا في خدمة صاحبها عماد الدين زنكي. ولما مات سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م ولي على بعلبك. وتلقب أيوب بلقب نجم الدين، وتلقب شيركو بلقب أسد الدين، وتلقب يوسف بلقب صلاح الدين. كان صلاح الدين نزيهاً عفيفاً، فلم يترك في خزانته عندما مات سوى ١٧ درهماً، ولكنه قسم دولته بين ١٧ ولداً وأخاً، وكان له ابنة واحدة، فتقاتلوا بعده ومزقوا المملكة شر تمزيق، حتى جاء أجلهم على يد المماليك. جحا، شفيق و البعلبكي، منير: المصور في التاريخ، ج ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م، ص ٣٦.

(٤٨) زهدي، بشير: تاريخ دمشق العمراني والمعماري، مجلة مهد الحضارات، عدد ٥، ص ٨.

(٤٩) الريحاي، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢.

الجيش، العلماء، التجارة الخارجية، التطور الاقتصادي والاجتماعي، الهيكل الإداري للحكم.^(٥٠)

لم تشهد دمشق ذلك التطور من قبل؛ لأنها كانت تنعم بالاستقرار والأمن، على الرغم من اتساع المساحة، وقد أدى ذلك إلى نشاط التجارة، حيث كان الفرنجة يأتون إليها لبيعوا ما لديهم، ويشتروا معظم حاجياتهم، مع أن الحرب كانت قائمة بينها وبين الصليبيين، وقد أبدى الرحالة ابن جبير دهشته من تلك الظاهرة.

كان النشاط التجاري والحركة العمرانية في أوجيهما في ذلك العهد، وقد بلغا حدًا كبيراً من التطور الذي كان من أهم أسبابه أن الأمراء الأيوبيين تحمسوا للعلم والدين. فأنشؤوا المدارس العديدة، كما اهتموا ببناء التراب، فانتشرت في عهدهم بكثرة، كذلك قاموا بإشادة الخوانق التي أسماها ابن جبير (الرباطات)، فقال فيها: «أما الرباطات ويسمون بها الخوانق فكثيرة، وهي برسم الصوفية، وهي قصور مزخرفة يطرد في جميعها الماء»،^(٥١) وقد أحصى الرحالة المذكور مئة وأربعين حماماً من عهد صلاح الدين.^(٥٢)

وقد وصف ياقوت الحموي الجغرافي دمشق في تلك الفترة فقال عنها: «والمساكن بها عزيزة لكثرة أهلها والسكانين بها وضيق بقعتها، ولها ربض دون السور، محيط بأكثر البلد.»^(٥٣)

في هذا الزخم الكبير من الأبنية الجديدة ذات الوظائف المختلفة، ظهرت بعض الإضافات الجديدة إلى العمارة السائدة حينها، فأصبح دارجاً بناء الصحن المزود ببركة مستطيلة، حيث كان محاطاً بأواوين في أكثر جهات المبنى، باستثناء الجهة التي يحتله الحرم.

كما أخذت السقوف شكل العقود المتقاطعة، أو صارت على شكل قباب ملساء ذات رأس مدبب، حتى إن هذه القباب غدت العنصر الأكثر أهمية و السائد في العمارة الأيوبية، فقد زاد ارتفاعها وتنوعت أشكالها، لكنها تميزت في دمشق بشكلها المحرز ذي الأضلاع الشاقولية.

(٥٠) ماكنزي، نيل: القاهرة الأيوبية، ص ٤٦، ٤٧

(٥١) رمضان أحمد، أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص ٢٥٦

(٥٢) الريحاي، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٧٥

(٥٣) الريحاي، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٣١، ٣٢

أولاً : المدارس

أ: المدرسة الشامية البرانية: ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م:

الموقع :

تقع المدرسة الشامية البرانية غربي سوق ساروجة، بمنطقة (العُوَيْنة) بالعقبة الكبرى، وليس (العونية) كما يكتبها بعضهم^(٥٤). ويحدها من الغرب التربة العلالية والتربة النجمية، ومن الشرق شارع الثورة، ومن الشمال جادة سوق ساروجة، ومن الجنوب حمام القرماني. (الشكل ٢٨ و ٢٩)

نشأتها وتاريخ الإنشاء:

بنيت المدرسة في منطقة تنتشر فيها الترب السلجوقية، وكانت لطبقة مهمة من أعيان السلاجقة.^(٥٥)

أنشأتها ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان،^(٥٦) أخت القائد صلاح الدين،^(٥٧) وتم بناؤها في عهد الملك الأفضل نور الدين بن صلاح، حيث قام ببنائها شبل الدولة كافور الحسامي.^(٥٨) وتنسب إليها المدرستان: الشامية البرانية، والشامية الجوانية، حيث تقع إحدهما (الجوانية) داخل السور، قبلي البيمارستان النوري ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م،^(٥٩) أما الأخرى (البرانية) فتقع خارج السور بمحلة العونية، وهي من أكبر المدارس وأعظمها، وأكثرها فقهاء وأوقافاً. كانت ست الشام- رحمها الله- عاقلة، كثيرة البر والصلات والإحسان والصدقات، سيدة الخواتين^(٦٠) وكان بابها ملجأً للقاصدين، ومفزعاً للمكروبين،

(٥٤) العلي، أكرم: المرجع السابق، ص ١٢٤؛ بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٠٤

(٥٥) Damascus A History: Burns. Ross. p. 177

(٥٦) نجم الدين أيوب بن شادي بالذال المعجمة الدويني، هو والد الملوك: صلاح الدين وسيف الدين وشمس الدولة وسيف الإسلام وتاج الملوك بوري وست الشام. كان يلقب بالأجل الأفضل، وكان صالحاً، حسن السيرة، كثير الصدقات، سمحاً كريماً. توفي سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م. بدران، عبد القادر:

المصدر السابق، ص ٢٨٧، ٢٨٨

(٥٧) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٢٤٩

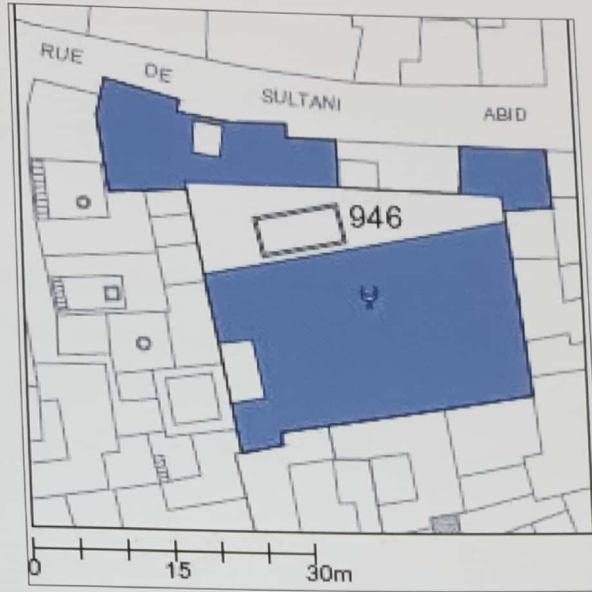
(٥٨) العلي، أكرم: المرجع السابق، ص ١٢٤

(٥٩) البيمارستان النوري: يقع في زقاق متفرع من سوق الحميدية، في منطقة الحريقة حالياً، شيده نور الدين زنكي عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م وقد ذكر تاريخ البناء على لوحة موجودة في صدر إيوان البيمارستان الشرقي. وقد عرض هذا البيمارستان الى تغيرات كثيرة خلال الحقب المتلاحقة. العلي، أكرم:

المرجع السابق، ص ٢٦٠

(٦٠) الخاتون: لفظ تركي، دخل العالم الإسلامي عن طريق الأتراك، وتعني المرأة المتطرفة في بيتها وصاحبة الكلمة، ويُعد لقب سيدة الذي يضاف إلى لقب خاتون إشارة إلى الجليلات من النساء، وخصوصاً أميرات الأسر الحاكمة. انظر أبي شامة: المصدر السابق، ص ٨٣؛ الباشا، حسن: الألقاب

الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م ص ٢٦٥



الشكل ٢٨- مخطط المدرسة الشامية البرانية

نقلا عن: كتاب العمارة والمجتمع العثماني في مدينة دمشق بالقرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين للباحثين الألمانين وبيروستيفان



الشكل ٢٩- المدرسة الشامية البرانية

واجهة المدرسة من جهة جسر الثورة

وهي من سلالة ملوك بني أيوب الذين تولوا السلطنة في كل بلد من البلاد المشهورة، فهي أخت الملوك وعمة أولادهم، وكان لها من المحارم أكثر من ثلاثين ملكاً من أخوتها أو أبناء أخوتها. وقد دفن بمدرستها هذه قبلها كل من أخيها توران شاه وهو في القبر القبلي، وابن عمها زوجها ناصر الدين محمد بن شيركوه بالقبر الأوسط، وابنها حسام الدين بن لاجين الذي تعرف المدرسة أيضاً باسمه «الحسامية»، وذلك في القبر الذي يلي الباب.^(٦١)

وهناك خطأ شائع عند العوام في اسم الخاتون ست الشام، فقد ذكرت بعض المراجع أن اسمها (زمرد خاتون بنت الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان) وهذا خطأ تاريخي، والصحيح هو فاطمة بنت الأمير نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان، أما زمرد فهي بنت ابنها حسام الدين لاجين التي ترعرعت في حضن جدتها بعد وفاة الأمير حسام الدين.

الأحداث التي مرت بها:

أقيمت بها صلاة الجمعة لأول مرة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، وحضرها القضاة والأمراء، وقد احترقت المدرسة مع جامع تنكز نتيجة الصراع على السلطة بين يلغا الناصري ومنطاش الأمير الثائر،^(٦٢) وذلك في رجب سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م، ثم أعيد بناؤها لتحترق مرة ثانية في فتنة الناصر سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م أثناء فترة حكم السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين برقوق، وقد أعيد بناؤها.^(٦٣)

واستمرت مدرسة ابتدائية للأيتام تقوم بها جمعية الإحسان الخيري حتى أيام علامة دمشق محمد كرد علي.

ويشير ولتسنجر إلى أن هذه المدرسة تحتوي على أقدم زخرفة منفذة على الجص،^(٦٤) وقد أجريت إصلاحات متعددة بها في الأعوام: ١٩٤٢ و ١٩٤٧ و ١٩٤٨م، كما أعيد تركيب القناطر التي كانت أمام المصلى والتربة.^(٦٥)

وتصنف المدرسة على أنها أقدم الأوابد الأيوبية بدمشق، إذ يقدر عمرها بنحو ٩٠٠ سنة تقريباً^(٦٦) بيد أن وزارة المعارف السورية جعلتها في بدايات القرن العشرين دار علم.^(٦٧)

(٦١) العلي، أكرم: المرجع السابق، ص ١٢٥

(٦٢) النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٥

(٦٣) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٠٦

(٦٤) كارل واتسنجير وكارل ولتسنجر: المرجع السابق، ص ٨٤

(٦٥) المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ٧٣

(٦٦) ذي النون، ميرفت: رسالة تخرج حول المدرسة الشامية البرانية، ١٩٩٢م، ص ١٤.

(٦٧) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٠٤

أوقافها:

أوقفت ست الشام أوقافاً متعددة وكثيرة على مدرستها الشامية البرانية والجوانية، واختارت لها أوقافاً بعوائد كبيرة، لتغطي كامل نفقات المدرسة، حيث يشير النعيمي إلى أن من وقفها السلطاني وهو قدر ثلاثمائة فدان، جانب قنّاة الريحانية إلى أوائل القبيبات، إلى قنّاة حجيرة ودرب البويضا، ومنه الوادي التحتاني وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فداناً، ومنه ثلاثة كروم وغير ذلك.^(٦٨) ويضيف عبد القادر بدران إن من وقفها بستان صاحب غربي المصلّى وطاحون باب السلامة وحكورة متعددة وغير ذلك من الأوقاف التي لم يبق سوى رسمها في الكتب. وقال العلامة أبو شامة: «شَرَطَ واقفها أن لا يجمع بينها وبين غيرها».^(٦٩)

وقد ضمنت الخاتون ست الشام استمرار ما أوقفته على المدرسة الشامية البرانية، عبر إرسال، وكيلها ابن الشيرجي إلى قاضي القضاة زكي الدين ليحضر إليها ومعه عدد من أعيان دمشق، ليشهدوا على أنها أوقفت أملاكها على تلك المدرسة، وبذلك ظلت المدرسة التي عُرفت بالشامية البرانية قبله للعلم والعلماء طوال العصر الأيوبي، واستمرت حتى العصر المملوكي، فخرّجت الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين.^(٧٠) ويقول العلمي: إن للشامية البرانية كتاب وقف منقول عند غالب فضلاء دمشق.^(٧١)

الوصف المعماري:

أصبحت المدرسة الآن كما أسلفنا مسجداً يعرف بمسجد الشامية، له واجهة حجرية، وتقع مئذنته في الطرف الشمالي الشرقي، وهي ذات شكل مربع بطراز أيوبي، تستمر حتى الشرفة الخشبية التي يقف عليها الإمام ثم تصغر ويصبح شكلها مئذناً. وهي مئذنة حجرية ضخمة خالية من العناصر التزيينية، شاهقة الارتفاع، متوجة بانتفاخ حجري بصلي الشكل، ورمع وهلال مغلّق. (الشكل ٣٠)

أما بالنسبة لصحن المسجد فهو سماوي مكشوف، شكله أقرب للمستطيل، ويبلغ طول ضلعه الشمالي (٣٥م)، وضلعه الجنوبي (٣٢م)، أما ضلعه الشرقي فيبلغ (١١,٥م)، ويبلغ الضلع الغربي (١٩,٥م)، يصعد إلى الصحن بثمانى درجات، لأنه يرتفع عن مستوى الشارع العام، (الشكل ٣١) وهي تقع في الجانب الشرقي للرواق الشمالي (الشكل ٣٢) الذي يقع جنوب الصحن، وهناك درج آخر موجود في الضلع الشمالي للصحن، يتكون من درجين متقابلين، عدد درجاتهما ست. وقد رصف

(٦٨) النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩

(٦٩) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٠٤

(٧٠) بدران: المرجع السابق، ص ١٠٤، ١٠٥

(٧١) العلمي: مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق د. صلاح المنجد، دمشق ١٩٧٤م، ص ٤٨



الشكل ٣٠ المدرسة الشامية البرانية
الصحن و الأجزاء الغربية و الرواق الشمالي.



الشكل ٣١- المدرسة الشامية البرانية
الدرج المؤدي للرواق الشمالي من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١٢

هذا الصحن بالحجارة البيضاء والسوداء ذات الأشكال الهندسية المتعددة، وفي وسطه بركة ماء حجرية مستطيلة الشكل، تبلغ أبعادها (٣، ٩×٣٥، ٤م)، ويوجد في زواياها الأربع الداخلية تقوسات جميلة الشكل، (الشكل ٣٣) وهي على المحور نفسه مع الأبواب الثلاثة للتربة، وكانت تتغذى هذه البركة من ماء عين كرش.^(٧٢)

اقتطع من غربي الصحن داران، ومن الجهة الشرقية اقتطعت أيضاً منه ثلاث دور. ومقابلها هناك رواق قائم على عشر قناطر محمولة على دعائم، حملت على عقود مدببة من الحجر الأبيض المزخرف، وتوضع فوقها عشرون فتحة مستطيلة الشكل. وهذا الرواق غطي بسقف خشبي، يرتفع قليلاً من جهة الجنوب، وينحدر انحداراً خفيفاً نحو الصحن. يؤدي إلى قبة الضريح في الجهة الغربية، ثم إلى المسجد. ولهذه القبة سقف مزلج الشكل جميل في زخارفه وطريقة صنعه، نقش عليه خطوط كوفية، لذلك يُعد تحفة فنية من الزخارف الجصية التي وجدت في دمشق. وتحت هذه القبة تقع الأضرحة الثلاثة لخاتون وابنها وزوجها، (الشكل ٣٤) لكنها تهدمت وجددتها دائرتا الآثار والأوقاف بدمشق.^(٧٣) وقد تميزت أرضية الصحن بارتفاعها.

وفي أعلى الباب الشمالي هناك ساكف من الحجر، يحتوى على بقايا شريط متآكل هلنستي أو روماني، وهو ذو زخارف شبكية الشكل، ويعتقد أنه نُقل من مشيدة في دمشق، كانت تعود لأحد العصرين اللذين ذكرا، لأن العمارة الإسلامية لم تحومثل هذه الزخارف.^(٧٤) (الشكل ٣٥ و٣٦)

وقد جاء في كتاب «مناداة الأطلال ومسامرة الخيال» لعبد القادر بدران أن المدرسة الشامية البرانية كانت كبيرة الحجم، عظيمة الشأن، ولكن تضائل حجم المدرسة مع مرور الزمن، وأن الموجود الآن إنما هو قسم منها.^(٧٥)

المسجد :

احتل القسم الشرقي من الضلع الجنوبي للرواق، وهو ذو مسقط مستطيل، تبلغ أبعاده:

(٨٨، ١٢×٧، ١١م)، قسم إلى رواقين موازيين لجدار القبلة عن طريق بائكة مكونة من دعامين تحمّلان ثلاثة عقود على شكل حدوة فرس، والعقد الأوسط هو أكثرها ارتفاعاً. وفي الجدار الجنوبي هناك حنية محراب ذات شكل نصف دائري، وعلى جانبي الحنية عمودان مستديران، وفي أعلى الجدار نافذة مستطيلة امتد الجدار فوقها. وتظهر فتحة مثلثة الشكل، ناتجة عن التقاء الجدار مع القسم الأوسط من السقف على شكل جملون.

(٧٢) ذي النون، ميرفت: المرجع السابق، ص ٧

(٧٣) مرسي مرسي يوسف، محمود: العماثر الدينية والمدنية الباقية في دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي، مج ٢، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الإسلامية، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٧٤

(٧٤) الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٥م، ص ٣٦٩

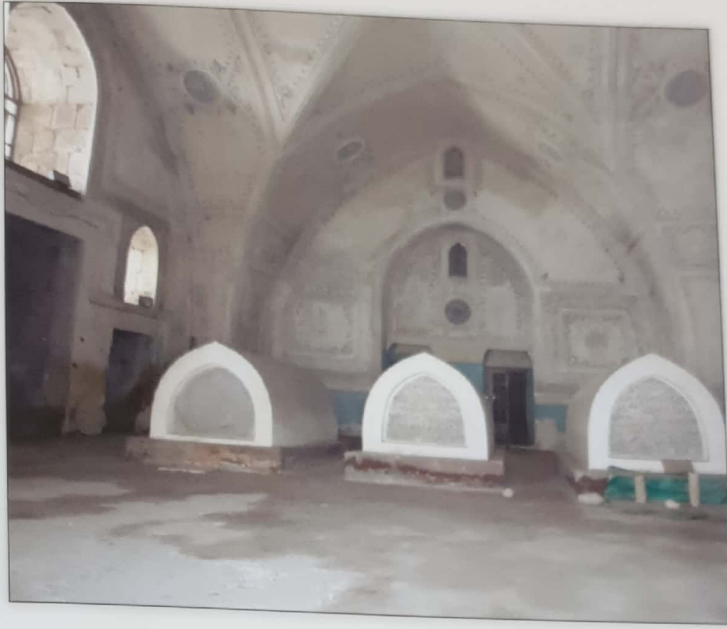
(٧٥) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٠٤



الشكل ٣٢- المدرسة الشامية البرانية. الرواق الشمالي



الشكل ٣٣- المدرسة الشامية البرانية
الصحن و الفسقية ذات الحنايا الأربع في الزوايا



الشكل ٣٤- المدرسة الشامية البرانية
التركيب الموجودة داخل التربة الحسامية للصقبة بالمدرسة الشامية من الجهة الغربية
من تصوير الباحثة ابريل ٢٠١٢

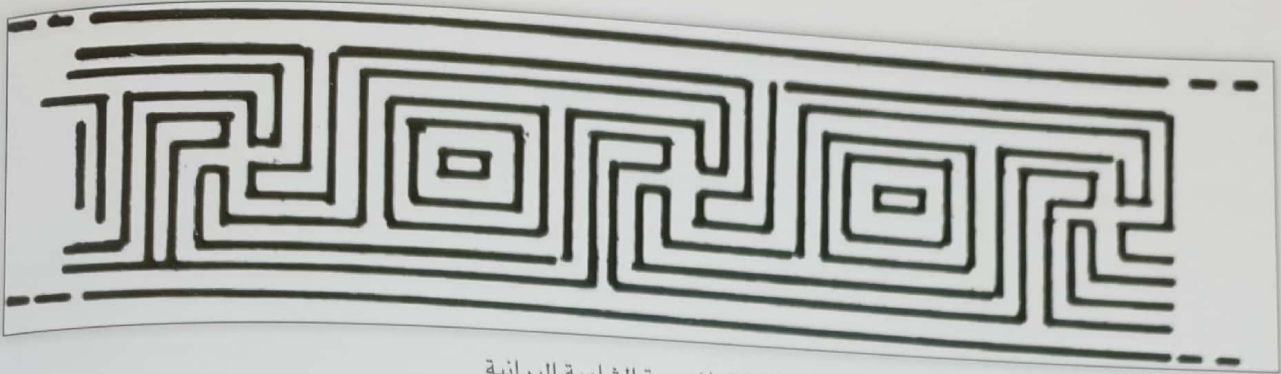


الشكل ٣٥- المدرسة الشامية البرانية
الزخارف النباتية الجصية المنفذة على الجص في تربة المدرسة الشامية،
وهي عبارة عن زخرفة توريق احتوت على زهورات متعددة البتلات و على أوراق بشكل مراوح تخيلية.
نقلا عن: فتية الشهابي، مشيدات دمشق ذوات الأضربة، ص ٣٧٢

وقد خلا الجدار الشرقي من أية فتحات أو حنيات باستثناء الجزء العلوي، حيث فتحت به نافذتان مستطيلتا الشكل. أما الجدار الشمالي فتتوسط فتحته باب مستطيلة، يبلغ اتساعها (٢,٧ م) وتعلوها فتحة نافذة مستطيلة أيضاً، وعلى جانبي هذا الباب هناك فتحتا باب مستطيلتان أقل ارتفاعاً واتساعاً منه، حيث يبلغ اتساعهما (١,٠٢ م) وارتفاعهما (٣,٠٢ م).

الواجهات :

- الواجهة الشمالية: هي واجهة بنيت من المداميك الحجرية كبيرة الحجم، فيها باب كبير ونوافذ تعلوها أقواس مدببة، وإلى جانب الباب الكبير هناك نوافذ نفذت بالخشب والزجاج. (الشكل ٣٧ و ٣٨)
 - الواجهة الغربية: وهي الواجهة الوحيدة الحرة للمدرسة، يبلغ طول ضلعها (١٥, ١٠ م)، نفذت بوساطة المداميك الحجرية، تتموضع في هذه الواجهة نافذة علوية، وفي أسفلها هناك نافذتان نفذ عليهما قضبان حديدية في الخشب. وفي هذه الواجهة أيضاً جذع المئذنة، وفتحة للدخول هي الباب، يبلغ اتساعه (٢ م) وارتفاعه (١٠, ١ م).
 - الواجهة الشرقية: لها فتحتان من داخل الجامع، وهي غير واضحة تماماً.
 - الواجهة الجنوبية: وهي واجهة ضخمة من الحجر الأبلق، فيها نافذة؛ وفوقها قوس مدبب. (الشكل ٣٩ و ٤٠)
- (الأشكال ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤) هي المدرسة الشامية أثناء الترميم.



الشكل ٣٦- المدرسة الشامية البرانية
تفصيلة من الشريط الحجري في ساكف باب المدرسة وهي زخارف شبكية
نقلا عن: قتيبة الشهابي ، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص ٣٧٢



الشكل ٣٧- المدرسة الشامية البرانية
الواجهة الجنوبية قبل الترميم في ستينات القرن العشرين
نقلاً عن : ميرفت ذي النون، رسالة تخرج عن المدرسة الشامية البرانية، جامعة دمشق، ١٩٨٧



الشكل ٣٨

المدرسة الشامية البرانية الواجهة الشمالية قبل الترميم



الشكل ٣٩-

المدرسة الشامية البرانية الواجهة الجنوبية وتظهر التربة الحسامية



الشكل - ٤٠

المدرسة الشامية البرانية الواجهة الجنوبية بعد الترميم



الشكل - ٤١

المدرسة الشامية البرانية الواجهة الجنوبية الشرقية أثناء الترميم.
نقلا عن: ميرفت ذي النون، رسالة تخرج المدرسة الشامية البرانية، جامعة دمشق، ١٩٨٧



الشكل-٤٢ المدرسة الشامية البرانية - قبة الضريح أثناء الترميم
نقلا عن : ميرفت ذي النون، رسالة تخرج عن المدرسة البرانية، جامعة دمشق ١٩٨٧



الشكل-٤٤

المدرسة الشامية البرانية التربة العلائية في المراحل الأخيرة من الترميم

نقلا عن: ميرفت ذي النون، رسالة تخرج من المدرسة الشامية البرانية، جامعة دمشق، ١٩٨٧



الشكل-٤٣

المدرسة الشامية البرانية قبة الضريح من الداخل أثناء الترميم

النقوش الكتابية :

نصوص الجدران :

كتب فوق المحراب « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. »

على جانبي هذا النص نصان آخران متشابهان لسورة الإخلاص:

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »

أما الجدار الشرقي في القسم الأوسط، فتوجد دائرة كتب فيها اسم الرسول صلى الله عليه وسلم مكرر، وعلى جانبي هذا القسم نصان من القرآن الكريم لآية الكرسي، وعلى الجدار الشمالي صورة الإخلاص، أما بالنسبة للجدار الغربي فنرى في القسم الأوسط منه دائرة، ورد في داخلها اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكرر على شكل نجمة سداسية، وهو مشابه للجدار الشرقي، وعلى الجانب الجنوبي يوجد نص قرآني غير مكتمل لآية الكرسي.

ب: المدرسة المجنونة: وهي مندثرة ولكن بقي منها تربة.

الموقع :

تقع شرق المدرسة الشامية البرانية بالعقيبة،^(٧٦) وبين جامع التوبة في الشرق والشامية البرانية في الغرب، مقابل دخلة السماننة اليوم.^(٧٧) ويذكر الشيخ بدران أنها في آخر العقيبة على الجهة اليسارية للدخل إلى سوق ساروجة، وقد اندثرت معالمها، ولم يبق منها إلا التربة بجانبها، ولها نافذة تطل على الطريق، وبعض أحجار من الواجهة الشمالية، ونقش الوقف وصاحبه وهي من مباني العصر الأيوبي.^(٧٨) (الشكل ٤٤)

(٧٦) النعيمي: المصدر السابق، ص ٤٦٧

(٧٧) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ١٦٢

(٧٨) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٤٩

نشأتها وتاريخ الإنشاء:

أنشأها شمس الدين بن شرويه بن حسين المهراني، الغازي المجاهد سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، لأن النعيمي ذكر أنها بنيت بعد سنة ٦٣٠هـ.^(٧٩) وتوفي المهراني ودفن بمدرسته سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م.^(٨٠) وقال النعيمي: «أنشأها شرف الدين بن الزراري»^(٨١) بينما أورد كرد علي اسم منشئها: «شرف الدين بن شرف الرازي»^(٨٢)

واقفها:

شرف الدين بن الزراري المعروف بالسبعة مجانيين بعد عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، أما كرد علي فقد ذكر أن شرف الدين بن شرف الرازي المعروف بالسبعة مجانيين، وهي معروفة بالسبعة المجاهدين أيضا بعد عام ٦٣٠هـ.^(٨٤)

الوصف المعماري:

تغير الوصف لأن ما بقي منها هو فقط ثلاثة قبور نافذة وباب فقط. وقد تهدمت المدرسة فيما مضى من الفترات، ولم يبق منها في الوقت الراهن سوى تربتها، كما بقي فيها مسجد صغير يسمى مسجد زاوية السبعة مجانيين لكنه مغلق ولا يرتاده المصلون. والباقي من المدرسة الآن مصلى صغير (يطل على الطريق)، وهو منخفض عن مستوى الطريق، بابه منحني، وإلى جانبه من الجهة الغربية نافذة يوجد في أعلاها ساكف من الحجر، نقش عليه اسم باني المدرسة وتاريخ وفاته. ويوجد داخل المصلى ثلاثة قبور؛ اثنان منها مجهولا الهوية والثالث للمنشئ. (الشكل ٤٦)

النقوش الكتابية:

كتب على الساكف الحجري الذي يعلو النافذة المتوضعة في الجهة الغربية:

(بسملة... هذه التربة الأمير شمس الدين شرويه ابن حسين المهراني المعروف بسبع المجانين الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله. توفي إلى رحمة الله في شهر رجب سنة اثنين وأربعين وستمائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه ورحم جميع المسلمين).^(٨٥) (الشكل ٤٥)

(٧٩) النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٧

(٨٠) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ١٦٢؛ النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥١، ٤٥٣؛ بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٤٩، ١٥٠

(٨١) النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٧

(٨٢) كرد علي، محمد: المرجع السابق، ج ٦، ص ٨٨

(٨٣) النعيمي: المصدر السابق، ص ٤٦٧

(٨٤) كرد علي، محمد: المرجع السابق، ص ٨٨

(٨٥) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ١٧٣؛ بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ١٥٠



الشكل - ٤٦

المدرسة المجنونية القبور الثلاثة الموجودة داخل المصلى المطل على الطريق



الشكل - ٤٥

المدرسة المجنونية النقش الموجود أعلى النافذة

ثانياً: المساجد

أ: مسجد الوزير المزدقاني: وهو من المساجد المندثرة

كان هذا المسجد عند رأس زقاق الأرزة، وهو جامع كبير، له منارة وإمام، وفيه سقاية وبركة. ^(٨٦) بناه الوزير أبو علي طاهر بن سعد المزدقاني؛ وزير أمير دمشق ظهير الدين طفتكين، الذي حطم دمشق بين ٤٩٨هـ / ١١٠٤م، وقتل سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٩م. ولم يبق من هذا المسجد سوى ضريح داخل البيت، وكتابة على الجدار. وقد قرأ نصها العالم الباحث خالد معاذ في تشرين الثاني سنة ١٩٤٩م ولا يزال الحجر قائماً.

كتب على ذاك الحجر: «عمل هذا المسجد المبارك في أيام مولانا الأمير الأسف سهلار الأجل السيد الكبير ظهير الدين عضد الإسلام معتمد وشرف الملة وفخر الأمة قوام الملوك عماد الأمراء أمير الجيوش ناصر المجاهدين قتلغ أتابك أبي منصور طفتكين سيف أمير المؤمنين فرحم الله من صلى فيه ودعا له بالتأييد والنصر وقد أعز الإسلام وأذل الشرك... فانفق عليه من خالص ماله ورحم الله عبده الوزير الفقير إلى رحمة الله تعالى أبا علي طاهر بن سعد بن علي المزدقاني».

(٨٦) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ١١٨

ب: مسجد الشيباني: وهو من المساجد المندثرة

كان يقع في جيزة الحدباء، جدده أبو بكر بن محمد الطاهر في سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١ م.^(٨٧) تألف من قبة أيوية الشكل، في زواياها الأربع زخارف مقرنصة، ومن فوقها ست عشرة كوة، فتح منها ثلاث فقط. ويضم المسجد محراباً صغيراً، وإلى جانب الباب قبران تزعم العامة أنهما قبرا يونس الشيباني وسعد الدين الجبائي، ولكن هذا غير صحيح، لأن الكتابة التي كانت موجودة على القبرين ذكر فيها: (هذا قبر المرحوم الفقير إلى الله تعالى أبو بكر دوادار برد بك كافل المملكة الشامية وبنته حسنية رحمها الله تعالى توفي ثالث محرم من شهور.^(٨٨) ثمانمائة.)

ت: مسجد رجب آغا: وهو من المساجد المندثرة

كان في حارة الشالة، جدد سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧ م، وأزيل عند تنظيم المنطقة، وهو مسجد صغير من العصر الأيوبي. يشكل بابيه قنطرة مفرّضة تشبه تقريض باب المدرسة العادلية الصغرى، لهذا نسبناه إلى العصر الأيوبي. تتموضع فوق بابيه منارة غربية الشكل لا يوجد مثابه لها في دمشق. وللمسجد مصلى، وله جبهة من الحجر الأسود، جدده آلاي أنوط حسين أفندي ١٢٩٤هـ كما هو مكتوب على الباب. وفي الجهة الغربية من المصلى ضريح رجب آغا، أما الجهة الجنوبية فهي أقدم ما في المسجد.^(٨٩)

ثالثاً: التربة

أ: التربة المعينية: وهي من التربة المندثرة

كانت التربة المعينية مقابل المدرسة الشامية البرانية شمال دار البطيخ. أو شمالي دار البطيخ وقبل المدرسة الشامية^(٩٠) وهي تربة أتاك معين الدين إنر حاكم دمشق، والد زوجة نور الدين الشهيد، الملقب بملك الأمراء، وقد أنشأها قبل وفاته في دمشق، وذلك بتاريخ ١٧ ربيع الأول ٥٤٤هـ الموافق لأواخر شهر تموز عام ١١٤٩ م.

ومن الواضح أن الناس نسوا معين الدين إنر، على الرغم من أنه كان قد دافع عن دمشق ببسالة في وجه جيوش الفرنجة،

(٨٧) ولتسينجر، كارل وواتسينجر، كارل: المرجع السابق، ص ١٩٦

(٨٨) الشهابي د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٢٦؛ ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٣٢

(٨٩) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢١٨

(٩٠) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٣٠٦؛ أبو شامة: المصدر السابق، ص ٦٤

فأهمل ضريحه، ونُسي مكانه مع الزمن وتحول إلى جزء من منزل، ثم اندثرت هذه التربة عند فتح شارع الثورة.

وكان لهذه التربة باب، له عضادتان رومانيتان، مبنيتان بوساطة حجارة سوداء، وقد نقش عليهما عناقيد العنب وورق الكرم، وبعد هذا الباب، هناك صحن دار أو مدرسة قديمة محاطة بالغرف الصغيرة، تدل طريق بنائها أنها من أواخر العصر المملوكي، في جنوبها قبة قديمة مبنية من الآجر، ولهذه القبة ثمانى نوافذ كلها مسدودة. ولها أيضاً باب يقع في الجهة الشمالية من الصحن.^(٩١)

وقد وجد نص منقوش على ساكف باب الضريح بخط نسخ أيوبي، أما كلما تهفهي غير منقوطة، تقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور عملت هذه القبة على قبر الأمير الاسفسهلال الكبير أتاك معين الدين الفقير إلى رحمة الله الشهيد السعيد إنر توفى يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة وأوقفت الخاتون الكبيرة (اسار) رحمها الله على هذه القبة البستان الذي بجهات الفندق واشتا عشر دكان وثلاثة عشر بيت وقف عليها.»

إذا فهذه الكتابة التي كانت على الباب لها أهمية في تصحيح تاريخ وفاة معين الدين إنر، الذي ذكر في بعض المراجع أنه توفى في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر، بينما نصت الكتابة على أنه توفى في السابع عشر من ربيع الأول.

وذكر لنا الذهبي في مختصر تاريخ الإسلام أن قبره في قبة خلف دار البطيخ. ومن هذا نستطيع تحديد مكان دار البطيخ، وهي الثانية وليست الأولى.^(٩٢)

وقد ذكرت في بعض المراجع مقبرة سوقة ساروجة، فقد ذكرت مقبرة النخلة بشرق ساروجة، وذكرت مقبرة أخرى باسم حارة الشالة، كانت تقع في الجهة الغربية.^(٩٣)

(٩١) المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ١٣٣، ١٣٢، ١٣٤.

(٩٢) خوست، ناديا: المرجع السابق، ص ١٢؛ المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ١٣٢، ١٣٣؛ الشهابيد. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ٨٦، ٨٧.

(٩٣) الإيبش، د. أحمد والحجار، عصام: دمشق الشام قصة ٩٠٠ سنة من الحضارة، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠٨ م، ص ٤١٨.

ب: التربة النجمية:

الموقع:

تقع إلى جانب التربة الحسامية البرانية، وغرب المدرسة الشامية في العوينة. (الشكل ٤٧) اختلف الباحثون في تحديد زمن إنشائها، فهي تضم أربعة قبور. نسبت هذه التربة لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي، لكنه لم يدفن بها، بل توفي ودفن بمصر ثم نقل إلى المدينة المنورة.^(٩٤) ولكن من الثابت أنه قد دفن فيها عدد من أفراد أسرته، فالقبران الأوسطان: الأول منهما لابنه شاهنشاه والد فروخ شاه، وكان أول من دفن فيها عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م. والقبر الثاني لفتح الدين بن أسد الدين شيركوه المتوفى سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م في العهد الأتابكي. والقبر الثالث في الجهة الجنوبية للملك المنصور حسن المتوفى في العهد الأيوبي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م، وموضع قبره مقابل القبور الأربعة السابقة. أما القبر الرابع فمن المحتمل أن يكون للملك بوري بن أيوب^(٩٥) شقيق صلاح الدين.^(٩٦) (الشكل ٤٨)

وهذه التربة ذات مسقط مربع، (الشكل ٤٩) يبلغ طول ضلعه (٨، ٦م)، ويتوسط كل ضلع من أضلاعها الأربعة دخلة مستطيلة عقدت بعقد مدبب، يبلغ اتساعها (٥، ٣م)، وهي ذات ارتفاع (٢٥، ٤م)، سقطت بعقود متقاطعة بدلاً عن القبة، وزينت من الداخل بنقوش جصية بديعة عرفت في العصر الأيوبي، لها قباب على شكل فصوص دائرية محززة الشكل، كما كسيت من الداخل بزخارف نباتية وهندسية، ولهذه التربة أربعة أبواب. وهي بناء حجري عليه قبة محززة على رقبتين، الأولى ثمثة والثانية ذات ستة عشر ضلعاً. (الشكل ٥٠)

وفي العصور الحديثة تم ترميم الجدار الخارجي للواجهة الشرقية، وتم تنفيذ زجاج معشق على النوافذ، كما تم ترميم القبتين والرقبة المثلثة للقبة، وقد وجد فيها كتب عليها: «هذا قبر زوجة الأمير عماد الدين أبو الفتح». (الشكل ٥١)^(٩٧)

وتنتهي جدران التربة من الداخل بأشكال زخرفية منفذة بالجص على شكل مقرنصات، بينما تحتوي الأرضية على مصطبة مستطيلة مرتفعة عن مستوى الأرض، تمتد من الشمال إلى الجنوب، وضعت فوقها خمسة أضرحة مستطيلة متجاورة.

(٩٤) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٧٢: ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، العراق ١٩٨٧م، ص ٤٤، ٤٥.

(٩٥) بوري بن أيوب: هو تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب مجد الدين (٥٥٦هـ - ٥٧٩هـ) وهو أخو السلطان صلاح الدين.

وبوري: لفظ تركي معناه بالعربية ذئب. وكان أصغر أولاد أبيه، وكانت فيه فضيلة، وله ديوان شعر. www.marefa.org

(٩٦) بدران، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٣٥٤: النعمي: المصدر السابق، ص ٢٩٩، ٣٠٠: الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٩٨.

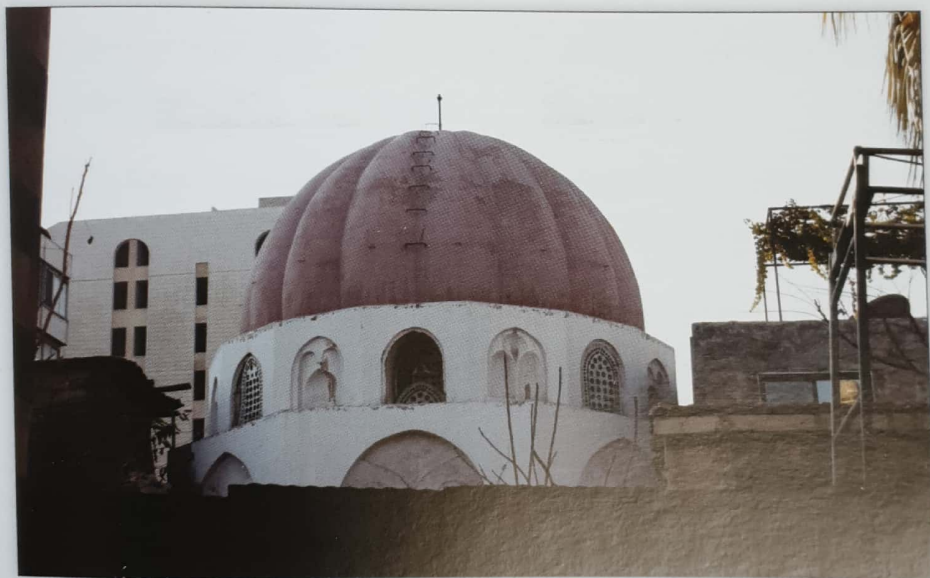
المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٩٧) المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ٦٧.



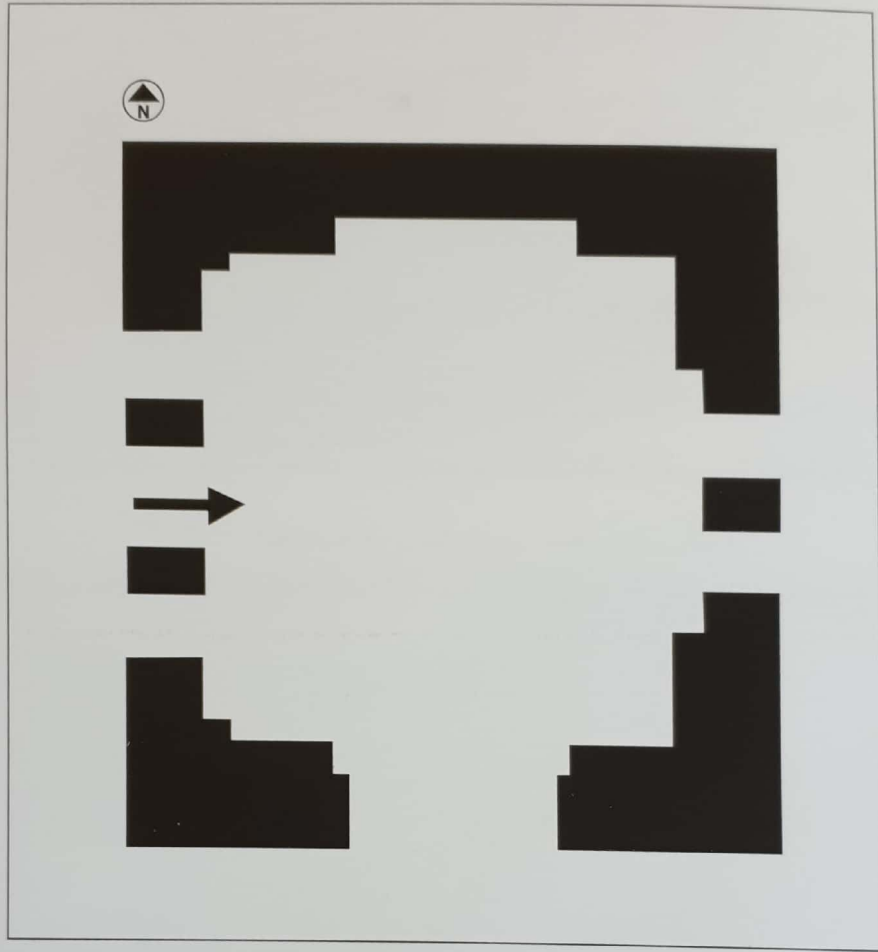
الشكل - ٤٧ التربة الحسامية

تظهر الى اليمين واجهة التربة الحسامية الجنوبية، وإلى اليسار التربة النجمية وقبتها المضلعة قيد الترميم
نقلا عن: ميرفت ذي النون، رسالة تخرج عن المدرسة الشامية البرانية، جامعة دمشق، ١٩٨٧



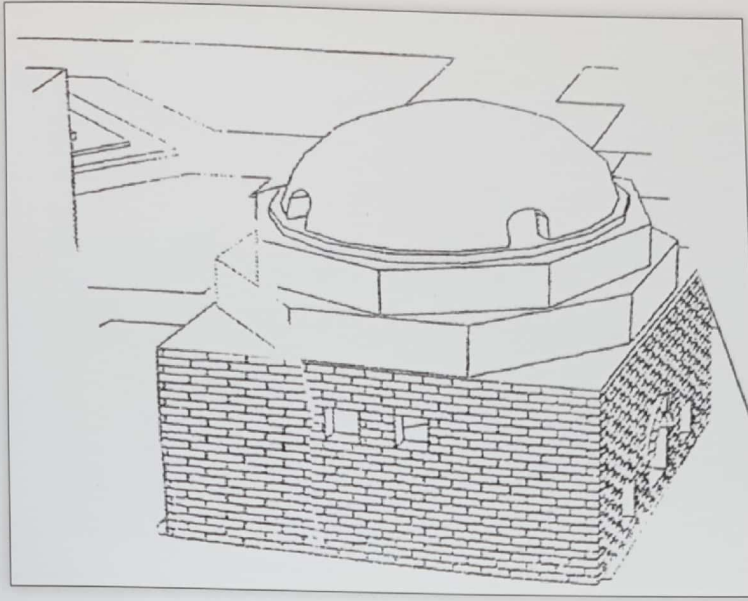
الشكل - ٤٨ التربة النجمية

تظهر قبة التربة النجمية من الجهة الشرقية



الشكل -٤٩ قبة وتربة الأمير علاء الدين بن زين الدين
مسقط أفقي للتربة

نقلا عن : هبة عصام حسن، رسالة ماجستير عن حي ساروجة بدمشق منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني، جامعة عين شمس،
كلية الآداب، مصر، ٢٠١١



الشكل ٥٠- قبة و تربة الأمير علاء الدين - منظور خارجي للقبة
نقلا عن ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥

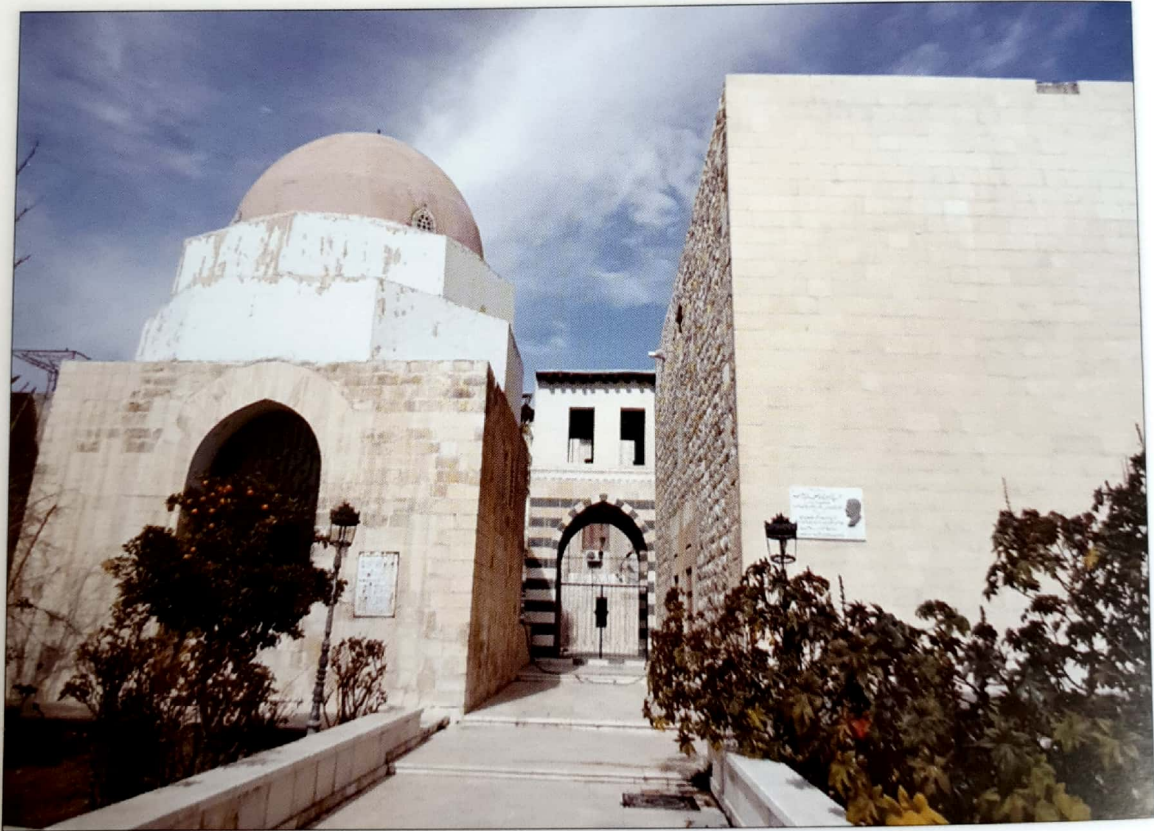


الشكل ٥١- التربة النجمية
الواجهة الشرقية الحرة للتربة وفيها المدخل

ت: التربة الحسامية :

الموقع:

تقع التربة الحسامية إلى جانب التربة النجمية والمدرسة الشامية، (الشكل ٥٢) حيث شغلت الضلع الجنوبي لرواق المدرسة. وهي ذات مسقط مربع، تبلغ أبعادها (٩,٥ × ٩,٥ م)، ويحتوي كل ضلع من أضلاعها على دخلة مستطيلة كبيرة ومعقودة بعقد مدبب، يبلغ اتساع الدخلات (٩,٥ م) وارتفاعها (٨,٢ م)، حيث تميزت الدخلتان الشرقية والغربية بعمق أكبر من الدخلتين السابقتين، فبلغ عمقهما (٦,١ م) أما عمق الدخلتين في الجدارين الشمالي والجنوبي فكان (٩,٠ م). كما توسط كل من الدخلات الجنوبية والغربية والشرقية دلة مستطيلة بعقد مدبب، يبلغ اتساعها (٣,٥ م)، وارتفاعها (٥,٧ م). ويتوسط القسم السفلي من الجدار الجنوبي محراب مسطح، كما وجد في القسم السفلي من الجدار الغربي دخلتان مستطيلتان، في وسط كل دخلة نافذة مستطيلة، في أعلاها عقد عاتق.



الشكل ٥٢- قبة وتربة الأمير علاء الدين

التربة ملاصقة للمدرسة الشامية البرانية وتظهر الواجهة الجنوبية للمدرسة

ويتشابه الضلع الشرقي المقابل للضلع الغربي باستثناء النافذتين السفليتين اللتين سدتا، ولم يعلوهما عقد عاتق. واشتمل الجدار الشمالي من الأسفل على ثلاث فتحات مستطيلة، هي أبواب التربة، والفتحة المستطيلة هي الأكثر اتساعاً، وتبلغ (٢، ٣ م)، وارتفاعها (٣٥، ٣٠ م).

يتوسط أرضية التربة ثلاثة قبور، تعلوها تراكيب ذات قاعدة مستطيلة، يتركز عليها قسم علوي على شكل قبو طولي مدبب. القبر الأول وهو الجنوبي لشقيق ست الشام الملك المعظم توران شاه^(٩٨) صاحب اليمن وشقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي المتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، والقبر الأوسط لناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، زوج ست الشام الثاني المتوفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، أما القبر الثالث وهو الشمالي ففيه جثمان ست الشام، وقد دفن معها ابنها حسام الدين لاجين المتوفى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م.^(٩٩) وقد نسبت هذه التربة للأمير حسام الدين محمد ابن عمر بن لاجين. وجددت التربة بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٢.^(١٠٠)

وقد احتوت التربة على النصوص الكتابية التالية:

وجد على القبر الجنوبي في الواجهة الشرقية النص التالي:^(١٠١) « بسملة، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام توفي السعيد الشهيد الملك المعظم فخر الدين توران شاه ابن الأجل نجم الدين أيوب قدس الله روحه ونور ضريحه بالإسكندرية في سنة ست وسبعين وخمس مائة ونقل إلى دمشق في سنة ثمان ثم نقل إلى هاهنا في شعبان سنة اثنين وثمانين » وعلى الواجهة الغربية: « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم».

والنص الموجود على القبر الأوسط في الواجهة الشرقية: « بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام توفي الأمير الأسفهلار الأجل الكبير المؤيد السعيد المجاهد إلى رحمة الله ناصر الدين صلاح الإسلام عدة الإمام شرف الدولة بها الملة مقدم جيوش المسلمين أبي سعيد محمد بن شركوه مائسبع وعشرين »

(٩٨) توران: شاه لفظ أعجمي مؤلف من شطرين، توران اسم البلاد الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا، وهي الموضع الأصلي للأتراك، ويقال عادة إيران وتران، وفيهما يقال للترك ترکان، ثم حرفت الكلمة إلى تران أما الشطر الثاني فهو شاه وتعني بالفارسية ملك. الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص ٣٦٩

(٩٩) النعمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٧؛ العلمي: المصدر السابق، ص ٤٦

(١٠٠) الشهابي، د. قتيبة: تاريخ وصور، ص ٧٠

(١٠١) مرسى مرسى يوسف، محمود: المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨

ونقش على الواجهة الغربية: « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض »

وما كتب على القبر الشمالي في الواجهة الشرقية: « بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر المولى الشهيد السعيد حسام الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن لاجين قدس الله روحه ونور ضريحه توفى في ليلة السبت العشرين من شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وخمس مائة الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً »

وكتب على الواجهة الغربية: « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم صدق الله العظيم ونبيه الكريم وصلواته على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين »

ث: تربة المهراني:

الموقع: تقع تربة المهراني إلى جانب المدرسة المجنونية، بدرب المهراني. (انظر المدرسة المجنونية)

نقش على حجر يتموضع في إحدى نوافذ التربة الكتابات التالية: « هذه تربة الأمير شمس الدين شروة بن حسين المهرني المعروف بسبع المجانين الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى، توفى رحمه الله سنة اثنتين وأربعين وستمائة^(١٠٢). »

ج: (التربة العلائية):

الموقع:

تقع تربة الأمير علاء الدين إلى الغرب من المدرسة الشامية، وإلى الشرق من التربة النجمية. أنشأتها ست الشام والدة زين الدين الذي استشهد في العهد الأتابكي سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، ويوجد في هذه التربة، قبر آخر مجهول الهوية^(١٠٣) وتعد قبة التربة هذه أقدم نموذج للقباب ذات الطبقتين، إذ لها من الأضلاع ستة عشر ضلعاً، وكان هذا النموذج من بناء القباب متبعاً في السابق، حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

(١٠٢) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٩٦؛ بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ٢٩٦

(١٠٣) الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٨٤؛ العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٦٤

وقد نقش على باب التربة بالخط النسخي الأيوبي التالي: «هذا ما بنته والدة الأمير الشاب زين الدين رحمها الله، في ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمس مائة.» أي ٥٦٨هـ / ١١٧٣م.^(١٠٤)

وهذه التربة ذات مسقط مربع، لها أربع واجهات، يبلغ طول الضلع من الخارج (٥، ٧م)، ويقع المدخل الرئيس في الواجهة الغربية، وهي الواجهة الرئيسة، يتوسطها من الأسفل فتحة الباب المستطيلة المعقودة بعقد مدبب، يبلغ اتساعها (٠، ٨م) وارتفاعها (١٦، ٢م) تعلوها النص التأسيسي، وعلى جانبي الباب نافذتان مستطيلتان فوقهما عقد عاتق، يبلغ اتساعهما (٦٧، ٠م) وارتفاعهما (٢٢، ١م). تظهر فوق جدران التربة مناطق الانتقال، وأوسطها رقبة القبة، وهما مئمتا الأضلاع، خاليتان من أية دخلات أو فتحات، تليها القبة الملساء ذات اللون الأحمر.

أما بقية واجهات التربة، فتطل إحداها على الشارع الرئيس (شكري القوتلي) وهي الجنوبية، حيث احتوت على نافذة معقودة بعقد مدبب، يبلغ اتساعها (٣٥، ٢م) وارتفاعها (٤٥، ٣م)، وفتحت في الواجهة الشرقية نافذتان مستطيلتان، بينما خلت الواجهة الشمالية من أية فتحات.^(١٠٥)

أما التربة من الداخل فهي ذات مسقط مربع، يبلغ طول الضلع (٠، ٨م)، وفي كل ضلع من أضلاعها دخلة معقودة، يبلغ اتساعها (٧٥، ٢م) وارتفاعها (٣، ٧م)، والأكثر اتساعاً منها هي دخلة الضلع الغربي، إذ يبلغ اتساعها (٦٦، ٤م) وارتفاعها (٨، ٤م) أما الدخلة التي في الجدار الشرقي، ففي أعلاها نافذتان، غطيت الشمالية بالزجاج الملون. بينما خلت الدخلة التي في الضلع الشمالي من أية فتحات.

وقد شكلت حنايا منطقة الانتقال في الوسط شكلاً مئماً من الداخل، تتوجه قبة ملساء ذات قطاع نصف دائري، فتحت في أسفلها نوافذ معقودة بعقود مدببة. أما أرضية التربة فارتفعت عن مستوى الأرض الخارجية نحو أكثر من متر، واحتوت على ثلاثة تراكيب حجيرة مطلية بالكلسة البيضاء، لم تنقش عليها أية كتابات.

(١٠٤) المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ٦٤

(١٠٥) استطاعت الباحثة وصف التربة من خلال زيارة ميدانية لها في صيف ٢٠١١.

رابعاً : الحمامات

أ: حمام الجوزة :

الموقع :

يقع في حي ساروجة إلى الشمال من المدرسة الشامية البرانية. وهو من الحمامات التي سجلت أثرياً لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف برقم س ١ ٣١٩-٣٢٤. وقد توقف هذا الحمام عن استقبال زواره وهو مهمل وبعض جدرانه على وشك السقوط.^(١٠٦) وقد وجد على بابه رخامية ذكر فيها أنه من القرن السادس الهجري.

نشأته :

لم يؤرخ بناؤه بتاريخ معين، ولكن بناءً على وفاة ابن عساكر سنة ٥٧١هـ/١١٧٥ م الذي لم يأت على ذكر هذا الحمام، وبناء على تاريخ وفاة ابن شداد الذي أتى على ذكر هذا الحمام سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥ م ، نرى أن نرجع تاريخ إنشائه إلى ما بين تلك الفترتين.^(١٠٧)

الوصف المعماري :

يوجد لهذا الحمام واجهة واحدة رئيسة، وهي الجنوبية، تمتد من الشرق إلى الغرب، (الشكل ٥٣) ويقع إلى جانبها من الجهة الشرقية محلات تجارية، فوقها ثلاث نوافذ، تقع فوقها الرقبة المثلثة للبراني،^(١٠٨) وبعد الرقبة سقف مخروطي الشكل، ويعلو الجزء الغربي من الواجهة، التي يبلغ طول ضلعها نصف متر نافذتان: الأولى مستطيلة، والثانية معقودة، ويؤدي مدخل الحمام إلى ممر منكسر، في جداره الشمالي نافذة، ثم يفضي هذا الممر إلى البراني. حيث رتبت القاعات على التوالي من الغرب إلى الشرق. (الشكل ٥٤)

(١٠٦) كيال، منير: الحمامات الدمشقية، مطابع ابن خلدون، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٨٤

(١٠٧) حمام الجوزة: يعود هذا الحمام إلى القرن ٧هـ/١٣م، حيث ورد ذكره ضمن قائمة الحمامات التي أشار إليها ابن شداد، وقد زال معظم هذا

الحمام، وحلت محله مساكن حديثه، انظر ابن شداد: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٩

(١٠٨) الرقبة المثلثة التي تحمل السقف المخروطي للقاعة الباردة في حمام الجوزة سقطت وزالت، وهذا الوصف تم بناء على الرفع المعماري الذي أجرته

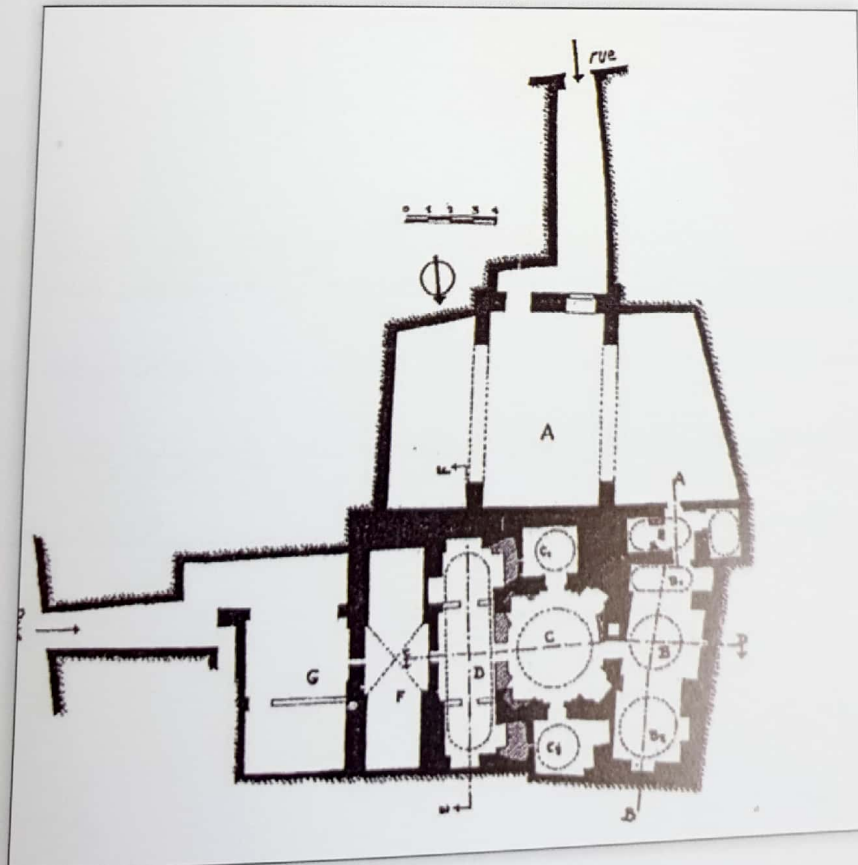
المهندسة ندى الحلاق عام ١٩٩٥م.



الشكل ٥٣- حمام الجوزة

الواجهة الجنوبية الرئيسية والرقبة المثلثة التي كانت تحمل السقف المخروطي للقاعة الباردة

نقلا عن : ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية والتصميمية لمحمود ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



الشكل ٥٤- حمام الجوزة - مسقط حمام الجوزة

نقلا عن سوفاجيه

القاعة الباردة (البراني):

هي قاعة مستطيلة الشكل بطول (١٤,٥ م)، وعرض (٩,٢٠ م). تمتد من الشمال إلى الجنوب، وفي كلا جانبيها الشرقي والغربي إيوانان مستطيلان، ترتكز قاعدتهما على دعامتين بارزتين من الحجر، يتخلل جدرانهما نوافذ للإضاءة والتهوية. وفي الجدار الشمالي للقاعة مصمت، بينما فتح في الجدار الجنوبي باب للدخول، ونافذة مستطيلة تطل على الممر المنكسر.

اختلفت مساحة كل من الإيوانين الشرقي والغربي لهذه القاعة فقد كان الإيوان الشرقي ذا شكل مستطيل يمتد من الشمال للجنوب، بينما كان الإيوان الغربي ذا شكل مستطيل أيضاً لكن تسبب انحراف جداره الغربي في جهة الغرب في زيادة اتساعه كلما اتجهنا شمالاً. (الشكل ٥٥ و ٥٦)



الشكل - ٥٦

حمام الجوزة القسم البراني والإيوان الجنوبي

الشكل - ٥٥

حمام الجوزة قسم البراني والإيوان الشرقي

نقلا عن المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق

وفي منتصف القاعة بركة في وسطها كأس من الحجر المزي يخرج منها الماء. أما بالنسبة للجدران فزينت برسومات زيتية بعدة مناظر. ورصفت أرض هذه القاعة بالرخام الأبيض المكحل بالبني والأسود والمزي.^(١٠٨)

القاعة الدافئة الأولى : (الوسطاني الأول)

تبلغ أبعادها (٨,٨×١٨ م)، ونصل إلى هذه القاعة عن طريق باب معقود، يبلغ اتساعه (٦,١ م)، موجود في الطرف الشرقي للجدار الجنوبي لقاعة البراني، وتكونت قاعة الوسطاني من خمس مقاصير، ثلاث منها غطت بأقبية نصف إسطوانية، واثنان منها تقعان إلى شرق مدخل الوسطاني وغربه، ولهما العرض والطول نفسهما (٨×٢ م)، أما القبو نصف الإسطوانى الثالث فتصل إليه عن طرق باب معقود، يلي هذه المقصورة مقصورتان إضافيتان، سقفتا بقبطين، الأولى حملت على صف واحد من المقرنصات، والثانية حملت على ثلاثة صفوف. (الشكل ٥٧)

القاعة الدافئة الثانية : (الوسطاني الثاني)

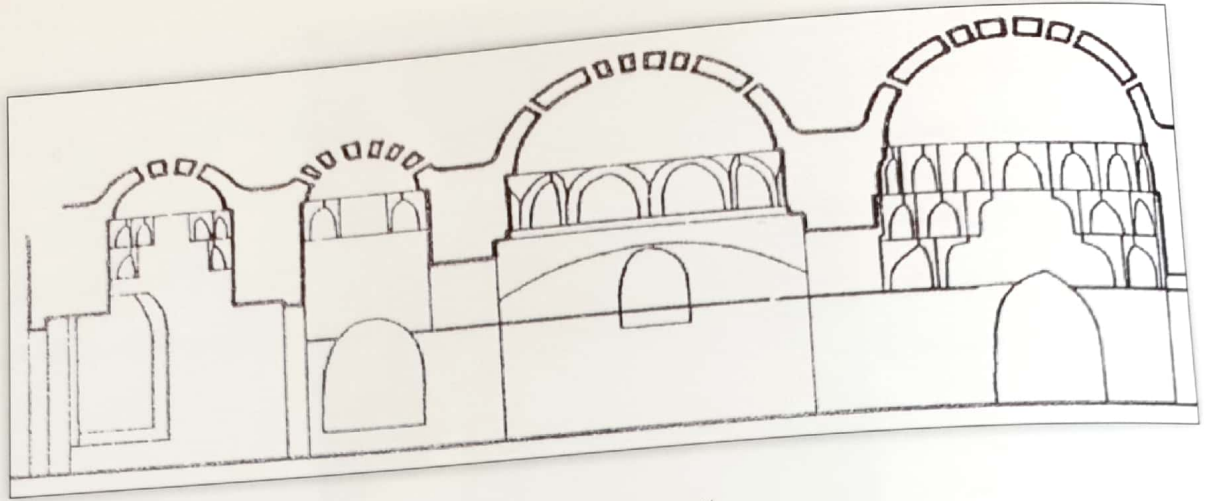
تبلغ أبعادها (٤,٨×١٧ م)، ويتم الدخول إلى هذه القاعة عن طريق باب مفتوح في الجدار الغربي، يتكون من قاعة وسطى ومقصورتين من الشمال والجنوب لهذه القاعة، يعلو القاعة الوسطى قبة قسمت من الخارج إلى ثمانية أضلاع، أما المقصورتان الشمالية والجنوبية، فغطتهما قبتان محمولتان في أركانها الأربعة على مثلثات كروية. (الشكل ٥٨)

القاعة الساخنة (الجواني) :

وفي الناحية الشرقية من الوسطاني الثاني باب يؤدي إلى القاعة المستطيلة، تبلغ أبعادها (٤×١٦ م)، وهي مستوفة بقبة نصف دائرية، حملت على صف من المقرنصات الجصية، على شكل محاريب امتدت على استدارة الجدار.

يوجد في هذه القاعة أربع مصاطب حجرية. وهذه القاعة تقع إلى جانب غرفة النار أو القمقم، حيث اتصلت بها من جهة الشرق، وهي غرفة ذات شكل مستطيل، تبلغ أبعادها (٨×١٦ م) فيها إيوانان مستطيلان، وخلف قاعة الموقد قاعة أخرى في جهة الشرق.

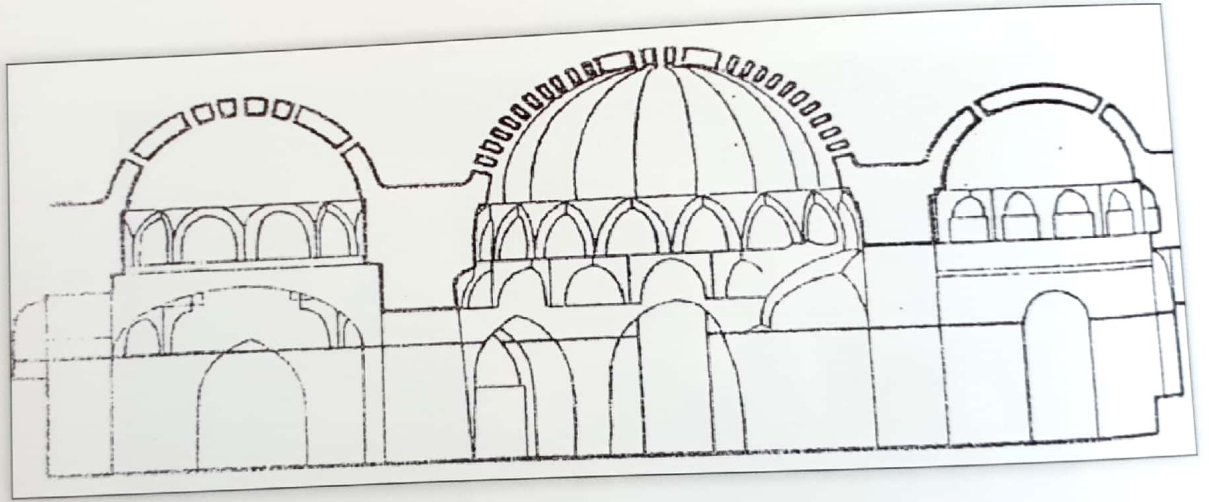
(الأشكال ٥٩ و ٦٠) توضح واجهة الحمام في محور ساروجة.



الشكل ٥٧- حمام الجوزة

قطاع رأسي لقاعة الوسيطاني الأولى

نقلا عن ندى الحلاق وآخرين، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



الشكل ٥٨- حمام الجوزة

قطاع رأسي لقاعة الوسيطاني الثاني

نقلا عن ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



الشكل - ٥٩

الواجهة الوحيدة المطلّة على محور ساروجة



الشكل - ٦٠

من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١٢

الصورة مأخوذة من الشرق باتجاه الغرب على محور ساروجة

خامساً : الأربطة

الأربطة جمعٌ مفردة رباط، والرباط يعني: المواظبة على الأمر. وقد قيل لكل ثغر يدافع أهله عمّن يقف خلفهم، فالمجاهد المرباط يدافع عمّن هم خلفه، وهو يتقدمهم في الجهاد.

والرباط: هو المكان المسبل للأفعال الصالحة والعبادة، وهو ما يتميز بساكنيه الذين يُنعتون بأهل الله. والمقيم على الرباط هو العامل على طاعة الله، حيث يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد. وبذلك يكون الرباط بيتاً للصوفية ومنزلاً لهم، ولكل قوم دارٌ والرباط دارهم. وقد بلغ عددها في دمشق ٢٣ رباطاً، نذكر منها:

أ- رباط المهراني:

وهو الرباط الوحيد الذي استطعنا جمع معلومات عنه من هذه الفترة.

يقع رباط المهراني إلى جانب تربة المهراني التي أوردنا ذكرها آنفاً، وهو يتبع للمدرسة المجنونية.^(١١٠)

وهناك عند بابه شباك حجري كتب عليه بعد البسملة :

«هذه تربة الأمير شمس الدين شروة بن حسين المهراني المعروف بالسبع المجانين الحجاي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى، توفّي إلى رحمة تعالى سنة اثنتين وأربعين وستمائة».

والغريب أن العوام والطلبة يظنون أن هذا القبر يعود للمجاهد المفسر التابعي المشهور، ولا ينظرون إلى النقش الكتابي المتموضع في أعلى الشباك!.^(١١١) (انظر المدرسة المجنونية)

(١١٠) كرد علي، محمد: المرجع السابق، ج٦، ص١٣٥

(١١١) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص٢٩٦

الفصل الثاني

الفترة المملوكية :

حكم المماليك^(١١٢) طوال فترة تزيد على ثلاثة قرون، ونجحوا في بناء دولة إقليمية عظيمة^(١١٣) حكمت كلاً من مصر والشام والحجاز.^(١١٤)

تمتد الفترة المملوكية بين عامي ٦٤٨-٩٢٢ هـ / ١٢٤٩-١٥١٦ م، حيث كانت ولاية دمشق في عصر المماليك من أكبر ولايات الدولة وأهمها، وقد أطلق عليها اسم (نيابة الشام)، واتسعت رقعتها، وكان واليها من أكبر الولاة، حيث يتم اختياره من رجال الدولة، ويكلف بأعمال عسكرية واسعة النطاق. كما كان الوالي محاطاً بحاشية كبيرة من رجال الدولة.

عاشت دمشق في ظل دور المماليك متين وأربعة وستين عاماً، قسمها المؤرخون إلى فترتين:

- ١- فترة المماليك البحرية (الأتراك): امتدت بين عامي ٦٥٨-٧٨٤ هـ / ١٢٥٩-١٣٨٢ م.
- ٢- فترة المماليك البرجية (الشراكسة): امتدت بين عامي ٧٨٤-٩٢٢ هـ / ١٣٨٢-١٥١٦ م.

وهناك عشر سنوات هو الفارق الزمني بين قيام دولة المماليك البحرية^(١١٥) في القاهرة عام ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م، واستيلاء المماليك على دمشق عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م، حيث كان انتصار المصريين على الصليبيين بمنزلة صرخة ميلاد الدولة المملوكية البحرية، فعندما قرر الأمراء أن تشغل شجرة الدر^(١١٦) منصب السلطنة ارتفع أصوات المعارضين من البيت الأيوبي في دمشق.^(١١٧)

(١١٢) المماليك: مفرداً مملوك، وهي كلمة مشتقة من الفعل العربي ملك، والمملوك هو من سبي وملك دون أبويه. انظر ابن منظور: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٥.
(١١٣) تشير الدراسات التاريخية إلى أن الغالبية العظمى من المماليك كان يؤتى بهم من منطقة السهوب جنوب روسيا، قبل أن يتم التحول إلى منطقة القفقاس. انظر صارم، وفاء: المساجد المملوكية البحرية الدمشقية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ٢٠٠٥ م، ص ٢٤.

(١١٤) عبده قاسم، قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي والاجتماعي، ط ١، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٨٨ م، ص ٢٥.

(١١٥) دولة المماليك البحرية: سميت تلك الدولة باسم البحرية لأن سلاطينها كانوا أتباعاً لفرقة عرفت بذلك الاسم، وهي تلك التي أنشأها الملك الصالح في جزيرة الروضة الواقعة وسط النيل. انظر عبده قاسم، قاسم: المرجع السابق، ص ٢٨.

(١١٦) شجرة الدر الصالحة ت ٦٥٥ هـ: أصلها من جوارى الملك الصالح نجم الدين أيوب. اشتراها في أيام أبيه، فأعتقها وتزوجها، وولدت له ابنة خيلاً وذهبت معه إلى البلاد الشامية، عندما استولى على الشام، مدة طويلة. ثم عندما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة. شجرة الدر امرأة ذات طابع خاص جداً لا تتكرر كثيراً في التاريخ، فهي امرأة قوية جداً، وشجاعة وجريئة، وذات عقل مدبر، وتتمتع بحكمة شديدة. كما أن لها القدرة على القيادة والإدارة. وكانت شديدة الإعجاب بإمكاناتها وبنفسها (وكان هذا من أكبر مشكلاتها). مما دفعها إلى تفكير جديد تماماً على الفكر الإسلامي، وخاصة في هذه الفترة من تاريخ الأمة، حيث فكرت شجرة الدر في الصعود إلى كرسي الحكم في مصر. وإن ما ساعدها على ذلك، هو أنها زوجة الصالح نجم الدين أيوب الذي يكن له المماليك البحرية ويكن له الشعب كله كامل الوفاء والاحترام والحب، وهي في الوقت نفسه تعد من المماليك لأن أصلها جارية وأعتقت، كما أنها في النهاية امرأة، ويستطيع المماليك من خلالها أن يحكموا مصر، وأن يوفرُوا الأمان لأرواحهم. انظر Islamstory.com

(١١٧) لمعلومات أكثر عن الموضوع انظر القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ٢، ص ٩٣، ٩٤؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ٢١؛ ابن تقي بريدي: المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٢٨.

تولى حكم دمشق في العصر المملوكي اثنان وستون نائباً، لم تطل مدة حكمهم أكثر من عام ونيف، على حين لم يستطع تحقيق الاستقرار والإصلاحات والمشاريع العمرانية في مدة حكمه سوى عددٍ قليلٍ منهم، مثل الأمير تنكز الذي حكم بين عامي ٧١٢-٧٤٠ هـ / ١٣١٢-١٣٣٩ م، وقد أحبه الناس وقَدَّروا وجوده لعدله وحزمه. حيث بنى المدارس والجوامع، وأصلح المرافق العامة، كما تقدمت العلوم والفنون والصناعات إبان فترة حكمه، وساد الأمن والاستقرار.

ونظراً للنهضة العمرانية التي حصلت في عهد الأيوبيين، فلم يعد هناك مجال للتوسع أو لقيام مشاريع عمرانية جديدة في العهد المملوكي^(١١٨) وهذا مادعاهم إلى تقليص المساحة العامة للبناء، فأصبحت المساحة صغيرة،^(١١٩) كما أن بعض التعديلات قد طرأت على المخطط العام، فقد ألغي العنصر المعماري المعروف بالصحن السماوي من عمارة المساجد وغطي بسقف،^(١٢٠) ولكن الشيء الجديد والمهم تمثل بإحداث الضواحي نتيجة ازدياد عدد السكان، ففي مطلع القرن الثامن أحيا الأمير تنكز منطقة حكر السماق، وبعده قام الأمير يلغا ببناء جامع في منطقة تحت القلعة، حيث كانت تتمركز الأسواق؛ كسوق الخيل، ودار البطيخ، ودار الخصري (سوق الهال).

إن أماكن توزع الجوامع وعددها الكبير في مدينة دمشق، إنما يقدم لنا لمحة عامة عن المد العمراني، لأن الجامع لا يقام إلا في المناطق المكتظة بالسكان، وأيضاً لا يغفل عن ذكر قباب المدافن الشاهقة التي انتشرت على نطاق واسع، حيث وصف القلشقلندي مدينة دمشق فقال: «إنها مدينة مستقلة بذاتها، ذات أبنية جلييلة، وعمائر ضخمة، يسكنها كثير من الأمراء والجنود»، وقد لفتت المدينة الأنظار إليها؛ وخاصة أنظار الرحالة على اختلاف مشاربهم بنظافتها، حيث زُوِّدت بشبكة صحية تمر فوقها أقنية الماء النظيف، كما أحصيت الحمامات قبل كارثة تيمورلنك فوصلت إلى مئتي حمام.

وقد ذكر ابن بطوطة تنظيم الشوارع والأزقة، فقال فيها: «وكان لكل زقاق رصيفان في جنبيه، يمر عليهما المترجلون، ويمر الركبان بين ذلك».^(١٢١)

(١١٨) الريحاوي، عبد القادر: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، دمشق ١٩٩٩ م، ص ٣٤، ٣٧.

(١١٩) الريحاوي، عبد القادر: المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(١٢٠) الريحاوي، عبد القادر: المرجع نفسه، ص ١٥٨.

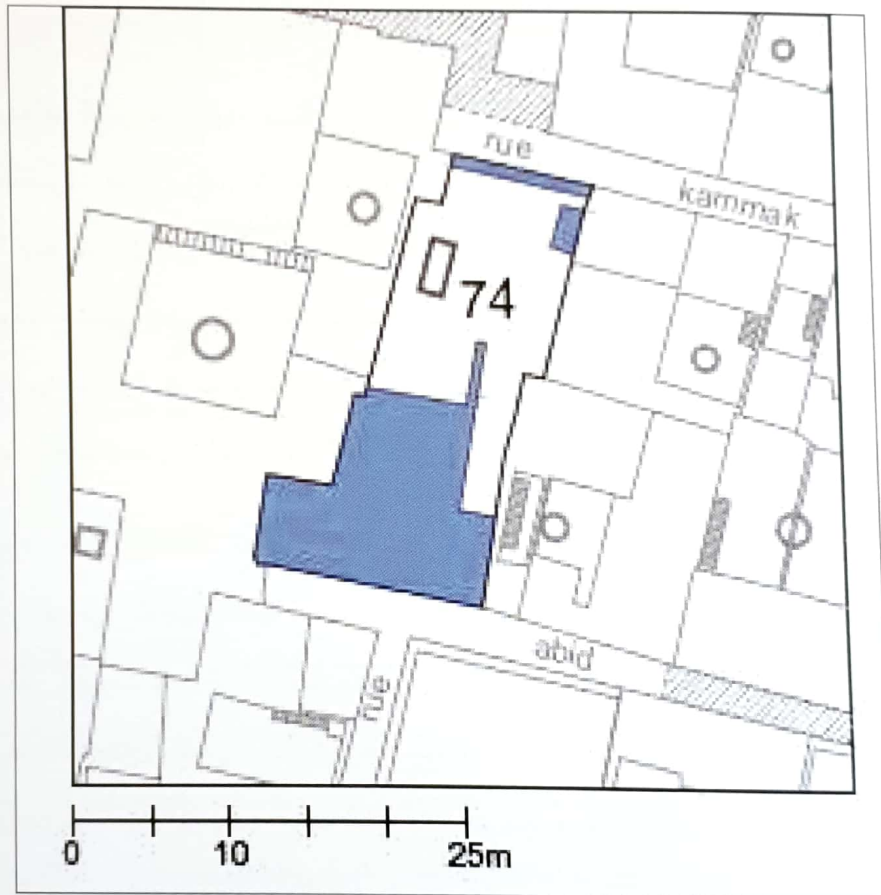
(١٢١) الريحاوي د. عبد القادر: مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص ٣٨، ٣٩؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ٦٣.

أولاً: الجوامع

أ: جامع القرمشي:

الموقع:

الموقع: يقع جامع القرمشي في حي سوق ساروجة. وله باب يطل على حارة الكمّار شمالاً. وعلى حارة العبيد جنوباً. بلغت مساحته ٢٣٥٥ م^٢، وقد وُثّق هذا المسجد ضمن المباني الأثرية العالمية عام ٢٠٠٦ م برقم ٧٤. (الشكل ٦١)



الشكل - ٦١

موقع مسجد القرمشي

نقلا عن: كتاب العمارة و المجتمع العثماني في مدينة دمشق بالقرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين الباحثين الألمانيين ويبر و ستيفان

نشأته: بناه الأمير شرف الدين عمر ابن الأمير الكبير الطنبغا القرمشي، ليكون عملاً خيراً، وجعل له أوقافاً كثيرة. وكان القرمشي حسنة من حسنات الدهر عقلاً وحشمةً وكرماً؛ ناهيك عن أنه من أصحاب اللين والأدب والتواضع. وفي السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٠م، وصل ططر للشام واستطاع غدرًا قتل الأمير الطنبغا القرمشي، فحزن عليه أهل دمشق، وصار مدفنه مزاراً لهم نكاية بططر،^(١٢٢) وقال أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بذلك: «أما القبض عليه.. فيمكن ططر الاعتذار عنه، وأما قتله فلا أقبل له في عذر، فإنه كان يمكنه حبسه إلى الأبد كما فعل ذلك بعدة من الملوك، فكان القرمشي عاقلاً ساكناً، عديم الشر، لين الجانب، متواضعاً، كريماً، حشيماً، ولم يكن فيه ما يُعاب؛ غير أنه كان من غير جنس القوم لا غير، وكان أميراً جليلاً، مليح الشكل، لين الجانب، كريماً، شجاعاً، محبباً للناس.»^(١٢٣)

وتدلنا النقوش الموجودة فوق محرابه على أنه كان ذا قيمة وأهمية كبيرتين.

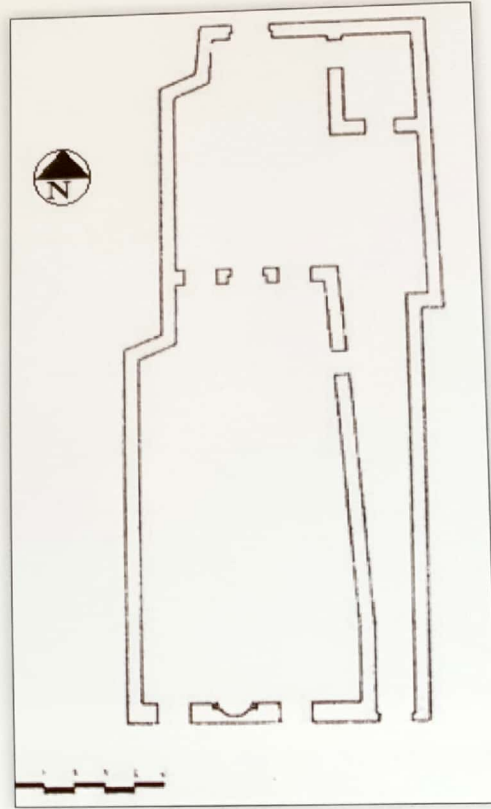
الوصف المعماري:

يوجد للمسجد ثلاث نوافذ كبيرة مستطيلة الشكل، وهي تقع على الواجهة الجنوبية التي تطل على حارة العبيد، تعلو النوافذ الثلاث تلك أربع نوافذ صغيرة، وفوق النوافذ الأربع هناك نافذتان. ولا وجود للفسقية في هذا المسجد، ولا مكان للوضوء، وهولاً يحتوي على مئذنة أيضاً. يتم الدخول إلى صحن المسجد من مدخلين، الأول؛ موجود في الواجهة الجنوبية، حيث يلي باب الدخول دهليز مسقوف، يعلوه سقف خشبي حُمل بعقد نصف دائري، يلي الدهليز ممر طويل مستطيل الشكل غير مسقوف حيث نصل إلى صحن المسجد، والثاني؛ موجود في الواجهة الشمالية، ويؤدي أيضاً إلى الصحن مباشرة. وهو ذو شكل شبه مستطيل، لا وجود فيه لغرفة الوضوء، تتخلله بعض الأشجار. (الشكل ٦٢)

أما حرم المسجد فهو ذو شكل مستطيل يتجه من الغرب إلى الشرق، ويتصدر الجدار الجنوبي تقوس المحراب بشكل نصف دائري حيث يشبه حدوة الفرس، تتوجها طاوية نصف كروية، عليها زخارف شعاعية الشكل منفذة بحجارة الأبلق. وفي قلب المحراب عمودان، لا يرتكز عليهما عقد الباب، وعلى جانبي المحراب فتحتان متماثلتان، تشكلان نافذة رأسية معقودة بعقد نصف دائري، ويعلو كل من الفتحتين والمحراب ثلاث نوافذ مستطيلة الشكل. وفوق المحراب هناك نقوش تشير إلى اسم المنشئ، وتاريخ إنشاء المسجد، وهما من أصل المسجد، أما ما تبقى منه فهو مجدد. يعلو مكان الصلاة سقف جملوني من الخشب حُمل على قضبان حديدية، ونشير أخيراً إلى أن كل ما في الحرم، كان قد جُدد سنة ١٩٩٦م باستثناء المحراب.

(١٢٢) الموقع الإلكتروني: yasmin-alsham.com

(١٢٣) ابن تغري بردي: المصدر السابق، الجزء ١٣، ص ١٩١، ١٨٠.



الشكل ٦٢- مسجد القرمشي

مسقط مسجد القرمشي

نقلا عن هبة عصام حسن، حي سوق ساروجة بدمشق منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير في الآثار، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مصر ٢٠١١

الواجهة الجنوبية:

تتجه من الشرق إلى الغرب بطول (٦,٤٥ م) وارتفاع (٥ م)، وهي مشيدة من حجارة الأبلق حديثة الصنع. يقع باب الدخول في الجهة الشرقية منها، حيث بلغ عرض فتحته (١ م) بارتفاع (٢,٥ م)، وتنتهي بفتحة الباب، وهي مستطيلة الشكل، يتموضع فوقها عقد مستطيل مكون من سبع صنجات حجرية معشقة باللونين الأبيض والأسود، وفوقه نافذة نصف دائرية، عليها شباك معدني يقع في شمالي فتحة الباب إلى الغرب منه. وفي الطابق الأرضي، هناك نافذتان من الحديد والزجاج ذات شكل مستطيل، يعلوهما عقد نصف دائري من حجارة الأبلق. وتعلو هاتان النافذتان أيضاً ثلاث نوافذ مستطيلة لكنها ذات ارتفاع أقل من النافذتين السابقتين، وجميعها تطل على حارة العبيد.^(١٢٤)

(١٢٤) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٤٥.

الواجهة الشمالية:

تطل على حارة الكمّار، ولا يوجد فيها تفاصيل تذكر ما عدا باب الدخول، وهو مستطيل الشكل، يبلغ ارتفاعه (١,٧م) وعرضه (١,٦٥م)، تعلوه فتحة عليها تدل على تاريخ تجديد المسجد. رممه أولاد الحاج رشاد سليم الشلاح. يؤدي الباب إلى صحن المسجد، والجدير بالذكر أنه ليس لهذا المسجد منارة أو مئذنة صغيرة، كما هو متعارف عليه في معظم المساجد الشامية. (الشكل ٦٣)

اشتمل محراب الجامع على نقوش كتابية حضرت فيه، ولدى قراءتها تبين أنها كالتالي:

«الحمد لله بتاريخ مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة عشرة وثمانمائة أنشأ هذا المكان المبارك الجنب الزيني عمر بن الجنب الشريف موسى دوادار المقر الأشرف العالي ابتغاء لوجه الله تعالى وأوقف على المكان المذكور وعلى مصلاه ومصارفه الشرعية وعشرة أيتام ومؤديهم وقارئ المصحف الشريف وقارئ الحديث النبوي على قائله الصلاة والسلام وعلى مدينتي الحرمين الشريفين مكة المعظمة والمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام جميع القرية الخراجية التي من عمل صيدا المحروسة المعروفة بعانوت وشهرتها تغني عن تحديدها وفقاً صحيحاً شرعياً (ومن) بدله سمعه صدق الله العظيم»^(١٣٥)



الشكل ٦٣- مسجد القرمشي
الواجهة الرئيسية الغربية و باب الدخول

(١٣٥) الشهابي، دقتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ٢٢٣، ٢٢٤



الشكل - ٦٤ حارة المفتي

تؤدي حارة المفتي لمسجد التبريزي

ب: مسجد التبريزي:

يقع في حارة المفتي. (الشكل ٦٤) وهو عبارة عن مصلى صغير فيه محراب مطلي. والمصلى ملاصق للمدخل الشرقي لجامع الورد. يعتقد أنه مقتطع منه، وهو متأخر في بنائه، وهناك كتابة على بابه أخذت من مكان آخر، لأن أسلوب بناء المكان يؤكد ذلك.^(١٣٦) أنشأه عمر بن سعد الدين العجمي التبريزي عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م.^(١٣٧) ولكن في الوقت الحالي أغلق المسجد ولم يعد متاحاً للصلاة. (الشكل ٦٥، ٦٦)

أما النقوش المكتوبة على باب المسجد فهي: «في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة. بسمة كفى بالموت واعظاً أنشأ هذا المكان المبارك الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوره وغفرانه عمر بن المرحوم الفقير إلى الله تعالى سعد الدين العجمي التبريزي تغمده الله برحمته» (الشكل ٦٧)

(١٣٦) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٠٠

(١٣٧) الشهابي. د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٨٣



الشكل -٦٦ مسجد التبريزي

الكتابة الموجودة أعلى النافذة المطلة على حارة

من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١٢



الشكل -٦٥ مسجد التبريزي

الباب الخارجي الذي يشرف على حارة المفتي



الشكل -٦٧

الكتابة الموجودة فوق نافذة مسجد التبريزي

ج: جامع الورد:

الموقع

يقع جامع الورد في حي سوق ساروجة، عند التقاء حارة الورد بالطريق العام، وهو إلى الشمال الغربي من سور المدينة. ويحمل عقاره الرقم ٢٧٣، وهو مسجل أثرياً لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف.

نشأته:

بناه الحاجب الكبير بدمشق سيف الدين برسباي الناصري الحاجب سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م، وكان قد تولى نيابة طرابلس وحلب في العهد المملوكي،^(١٢٨) وتوفي في سراقب ٨٥٢هـ/١٤٤٨م. حيث حمل جثمانه إلى دمشق ودفن في تربته الملاصقة لجامع الورد، والجدير بالذكر أن هذا الجامع أقيم على أنقاض جامع أقدم يعود إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، ويميل الاعتقاد إلى أن اسمه كان جامع السبع قاعات. وتعود نسبة جامع الورد إلى هذا الجامع لوقوعه في حارة الورد التي أطلقت عليها التسمية نسبة (لحكر الورد) الذي كان موجوداً بموقعها، بملكية الأمير صُبح وذلك أيام نائب السلطنة المملوكي سيف الدين تنكز.^(١٢٩)

تعددت تسميات جامع الورد وهي: جامع برسباي،^(١٣٠) وجامع الحجاب^(١٣١) نسبة لمنشئه، وجامع السبع قاعات نسبة لاسم الجامع الأقدم، ثم جامع الورد لوقوعه قرب هذا الحمام.

الوصف المعماري:

شُيّد جامع الورد ضمن مشيدات العهد المملوكي في دمشق، وبني بشكل مشابه للمساجد في ذلك العصر. وهو من المساجد ذات الحرم البسيط، له بابان، كل باب منهما يطل على حارة:

(١٢٨) الحمصي، أحمد فائز: العظماء الذين دفنوا في دمشق أو ما توافيها، الحوليات الأثرية السورية، المجلد الخامس والثلاثون، ص ٢٢٠

(١٢٩) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٣٦

(١٣٠) كرد علي، محمد: المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٢

(١٣١) كرد علي، محمد: المرجع السابق، ج ٦، ص ٦٣

الباب الأول:

تم فتحه في الواجهة الجنوبية التي تطل على الشارع العام، وهي واجهة مرتفعة مشيدة بالحجارة البلقاء ذات اللونين الأبيض والأسود، يبلغ طولها (٦٠,٧٠م)، (الشكل ٦٨ و ٦٩) وفي جانبها الغربي كتلة المدخل وهي دخلة ضخمة، يبلغ اتساعها (٣م) وارتفاعها (٨,٨٥م) توجت بعقد نصف دائري، وتحتوي على نافذتين منخفضتين خلفهما ضريح، وفوقهما ساكف من الحجر نقش عليه كتابات، وتعلو الواجهة مؤذنة الجامع.



الشكل -٦٨- جامع الورد
تظهر الواجهة الجنوبية لجامع الورد داخل المسجد مع المؤذنة
نقلا عن دائرة آثار دمشق القديمة



الشكل -٦٩- جامع الورد
كتلة المدخل الرئيس لجامع الورد
وتظهر فيها لوحة القاشاني حديثة الصنع ويليها مباشرة باب الخول الذي يقضى لصحن الجامع

الباب الثاني:

وهو باب فرعي، يطل على حارة المفتي. (الشكل ٧٠) وواجهته أيضاً من الحجر الألبق، وقد أنشئ في النهاية العليا للواجهة الشمالية نافذتان صغيرتان على شكل مستطيل، وهو في الجهة الغربية.^(١٣٣) (الشكل ٧١)

أما بالنسبة لصحن المسجد فهو عبارة عن صحن سماوي ذي شكل مستطيل، (الشكل ٧٢) تبلغ أبعاده (١٥، ١٠ × ٧٨ م)، امتد من الشرق إلى الغرب، وهو مرصوف بالحجارة البيضاء والسوداء، وفي منتصفه بحرة ماء ببيضاوية الشكل، نُفذت عليها زخارف نباتية من حجر الرخام الأسود، كما نُزلت عليها تلك الزخارف عن طريق الحفر والتنزيل. وفي الجهة الجنوبية منه مكان الصلاة، ومن الجهة الشمالية للصحن رواق عرضه (٢ م) مكون من بلاطة واحدة، تشغل واجهتها المطلّة على الصحن خمسة عقود مدببة، يبلغ اتساع كل منها (٥، ٢ م)، حملت على أربع دعائم حجرية مستطيلة المسقط. أما من الجهتين الشرقية

(١٣٢) الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، ص ٦٠١



الشكل ٧٠- جامع الورد
الباب الفرعي الذي يقع في الواجهة الغربية لجامع الورد

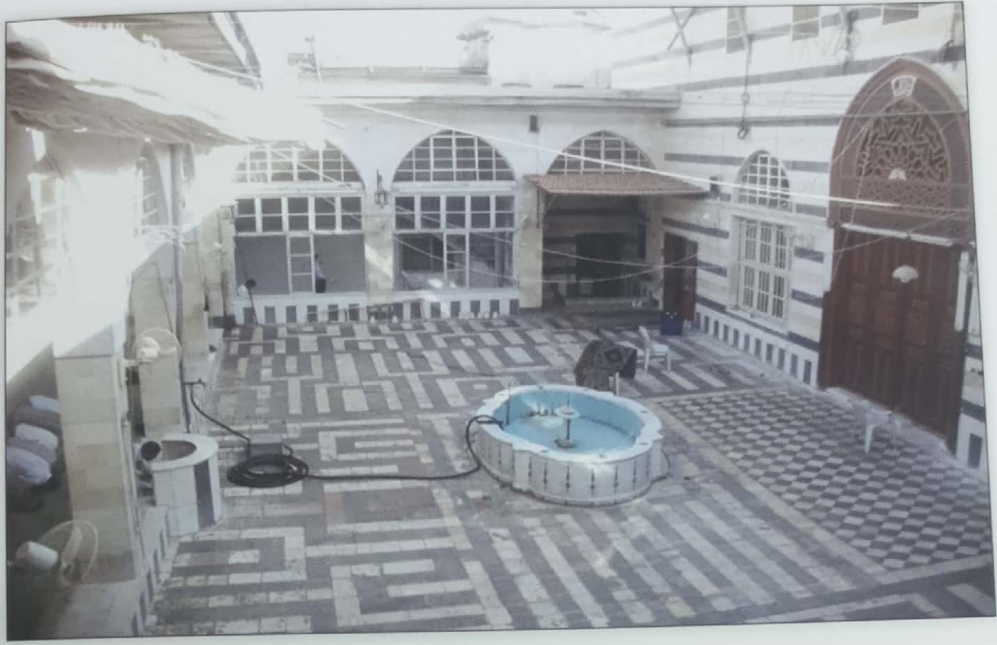


الشكل ٧١- جامع الورد
النوافذ الموجودة في الواجهة الغربية لجامع الورد

والغربية فهناك ثلاث قناطر حجرية. وقد غطيت فتحات العقود في الرواقين الشرقي والغربي بالزجاج والقضبان الحديدية، أما الرواق الشمالي فيستعمل للصلاة، لذلك بقيت عقوده مفتوحة. وفي طرفه الشرقي غرفة الوضوء (الميضأة)، وهي حديثة البناء ذات شكل مستطيل، قسمت إلى ثلاثة أقسام بوساطة عقدين مدبيين متشابهين، لتركز قاعدتا كل منهما على الجدارين الشرقي والغربي، وفي الوقت نفسه يشكلان دعامتين لحمل السقف المصنوع من الخشب. ويوجد في الرواقين الشرقي والغربي درج حديث البناء، يؤدي لعلية خشبية، (الشكل ٧٤) خصصت حديثاً كمصلى للنساء. فرشت أرضية الصحن بالحجر البازلتي الأسود والحجر المزّي الأصفر، يتوسطها بركة ماء بيضوية، (الشكل ٧٤) عليها زخارف نباتية نفذت بالرخام الأسود على طريقة الحفر والتنزيل، أما كشل البحرة الحالي فقد خالف ما وصفه ابن عبد الهادي حيث وصفها بالمستطيلة. (١٣٣)

أما الحرم حيث تعقد شعائر الصلاة؛ فتطل واجهته الشمالية على الصحن، الممتدة من الشرق إلى الغرب بطول (١٥، ١٠م)، حيث يتوسطها باب لدخول المصلين، يبلغ اتساعه (٣م)، ويفلق عليه بأربعة مصاريع خشبية تعلوها عتبة خشبية، هي قاعدة لعقد نصف دائري عبارة عن (حجاب) خشبي معشق بالزجاج الملون. وعلى جانبي هذا الباب هناك نافذتان مستطيلتان الشكل، يعلو كل منها عقد نصف دائري، وتتموضع في أعلى هذه الواجهة ست نوافذ صغيرة، أنشئت لإضاءة مكان الصلاة وتهويته.

أما الداخل فهو ذو مسقط مستطيل يبلغ طول ضلعه الشمالي (١٥، ١٠م)، والجنوبي (٣٠، ١١م) ويبلغ طول كل من الضلعين الشرقي والغربي (٥٠، ٤م)، ويتوسط المساحة بين ضلعيه الشرقي والغربي بأكمة مؤلفة من خمسة عقود نصف دائرية، يبلغ اتساع كل منها (١، ٧٥م)، محمولة على أربعة أعمدة، بالتالي تقسم ساحة الحرم إلى قسمين موازيين لجدار القبلة. وفي منتصف الجدار الجنوبي هناك محراب على شكل تقوس متوج بنصف قبة يسبقها عقد نصف دائري محمول على عمودين رخامين، غطي تقوس المحراب بمداميك رخامية. وعلى يمين المحراب منبر الجامع وهو مصنوع من الخشب، حديث البناء. وفي الجزء الشمالي لمكان الصلاة باب يؤدي إلى الضريح، وفي جداره الجنوبي نافذتان تطلان على الشارع العام.



الشكل - ٧٢

الصحن السماوي ذو شكل المستطيل في جامع الورد و الرواق الغربي



الشكل - ٧٣ جامع الورد

المصلى العلوي في جامع الورد



الشكل - ٧٤ جامع الورد
الرواق الشرقي و بركة الماء البيضوية التي تتوسط الصحن في جامع الورد

مئذنة الجامع :

تقع المئذنة في الزاوية الغربية للواجهة الجنوبية، (الشكل ٧٥) أعلى المدخل الرئيس للجامع، وهي مربعة الشكل، وتتألف من ثلاث طبقات، تفصل بينها ثلاثة أفاريز بارزة، وفي جدرانها الأربعة هناك نوافذ ذات طاسات ثلاثية الفصوص، وعمود من الأشرطة التزيينية ضمن محراب، قوسه رباعي الفصوص.

وفي أعلى المئذنة تقع شرفة المؤذن؛ وهي بارزة ومصنوعة من الخشب، تخرج من وسطها قلنسوة المئذنة المدببة، وهي مطلية بالكلسة البيضاء، وعليها زخارف مربعة ومثمثة ذات لون أحمر، ثم مثنى مع محراب تزييني، وطاسة قوقعية الشكل، وتنتهي بأسطوانة لها ثماني نوافذ صغيرة الحجم.^(١٣٤) (الشكل ٧٦)

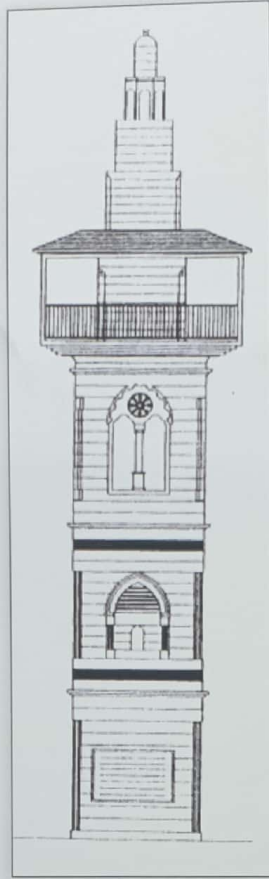
(١٣٤) ولتسينجر، كارل و واتسنجير كارل: المرجع السابق، ص ٨٣



الشكل -٧٥

الواجهة الجنوبية و المئذنة لجامع الورد

نقلا عن ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



الشكل -٧٦ جامع الورد

مخطط تفصيلي لمئذنة جامع الورد

نقلا عن ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥

النقوش الكتابية:

نقشت على واجهة الجامع الكتابات التالية:

١- « الحمد لله برزت المراسم الشريفة شرفها الله وعظمها بأن يعمر جهات وقف المرحوم برسباي وأن لا يصرف منه زيادة على ما شرطه الواقف أثابه الله تعالى ومن يدلّه شيئاً ذلك فإنما إثمه على الذين يبدّلونه وكان مخالف لشرط الواقف الذي هو كنص الشارع صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً » .

وفي نص Waddinton Van Bercherm مغايرة عن النص الأسبق وهو:

« الحمد لله رب العالمين الرحيم بغيره من المؤمنين لقد تقرر لدى ناظر أوقاف الشام المحروس ومتولي جهات وقف المرحوم برسباي وأن لا يتصرف بشيء منه زيادة على ما شرطه الواقف أمانة الله تعالى ومن به له وكان مخالفاً لشرط الواقف الذي هو كنص الشارع صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً سنة ٦٥٢هـ. » (١٣٥)

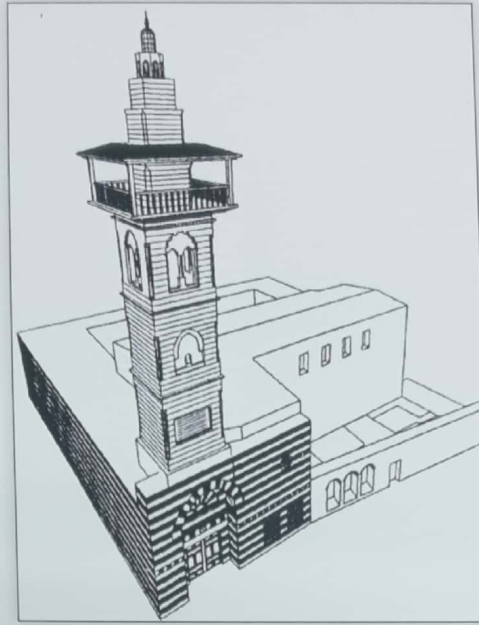
يبين (الشكل ٧٧) مخطط ثلاثي الأبعاد لجامع الورد.

ث: مسجد وتربة بلبان المحمودي :

يقع المسجد شرق شارع الثورة، عند التقاء شارع حي ساروجة الرئيس بحارة القولي.

أنشأه الأمير سيف الدين بلبان المحمودي أتابك العسكر بدمشق سنة ٢٠٣هـ/٨١٩م ودفن في التربة الموجودة فيه سنة ٨٣٦هـ/٥٢٢١م. يوجد على الجدار الشرقي للتربة فتحة باب في الزاوية الشمالية الشرقية، تؤدي إلى مسجد بسيط ذي مسقط مستطيل، تبلغ أبعاده (١، ٤×٣م)، (الشكل ٧٨) ولا يوجد فيه شيء يذكر، طليت جدرانها بألوان متناوبة من اللونين البني والأبيض، ويوجد غرب المحراب نافذة مستطيلة الشكل، لكنها أقفلت نتيجة بناء دور سكني أمامها، وإلى شرق المحراب دخلة جدارية مستطيلة، عبارة عن كتبية. وأحيط جدران المسجد الأربعة بشريط كتابي بخط الثلث. (الأشكال ٧٩ و٨٠)

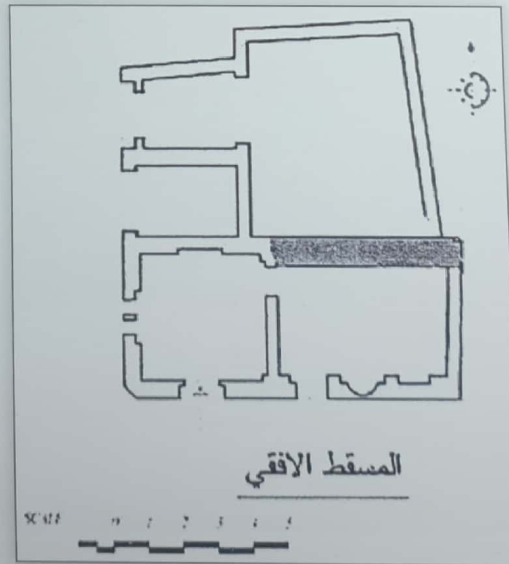
(١٣٥) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ٢٣٩



الشكل -٧٧- جامع الورد

مخطط ثلاثي الأبعاد لجامع الورد

نقلا عن ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



المسقط الأفقي

الشكل -٧٨- مسجد بلبان

المسقط الأفقي لمسجد بلبان

نقلا عن هبة عصام حسن، حي ساروجة بدمشق منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير في الآثار، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مصر ٢٠١١



الشكل - ٧٩ مسجد بابلان
الواجهتان الجنوبية والغربية حيث تعلوها القبة
من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١٢



الشكل - ٨٠ مسجد بابلان
اللوحة الحديثة التي وضعت من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف وتشير الى المنشئ والمجدد لمسجد بابلان

ج: مسجد فرخشاہ: من المساجد المندثرة

كان يقع في حارة الورد. وهو غير مسجد فروخشاہ الذي يقع داخل السور. وقد وصفه عبد الهادي بأنه مسجد صغير، له واجهة من الحجر الأبلق. فيه محراب وشباك مطل على الحارة وصحن من تراب. ولم يعرف فرخشاہ الذي ينسب إليه المسجد، هل هو صاحب المدرسة الفرخشاہية أم هو شخص آخر؟^(١٣٦)

ح: جامع الحاجب: من المساجد المندثرة

كان يقع في سويقة ساروجة، بني في عام ٨٨٠ هـ.^(١٣٧) وقد ذكر الأسدي: «أنه في هذه السنة وفي أواخر شهر رمضان صلى بجامع الحاجب بسويقة ساروجة»، وخطب به يوم الجمعة رابع عشرة. ثم قال: «في شوال من نفس السنة وفي يوم الجمعة رابع عشر من الشهر المذكور صلى النائب والأمراء بجامع الحاجب الجديد، وخطب به قاضي القضاة خطبة بليغة، وذكر الأحاديث الواردة في فضل بناء المساجد واختلاف ألفاظها ومن خرجها، وهي آخر خطبة خطبها»^(١٣٨)

ثانياً: الترب

أ: الترب والقباب الضريحية:

المقصود في هذا القسم؛ هو الترب الخاصة التي بناها بعض الأشخاص ليدفنوا فيها، وجعلوا لها جهات وصدقات، ولا نقصد بها الترب العمومية. وكان رأي الإسلام بالترب (خير القبور الدوارس)، وذكر أنه كان إلى جانب قبر الإمام علي بن أبي طالب قبتان جميلتان من الطراز الفارسي. وقد شاع استعمال القباب على قبور الأئمة من أهل البيت النبوي، وبعدها في أنحاء البلاد الإسلامية.^(١٣٩) كما شاع في مدينة دمشق أن تجمع المدرسة مع التربة أو مع المسجد والتربة معاً. وبعد العهد العثماني توقف بناء الجوامع والمدارس والأضرحة، وقل الاهتمام الديني عند الناس، بينما ازداد الميل نحو العيش الرغيد وبناء الدور الفارهة.^(١٤٠) ويعود سبب اهتمام المماليك بإقامة الترب وفق رأي سوفاجيه، إلى أن المماليك كانوا قلقين على حياة الدنيا، فكان يدفعهم ذلك إلى بناء الترب، بهدف الاستقرار في الآخرة، وطلباً لغفران الخطايا والذنوب، فأوقفوا عليها أوقافاً كثيرة.^(١٤١)

(١٣٦) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٤٣

(١٣٧) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ٢٧٢؛ الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١١٧

(١٣٨) النعيمي: المصدر السابق، ص ٤٤١

(١٣٩) دهمان، محمد أحمد: المرجع السابق، ص ٢٧١، ٢٧٢

(١٤٠) ولتسنجر، كارل وكارل واتسنجيير: المرجع السابق، ص ٥٤

(١٤١) العلي، أكرم: دمشق عصر المماليك والعثمانيين، ط ١، دار صادر بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٦٥

ب: التربة الكركية الإياسية الضخرية : وهي من الترب المندثرة

تقع التربة الكركية عند حمام الورد، أنشأها فخر الدين أياسي الكركي الحاجب الثالث عام ٨٢٨هـ،^(١١٢) واشتهر بانيها فخر الدين بخفة الظل. توفى في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٨٣٤هـ. وقد ذكر النعمي أنه فرغ من إنشائها سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢٠م ولها فسقيتان^(١١٣) كما هو مذكور فوق الواجهة الحجرية الموجودة فوق الشباك. وللتربة باب من الجهة الغربية، وقد كانت ذات بناء محكم، لها قبو فيه فسقيتان.

ت: (التربة البلبانية) :

تقع التربة البلبانية غربي سوق ساروجة، على يمين الداخل إلى حارة القولي. أنشأها الأمير بلبان المحمودي المتوفى في العهد المملوكي سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦هـ وقد اتصف الأمير بلبان بالشجاعة والمروءة ومساعدة الناس.^(١١٤) توفى في طرابلس بعد صراعه مع المرض لفترة طويلة، ونقل جثمانه إلى دمشق، ودفن بتربته المت موضوعة إلى الشرق من داره. ومن الممكن أن يكون ابنه قد دفن معه فيما بعد أيضاً. وقد ذكر تقي الدين بن قاضي شهبة أنه في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثمانمائة: «عمر داراً حسنة بطريق الصالحية غربي سوق ساروجة، وكان موصوفاً بالشجاعة، وعنده مروءة كثيرة، ومساعدة لمن يقصده، لكنه كان مصراً على أنواع من الفواحش، توفى بطرابلس بعد مرض كثير وسراً أهل طرابلس بموته، وحمل إلى دمشق فدفن بتربته شرقي داره، وكان قد جدّد فيها وبيّضها، ودفن بها ابنه أيضاً والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب».^(١١٥)

ذكر العلوي أنه كان لهذه التربة حديقة صغيرة، وقد قام بتجديد هذه التربة عام ٩٩٧هـ عثمان آغا الطواشي الدفتردار،^(١١٦) وعمر بجانبها تربة ومسجداً وسبيل ماء ومكتباً بعد أن كانت مخربة ومدمرة. وتوفى عام ٩٩٨هـ ودفن فيها. ذكر عبد القادر بدران في كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» أنه لم يبق من هذه التربة إلا اليسير.^(١١٧)

(١٤٢) العلوي: المصدر السابق، ص ٢٠٥

(١٤٣) الفسقية: كلمة عامية لها عدة دلالات، أهمها أنها مجمع للمياه، والمكان الذي يدفن فيه الميت، كما أطلق لفظ الفسقية على الجزء الغاطس من البيت المملوكي. انظر محمد أمين، محمد وعلي إبراهيم، ليلي: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٨٥

(١٤٤) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٦٤

(١٤٥) النعمي: المصدر السابق، ص ٢٣١، ٢٣٢

(١٤٦) الدفتردار: الدفتر من الكلمة اليونانية دفتير Diphtheral بمعنى جلد الحيوان الذي كان يستخدم للكتابة، دخلت العربية والفارسية قديماً بمعنى مجموعة من الصحف، وكلمة دار بالفارسية تعني صاحب، فالدفتردار لغوياً تعني صاحب الدفتر، أو حافظ السجلات، وتعني أيضاً كبير المحاسبين، وقد أخذ العثمانيون اسم الدفتردار عن الأيلخانيين الذين حكموا الأناضول، وكانوا يلقبون المشرف على الأمور المالية في إقليمهم باسم الدفتردار. انظر بركات، مصطفى: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١١٨

(١٤٧) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ٢٢٥

وهناك نص كتابي فوق باب التربة نقش عليه التالي:

«عمارة... الأسفهلار الكفيلي الزعيمى النظامى المجاهدى الزاهدى.... السيفى الملكى بنجاص السودونى الملكى الظاهرى... أعز الله...»^(١٤٨)

والتربة اليوم مؤلفة من جبهتين غربية وجنوبية؛ شيدتا من الحجر الأبلق الجميل، أما الواجهة الغربية، فيبلغ طولها (٦, ٦ م)، وفيها شباكان مطلان على حارة القولي، وبعدها ندخل من باب صغير يؤدي إلى دار اقتطعت من التربة. أما الجهة الجنوبية فيبلغ طول ضلعها المطل على الشارع الرئيس (٧٥, ٢ م) الذي بني أمام الجزء الشرقي من الواجهة الجنوبية، حيث شكل جدار مسجد التربة، وبلغ طول الواجهة الجنوبية للتربة ككل (٧٥, ٥ م) وفيها فتحة باب المدخل وهي فتحة مستطيلة، يبلغ اتساعها ٢, ١ م، وارتفاعها (٢ م)، لها درفتان من الخشب، نصد منها إلى داخل التربة عن طريق خمس درجات.

أما التربة من الداخل، فهي ذات مسقط مربع، يبلغ طول ضلعها من الداخل (١, ٢ م)، مبنية من الحجارة، حيث نرى قبرين؛ للأمر بلبان وابنه، وهما مصنوعان من الحجارة، وعلى شكل مستطيل، كتب عليهما بالخط الكوفي آية الكرسي كما هي العادة في ذلك العصر. وفوق هذين القبرين قبة عالية حملت على أقواس، وهي ذات شكل كروي حملت على مثلثات ركنية^(١٤٩) تم ملؤها بثلاثة صفوف من المقرنصات. وشرقي هذه القبة يقع المسجد الصغير. ولا يوجد فيه شيء يذكر سوى إطار كتب بخط الثلث الكبير، بيد أمن حائط قبة الضريح الشمالي، ومن بعدها ينتقل إلى الحائط الغربي فالشرقي، وفي هذه الجهة ينتهي. حيث كتب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. إن في خلق السموات والأرض (الآية) إلى قوله تعالى.... حسن الثواب»، وتحت هذا السطر يقع محراب المسجد وهو حجري صغير الحجم، على جانبيه عمودان صغيران، وفوق باب التربة في الواجهتين كتب بخط الثلث الكبير، وهي كلمات متأكلة، لم نستطع قراءتها بشكل جيد: «... عمارة... الأسفهلار الكفيلي الزعيمى النظامى المجاهدى الزاهدى... السيفى الملكى بنجاص السودونى الملكى الظاهرى... أعز الله». والعوام اليوم تسمى المسجد بمسجد أبو اللين، وبعضهم يسميه مسجد الجلبان.^(١٥٠) (انظر مسجد بلبان)

(١٤٨) الشهابي، دقتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ٦٥

(١٤٩) المثلثات الركنية: شاع استخدام هذه النوع من المثلثات المملوءة بصفوف المقرنصات كمناطق انتقال للقباب في العصر المملوكي في دمشق. انظر

عمارة، العربي صبري عبد الغني: دراسة مقارنة لطرز العماائر الدينية المملوكية البحرية الباقية بمدينتي دمشق والقاهرة، رسالة دكتوراة غير

منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٢٩

(١٥٠) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ١٩٨

النصوص الكتابية على التركيبتين الحجريتين :

كتب على التركيبتين الحجريتين نص آية الكرسي بخط الثلث البارز، وهما الآيتان الكريمتان من سورة البقرة: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ كَفَرَ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

وهناك إطار مكتوب بخط الثلث، وهو ست آيات من سورة آل عمران الكريمة من الآية ١٩٠ حتى الآية ١٩٥، يبدأ من الجدار الشمالي للتربة، ثم الغربي فالجنوبي ويمتد للجدار الجنوبي للمسجد الملحق بالتربة فوق المحراب، وينتهي في الجدار الشرقي للمسجد.

وكذلك الإطار الكتابي فوق الجدار الشمالي للتربة، وهو الآية رقم ١٩٠ من سورة آل عمران:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»

والكتابة فوق الجدار الغربي للتربة، ونصها الآيتان الكريمتان رقم ١٩٢ وجزء من الآية رقم ١٩١ من سورة آل عمران، حيث انتهت الكتابة عند «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا».

والإطار الكتابي فوق الجدار الجنوبي للتربة يكمل الآية رقم ١٩١ بكلمة (باطلاً) وكامل الآية ١٩٢ وجزء من الآية ١٩٣ لتنتهي الكتابة عند كلمة (ينادي): «باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار ربنا إنما سمعنا منادياً ينادي»

والإطار الكتابي فوق الجدار الجنوبي للمسجد يكمل الآية رقم ١٩٣ بكلمة (للإيمان) وجزء من الآية ١٩٤ لتنتهي الكتابة عند كلمة (ديارهم): «للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عن سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم»

والإطار الكتابي فوق الجدار الجنوبي للمسجد يكمل الآية رقم ١٩٤ بكلمة (وأوذوا) حتى نهاية الآية ١٩٥ من سورة آل عمران: «وأوذوا في سبيلي وقتلوا ولأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب»

ث: التربة البرسبائية الناصرية : وهي مندثرة

تقع التربة البرسبائية الناصرية غرب المدرسة الشامية في سوق ساروجة. أنشأها برسبائي الناصري، وألصق فيها جامعاً، وأوقف عليها وفقاً^(١٥١) إلى جانب جامع الورد (برسبائي).^(١٥٢)

وانتقل إلى حلب فتوفي فيها، فغسل وكفن وحمل إلى دمشق بتابوت، وصلي على جثمانه في جامع يلغا، ثم دفن بتربته عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م.^(١٥٣)

تربة علاء الدين استدار جردمر : وهي من الترب المندثرة

كان موضع تربة علاء الدين مقابل المدرسة الشامية. وقد نسبت لعلاء الدين استدار جردمر الذي توفي في العهد المملوكي عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥م. وهي لا علاقة لها بتربة علاء الدين بن زين الدين.

ج: التربة اليونسية الدوادرية :

تقع في نزلة جوزة الحدباء. شيدت في عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. وقد دفن فيها الأمير يونس الدوادر.^(١٥٤)

خ: تربة إينال:

وهي من الترب المندثرة كانت تقع إلى جانب المدرسة الشامية البرانية، أنشأها إينال اليوسفي. حيث قال ابن قاضي شهبه فيه: «بنى لنفسه تربة مليحة شمال المدرسة البرانية فلم يقدر له دفنه بها، بل دفن في القاهرة سنة ٧٩٤هـ.»^(١٥٥)

ذكر العلبي أنه كانت هناك مقبرة تقع غربي جامع برسبائي (الورد) لكنها اندثرت، ونقل رفات الموتى منها إلى مقبرة أخرى، وأصبح مكانها اليوم معملاً للبلاط.^(١٥٦)

(١٥١) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ٣٢٢

(١٥٢) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ٦٣

(١٥٣) النعيمي: المصدر السابق، ص ٢٣٥

(١٥٤) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٠٠

(١٥٥) الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٦٢

(١٥٦) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ١١٨

ثالثاً: الحمامات

أ: حمام القرماني :

الموقع :

يقع الحمام القرماني في سوق العتيق^(١٥٧) بجادة القرماني إلى الجنوب من حي ساروجة^(١٥٨) في الناحية الشمالية الغربية لقلعة دمشق.

نشأته:

أنشأه الأمير سيف الدين إيلجي بغا العادلي من ممالك سلطنة الشام ومصر السلطان العادل زين الدين كتبغا الذي حكم من سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤ م إلى سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦ م وكان لقبه السلطان العادلي. وكان الأمير سيف الدين من كبار الأمراء في دمشق وتقدم في آخر عهد الأمير سيف الدين تنكز ثم سجن بعده، وأُفرج عنه بعد ما توفي السلطان محمد قلاوون أما عن تسميته بالقرماني، فهي نسبة إلى محمد باشا القرماني، وكان وزيراً للسلطان العثماني محمد خان الثالث والشخص الآخر الشيخ (محمد القرماني) الذي أنشئ مسجد في العهد العثماني سمي باسمه، وأطلق الاسم ذاته على الحارة التي بني فيها المسجد^(١٥٩) ومن المرجح أنه مع مرور الوقت تناسى الناس اسم الأمير إيلجي بغا وأطلق على الحمام «حمام القرماني» نسبة إلى اسم المسجد والحارة القرييين منه.

الوصف المعماري :

الواجهات: للحمام واجهتان واحدة من جهة الغرب تطل على السوق العتيق، والأخرى من جهة الجنوب وبها المدخل الرئيس.

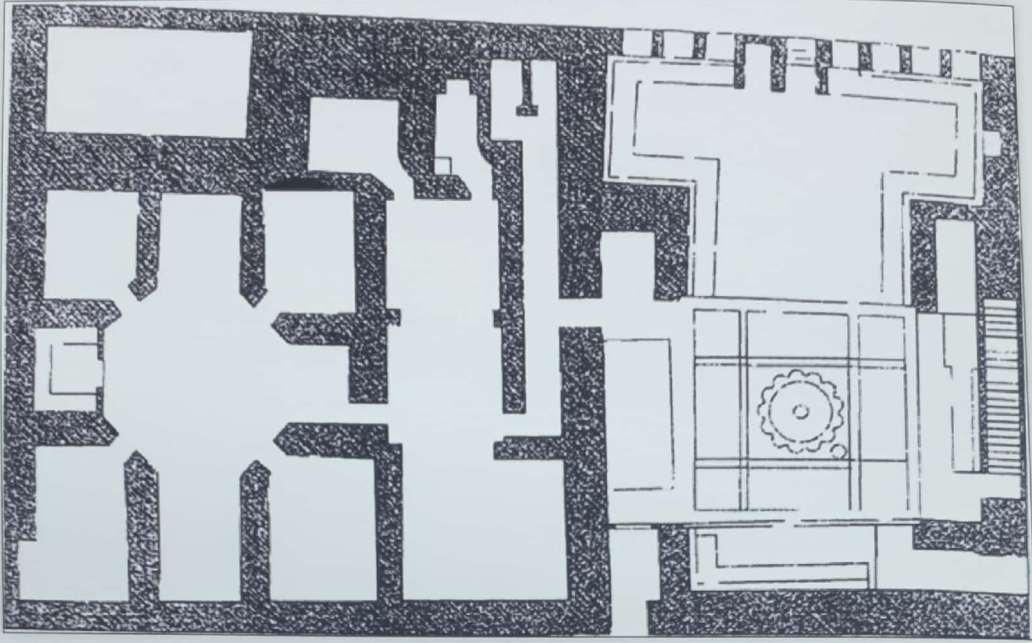
(الشكل ٨١)

(١٥٧) العلاف، أحمد حلمي: المرجع السابق، ص ١٨: الشهابي، د. قتيبة: أسواق دمشق القديمة ومشيداتھا التاريخية، ص ٤٨٠

(١٥٨) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٦، تحقيق محمود ارناؤوط، دمشق-بيروت، ١٩٩١ م، ص ١٣٨: الإبيش، أحمد والشهابي،

د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣١١، ٣٠٩

(١٥٩) الإبيش أحمد والشهابي د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٤٤، ١٤٥



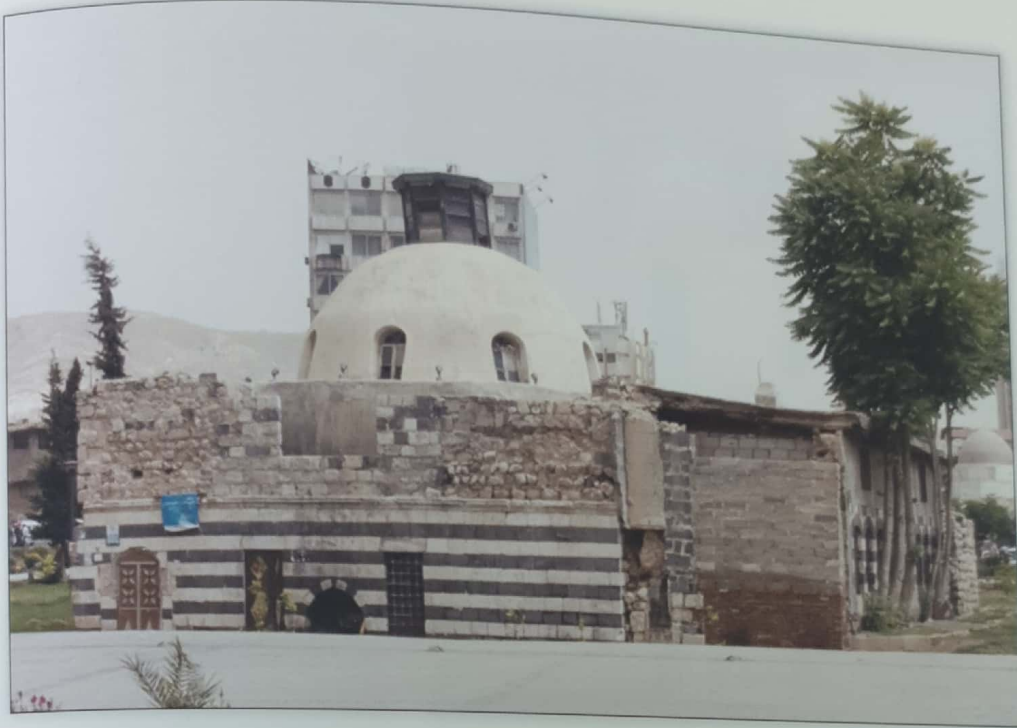
الشكل - ٨١ حمام القرماني
المسقط الأفقي لحمام القرماني
نقلا عن دائرة آثار مدينة دمشق

الواجهة الجنوبية :

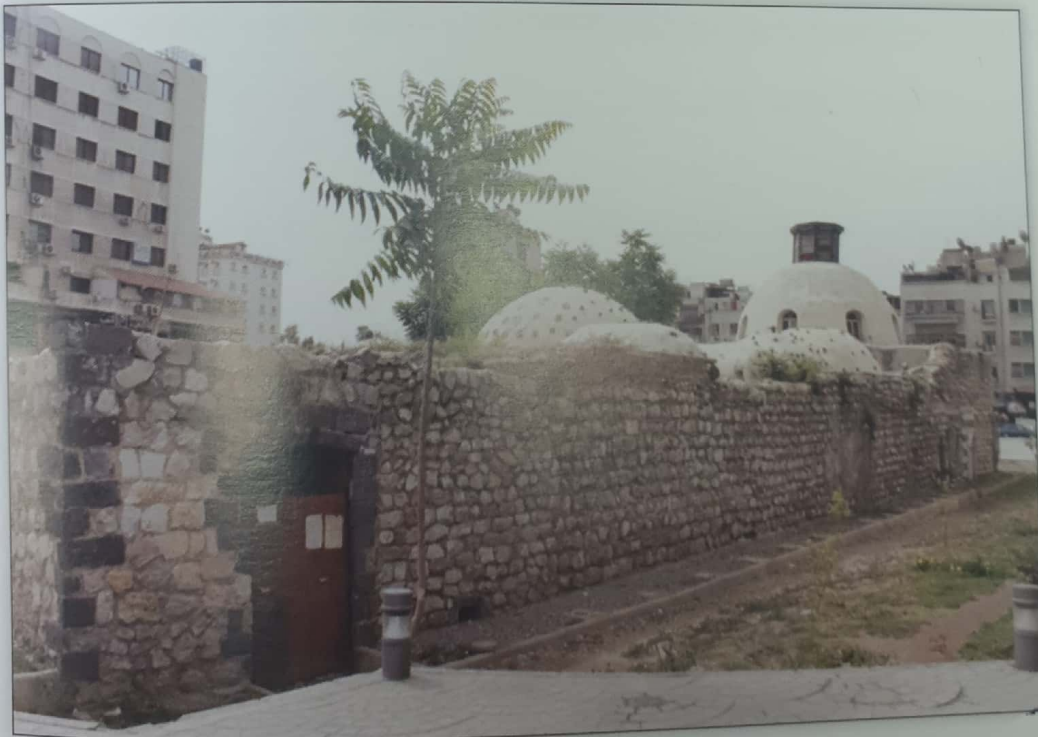
تمتد من الشرق إلى الغرب، (الشكل ٨٢) يبلغ طولها (٩م) وبها الباب الرئيس من الطرف الغربي، ومن الطرف الغربي على بعد (٣,٥٠م)، توجد دخلة ذات عقد مدبب، يبلغ عمقها (٧٥سم)، وهي مرتفعة عن مستوى الأرض (بمقدار ٢٠م)، ويلي هذه الدخلة من جهة الشرق شباك، يبلغ اتساعه (١,٠٥م) وارتفاعه (١,٨٠م). وتظهر فوق هذه الواجهة القبة الضخمة ذات القطاع النصف دائري التي تعلو قاعة البراني.

الواجهة الغربية:

تمتد من الشمال إلى الجنوب، وهي واجهة صماء إلا من شباك معقود بعقد نصف دائري على بعد ٤م من بداية الواجهة، حيث يرتفع عن مستوى الأرض بمقدار (٣م)، أما اتساعه فيبلغ (٨٠سم) وارتفاعه (٢٥م)، يليه من الجهة الشمالية باب فرعي، ويؤدي الممر الضيق إلى قاعة البراني، ويبلغ اتساع هذا الباب (٨٠سم) وارتفاعه (٢م). (الشكل ٨٣)



الشكل ٨٢- حمام القرمانى
الواجهة الجنوبية لحمام القرمانى



الشكل ٨٣- حمام القرمانى
الواجهة الغربية لحمام القرمانى

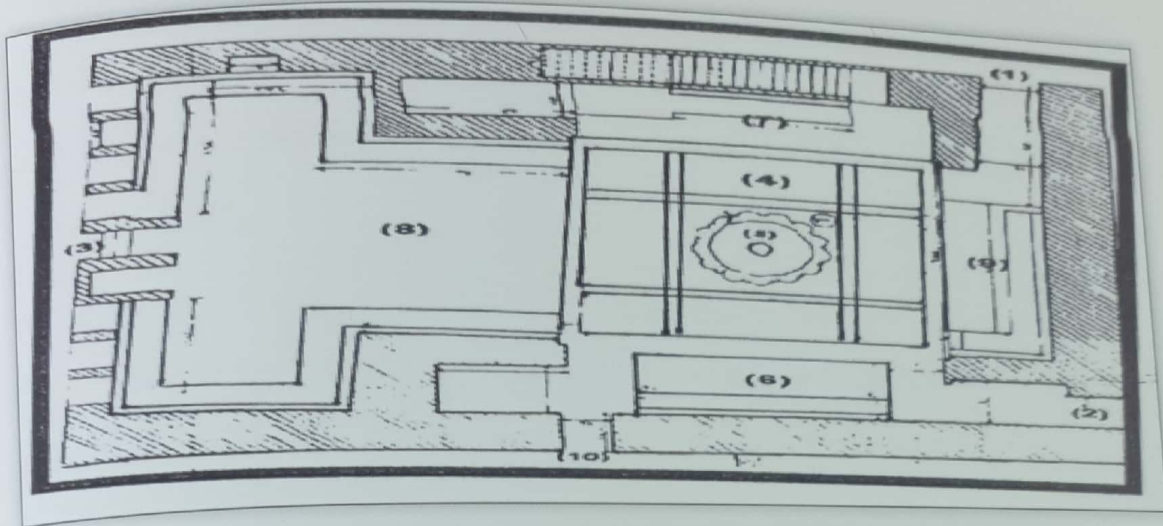
القاعة الباردة (البراني):

يفضي الباب الرئيس للحمام إلى ممر، يبلغ اتساعه (١م) وطوله (٢م) ويؤدي إلى إيوان غربي، يطل على القاعة الوسطى للبراني، وهو عبارة عن قاعة بالوسط مربعة الشكل (٦٠, ٦م) وبها أربعة إيوانات ذوات عقود مدببة بكل جهة. يتوسط القاعة بركة حجرية ذات مسقط مستدير ومحيطها من الخارج مضلع الشكل ومكسو بالرخام. يتوسط البركة نافورة على شكل إناء رخامي مستدير وحواف مشرشرة.

ويتطابق الإيوانان الجنوبي والشمالي بالشكل تطابقاً تاماً، ويبلغ عمق كل منهما (١, ٧٠م)، ويوجد بأرضيتهما مصطبة باتساع الإيوان، يبلغ ارتفاعها (٨٥سم)، ويغطيه قبو نصف أسطواني ذو قطاع مدبب. يشغل الجانب الشرقي بكل إيوان مستطيل الشكل، يبلغ طوله (١٠, ٢م)، وعرضه (١, ٢٠م)، يفتح بابه المتوج بعقد نصف دائري بناحيته الغربية على الإيوان، ويغطيه قبو نصف أسطواني. يؤدي إلى ممر يمتد من الشرق إلى الغرب. أما الجانب الغربي للإيوان الجنوبي فيؤدي إلى حاصل صغير يقابل الحاصل الكائن بالجهة الشرقية من الإيوان، وكما يتصدر الجدار الجنوبي شباك معقود يطل خارج الحمام. وفي الإيوان الشمالي باب معقود تعلوه حشوة حجرية مستطيلة، نحتت بها سبعة محاريب صغيرة مزخرفة، ومتوجة بطاقيّة مشعة، والتي تتوج بدورها بعقد مدبب. وهذا الباب يؤدي إلى ممر يوصل إلى القاعة الوسطانية.

أما الإيوان الغربي فيطل على قاعة البراني الوسطى، ويبلغ عمقه (١, ٧٠م)، وفيه مصطبة مماثلة في الإيوانين الجنوبي والشمالي. ويتصدر جداره الغربي شباك، وله عقد موتور يطل للخارج، ويفتح بجداره الجنوبي باب معقود.

ويطل الإيوان الشرقي على قاعة البراني الوسطى، ويبلغ عمقه (٣, ٦٠م)، وهو مختلف تماماً عن الإيوانات الأخرى، فيغطيه قبو نصف أسطواني ذو قطاع مدبب، وعلى جانبيه الشمالي والجنوبي مصطبة، يبلغ ارتفاعها (٨٥سم). ومن الجهة الشرقية يفتح بكامل اتساعه على إيوان آخر مستعرض، يمتد من الشمال إلى الجنوب، يبلغ طوله (١١م) وعرضه (٣, ٤٠م) وعلى جوانبه مصاطب، ويغطيه سقف خشبي مسطح. ووسط الجدار الشرقي لهذا الإيوان باب، يبلغ اتساعه (١م)، يصعد إليه بثلاث درجات حجرية، وعلى كل من جنبه أربع فتحات متماثلة. (الشكل ٨٤)



الشكل - ٨٤ حمام القرماني

قاعة البراني لحمام القرماني

مفتاح الشكل:

١- المدخل الرئيس بالواجهة الجنوبية

٢- مدخل فرعي بالواجهة الغربية

٣- مدخل فرعي بالواجهة الشرقية

٤- القاعة الوسطى

٥- فسقية تتوسط القاعة الوسطى

٦- الإيوان الشمالي

٧- الإيوان الجنوبي

٨- الإيوان الشرقي

٩- الإيوان الغربي

١٠- باب يؤدي الى ممر يتقدم قاعة الوسطاني

نقلا عن : دائرة آثار مدينة دمشق

قبة البراني:

تغطي قبة كبيرة القاعة الوسطى للبراني، (لحوحة) ذات نصف قطاع دائري، محمولة على مثلثات كروية تمثل في الوقت ذاته عقود الإيوانات المطلة على القاعة الوسطى. أنشئت خوذة القبة فوق هذه المثلثات مباشرة دون وجود رقبة، وبأسفل الخوذة (٨) نوافذ معقودة. يتوسط قمة الخوذة فتحة مثمثة، وضع فوقها فانوس زجاجي يغطيه سقف خشبي مسطح.

الممر:

وهو الممر الذي يتقدم الوسطاني يمتد من الشرق إلى الغرب، ويبلغ طوله (٢٠، ١٠ م) واتساعه (٩٠ سم)، حيث نصل لهذا الممر عن طريق دهليز ممتد من الشمال إلى الجنوب، يربط الإيوان الشمالي بقاعة البراني. تتخلل خوذة هذا الممر عدة قماري، والقماري هي فتحات صغيرة مستديرة، عليها قطع من الزجاج الملون تعرف في بلاد الشام بهذا الاسم.

ينفتح في بداية الجدار الشرقي للممر ونهايته بابان متماثلان، عقد كل منهما بعقد نصف دائري، يؤدي الباب الواقع في الجهة الشرقية إلى أحد المرحاضين اللذين أشرنا إليهما، أما الباب الواقع في الجهة الغربية فيؤدي إلى قاعة الوسطاني (الدافئة)، أما الجدار الجنوبي فيتوسطه باب معقود يربط بين هذا الممر والقسم البراني.

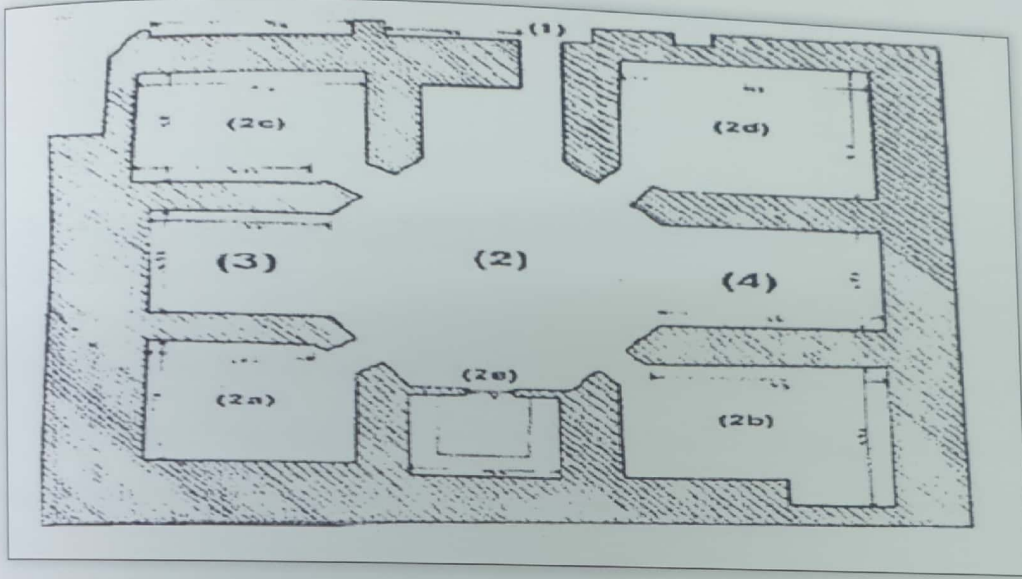
ويغطي هذا الممر سقف، ينقسم إلى أربعة أجزاء، يفصل بين كل جزء عقد نصف دائري، ترتكز قاعدته على الجدارين الشمالي والجنوبي للممر، وتتخلل خوذتها عدد من القماري المعشقة بالزجاج.

القاعة الدافئة (الوسطاني):

عبارة عن قاعة وسطى مربعة، يبلغ طول ضلعها (٤ م)، مغطاة بقبة قطاعها نصف دائري محمولة على مثلثات كروية، يتخلل خوذتها عدد من القماري. يتصدر الجدار الشمالي لقاعة الوسطاني من الناحية الغربية باب معقود، يبلغ اتساعه (١ م) يؤدي إلى قاعة الجواني، ويقابل هذا الباب في الجدار الجنوبي باب الدخول للوسطاني. ومن الجهة الشرقية والجنوبية على جانبي القاعة إيوانان بعقد مدبب من سبع عشرة صنجة حجرية متراسة، يبلغ اتساع كل منهما (٤٠، ٣ م).

يغطي الإيوان الشرقي ذو المسقط المربع قبة شبيهة بتلك التي تعلو القاعة الوسطى. وبالجدار الشرقي للإيوان بابان متوجان بعقد موتور، يبلغ اتساع كل منهما (٩٠ سم)، يؤديان إلى مقصورة مستطيلة، يبلغ طولها (٣ م)، وفي الجدار الشرقي منها دخلة عليها عقد مدبب، يبلغ اتساعها (٤٠، ١ م) وعمقها (٦٠ سم)، وهي ذات سقف نصف إسطواني.

ويطل الإيوان الغربي على القاعة الوسطى، وهو مستطيل الشكل، يبلغ طوله (٦م) وعرضه (٥م) ويوجد بجداره الجنوبي دخلة معقودة، يبلغ عمقها (٥٠سم) وهناك في الركن الجنوبي الشرقي حوض رخامي دائري. ويغطي الإيوان قبة محمولة على مثلثات كروية، تشبه القباب بسائر الحمام، وقد فرشت أرضية الوسطاني ببلاطات من الحجر المزي والأسود. (الشكل ٨٥)



الشكل ٨٥- حمام القرماني

قاعة الوسطاني

مفتاح الشكل:

باب يربط قاعتي الوسطاني والجواني

القاعة الوسطى

(1a) مقصورة ملحقة بالقاعة الوسطى بالجهة الشمالية الشرقية

(2b) مقصورة ملحقة بالجهة الشمالية الغربية

(2c) مقصورة ملحقة بالجهة الجنوبية الشرقية

(2d) مقصورة ملحقة بالجهة الجنوبية الغربية

الإيوان الشرقي ٤- الإيوان الغربي

نقلا عن : دائرة آثار مدينة دمشق

القاعة الساخنة (الجواني):

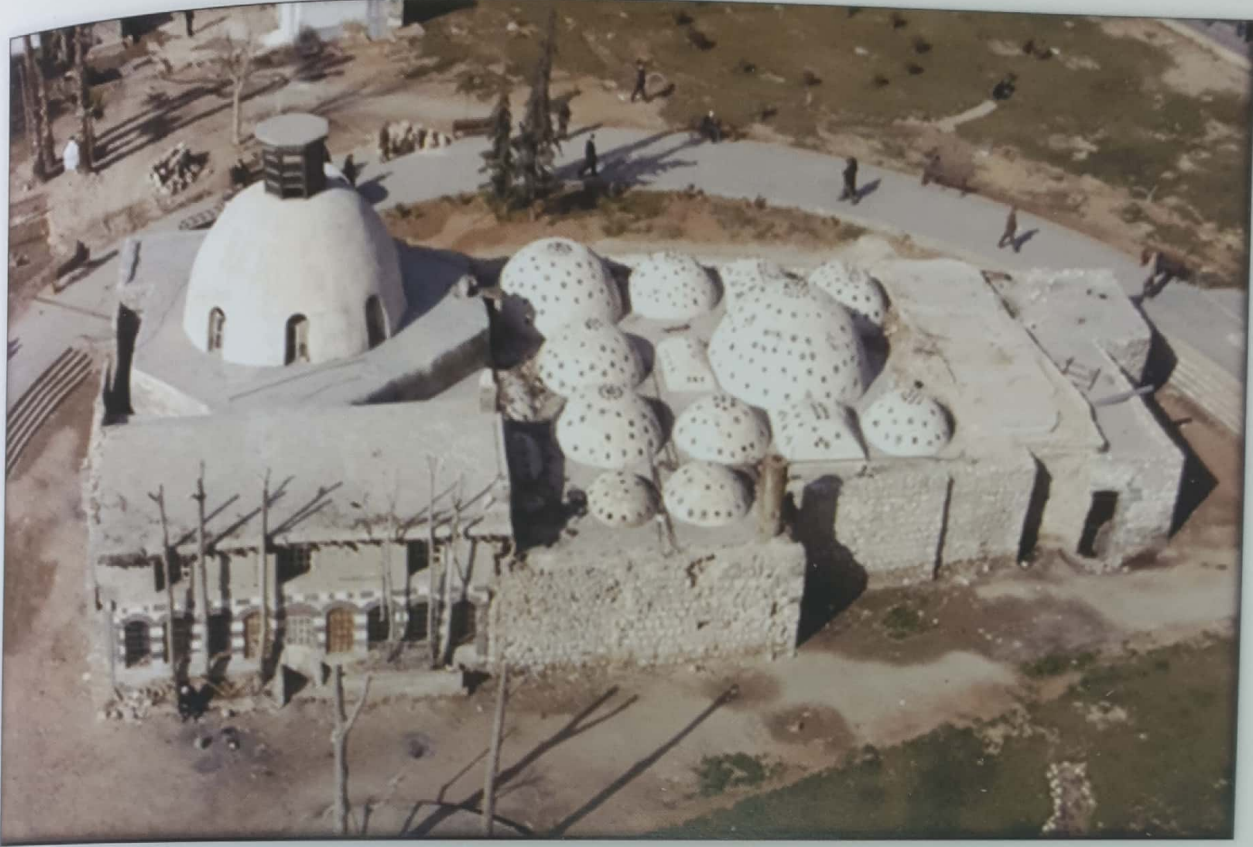
يؤدي الباب بالجدار الشمالي للقاعة الوسطى بالوسطاني إلى ممر يؤدي إلى الجواني، يبلغ طوله (١٠، ٣م) وعرضه (٧٠سم). والقاعة مثمثة المسقط تتساوى فيها كل من الأضلاع الشمالي والجنوبي، كما الشرقي والغربي، حيث يبلغ طول كل منهما (٣م)، كما يتشابه الجدران الشمالي الشرقي والشمالي الغربي، وكذلك الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي، فيبلغ طول كل منهم (٢، ٢٠م)، وقد فرشت أرضية القاعة ببلاطات رخامية مربعة كبيرة، وتغطي القاعة بقبة ذات قطاع نصف دائري، ويتخلل خوذتها عدد من القماري الدائرية.

وللقاعة ثلاثة إيوانات لها أسقف، يتشابه فيها كل من الشرقي والغربي، يبلغ اتساع كل منهما (٣م) وعمقه (٤م) وكل إيوان يطل بفتحة معقودة واسعة على إيوان آخر يطل على القاعة، وكل سقف مغطى بقبب نصف أسطواني تتخلله قماري مستديرة. أما الإيوان الشمالي فهو أقل عمقاً من الشرقي والغربي، يبلغ عمقه (٢، ٤٠)، ويشتمل كل إيوان على عدد من الأجران التي تملأ بالماء لمستخدمي الحمام.

يوجد في الجدار الشمالي الشرقي للقاعة الوسطى باب معقود، يبلغ اتساعه (٧٠سم)، يؤدي إلى مقصورة مربعة، يبلغ طول ضلعها (٤م)، سقفت بقبة محمولة على مثلثات كروية، احتوت الأرضية فيها على أربعة أجران.

وفي الإيوان الشمالي يقع باب الدخول للجواني، وفتح إلى جانبه باب آخر مشابه له، يفضي لمقصورة أخرى مربعة الشكل، على جوانبها مصاطب من الحجر، يجلس عليها المستحمون، وفي الجدار الجنوبي منها دخلة مربعة الشكل، يبلغ اتساعها (١، ٤٠)، أما عمقها فهو (٨٠سم)، ويبلغ ارتفاعها عن مستوى أرضية الحمام بمقدار (٩٠سم). سقفت هذه المقصورة بقبة صغيرة فيها قماري زجاجية مستديرة.^(١٦٠) (الشكل ٨٦)

(١٦٠) استطاعت الباحثة وصف الحمام من خلال زيارة ميدانية للحمام في صيف ٢٠١١؛ زيادة، عادل محمد: الحمامات الباقية بمدينة دمشق، ص ٨٤، ٩٦



الشكل ٨٦- حمام القرماني
منظر علوي لكل قباب البراني والوسطاني والجواني لحمام القرماني حيث تظهر القماري التي تتخللها
نفلا عن دائرة آثار مدينة دمشق

ب: حمام الورد:

الموقع :

يقع حمام الورد في حي ساروجة على الجانب الشرقي لشارع الورد، وإلى الجهة الشمالية من جامع الورد^(١٦١) والمدرسة الشامية البرانية^(١٦٢) وهو من الحمامات التي تقع خارج أسوار دمشق القديمة، وقد سجل أثراً لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف برقم س ١/ ٢١٢. (١٦٣)

(١٦١) راجع الشهابي، دقتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ١٣٦؛ العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٣٦٠

(١٦٢) راجع ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١، ص ١٥٥؛ النعيمي: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٧

(١٦٣) كيال، منير: المرجع السابق، ص ١٤٢

نشأته:

أنشأ الحمام الأمير علاء الدين علي بن حسن بن صبح الدمشقي الذي كان مقدم عشرة^(١٦٤) ومن رجال الدهر رأيا وحزماً، غضب منه الملك الناصر وسجنه بالإسكندرية، ثم أفرج عنه في ذي الحجة سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م، واستمر بحكم دمشق إلى أن توفي سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٣ م، وهو والد الأمير شهاب الدين بن صبح والي الولاية بدمشق.^(١٦٥) ومن المرجح أن يكون الحمام هو نفسه حمام ساروجة الذي بناه الأمير صارم الدين صاروجا، وبالتالي يمكن إرجاع تاريخ بنائه إلى سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م.^(١٦٦) وقد ذكره ابن زفر الأربلي ضمن زمرة حمامات دمشق،^(١٦٧) وأورد أيضاً ذكر حمام آخر باسم حمام الورد خلال حديثه عن حمامات جبل قاسيون،^(١٦٨) ولكن لم يرد أي ذكر لهذا الحمام في أي مصدر تاريخي سابق أو لاحق لابن الأربلي.

وقد ذكر ابن كثير في أحداث سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م أنه قد اكتمل بناء الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبح المجاور لداره شمال المدرسة الشامية البرانية.^(١٦٩)

الوصف المعماري

الواجهات:

الواجهة الرئيسية الغربية: للحمام واجهة واحدة رئيسية تطل على حارة الورد من جهة الغرب، (الشكل ٨٧) وتمتد من الجنوب للشمال بطول (١٤,٥٠ م)، تظهر من فوقها القبة الضخمة التي تقع فوق البراني، حيث تبدأ فوق سطح الحمام برقيبتها المضلعة ذات النوافذ المعقودة بعقود مديبة، تقع في دخلات عميقة، وتتلو الرقبة قبة ملساء ذات قطاع نصف دائري، حيث يتوسط قمته فانوس مستدير المسقط. (الشكل ٨٨ و ٨٩)

(١٦٤) مقدم عشرة: وردت هذه الصيغة كاسم وظيفي ولقب فخري على الآثار، والمقدم اسم مفعول من قدم ومعناه الرئيس أو القائد أو كبير القوم أو الطائفة أو الجماعة أو الهيئة، وأطلق هذا اللقب على كثير من الوظائف في دولة المماليك. انظر الباشا، حسن: المرجع السابق، ج ٣، ص ١١٢٠،

١١٢٧

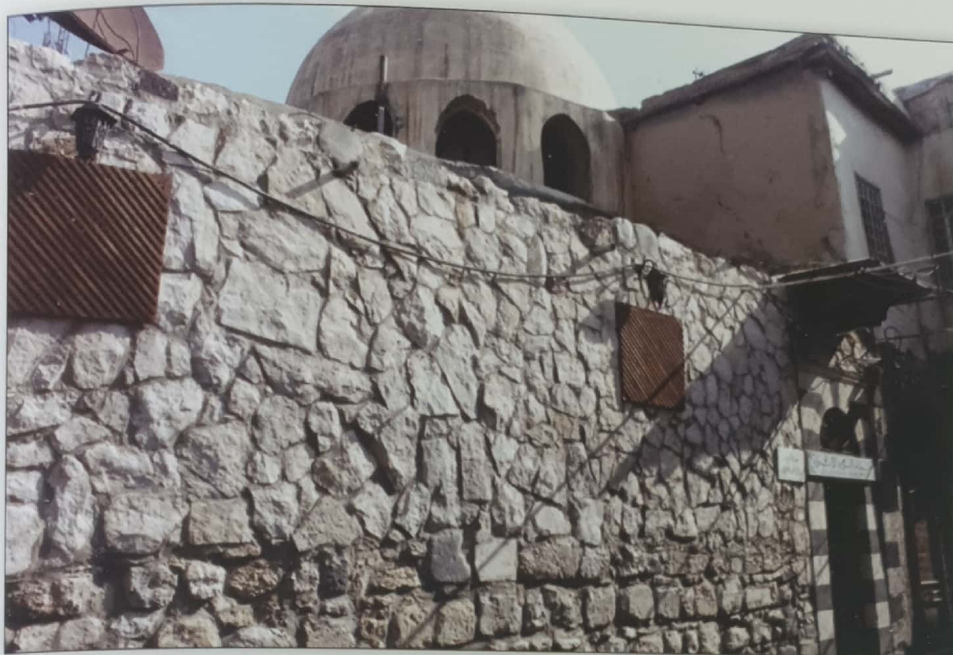
(١٦٥) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٤، ص ٧١

(١٦٦) العلي، أكرم: المرجع السابق، ص ٥٣٨

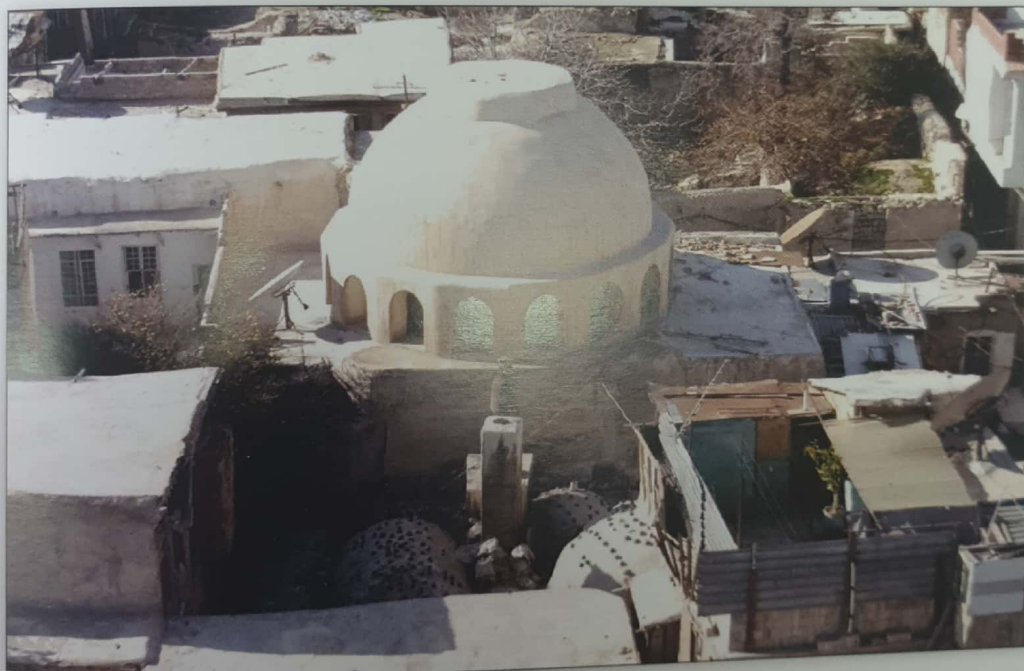
(١٦٧) ابن زفر الأربلي: المصدر السابق، ص ٢٦

(١٦٨) ابن زفر الأربلي: المصدر السابق، ص ٢٨

(١٦٩) ابن كثير: المصدر السابق، ج ١٤، ص ١٠٢



الشكل -٨٧ حمام الورد
الواجهة الغربية الرئيسية



الشكل -٨٨ حمام الورد
منظر خارجي لقبة البراني في حمام الورد



الشكل - ٨٩ حمام الورد
قبة قاعة البراني في حمام الورد من الداخل

ولهذه الواجهة مدخل رئيس للحمام يقع في الطرف الجنوبي لها، يبلغ اتساعه (١م)، ويفضي إلى ممر منكسر بهدف حجب الرؤية من الشارع إلى داخل الحمام، وقد رصفت أرضيته ببلاطات مستطيلة من الحجر المزي، وسقفت بقبو نصف إسطواني، ويمتد هذا الانكسار من الشمال إلى الجنوب ليتعامد معه انكسار ثانٍ يمتد من الغرب إلى الشرق، وينتهي في الطرف الشرقي بفتحة الباب المعقودة بعقد نصف دائري، حيث ينتهي الباب بنهاية الممر المنكسر بثلاث درجات حجرية من مستوى قاعة البراني.

القاعة الباردة (البراني):

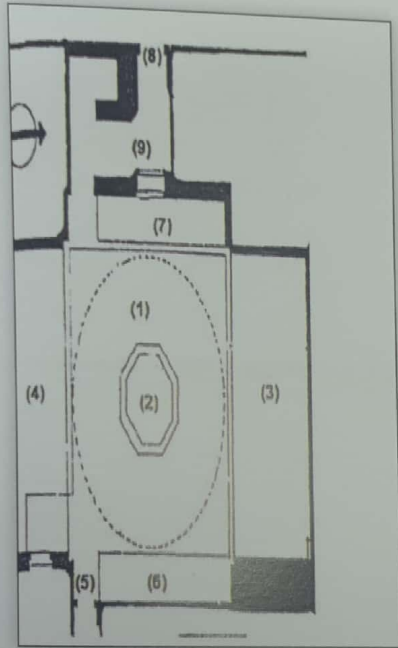
يتألف من صحن مربع المسقط، مغطى بقبة ضخمة، محاطة بست عشرة نافذة، رسم على عقدها المدبب زخارف نباتية نفدت بالألوان المائية، وهي عبارة عن أفرع نباتية ملتوية ومتموجة، تنبثق منها أوراق نباتية صغيرة الحجم رمحيه الشكل. وتنتهي الرقبة من الأعلى بإزارات جصية بارزة على شكل «سوار»، يعلوه خوذة القبة التي يتوسط قطبها فتحة مثمنة، فوقها فانوس له سقف من البراطيم الخشبية.

ويحيط بالقاعة أربعة إيوانات تطل على القاعة بعقد مدبب، ويتشابه كل إيوانين متقابلين، حيث يبلغ عمق الإيوانين الشمالي

والجنوبي ٢٥، ٢ (م)، ليتصدر أعلى الجدار الشمالي للإيوان الشمالي ثلاث نوافذ متشابهة وقعت في دخلات عميقة، وتتفلق عليها مصاريع زجاجية، وتم سقف كل إيوان بسقف خشبي مسطح، أما الإيوانان الشرقي والغربي، فقد بلغ عمقهما (١م) وهما على هيئة سدلتين صغيرتي الحجم، ويتصدر الجدار الغربي للسدة الغربية نافذة رأسية مستطيلة الشكل.

يحتوي كل إيوان على مصطبة حجرية مرتفعة عن مستوى أرض قاعة البراني بمقدار (٨٠سم) يجلس عليها الشخص، الذي تم تحضيره للاستحمام، وفتح أسفلها عدد من الطاقات الصغيرة التي استخدمت لحفظ النعال والقباقيب الخاصة برواد الحمام. (الشكل ٩٠ و ٩١ و ٩٢)

رصفت أرضية البراني ببلاطات حجرية مستطيلة ذات اللون الأسود والوردي، وفي وسطها فسقية مثمنة الشكل تكسوها ألواح رخامية، يتوسطها نافورة رخامية ذات شكل ثلاثة كؤوس متدرجة الأحجام.



الشكل - ٩٠ حمام الورد

القاعة البرانية لحمام الورد

مفتاح الشكل:

فسقية مثمنة تتوسط القاعة الوسطى

الإيوان الجنوبي

الإيوان الشرقي

المدخل الرئيس للحمام

القاعة الوسطى

الإيوان الشمالي

باب يؤدي إلى الوسطاني الأول

الإيوان الغربي

الممر المنكسر المؤدي إلى القاعة الوسطى

نقلا عن دائرة آثار مدينة دمشق



الشكل - ٩١ حمام الورد
قاعة البراني حيث الإيوان الشرقي في حمام الورد
من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١١



الشكل - ٩٢ حمام الورد
قاعة البراني حيث الإيوان الشمالي في حمام الورد
من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١١

الممر:

وهو الممر المنكسر الذي يتقدم الوسيطاني الأول يصل إليه عن طريق باب معقود بعقد نصف دائري، يبلغ اتساعه (٧٠سم) موجود في الطرف الجنوبي للجدار الشرقي لقاعة البراني، يؤدي هذا الباب للانكسار الأول للممر الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (٦٠م، ١م) واتساع (١م)، وهو مغطى بقبو بيضوي الشكل، حمل في طرفيه الشمالي والجنوبي على طاقة محارية الشكل، وفي الجانب الجنوبي لهذا الجزء من الممر باب معقود بعقد نصف دائري، يبلغ اتساعه (٨٠سم)، يفضي إلى الجزء الثاني من الممر المنكسر الممتد من الشرق إلى الغرب بطول (٤٠م، ٤م) واتساع (٨٠سم)، حيث رصفت أرضيته ببلاطات حجرية مستطيلة ذات لون مزّي.^(١٧٠) وغطى بقبو نصف دائري إسطواني، يتخلله عدد من القماري المستديرة، حيث ينتهي هذا الجزء من الممر من الناحية الشرقية بباب معقود بعقد مدبب يفضي إلى مرحاض مسقوف بقبو بيضوي، وهناك باب آخر في الطرف الشرقي للجدار الشمالي لهذا الممر يؤدي إلى بيت خلاء آخر ملاصق لبيت الخلاء السابق، مغطى بقبة صغيرة ذات قطاع نصف دائري، حيث يتوسط الجدار الشمالي باب معقود بعقد نصف دائري يؤدي مباشرة للوسطاني الأول. (الشكل ٩٣)



الشكل -٩٣ حمام الورد

الباب المؤدي للحجرة الدافئة في الوسيطاني الأول داخل حمام الورد

(١٧٠) المزي: كان يجلب من إحدى ضواحي دمشق التي تعرف باسم المزة، فنسب الاسم لهذه المنطقة، انظر www.ansab-alarab.org/vb

القاعة الدافئة (الوسطاني الأول) :

هو قاعة مستطيلة الشكل ممتدة من الشرق إلى الغرب، يبلغ طولها (٦٠, ٥م) وعرضها (٢, ٤٠)، رصفت أرضيتها ببلاطات حجرية باللونين الأسود والأبيض، مسقوفة بقبو بيزاوي الشكل حملت أركانه الأربعة على حنية مجوفة ذات شكل عقد ثلاثي. وتخلل خوذة القبة قماري مستديرة معشقة بالزجاج على شكل زخرف جميل.

فتح في الطرف الشمالي لجدار القاعة الغربي باب معقود بعقد نصف دائري، يبلغ اتساعه (٧٠سم)، ويرتفع عن مستوى أرضية القاعة بمقدار (٦٥سم)، يؤدي إلى حجرة صغيرة تستخدم كمغطس، مغطاة بقبو حمل على مقرنص الشرقي مصطببة مفروشة بالرخام مرتفعة عن مستوى الأرضية. وقد كانتا سابقاً مصطبتين مصنوعتين من الخشب^(١٧١) وفق ما أورده الباحث منير كيال في كتابه «الحمامات الدمشقية».

يتصدر الجدار الشمالي للقاعة باب معقود بعقد نصف دائري، يؤدي إلى ممر ممتد من الغرب إلى الشرق مغطى بقبو بيزاوي، حيث فتح في جدار الشمالي باب آخر يؤدي مباشرة إلى القاعة الوسطى (الوسطاني الثاني). (الشكل ٩٤)



الشكل - ٩٤ حمام الورد
الوسطاني الأول بحمام الورد

(١٧١) كيال، منير: المرجع السابق، ص ١٤٢

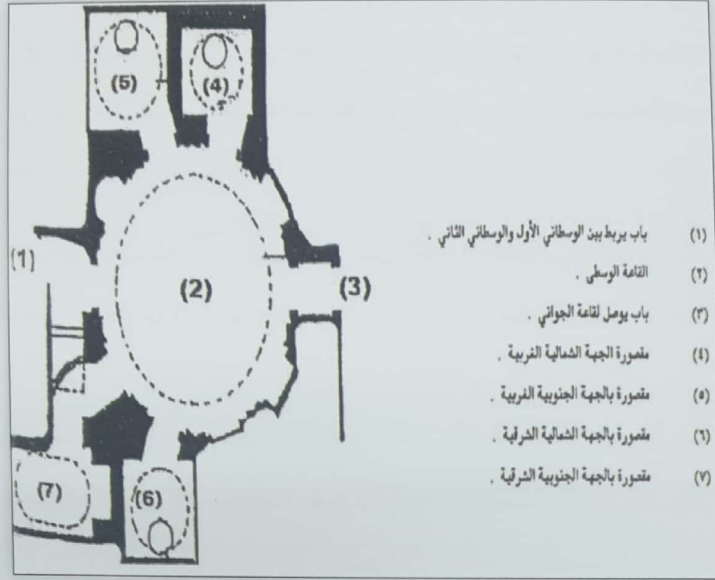
القاعة الثانية (الوسطاني الثاني):

هي قاعة ذات مسقط مستدير الشكل، يتخلل جدرانها عشر دخلات متشابهة، فتحت بست منها أبواب متوجة بعقود نصف دائرية، أما الأربعة المتبقية فهي دخلات مجوفة محرابية الشكل، ينتهي أعلى كل منها بطاقيّة مرتفعة عن مستوى أرضية القاعة بمقدار (٤٥سم).

يؤدي أحد هذه الأبواب وهو الباب الشمالي إلى قاعة الجواني (القاعة الساخنة)، بينما يربط الباب الجنوبي المقابل له بين القاعة الحالية والوسطاني الأول، ويؤدي كل من البابين في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية إلى مقصورتين، الأولى وهي الشرقية ذات شكل مربع، يبلغ طول ضلعها (٨٠، ١م) مغطاة بقبة ذات قطاع نصف دائري يتخلل خوذتها قماري ذات شكل جميل، أما الباب الثاني فيؤدي إلى مقصورة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها (١٠، ٢م) وعرضها (٢٠، ١م)، وفي أسفلها جرن رخامي مستدير. فرشّت أرضية هذه القاعة (الوسطاني الثاني) بالبلاطات الحجرية مستطيلة الشكل، حيث تغطي القاعة قبة ذات قطاع نصف دائري، فتح بخوذتها عدد من القماري المعشقة بالزجاج الملون. (الشكل ٩٥ و٩٦)



الشكل ٩٥- حمام الورد
الوسطاني الثاني بحمام الورد



الشكل - ٩٦ حمام الورد

قاعة الوسطاني الثاني لحمام الورد

مفتاح الشكل:

باب يربط بين الوسطاني الأول و الوسطاني الثاني

القاعة الوسطى

باب يوصل لقاعة الجواني

مقصورة الجهة الشمالية الغربية

مقصورة بالجهة الجنوبية الغربية

مقصورة بالجهة الشمالية الشرقية

مقصورة بالجهة الجنوبية الشرقية

نقلا عن دائرة آثار مدينة دمشق

القاعة الساخنة (الجواني):

نصل إلى هذه القاعة عن طريق الباب الموجود في الجهة الشمالية للقاعة المستديرة (الوسطاني الثاني)، وهو القسم الداخلي الحار من الحمام.

وهي قاعة مستطيلة المسقط ممتدة من الشرق إلى الغرب بطول (٩,٦٠ م) وعرض (٣,٤٠ م)، مغطاة بقبو نصف إسطواني، يتوسط الجدار الشمالي للقاعة دخلة معقودة بعقد مدبب، يشغل أسفلها مصطبة الحرارة، وهي مصطبة حجرية تبرز على شكل

نصف دائري، يبلغ ارتفاعها (٦٠سم)، وفي منتصف الجدار الداخلي للدخلة نافذة مربعة، تشرف على بيت النار.

وفي طرف القاعة الشمالي للجدار الغربي هناك باب آخر أيضاً، عليه عقد مدبب، يبلغ اتساعه (٢م) وعمقه (٣٠سم) يفضي إلى مقصورة مربعة الشكل. فرشت أرضيتها ببلاطات رخامية ذات ألوان متعددة، فوقها قبة نصف دائرية، حملت على صف من المقرنصات ذات شكل محرابي.

وفي الجدار الجنوبي لهذه القاعة باب للدخول إليها، يقع على جانبيه الشرقي والغربي أيضاً بابان متشابهان، يبلغ اتساع كل منهما (٦٠سم)، يؤدي الباب الغربي منهما إلى مقصورة ذات شكل مستطيل. كما يؤدي الباب الثاني في الجهة الشرقية أيضاً إلى مقصورة ذات شكل مستطيل أيضاً. ثم نصل إلى الباب الثاني في الجهة الشرقية أيضاً فنجدته يؤدي بالتالي إلى مقصورة مربعة الشكل، وفي كلتا المقصورتين هناك قبة بيضاوي الشكل، حمل على أركانها الأربعة مقرنصات. فرشت أرضية هذه المقصورة ببلاطات رخامية متعددة الألوان، وهي مغطاة بقبة ذات قطاع نصف دائري. (الشكل ٩٧)



الشكل -٩٧ حمام الورد
قاعة الجواني بحمام الورد

ت: حمام الخانجي :

الموقع:

يقع حمام الخانجي شرق سوق ساروجة، وهو ملاصق لدار محمد باشا العظم، أو ما يعرف اليوم باسم (مركز الوثائق التاريخية).^(١٧٢) رمم هذا الحمام عام ١٩٩٢م كما هو مذكور على اللوحة التأسيسية في الواجهة الجنوبية، واستبدل نوع الحجر المستخدم في بنائه بنوع آخر حديث.

نشأته:

أنشأه الأمير صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفري، وقد كان أميراً عند الملك الناصر محمد بن قلاوون في مصر. تولى في فلسطين في مدينة القدس أواخر سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م. أطلق على الحمام اسم حمام العين في أوائل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي^(١٧٣) ربما نسبة لعين علي شرق سوق ساروجة.^(١٧٤) ثم عرف بعدها بحمام الخانجي، وهو لقب إحدى العائلات التي كانت في حي ساروجة في نهاية العصر العثماني.

الوصف المعماري

الواجهات

الواجهة الرئيسية (الجنوبية): تطل على حي ساروجة من الغرب إلى الشرق. حيث تبدأ هذه الواجهة من الغرب إلى الشمال بطول (١٧م)، وتبدأ الواجهة من الجهة الغربية بشباك رأسي ذي شكل مستطيل، يليه من جهة الشرق باب دخول، يبلغ اتساعه (١,٠٥م) وتعلوه قمرية مستديرة، وعلى بعد (٦٠سم) يلي الباب صف أفقي من أربع نوافذ متشابهة. (الشكل ٩٨ و ٩٩)

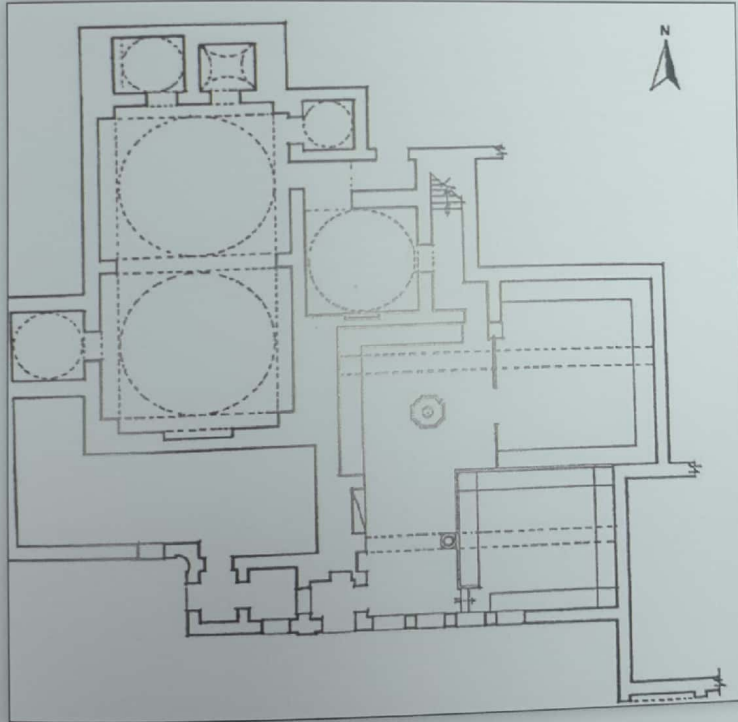
(١٧٢) كيال، منير: المرجع السابق، ص ٨٦

(١٧٣) ابن طولون: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٩

(١٧٤) ابن كنان: المصدر السابق، ص ٣٢٨



الشكل - ٩٨ حمام الخانجي
الواجهة الرئيسية الجنوبية لحمام الخانجي



الشكل - ٩٩ حمام الخانجي
المسقط الأفقي لحمام الخانجي
مفتاح الشكل:

القاعة الباردة (البراني) القاعة الدافئة (الوسطاني) القاعتان الساخنتان (الجواني)
نقلا عن: عادل زيادة: الحمامات الباقية بمدينة دمشق خلال العصرين المملوكي و العثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م

الواجهة الغربية :

وهي الواجهة الثانوية، وتطل على حي ساروجة، بلغ طولها (٦٠، ٢م)، وفيها باب للدخول، يبلغ اتساعه (٣٥، ١م)، يليه ممر، وهذا الممر يؤدي إلى القسم البراني. وقد كانت هذه الغرفة فيما مضى بيتاً للنار.

القاعة الباردة (البراني) :

يقسم إلى قسمين؛ شمالي وجنوبي، الجنوبي هو إيوان مستطيل الشكل، في وسطه عقدان يحملهما عمودان من الحجر، قاعدته مربعة الشكل، فوقها قاعدة تحمل شكل الكأس.

وفي الجهة الشرقية لهذا القسم تقع مصطبة مرتفعة عن مستوى الأرض، محاطة بسياج مصنوع حديثاً. وقد فرشت الأرضية بالرخام والحجر الأسود والوردي.^(١٧٥)

أما القسم الآخر للبراني وهو الشمالي فيبلغ طوله (٧م) وعرضه (٦م)، وتتوسطه بركة ذات شكل مثنى، بنيت من الرخام المزخرف باللون الوردي على شكل نجمي ذي رؤوس ستة، وفي منتصفها نافورة على شكل زهرة مرتكزة على شكل مخروطي. وهناك قناة مثمثة، يبلغ اتساعها (١٠سم) وعمقها (٣، ٠سم) لتصريف المياه الزائدة وهي تحيط بالبركة، ويبلغ ارتفاع هذه البركة (١م) وطول أضلاعها (٧٠سم). (الشكل ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢)

وأمام الجدارين الشمالي والغربي، هناك مصطبة حجرية، لها درجتان من الحجر، يبلغ ارتفاعهما (٨٠سم) وعمقهما (٢م)، وفي أعلى الجدار الشمالي نافذتان مستطيلتان، وهذا الإيوان مسقوف بالخشب.

الممر:

هو الممر الموصل للوسطاني ويقع في الطرف الشرقي للجدار الشمالي للبراني، وهو باب معقود، يبلغ اتساعه (٨٠سم) يفضي إلى ممر منكسر موصل لقاعة البراني. حيث يمتد هذا الانكسار (الأول) من الشرق إلى الغرب بطول (١٠، ١م) وعرض (٨٥سم)، بينما يمتد الانكسار الثاني من الجنوب إلى الشمال بطول (٣٥سم)، وينتهي بباب من الجهة الشمالية، يفضي عن طريق ثلاث درجات صاعدة لساحة مكشوفة خارج الحمام، وهي تستعمل كمنشر للمناشف. (الشكل ١٠٣)

(١٧٥) كيال، منير: المرجع السابق، ص ٨٦



الشكل - ١٠٠ حمام الخانجي
الإيوان الجنوبي لقاعة البراني في حمام الخانجي



الشكل - ١٠١ حمام الخانجي
الإيوان الشرقي لقاعة البراني في حمام الخانجي



الشكل -١٠٢ حمام الخانجي
البحيرة (الفسقية) الرخامية المثلثة التي تتوسط قاعة البراني في حمام الخانجي



الشكل -١٠٣ حمام الخانجي
الباب المؤدي للوسطاني في حمام الخانجي

القاعة الدافئة (الوسطاني) :

وهي حجرة مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها (٦٥، ٣م)، في جهتها الشمالية الشرقية حوض حجري على شكل ربع دائرة، وفي منتصف الجدار الجنوبي دخلة معقودة بعقد اتساعها (٧٥سم) وعمقها (٣٥سم) مرتفعة عن مستوى أرضية الغرفة بمقدار (٧٠سم). وهذه الغرفة مسقوفة بقبة نصف دائرية، حملت على مثلثات كروية الشكل، وعلى هذه القبة من الداخل تشكيلات هندسية منتظمة على شكل دوائر متداخلة. (الشكل ١٠٤ و ١٠٥)



الشكل - ١٠٤ حمام الخانجي

حوض مياه رخامي بالركن الشمالي الشرقي لقاعة الوسطاني في حمام الخانجي



الشكل - ١٠٥ حمام الخانجي

خوذة قاعة الوسطاني من الداخل في حمام الخانجي

الممر:

الممر الواصل للجواني هو ممر مستطيل، يبلغ طوله (١,٧٠ م) وعرضه (١,٥٥ م)، مغطى بقبو نصف أسطوانى، (الشكل ١٠٦) وفي الطرف الشمالي للجدار الغربي من الممر باب يبلغ اتساعه (٨٠ سم) معقود بعقد يفضي لردهة صغيرة يبلغ طولها (١,١٥ م) وعرضها (٨٠ سم) يفتح في جانبها الغربي عقد يؤدي إلى قاعة الجواني.

الجواني (القاعة الساخنة) :

هو عبارة عن قاعتين ذات شكل مربع، إحدهما في الجهة الشمالية، والأخرى في الجنوبية، بينهما عقد نصف دائري، وفوقهما قبة نصف دائرية محمولة على مثلثات كروية الشكل. يتخلل القبة عدة قمر في أشكال وتكوينات هندسية على شكل عدة دوائر متداخلة تحيط بقطب القبة، ويخرج من الدائرة الخارجية أقواس متقابلة، تشكل الزخارف شكلاً قريباً للطبق النجمي. أما القاعة الشمالية فهي مربعة الشكل، يبلغ طول ضلعها (٤,٩٥ م)، فيها جدران ثلاثة، كل جدار منها فيه عقود نصف دائرية ملتصقة بالجدران، تشترك مع القاعدتين بحمل قبة القاعة. ويبلغ اتساع كل قاعدة (٤,٣٥ م) وعمقها

(٤٠ سم). وفي الباب الشرقي للقاعة بابان متلاصقان، أحدهما باب الدخول للقسم الجواني، والثاني من جهة الشمال يفضي إلى مقصورة صغيرة مربعة، يبلغ طول ضلعها (١,٧٠ م). وفي كل من الجانبين الشرقي والجنوبي مصاطب حجرية.

أما الجدار الشمالي ففيه تجويف رأسي، يتوجه نصف طاسة أسفلها جرن من الرخام مستدير الشكل.

هذا وتتشابه جدران القاعة الجنوبية مع نظيراتها في الشمالية، من حيث العقود نصف الدائرية لحمل القبة التي تغطيها.^(١٧) وفي نصف القاعة الشرقي مصطبة مكسوة بالرخام الملون، وهي مرتفعة عن مستوى الأرضية لهذه الغرفة. (الشكل ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩)

(١٧٦) زيادة، عادل: المرجع السابق، ص ١١٩



الشكل -١٠٦ حمام الخانجي
قاعة الجواني من الشمال إلى الجنوب في حمام الخانجي



الشكل -١٠٧ حمام الخانجي
قبة القاعة الجنوبية للجواني من الخارج في حمام الخانجي
من تصوير الباحثة إبريل ٢٠١٢



الشكل -١٠٨ حمام الخانجي
قبة قاعة الجواني من الداخل في حمام الخانجي



الشكل -١٠٩ حمام الخانجي
مقصورة في الجانب الشمالي لقاعة الجواني في حمام الخانجي

رابعاً: السُّبُل (الشكل ١١٠)



الشكل ١١٠ سبل الماء في ساروجة

يوضح الشكل تقاطع المحور الرئيس ساروجة مع محور جوزة الحدبا وتوضع سبيل في الزاوية الميتة وتوضح أيضاً سبيل آخر في الواجهة الجنوبية لجامع الورد وكذلك سبيل في جامع بلبان وسبيل آخر في الرحبة الرئيسية

كان الاهتمام ببناء السبل عادة قديمة عند كل الملوك والسلاطين، أما عند المسلمين فقد أخذت طابعاً مميزاً، حيث سارع أهل الخير والأغنياء للتنافس فيما بينهم لبناء المنشآت خدمة للعامة، كما سارع السلاطين والأمراء والحكام إلى إنشاء السبل في الأزقة والطرق، وفي الأماكن العامة حتى يعم الخير، وبذلك ينالون الأجر والثواب، ونظراً لأهمية تلك المنشآت المعمارية في الحياة العامة، فنادرًا ما نجد مدينة إسلامية تخلو من سبيل أو عدة سبل.

انتشرت السبل في الأقطار العربية والإسلامية وبلاد العرب، ولاسيما في مكة والمدينة ومصر ودمشق، وكانوا يبنون إلى

جوارها أحياناً بيوتاً تأوي إليها المارة وعابرو السبيل، وأول بناء للسبل كان في مصر في العصر المملوكي؛ في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكان معظمها من أعمال الأمراء والسلاطين ونسائهم، تكفيراً عن الذنوب والآثام. كما بنى الأغنياء تلك السبل كصدقة جارية لأنفسهم أو لأبنائهم أو لأحد أقاربهم المتوفين، وكانوا يبنون تحتها صهريجاً لتخزين الماء يستخدم للشرب، وكان يسمح للمارة من كل الجنسيات والممل من المسيحيين واليهود والأجانب كذلك باستعمالها، ولم يكن الماء ينقطع عنها أبداً.

والسُّبُل جمع لكلمة سبيل، والسبيل يعني المكان الذي يوفر الماء لإرواء الظامئين، وهو لون من ألوان البر والإحسان، ندر وجوده في معظم دول العالم. والسبل كانت الدليل القاطع على رعاية الإسلام للإنسان مهما كان جنسه أو دينه من خلال توفير المياه العذبة لشربه، وهو ما لم تعرفه أوروبا في عصر إنشاء السبيل الإسلامي. ويعد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان صاحب أول سبيل في الإسلام، فقد روي: «في صحيح البخاري قال عثمان قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ يَشْتَرِي بئرَ رُومَةَ^(١٧٧) فيكون دلوهُ فيها كدلاءِ المسلمينَ فاشْتَرَاهَا عثمانُ رضي الله عنه».

وكان العرب المسلمون يرون الماء من نعم الله التي لا يوفيهها الشكر حقها، ومقامه فوق كل مقام، وأنه من أحسن ما تتمناه النفس، ومع هذه الحاجة التي لا غنى عنها للماء، انتشرت مساكن المدن بالقرب من مصادر المياه، وتمكن الإنسان بعقريته من إيصال الماء إلى بيته وقريته ومدينته، وإلى الطرقات وغيرها.

لأجل ما تقدم؛ انتشرت السبل كوحدات معمارية لتأدية هذا الغرض، واشتقت تسميتها من (ابن السبيل) أي الطريق، وكانت هذه السبل على نوعين:

- الأول منها: يوفر الماء لشرب الناس.

- الثاني منها: يوفر الماء لشرب الدواب.

وإذا تذكرنا بأن الدواب كانت وسيلة رئيسة في حياة أبناء دمشق في الزمن الماضي، في مواصلاتهم وتنقلاتهم في دمشق وما حولها، عرفنا أهمية السبل لتأمين مياه الشرب لتلك الدواب، التي هي عبارة عن بركة ماء طويلة تقف أمامها الدواب على

(١٧٧) بئر رومة: هي بئر قديمة تنسب لرجل من قبيلة غفار اسمه رومة يقال إنه اشتراها من رجل مزني، وتقع في الشمال الغربي من المدينة المنورة قرب مجرى وادي العقيق، وتبعد عن المسجد النبوي حوالي خمسة كيلومترات. وفي العهد النبوي احتاج المسلمون إليها وكان يملكها رجل يهودي. وفي رواية رجل من غفار. فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على بذلها للمسلمين فاشترها عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعلها في سبيل الله ويروى أنه زاد في حفرها ووسعها. وقد ظلت هذه البئر معلماً تاريخياً عبر العصور الماضية ويبدو أنها أهملت في بعض الأوقات وردمت أو جف مأوها ثم حفرت وبنيت جدرانها وفوهتها. وتسمى بئر عثمان. وتذكر بعض المصادر أن البستان المحيط بها كان وقفاً للمسجد النبوي ويسمى أيضاً بستان عثمان. www.al-madinah.org

اختلاف أنواعها منها: الجمال التي كانت وسيلة حمل الحطب، الذي يباع في الشتاء لوقود المدافئ حينها، والخيول التي تجر العربات، وهي وسيلة رئيسة للمواصلات ونقل الركاب بين أحياء دمشق، والبغال التي تجر «الطنابر»، والحمير التي يستخدمها الباعة... وكانت تلك السبل منتشرة في معظم أحياء المدينة، حيث تسيل فيها المياه التي تغذيها فروع نهر بردى بصورة دائمة. والذي يقرأ عن أنواع الأوقاف الخيرية في أنحاء العالم الإسلامي، وخصوصاً منها في مدينة دمشق، يرى ما لا يمكن أن يرى مثيلاً له في أي بلد في العالم.

أما سبل مياه الشرب للبشر، فقد كانت عبارة عن صنابير وفق النوع المعروف في زمن إنشاء السبيل، لكن الملاحظ أن معظم السبل تكون أمامها أو قريباً منها بحرة ماء يتدفق منها الماء بصورة مستمرة، وهي مخصصة لشرب الدواب، وهولون من أنواع الخير الذي كان يرجو أصحابها من ورائه الأجر من الله تعالى، فلا عجب والحال هذه إذا وجدنا انتشار السبل في هذه المدينة، كذلك في معظم حاراتها وأزقتها لتروي ظمأ العطشى وخصوصاً الغرباء من زوارها، وتوفر أيضاً مياه الشرب لتروي ظمأ الدواب التي تعمل في خدمة الناس ونقل حاجياتهم.^(١٧٨)

أ: سبيل جامع الورد (برسبای):

أنشئ عام ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٤ م على الجهة الشرقية لجدار عقار مجاور لجامع الورد. وسمي بذلك نسبة لبانيه برسبای الحاجب الذي توفي سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م، ودفن في الجامع السابق ذكره، وهذا السبيل ذو طراز فريد من نوعه، وهو يمتاز بجمال طريقة بنائه وزخرفته. وقد بني هذا السبيل من الحجر الأبلق المتناوب. ويتألف من ثلاث فتحات على شكل أقواس، يتوسط القوس الأوسط لوحة منقوشة، كتب عليها أبيات شعرية تعود لتاريخ ١٢٥٨ هـ، وهذا النقش يعود للفترة العثمانية: أما السبيل فقد أنشئ لأول مرة في الفترة المملوكية، وجُدد في العهد العثماني. وعليه النقش التالي: (الشكل ١١١)

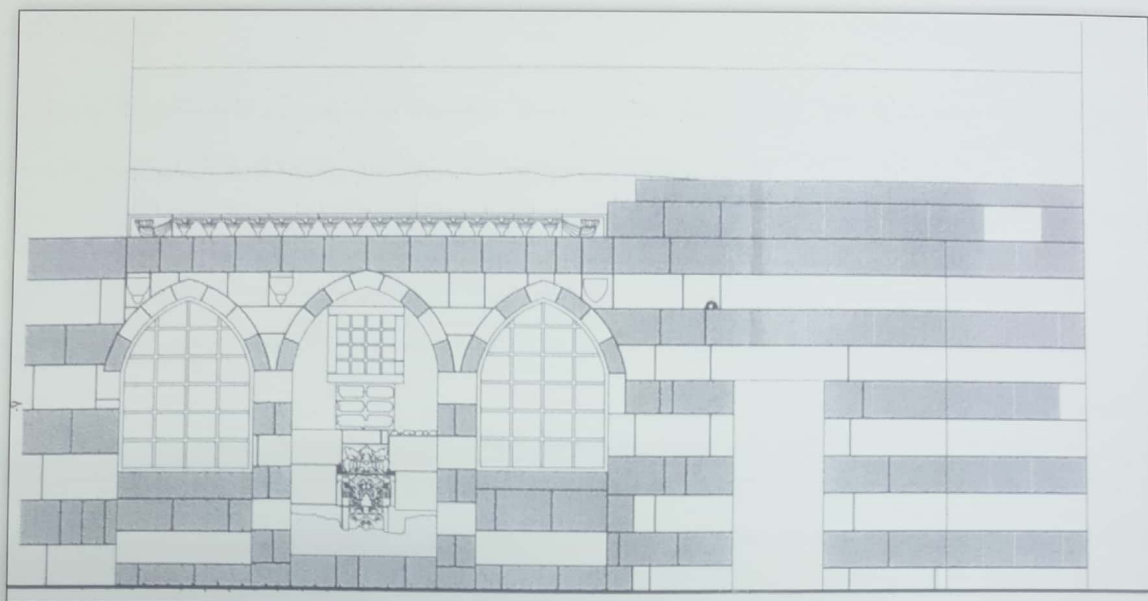
فاز من أنشأ سبيلا للنجاة أضحى وسيلا

من إله العرش حقاً قد منح خيراً جزيلا

أرختها حق هدى عيناً تنتهي سلسبيلا^(١٧٩)

(١٧٨) www.Alwaei.com

(١٧٩) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ١٢٠، ١٢١



الشكل - ١١١ سبيل جامع الورد

مقطع لواجهة سبيل جامع الورد

نقلا عن: ندى الحلاق وآخرون، دراسة الأسس العمرانية و التصميمية لمحور ساروجة. كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٩٥



الشكل - ١١١ سبيل جامع الورد

صورة لسبيل جامع الورد

خامساً: الزوايا

كانت الزوايا كالحانات والربط ملجأ للصوفية المتعبدين، تقام فيها الأذكار، وقد ازداد عدد الزوايا بازدياد الطرق الصوفية، وكان لبعضها زاوية في دمشق. وقد قصدوا العوام للزيارة والتبرك.^(١٨٠)

وقد بلغ عددها ستاً وعشرين زاوية، منها:

أ: الزاوية الدهستانية:

تقع هذه الزاوية عند سوق الخيل، وقد أنشأها الشيخ الدهستاني الذي توفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ودفن بها، وكان له من السنين ١٠٤ أعوام، والله أعلم.^(١٨١)

سادساً: الخانات

أ: خان العنبري:

يقع خان العنبري في خط سوق ساروجة، وقد وصف بأنه يحتوي على ساحة، في وسطها بركة ماء يسحب من نهر ثورا، ويتضمن ثلاث بوائك لكل منها باب، وهي بمجملها مبنية على قناطر حجرية، وبها أسقف خشبية. ووجد فيها عشرة مخازن. وفي الأسفل مرتفق يشتمل على أربع بيوت، يصعد إلى الطابق العلوي فيها عن طريق سلمين حجريين، الأول في جانبها الشرقي؛ والثاني في الجانب الغربي من الخان. كما اشتمل على مخازن بالطابق العلوي تطل على وسط الخان. أما حدود هذا الخان فهي أربعة: الأول القبلي؛ وينتهي بالطريق العام، وفيه باب الخان الذي يؤدي لمسجد ساروجة (الورد) والثاني الشمالي؛ وينتهي بدار ابن صبح والثالث الشرقي؛ وينتهي بحكر ابن صبح والرابع الحد الغربي.^(١٨٢) لكن هذا الخان اندثر ولم يعد موجوداً.

(١٨٠) جميل نعيصة، د. يوسف: المرجع السابق، ص ١٦٤

(١٨١) بدران، عبد القادر: المصدر السابق، ص ٣٠٤؛ النعيمي: المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ كرد علي، محمد: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٣٦

(١٨٢) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٤٧٤؛ المنجد، صلاح الدين: المرجع السابق، ص ٥١

الفصل الثالث

المرحلة العثمانية:

تأسست الدولة العثمانية على يد العثمانيين الذين امتد حكمهم بين عامي ٩٢٢-١٢٣٧هـ / ١٥١٦-١٩١٨م.

بعد دخول السلطان العثماني سليم مدينة دمشق إثر انتصاره في معركة مرج دابق في حلب ومقتل السلطان المملوكي قانصوه الغوري، و أصبحت دمشق ملحقة بالدولة العثمانية في حكمها وعاداتها ولغتها، وكان الرابط الوحيد بين السلطة العثمانية والشعب يتمثل بالرابط الديني.

بعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية، وهذا ما أدى إلى ترحيب دمشق بسيادة العثمانيين. كما تأثرت دمشق تأثراً كبيراً في العهد العثماني بالحاكم العثماني، فتقمصت بعضاً من تقاليده وعاداته، وأصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية. بينما صار واقع دمشق في ظل الحكم العثماني يعاني من جباية الضرائب، التي أرهقت ميزانية دمشق، إلى أن أمنت الإمبراطورية العثمانية حدودها الخارجية من خطر الغزو والعدوان الخارجي.

وعلى الرغم من ذلك، فإن التجارة العالمية لم تنضب في كل الفترات، فقد كان في المدينة بيوت لتجار من فرنسا والبندقية. وقد أكد ذلك الرحالة الأوروبي (دارفيو) الذي تغنى بأسواق دمشق، عندما زارها عام ١٦٦٠م، فكتب في مذكراته عنها. (١٨٣) حيث لقيت دمشق في ظل العثمانيين اهتماماً لم تشهده أية مدينة أخرى، وما كان ذلك ليكون لولا تجمع قوافل الحج فيها، وهذا الشيء عوضها عن خسائرها الاقتصادية. فقد اهتم السلاطين وكبارم وظيفي السلطنة بالأبنية الوقفية بشكل رئيس، ولهذا قاموا بنقل النموذج المعماري السائد في إسطنبول وإلى دمشق، مع بقاء العنصر الدمشقي في العمارة. وقد كانت السمة المميزة للعمارة العثمانية في دمشق كالقبة المركزية. فاهتموا ببناء الحمامات العامة والدور والقصور والجوامع وأكثرها منها، ويلاحظ أنها أصبحت أكثر اتساعاً وراحة، و ازداد الاهتمام بالمظهر الداخلي من باحات وغرف، في حين كانت الواجهات الخارجية فقيرة وبسيطة، وهذا ما أضفى على دمشق وجهاً جديداً، جعلها درة في العمارة حينها. (١٨٤)

وإذا ما مررنا بالأحداث السياسية خلال هذا العصر؛ فإننا نراها تتمحور في تعيين والٍ وعزل آخر، أو في النزاع بين الطوائف من الجند، وهذا الأمور انعكست على دمشق و كان على عاتق الوالي في دمشق أمران رئيسان: الأول هو حماية الحجاج من غزوات البدو، والثاني يتجلى في حفظ الأمن.

ومن الجدير ذكره أنه تميزت طبقة من الحكام العرب الذين بزغ نجمهم في خضم الصراع على الساحة السياسية، أثناء

(١٨٣) الريحاوي، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٤٠

(١٨٤) Weber.Stefan.Damaskus im 19 und Fruhen 20. Jahrhtandert. Uneversitat Berline. Dissertation. 2001. p34

الحكم العثماني لبلاد الشام، وتحديدًا في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد ظهر أمراء في لبنان (الشهابيون)، وسبقهم طوال أكثر من نصف قرن بدمشق (آل العظم).

أما القرن التاسع عشر، فقد تميز بثلاثة أحداث:

١- حملة نابليون والتدخل الخارجي.

٢- ظهور محمد علي.

٣- الفتنة الطائفية، وما نتج عنها من ازدياد نفوذ الدول الأجنبية.

وقد ألزمت هذه التطورات السلطان بالتعجيل في سياسة الإصلاح الداخلي لمواكبة الضغوط الخارجية، ففجلت هذه الأحداث بأطر التحسين من قبل الدولة، فكانت البداية مع الولاة، حيث أرسلت النخبة الذين باشروا بأعمال التنظيم والإصلاح، فتأسست المدارس الحديثة، وأصدرت الصحف، وتشكلت الجمعيات والأحزاب. التي أخذت تطالب باللغة العربية كلفة رسمية في الدولة. ثم كانت الحرب العالمية الأولى التي هدفت للتخلص من سيادة العثمانيين وإقامة كيان عربي، فانتصر فيصل بن الحسين عام ١٩١٨م. وتمكن من رفع الراية العربية، وأنهى فترة الحكم العثماني في البلاد.^(١٨٥)

أولاً: المدارس

أ: المدرسة المرادية:

الموقع:

أنشأ الشيخ مروان المدرسة في سويقة ساروجة، واقتطع منها إمام الجامع بيتاً له، وألحق بها مسجداً. يوجد بداخلها ثلاث غرف تحيط بالباحة المستطيلة، وذكر في خطط الشام أنه كان يوجد فيها عدة غرف، يقيم في إحداها الشيخ أحمد رمضان إمام الجامع، وهناك قبران يقومان داخل غرفة الضريح صغيرة الحجم، ولها بابان؛ الأول يتفتح إلى داخل الحرم، والثاني على زقاق يتفرع من حارة الورد، والقبران هما: قبر الشيخ محمد بن مراد الكبير المتوفى عام ١١٦٩هـ، وقبر ولده الشيخ علي المتوفى عام ١١٨٤هـ. وهي تعرف اليوم بمسجد البخاري، أما المدرسة فتعرف بجامع البخاري في سوق ساروجة. وقد بني أمام واجهتها القبليّة (ملجأ).^(١٨٦) بينما ذكر الشهابي أنه وجد فيها ثلاثة أضرحة.^(١٨٧)

(١٨٥) الريحاوي، عبد القادر: المرجع السابق، ص ٨٢. ٨٣

(١٨٦) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٢٧٦

(١٨٧) الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص ٤٣١

واقفها:

أسس المدرسة المرادية الشيخ مروان بن علي البخاري النقشبندي، الذي قال عنه المرادي: «جدنا الكبير ولد سنة ١٠٥٠هـ في سمرقند، ثم أصيب بالعجز في قدميه، وصار مقعداً»^(١٨٨) وقد تلقى العلوم وحج البلاد وجابها، ثم قدم إلى دمشق بعد عام ١٠٨٠هـ، وتحول بعدها إلى القسطنطينية، وصار له محل عظيم، وكان الحكام يهابونه، وقد أخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق إقطاعاً بمال يدفعه إلى الخزينة الرسمية في كل سنة، وهو ما كان يُعرف بالمالكانة، وهو أول من دفع إلى الخزينة المركزية.

توفي في القسطنطينية ودفن فيها عام ١١٢٣هـ.^(١٨٩)

الوصف المعماري

الواجهات:

لم يكن للمدرسة إلا واجهة وحيدة تقع في الجهة الغربية، (الشكل ١١٢) يبلغ طول ضلعها (١٥, ١٠م)، وتطل على حارة الورد، وهي في الوقت نفسه تؤلف جزءاً من قاعدة المئذنة. وفي الواجهة ذاتها هناك باب كبير للدخول إلى صحن المدرسة، وهذا الباب مستطيل الشكل، يبلغ اتساعه (١م) وارتفاعه (١,٧٥م)، أما الصحن فهو مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده (١١م × ٨م)، وأرضيته مرصوفة بالبلاط الأبيض، غُطي بسقف من ألواح التوتياء، ويوجد في الجهة الشمالية منه خمس غرف، كانت تستخدم من طلاب العلم الوافدين إليها، وقد تشابهت أربع غرف منها من حيث المساحة والتخطيط، حيث بلغ عمق كل غرفة (٣,٣م) واتساعها (٣,٥م) ولكل غرفة فتحة باب بلغ ارتفاعها (٢م) واتساعها (٩٠م). وفتح إلى الشرق والغرب من فتحة باب الدخول نافذتان بلغ ارتفاع كل منهما (١,٣٨م) بينما كان اتساعها (٩٠م). أما الغرفة الخامسة فتقع في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن، يبلغ طول ضلعها (٥م) اتساعها (٣,٧م) لها فتحة باب للدخول، يبلغ ارتفاعها (٢,٠٢م) واتساعها (٩٥م)، وسقفت الغرفة بسقف قائم على عوارض خشبية.

(١٨٨) العلبي، أكرم: المرجع السابق، ص ٢٦٦

(١٨٩) لطفي، لطفي فؤاد: المرجع السابق، ص ٣٩٥، ٣٩٦



الشكل - ١١٢ مسجد المرادي
مدخل مسجد المرادي الموجود في الواجهة الغربية

أما الجانب الجنوبي من الصحن فهو عبارة عن رواق محمول على ثلاثة أعمدة، يبلغ اتساع فتحة عقودها (٢,٥م) وارتفاعها (٤,٣م) بنيت بحجارة متناوبة باللونين الأبيض والأسود. وفي أعلى تلك الواجهة هناك نافذتان مستديرتان، غطيتا بألواح من الخشب فوق شبك معدني.

بينما وجد في الواجهة الشرقية في جزئها الشمالي من الصحن، العناصر المعمارية الباقية لغرفتين اقتطعتا من باب الجوار، تشابهت مع الغرف في الواجهة الشمالية من حيث الأبعاد.

أما في الجزء الجنوبي من الواجهة فيوجد ممر يؤدي إلى دورات المياه، وهو يضيق كلما اتجهنا باتجاه الشرق، إذ يبلغ عرضه (١,٥م)، وفي نهايته عند دورات المياه يصل إلى (١٠,١م). أما مئذنة المسجد فقد كانت بسيطة، ذات تأثير مملوكي. (الشكل ١١٣ و ١١٤ و ١١٥)



الشكل - ١١٣ مسجد المرادي
قبة مقام المرادي



الشكل - ١١٤ مسجد المرادي
مئذنة مسجد المرادي



الشكل - ١١٥ مسجد المرادي
نافذة المقام المطلة على الحارة

ثانياً: الجوامع

أ: مسجد الصبح: (مسجد الصبحي)

يقع مسجد الصبح في سوق ساروجة، حارة القولي. وهو مسجد صغير له سقف خشبي، ومحراب، ومنبر صغير الحجم، وقد جُعل الجزء المكشوف منه داراً للإمام، قام بتجديد سقفه المرحوم أحمد عزت باشا العابد سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. كما قام الرئيس بشار الأسد بتجديد ترميمه في ١٢ ربيع الأول ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.^(١٩٠) (الشكل ١١٦)



الشكل ١١٦- مسجد الصبح
الواجهة الغربية لمسجد الصبح

(١٩٠) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٣٥

ب: مسجد بندق

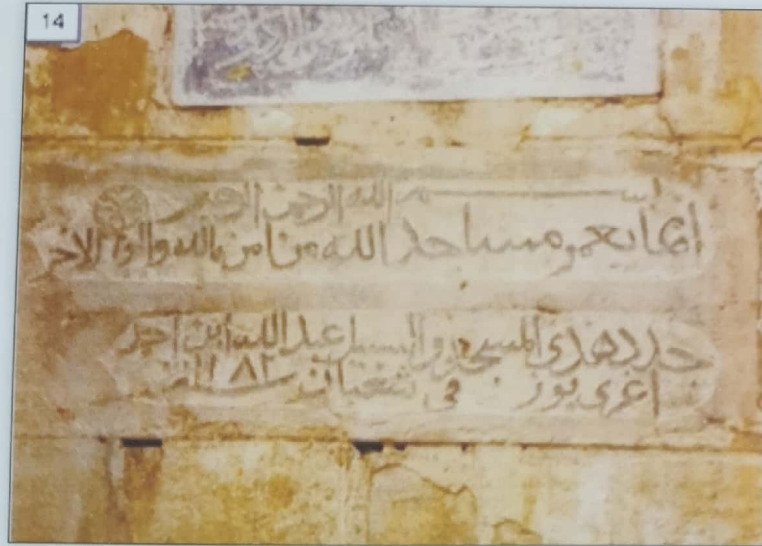
يقع مسجد بندق في سوق ساروجة، حارة القولي، دخلة الدولاب رقم العقار ٤١٤. (الشكل ١١٧) نقش على بابه: «عمر هذا المسجد الشريف العالي ومرقد الشيخ محمد بندق الولي بمعرفة السيد سليمان مأمور روزنامجة أردو عربستان سنة ١٢٦١هـ»، وتحت هذه الكتابة لوحة كُتِبَ عليها: «بسملة إنما يعمر مساجد الله... جدد هذا السبيل والمسجد عبد الله ابن أحمد أغري بوز في شعبان سنة ١٢٨٢هـ». وتحت تلك اللوحة أيضاً لوحة ثالثة كتب عليها: «بسملة وسقا هم ربهم شراباً طهوراً أنشأ هذا السبيل والمنارة الفقير إبراهيم بن محمد سنة ١٢٠٤هـ». (الشكل ١١٨) وهناك سبيل معطل إلى جانب باب المسجد. (الشكل ١١٩) وقد بلغت مساحة هذا المسجد قديماً ١٦٠ م^٢.



الشكل ١١٧- جامع بندق

مسقط جامع بندق

نقلا عن: مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني



الشكل - ١١٨ جامع بندق

النقش الكتابي الموجود في الواجهة الرئيسة لجامع بندق
نقلا عن مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني



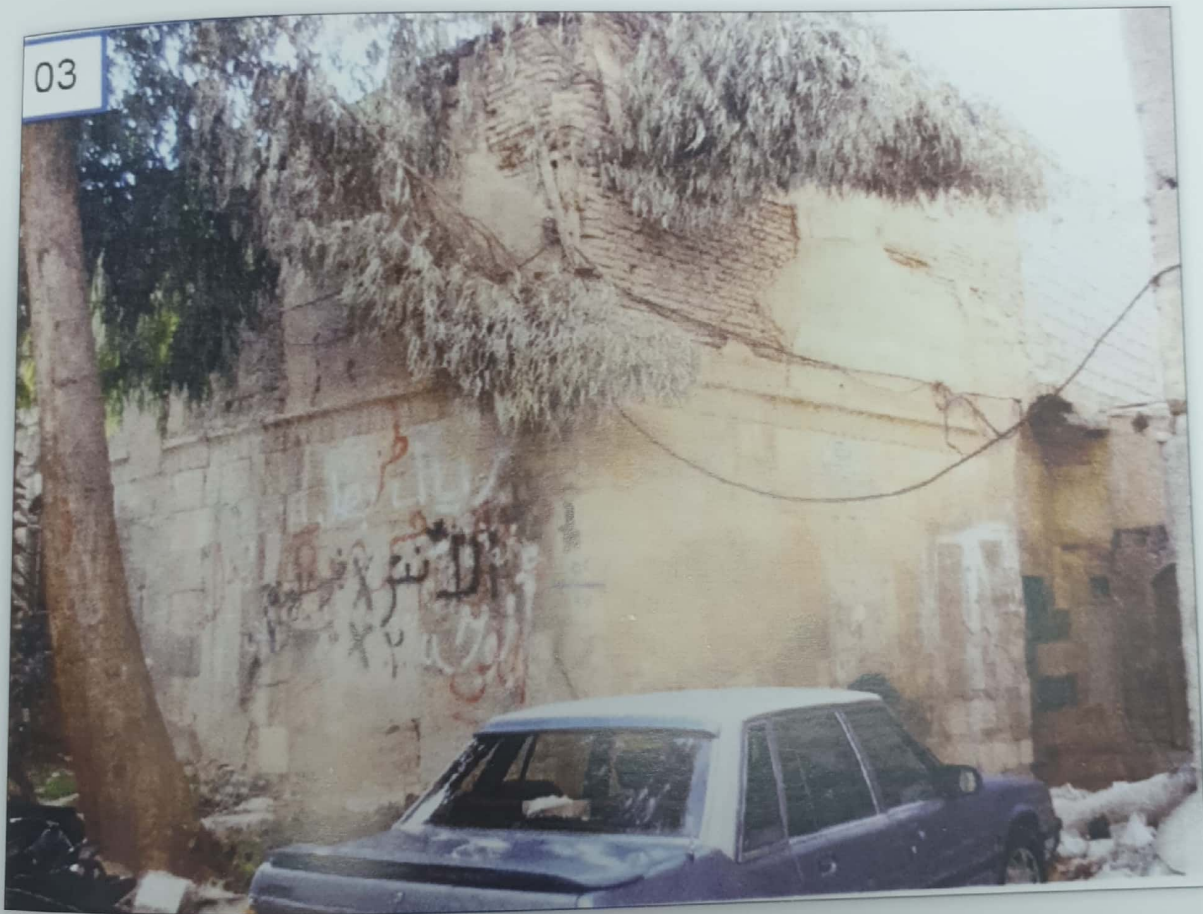
الشكل - ١١٩ جامع بندق

مكان السبيل القديم في جامع بندق

نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني

تألف المسجد من صحن يُصعد إليه بدرجتين، فيه غرفتان غريبتان، وهناك غرفة أخرى تقع في جهة الشرق وجد فيها الضريح (٧، ٤٠ سم × ٩٥ سم، ٣٠ سم)، ومن المحتمل أن تكون هذه الغرفة أقدم المعالم في المنزل، لأن سقفها يدل على ذلك. وفي الزاوية الشرقية للصحن يوجد المصلى وهو عبارة عن غرفة صغيرة (٧٧، ٧ م × ٤ م) فيها محراب حجري (٧٠، ٣ م × ٦٤ م)، يطل على الصحن نافذة وآخر يطل على الطريق. والمسجد اليوم لا يحتوي سوى على منارة خشبية فوق قبة الضريح يتم الصعود إليها بسلم. (١٩١)

أما الآن فمساحته الإجمالية حوالي ١٧٠ م^٢ وهو قيد الترميم. (الأشكال ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ تبين المسجد قبل الترميم)



الشكل - ١٢٠ جامع بندق

جامع بندق موقعه بدخلة الدولا ب وواجهته الشرقية قبل الترميم

نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني

(١٩١) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ١٩٩



الشكل -١٢١ جامع بندق

الواجهات الخارجية والداخلية في جامع بندق قبل الترميم
نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني



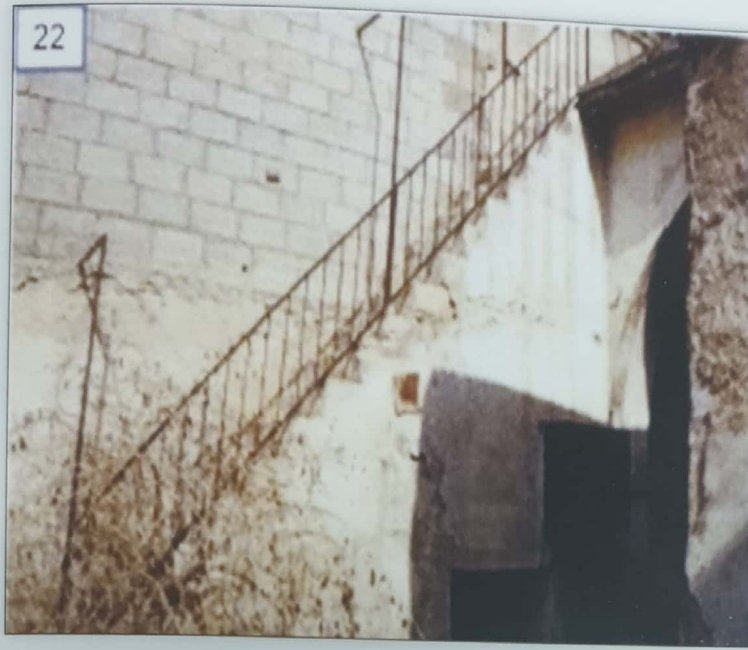
الشكل -١٢٣ جامع بندق

المحراب الداخلي قبل الترميم

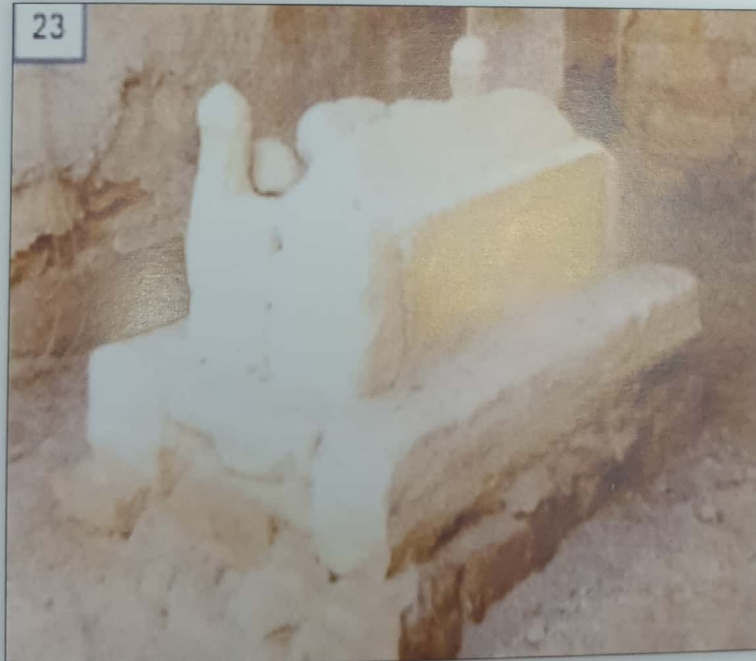
نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني

الشكل -١٢٢ جامع بندق

المحراب الخارجي قبل الترميم



الشكل - ١٢٤ جامع بندق
الدرج المؤدي للسطح قبل الترميم



نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني
الشكل - ١٢٥ جامع بندق
الضريح قبل الترميم

نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني



الشكل -١٢٦ جامع بندق

الأوساخ المتراكمة أمام الباب الرئيسي قبل الترميم

نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني

أعمال الترميم التي تمت على المسجد:

- إزالة المستحدثات من الداخل والخارج من كبلات وأجهزة إنارة وعدادت، واستئصال جميع الأشجار والنباتات ضمن المسجد ومعالجتها، وقص أفرع الشجرة المستندة على زاوية المسجد وترحيلها، إلى جانب قص العمود الخشبي البارز عند قوس المدخل وترحيله.
- إعادة بناء الغرف المتهاكة (غرفة الإمام والميضأة) بالمواد التقليدية (بلوك قرميدي- سقف خشب ...) حسب المخطط التنفيذي للترميم. (الشكل ١٢٧)
- تفريغ التراب حتى أسفل جدار الواجهة الخارجية الشرقية، ثم تنفيذ صبة بيتونية للحوض الخارجي.
- رمت الواجهات الخارجية والداخلية. (الشكل ١٢٨)
- رمم السبيل الخارجي.
- رمم الدرج الصاعد للسطح مع الداريزين المعدني. (الشكل ١٢٩)

- رمم القبر الحجري بشكل شامل. (الشكل ١٣٠)
 - معالجة السطح بجميع أجزائه.
 - يتم تنفيذ جميع أنواع التمديدات الصحية والكهربائية وما يتعلق بالإذاعة والتكييف والتدفئة بشكل مخفي ومعزول.
 - نفذت الحمايات المعدنية الأثرية للنوافذ. (الشكل ١٣١)
 - تم تأهيل الرسومات الموجودة فوق الباب الخارجي. (١٩٣)
- الأشكال ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ توضح مساقط مسجد بندق



الشكل - ١٢٧ مسجد بندق
المصلى و غرفة الإمام و النافذة المطلة على حارة القولي



الشكل - ١٢٨ جامع بندق
ترميم الواجهات الداخلية لصحن المسجد



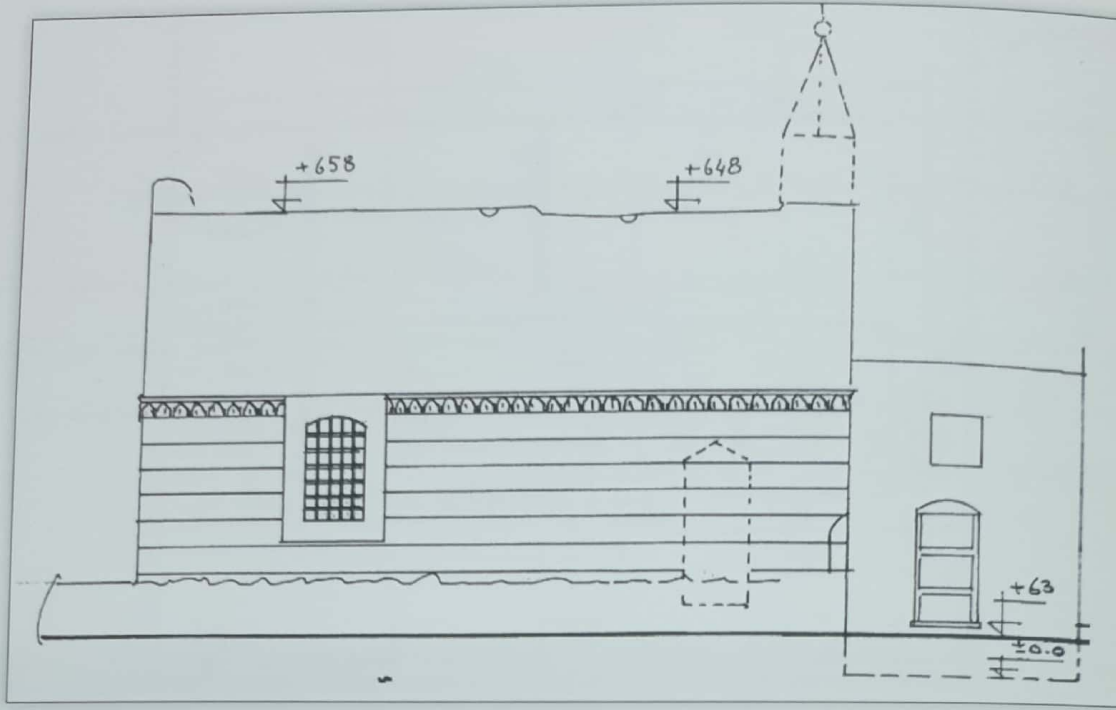
الشكل - ١٢٩ مسجد بندق
الدرج المؤدي للسطح بعد ترميمه



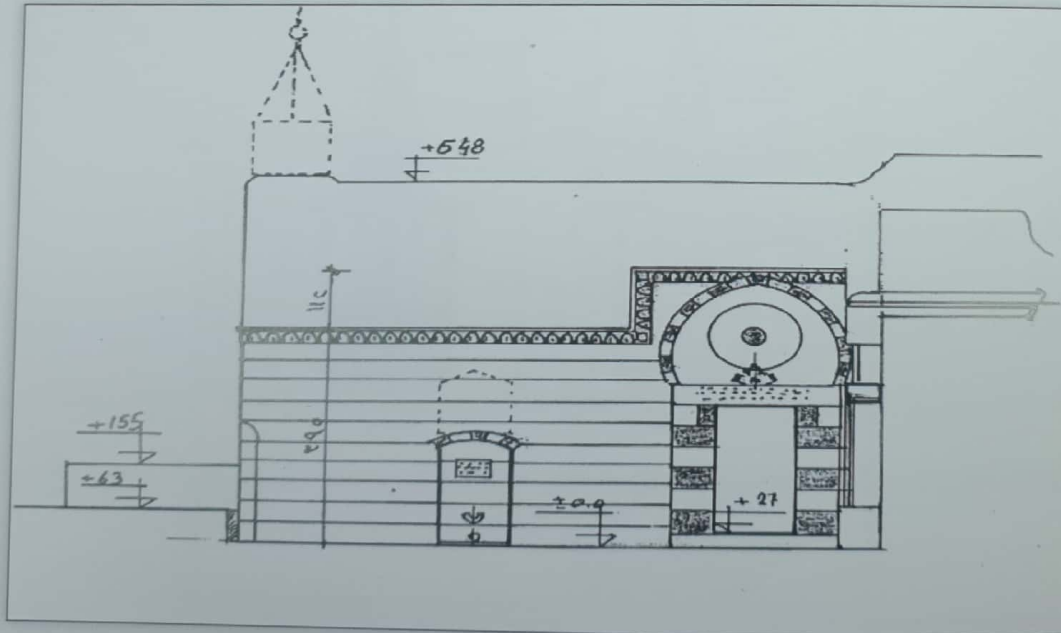
الشكل - ١٣٠ مسجد بندق
غرفة الضريح الشرقية
من تصوير الباحثة مارس ٢٠١٢



الشكل - ١٣١ مسجد بندق
الصحن و باب المصلى و النافذة المطل على الصحن أثناء القيام بعملية الترميم لمسجد بندق
من تصوير الباحثة مارس ٢٠١٢



الشكل ١٣٢- جامع بندق
الواجهة الشرقية لجامع بندق
نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني



الشكل ١٣٣- جامع بندق
الواجهة الشمالية لجامع بندق
نقلا عن : مكتب المساجد و المباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق، المكتب الفني

ت: مسجد القرماني :

وهو من المساجد المندثرة أنشأه محمد القرماني سنة ٩٦٩هـ / ١٥٦١ - ١٥٦٢ م.^(١٩٣) يتكون من صحن صغير فرشت أرضيته ببلاطات حجرية، في منتصفه فسقية ذات شكل مثنى، وفي شرق الصحن إيوان مستطيل تحته غرفة.

أما الجزء الجنوبي من الصحن فيتألف من عقدين يرتكز طرفهما الداخليان على عمودين، بينما ترتكز قاعدتهما الخارجيتان على الجدار، ويتقدمهما عقدان آخران. يتوسط جدار القبلة محراب حجري مغشى بطبقة من الكلس، وفي وسطه شباك يطلان على الطريق، فوقهما ثلاث فتحات. ذكر أنه كان لهذا المسجد قبة أو (منارة) تهدمت منذ وقت قريب ولم يبق منها شيء. وقد كان له واجهة حجرية، نقش عليها:

كاتب الحرمين لله بنى مسجداً يرجو به خير العمل
قلت لما أكملوا بنيانه إن في تاريخه الخير حصل^(١٩٤)

ث: مسجد الداغستاني :

وهو من المساجد المندثرة ويطلق عليه أيضاً اسم مسجد الدليل لأنه يقع في دخلة الدليل، وهو صغير نسبياً، يتم الوصول إليه بدرجتين، يؤدي الباب إلى صحن صغير جداً مع بركة صغيرة للماء، وفيه محراب بسيط.

وقد نقش على بابه التالي:

«عمر هذا الباب الحاج أحمد القارصي ووهب ثوابه لابنه المرحوم منلا محمد سنة ١١٣٢هـ».^(١٩٥)

ج: مسجد الخليلي: وهو من المساجد المندثرة

يقع مسجد الخليلي في سوق ساروجة، زقاق العناتبة.

وهو عبارة عن مسجد صغير الحجم، يدخل إليه من حارة الخليلي، حيث يوجد في هذه الحارة ساحة واسعة يمكن أن تكون الجزء المكشوف من الجامع، لأن منارته والحمامات تقع في أول الدخلة فوق السقاية. وليس لهذا المسجد في الوقت الحاضر سوى جزء مكشوف بسيط، وجدار قبلة فيها محراب ومنبر صغيران.^(١٩٦)

(١٩٣) الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٤٤، ١٤٥

(١٩٤) الإيبش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٤٥؛ الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ٢٣٣

(١٩٥) الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢١٥؛ ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢١٦

(١٩٦) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢١٢، ٢١٣

ح: مسجد جرنقيل:

وهو من المساجد المندثرة كان يقع في حارة داور آغا. وقد ذكر د. قتيبة الشهابي في معجمه أنه مسجد مجهول المعلومات.^(١٩٧)
وهو عبارة عن مسجد صغير الحجم، يدخل إليه من بوابة فيها دار تعود للمسجد، وفوق المدخل منارة مئذنة من الجص.
للمسجد مصلى مربع تتوضع فوقه قنطرة، وفوق بابه مئذنة خشبية. أما تسميته فهي مجهولة النسبة، وهي ترقى على الأغلب
لاسم تركي الأصل، لأن الأتراك قديماً عاشوا في هذا الحي.^(١٩٨)

خ: مسجد داور آغا:^(١٩٩)

وهو من المساجد المندثرة يقع مسجد داور آغا في الحارة المسماة باسمه.
وهو مسجد مربع الشكل، محرابه مصنوع من الجص. ويوجد فيه موضاً، يتموضع في الزاوية الشرقية الشمالية منه. وفوق
بابه مئذنة خشبية.^(٢٠٠)

د: مسجد السليمانية:

وهو من المساجد المندثرة يقع مسجد السليمانية في دخلة العبيد، ويطلق عليه اسم مسجد سليمان حليبي. وهو مسجد صغير،
وله مصلى بسيط.^(٢٠١)

ذ: مسجد الشيخ عبد الله:

وهو من المساجد المندثرة يقع في حارة السمانة. وقد ذكره ابن عبد الهادي في كتابه ثمار المقاصد على أنه «مسجد صغير
الحجم له جدار قبلة بمحراب من الجص. وفي الغرب منها ضريح الشيخ عبد الله. كان يوجد فوق الضريح قبة ولكنها سقطت»
ولكن لم يرجعه إلى أي عصر.^(٢٠٢)

(١٩٧) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٢٣٨

(١٩٨) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٠٤

(١٩٩) آغا: لقب تركي بمعنى السيد أو الأمر أو الأخ الكبير. أطلق على ضباط الانكشارية ورؤساء الخدم والأتباع، انظر الباشا، حسن: المرجع السابق، ص ١١٨

(٢٠٠) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢١٦

(٢٠١) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٢٥

(٢٠٢) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٣٤

ر: مسجد الشيخ عيسى:

وهو من المساجد المندثرة يقع في حارة القولي في دخلة الدولاب، وهو مسجد صغير، له محراب يقوم على قوسين من الحجر، له نافذتان إلى دخلة الدولاب، وبينهما المحراب الحجري الحديث. والشيخ عيسى هو إمام المسجد الذي نسب إليه. ولم يذكر تاريخ نشوئه أيضاً.^(٢٠٢)

ز: مسجد الكمار:

وهو من المساجد المندثرة يقع في دخلة الكمار، وهو مسجد صغير الحجم لم يبق منه إلا الجزء المكشوف، ولا تزال آثار الشبايك ظاهرة إلى جانب الباب الحديث، وبالقرب منه عمودان من الحجر الأبيض، وأمام باب المسجد باحة من المتوقع أن تكون جزءاً من القسم المكشوف من المسجد. لم يعرف زمن إنشائه.^(٢٠٤) ولكن كلمة كمار كلمة تركية، لذلك أرجعناه إلى الفترة العثمانية.^(٢٠٥)

س: جامع المرادي:

يقع جامع المراديفي سوق ساروجة، ضمن حارة الورد.

أنشأه مراد بن علي بن داوود بن كمال الدين بن صالح البخاري النقشبندي في عام ١١٠٨هـ/١٦٩٦م.^(٢٠٦) وجعل منه تكية ومدرسة. وهو من مباني العصر العثماني.^(٢٠٧) تبلغ مساحته ٢٩٣م^٢، وهو من المباني المسجلة أثرياً. وهذا الجامع ذو مسقط مستطيل، ينقسم إلى قسمين الأول هو مصلى، تبلغ أبعاده (٨٠، ٩م) و(٧، ٥م) أما الثاني وهو الرواق، فتبلغ أبعاده (٩، ٥م، ٣، ٥م)، حيث ندخل إليه من باب في الواجهة الجنوبية للصحن، وقد سقف بالبراطيم الخشبية.

أما الجدار الشمالي للمسجد، ففي منتصفه يفتح باب للدخول، يبلغ ارتفاعه (٢، ٠٧م) وعرضه (١، ١م) وعمقه (٩٠سم)، وعلى جانبيه الشرقي والغربي نافذتان مستطيلتان، بأبعاد متشابهة، فارتفاعهما (١، ٨٥م) واتساعهما (١م)، أما عمقهما فهو (٩٠سم). وقد بني الجدار القبلي للمسجد من المداميك الحجرية، وفتح في الركن الغربي منه نافذة مستطيلة الشكل، يبلغ

(٢٠٣) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٣٤

(٢٠٤) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٤٨

(٢٠٥) من استنتاج الباحثة.

(٢٠٦) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أويد دمشق، ص ٢٢٦

(٢٠٧) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ١٣٢

ارتفاعها (٢,٦ م) واتساعها (١,٣٩ م) وعمقها (٩٠ سم)، ويتقدم هذه النافذة شبك حديدي يليه شيك من الخشب والزجاج. ومن جهة الغرب يلي النافذة المحراب، ويبلغ عمقه (٧٠ سم) وارتفاعه (٢,٧ م) واتساعه

(١,٢٣ م) وهو من الحجر المزي والبازلتي الأسود، زخرفت خوذته بزخارف منفذة بالحجر، يلي هذا المحراب من الجهة الشؤقية نافذة أخرى تشابه تلك الموجودة غربي المحراب، ووجد فوقه كتابات حديثة.

وفي الحرم منبر حديث يوضع غربي المحراب، أما في الطرف الجنوبي للجدار الشرقي، فقد وجدت فتحة الباب مستطيلة الشكل، يبلغ اتساعها (١ م) وارتفاعها (١,٥ م)، تفضي إلى تربة المنشئ وأولاده.

وقد فتح في الجزء العلوي من جدار القبلة ثلاث نوافذ ذات شكل مستطيل، لإدخال الإضاءة والهواء، ويبلغ ارتفاع النافذة الواحدة (٢,١٠ م) واتساعها (١,١٠ م). وفي الستينيات أضيفت سدة خشبية لاستيعاب المصلين، يصعد إليها بدرج حجري، يقع في الجهة الشمالية الغربية من المسجد، وهو عبارة عن ١٣ درجة تؤدي إلى سطح السدة المرتفع عن الأرض بمقدار (٢,٨ م) وتبلغ أبعادها (٨,٦) × (٣,٦)، وقد حملت السدة على عمودين خشبيين، يبلغ ارتفاعهما (٢,٥ م) وقطرهما (٥٥ سم)، وحملت هذه العقود السقف الخشبي بشكل جملوني.

أما الجدار الشرقي للمسجد، فقد فتحت في جهته الجنوبية نافذة مستطيلة، تطل على قبة المدرسة التي يبلغ ارتفاعها (١,٤ م) واتساعها (٧٥ م)، وإلى الشمال منها فتحة باب مستطيلة الشكل تفضي لقبة ضريحية، يبلغ ارتفاعها (٢,٨ م) واتساعها (٨٠ سم).

أما الجدار الغربي للمسجد ففتحت فيه نافذة مستطيلة مطلة على حارة الورد في الواجهة الغربية للمدرسة ذات ارتفاع (١,٨ م) ويبلغ اتساعها (١,٢ م). غطي المسجد بسقف جملوني يرتكز على العقد و الجدران المحيطة بالمسجد .

أما المئذنة فتقع في الواجهة الغربية للمدرسة وهي على شكل قاعدة مربعة مصممة مبنية بمداميك حجرية وجذعها مثن الأضلاع فتح في أحد أضلاعها المتجه نحو الغرب ثلاث نوافذ صغيرة ذات شكل مستطيل يعلو أحدها الآخر. وشرفة المئذنة مئذنة الأضلاع، محاطة بدرازين من قضبان حديدية، حيث يضيق الجذع المثن عندما نصل لشرفة المؤذن، ويزداد ضيقه عند الرفرف ليصبح رقبة مئذنة تنتهي بقبيبة بصلية. ولم نستطع التقاط صور كافية لهذا المسجد وللضريح بسبب امتناع اصحابه لأنه ملكية خاصة.

أعيد بناء هذه المئذنة عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م، بعد أن سقطت إثر الزلزال الذي ضرب دمشق عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م،

حيث أدى إلى انهيار كثير من الآثار القديمة.^(٢٠٩) وعلى قاعدة هذه المئذنة باتجاه الشرق وجدت لوحة شبه مربعة من الرخام الأبيض، كتبت عليها أبيات شعر بخط النسخ :

بأعلى رأسها الله يذكر	منارة للهدى شيدت بحق
وحمداً يا علي لمن تشكر	بسم الله أبدأ في بناها
فيها بتاريخ لمن بالسوء أبصر	وسهم للقضا أضمرت
ونادى لصلاة الله أكبر ^(٢١٠)	أجيبوا داعياً لله نادى

ثالثاً: التربة

أ: التربة الرفاعية:

تموضعت التربة الرفاعية في مقبرة ساروجة. ونسبت للشيخ عثمان الرفاعي الذي توفي سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م في العهد العثماني ودفن فيها، وهي الآن مندثرة.^(٢١١)

ب: تربة المدرسة المرادية:

وهي ملاصقة لحرم مسجد المرادي سابق الذكر، وتقع في الجهة الشرقية منه، احتوت على وجهة وحيدة وهي الجنوبية، لها بابان للدخول، الأول يقع في الجدار الشرقي لحرم المدرسة والثاني فتح في الواجهة الجنوبية للتربة.

وتعلو التربة ذات المسقط مربع الشكل، قبة نصف دائرية ملساء، طليت باللون الأخضر، حملت على رقبة مثمرة الأضلاع، حيث فتح في كل ضلع من هذه الأضلاع نافذة ضمن دخلات، غطيت النوافذ بشبك حديدي. أما باب التربة الجنوبي فقد بني بمداميك حجرية ملونة و كان أعلاه عقد مزخرف بأربع دوائر احتوت على زخارف نباتية. غطي هذا الباب أيضاً بقضبان حديدية، ووجدت داخل التربة ثلاثة تراكيب حجرية.^(٢١٢) (انظر المدرسة المرادية)

(٢٠٩) الشهابي، د. قتيبة: مآذن دمشق، ص ١٧٨

(٢١٠) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في اوابد دمشق، ص ١٤٧

(٢١١) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ٧٣

(٢١٢) لم تتمكن الباحثة من تصوير التربة من الداخل لأنها قفلت من قبل عائلة المرادي (أملاك شخصية) .

رابعاً: السُّبُل

أ: سبيل مسجد بندق:

يقع سبيل مسجد بندق في حارة القولي، دخلة الدولاب، وقد جدد سنة ١٠١٦هـ، وهو واحدٌ من السبل العثمانية.^(٢١٣) وتم تجديده في العهد العثماني بناءً على النقش الذي وجد عليه:

« بسم الله الرحمن الرحيم..... جدد هذا المسجد والسبيل عبد الله بن أحمد أغري بوز في شعبان سنة ١١٨٢هـ. »

وجدد مرة أخرى في الفترة الزمنية نفسها المذكورة استناداً للنقش التالي:

« بسم الله الرحمن الرحيم وسقاهم ربهم شراباً طهوراً أنشأ هذا السبيل الفقير (الفقيه) إبراهيم بن محمد سنة ١٢٠٤هـ. »^(٢١٤)

ب: سبيل مسجد بلبان :

يقع سبيل مسجد بلبان عند الجدار الجنوبي للمسجد المذكور وترتبه، وهو من السبل العثمانية. وسمي باسم المسجد الذي بني إلى جانبه.^(٢١٥) نقش على جداره الجنوبي سنة ١٩٢٢م:

مياه الأمري تشفي العليلا يحب المصطفى أنشأ سبيلا

كثير الخير هو الشهم أرّخ ثناء نشره حقاً جميلاً^(٢١٦)

خامساً: الخانات

أ: خان الجمال : (مندثر)

أنشأ الوالي العثماني إسماعيل باشا العظم خان الجمال في نهاية الفترة العثمانية ١٢٢٣هـ/ ١٩٠٥م. وقد وثق كخان تاريخي إسلامي بالنص والخارطة تحت رقم ٥٢٥ في مجلة العمارة والمجتمع العثماني في مدينة دمشق خلال القرنين التاسع عشر

(٢١٣) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٣

(٢١٤) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ١١٥

(٢١٥) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ١٣

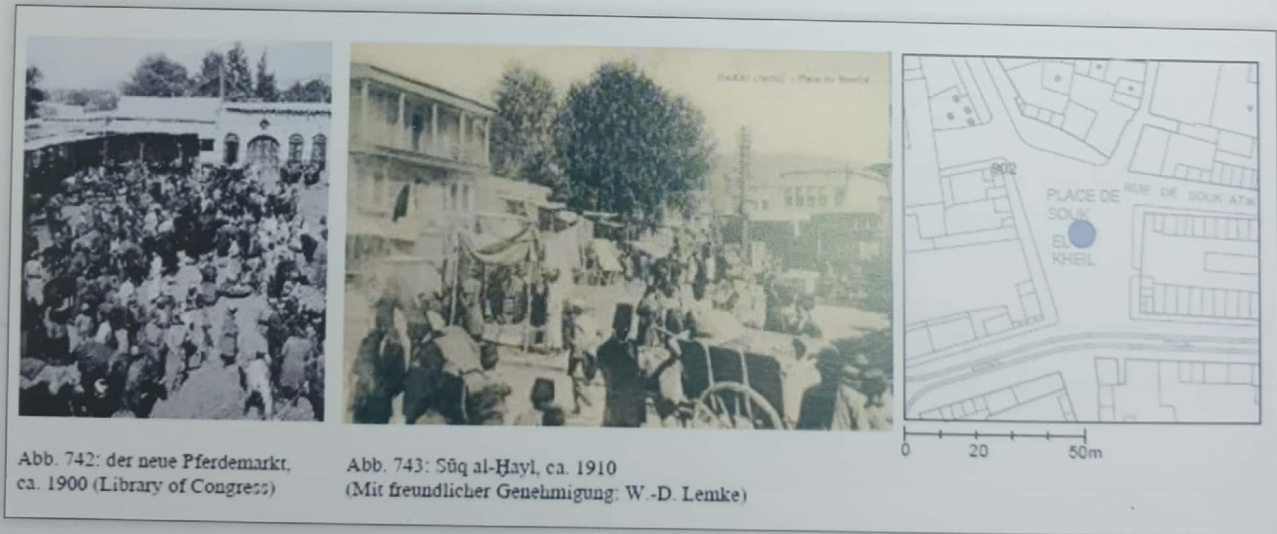
(٢١٦) الشهابي، د. قتيبة: النقوش الكتابية في أوابد دمشق، ص ١١٥

والعشرين من قبل الباحثين «ويبر» و «ستيفن»، وحققه الدكتوران «جوردن كريمر» و «دكتورة «دورثي ساسك» من جامعة برلين بألمانيا، واللذان ارتأيا أن خان الجمال من أوقاف الوالي العثماني إسماعيل باشا العظم، وبالعودة إلى إفادة مدير المحاكم الشرعية بدمشق ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م تبين أن المرحوم عبدالقادر بن شفيق العظم هو من رمم خان الجمال في ذلك التاريخ. وعندما شق شارع الثورة في منطقة حي ساروجة ومحلة جوزة الحدبا عام ١٩٧٤م، اندثر هذا الخان، واندثرت معه أوقاف الوالي العثماني إسماعيل باشا العظم.

سادساً: الأسواق

أ: سوق الخيل:

يقع سوق الخيل جنوبي سوق ساروجة، وشرقي ساحة المرجة. وهو يتجه شمالاً ليصل إلى جوزة الحدباء، وهي صلة الوصل بينها وبين ساروجة. وقد كان أحد أسواق محلة ما تحت القلعة. وذلك وفق ما أورده مؤلف كتاب «معالم دمشق التاريخية»^(٢١٧) (الشكل ١٣٦)



الشكل ١٣٦- ساحة سوق الخيل

يظهر الشكل تطور ساحة سوق الخيل في الأعوام ١٩٠٠ و ١٩١٠

نقلا عن : كتاب العمارة و المجتمع العثماني في مدينة دمشق بالقرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين للباحثين الألمانين ويبر وستيفان

(٢١٧) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣٠٦

كانت هذه الساحة متخصصة بتجارة الخيول وتمويل الخيالة، (لأن الدواب كانت وسيلة النقل الوحيدة في تلك الحقب المتمثلة بالعهد السلجوقي، والأيوبي، والمملوكي، والعثماني). وأصبح هذا السوق فيما بعد مركزاً لتجمع العاملين في مستلزمات الجيش. وقد تطلب هذا الشيء وجود مراكز ومحال تجارية، وأسواق أخرى لبيع مستلزمات الخيالة كسوق السروجية، ووجود عمال لتأمين متطلبات الجيوش ومستلزماتهم، مثل الخياطين والسراجين والبيطرة وصنّاع السلاح والعطارة (لأنها كانت مقام الصيدلية في تلك الحقبة، لتركيب الأدوية وبيعها للمرضى).^(٢١٨) وكافة المصنوعات الجلدية كالمخالي واللجم والأحزمة، واللوازم الأخرى. إضافة إلى المطاعم والحمامات والخانات والمساجد والمقاهي.... إلخ، ومع مرور الوقت وتوالي الحقب، تطورت هذه الساحة فتواجدت فيها محال الخضار والفواكه، وبيع الحشائش الطبية، ومحال البزورية، والزيت، بدلاً عن باعة الخيل. استمر هذا التطور إلى يومنا هذا؛ وقد اشتهرت في تلك السوق قهوة سوق الخيل لصاحبها السيد درويش آغا وعائلته. كما أطلق عليه اسم (سوق علي باشا) تخليداً لذكرى هذا السوق الذي كان بينه وبين ساحة المرجة.^(٢١٩)

ب: سوق التبن:

يُعد سوق التبن من أقدم الأسواق في دمشق. وقد أنشئ في العهد العثماني ولا زال قائماً حتى يومنا هذا. وتباع فيه الأعلاف والطيور والبيض ولوازمها. أما في أيامنا هذه فيباع فيه الدجاج. ونتوه إلى أن ياقوت الحموي أسماه سوق الدجاجين، وأورد ذكره العلاف باسم سوق العلافين.^(٢٢٠)

ت: سوق الهال:

يقع سوق الهال بين حي ساروجة وشارع الملك فيصل. وقد شيد داخل حديقة سامي باشا مردم بيك الكائنة بين خان الباشا وجادة القبارين عام ١٩٢٨-١٩٣٠ م.

اختص هذا السوق ببيع الخضار والفواكه في دمشق. وقد شاع اسم (الهال) أيام الانتداب الفرنسي لسورية. وكلمة (هال) فرنسية، وهي تعني السوق العامة للخضار، ونتوه في هذا المقام إلى أنه في عهد المماليك كان مثل هذا السوق قائماً، ووجدت أيضاً دور البطيخ لبيع أنواع الخضار والفواكه.

وفي أواخر الثمانينيات في عصرنا هذا، أنشئ سوق جديد باسم سوق الهال الجديد في منطقة الزبلطاني.^(٢٢١)

(٢١٨) www.yasminalsham.com

(٢١٩) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ٩، ١٠

(٢٢٠) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٩٩

(٢٢١) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٣٣٢

ث: سوق العتيق :

يوازي سوق التبن في استقامته، ويقع مجاوراً له من جهة الشمال. لم يرد ذكر هذا السوق فيما نقل لنا عن العهد المملوكي، إلا أنه ذكر من هذا العهد أسماء أخرى كسوق السكاكين والدجاجين وسوق جسر الزلابية، وقد ظهر اسم سوق العتيق لأول مرة في العهد العثماني، مما يشير إلى أنه سوق قديم.^(٢٣٣) لكن تم إزالة هذا السوق من قبل المديرية العامة للآثار والمتاحف عام ٢٠٠٥ م.

(الشكل ١٣٧)



الشكل - ١٣٧ توضع الأسواق في حي ساروجة

يوضح الشكل مكان تواضع كل من سوق العتيق و سوق التبّين و سوق الخيل و سوقة ساروجة من عمل الباحثة ديسمبر ٢٠١٢

(٢٢٢) الإبيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٢١؛ للاستزادة انظر الفصل الثاني

سابعاً : المقاهي

هي إحدى وسائل اللهو والتسلية، فقد عرف أهل دمشق بحب الاجتماع والمرح ولين المعشر، إذ وجد في دمشق وحدها أكثر من ١٢٠ مقهى لشرب القهوة والشاي، كان يقصدها الناس في كل فصول السنة. وكانت معظم المقاهي تبنى على ضفاف بردى وفروعه، وفي كل مقهى قسم شتوي وآخر صيفي يسمى بالمصيف^(٢٢٣) وقد قام الحكواتي بدور مهم في المقاهي، حيث كان يقص على الناس أخبار عنبرة و الظاهر بيبرس وغيرها من القصص الحماسية، جالساً على دكة عالية، ليراه جميع من في المقهى، فيقرأ فصلاً من القصة ويجني البخشيش^(٢٢٤). كما كان يعرض في المقاهي (قرة كوز، خيال الظل) طليعة السينما اليوم. وهي شاشة بيضاء مضاءة ينصبها المخاليل (الكر كوزاتي)، في ركن بالمقهى. وهو يحرك وراء هذه الشاشة صوراً ينعكس خيالها على الشاشة، وهي تعرف بالخيالات. ومن أبرز شخصيات هذه الصور: كر كوز وعيواظ وبكري.

وقد كان المخاليل (الكر كوزاتي) يضمن تلك النصوص ما يريد أن يقوله على لسان شخصه من نقد وتجريح أو مديح ومطرب وغناء مع بعض الحكم والنوادر.^(٢٢٥)

وكان معظم مالكي هذه المقاهي من الأعيان والوجهاء، حيث قرأنا في أحد الوثائق: (استأجر مفخر الأماجد الكرام يحيى الكركوتلي من سكان سوق ساروجة، من صاحب الفضيلة عبد الحميد الإسطواني نائب قضاء دوما، فأجره جميع القهوة خانة في سوق الخيل، لصيق جامع يلغا، بأجرة قدرها ١٠٨ غروش عن كل سنة).^(٢٢٦)

واختلف تأجرة المقاهي، ففي محلة سوق الخيل التابعة لسوق ساروجة، كانت أجرة كل سنة ١٠٨ غروش كما أسلفنا، وفي الشاغور ٤٢ غرشاً عن كل سنة.

وكان في دمشق في تلك المرحلة مقاهي يسمونها كازينات، وهي في سوق الخيل والصوفانية خارج باب توما.

«استأجر رفعتلو مصطفى يوزباشي ابن أحمد الدوركلي جميع الكازينو خانة والواخور والثلاث دكاكين ظاهر دمشق بمحلة سوق الخيل، تابع سوق ساروجة بالصف الشمالي المشتملة على الكازينو ومنافع شرعية». ^(٢٢٧)

(٢٢٣) دكران سيركو، د.ماري: المرجع السابق، ص ١٠٧

(٢٢٤) دكران سيركو، د.ماري: المرجع السابق، ص ١٠٨

(٢٢٥) قرة كوز: العين السوداء، سركو، ماري دكران: المرجع السابق، ص ١٠٥؛ للمزيد انظر كيال، منير: صور دمشقية من ذاكرة الإنسان والمكان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١ م، ص ٥٨

(٢٢٦) دكران سيركو، د.ماري: المرجع السابق، ص ١٠٧

(٢٢٧) دكران سيركو، د.ماري: المرجع السابق، ص ١٠٧

كما نلاحظ من الوثيقة السابقة، فإن مستأجري أو مقتني الكازينو خانة أو المقاهي، كانوا من الوجهاء والأعيان الذين رغبوا في زيادة الأرباح من دخول هذه الأماكن الجديدة، إضافة إلى رغبة الناس في السمر والسهر.

أ: قهوة الله كريم :

تقع إلى جانب جوة الحدياء، وقد كان يجلس فيها المتقاعدون والمسرحون من الجيش العثماني، وعندما كان يمر بجانبهم الضباط الشباب، كانوا يتحسرون على أنفسهم ويقولون مع تهيدة عميقة

(إيه... الله كريم) أملاً برجوع تلك الأيام التي كانوا يلبسون فيها البزة العسكرية. هذا ولم تعد هذه القهوة موجودة الآن فقد زالت من نحو قرن تقريباً.^(٢٢٨)

(٢٢٨) الإيش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤٦٢، ٤٦٣

الفصل الرابع

النسيج العمراني:

تُعد شبكة الشوارع غير المنتظمة، من الصفات المميزة للمدينة العربية الإسلامية، حيث تتصل الأحياء السكنية مع شبكة الشوارع الرئيسية بوساطة الدرب، وتستعمل هذه الكلمة بدلاً من الحارة^(٢٢٩) أو الحي.

حظيت هذه الأحياء السكنية أو الحارات أو المحلات بالدرجة الأكبر من اهتمام الباحثين العمرانيين على اعتبار أنها أكبر أجزاء المدن الإسلامية ارتباطاً بالقواعد الشرعية، التي ركزت على الخصوصية، وحجب النظر ومنع الاختلاط.^(٢٣٠)

وتصب في الدرب شبكة أصغر من الشوارع الثانوية التي تسمى زقاقاً، حيث غالباً ما ينتهي الزقاق بطريق مسدودة لا يتصل بعضها ببعض. والحارة هي وحدات عمرانية مستقلة معظم الأحيان حيث تظهر كأنها مدينة صغيرة، بمسجدها، وحماماتها، وتوزيع المياه فيها، وهناك باب واسع للحي، حيث يكتفى بالمرور من باب صغير فتح في وسطه، يطلق عليه اسم باب خوخة، وعند الاستمرار بالحي نلاحظ تفرعه إلى أزقة صغيرة تؤدي إلى عشرات البيوت. وفي كثير من الحالات تتشابه الحارات بعضها مع بعض، لتشكل نسيجاً يشبه تشابك أغصان الأشجار، حيث تتحول إلى حارة كبيرة يطلق عليه اسم «محلة»، ولهذه المحلة أبواب تغلق.

الحارات في ساروجة : (الشكل ١٣٨)

أ: حارة القولي:

سميت بذلك نسبة لأسرة القولي التي كانت تقطن في تلك الحارة، وقد ذكر طلس في كتاب ثمار المقاصد أنه وجد في تلك الحارة ولياً صالحاً، وقد سميت باسمه (شيخ محمد). ومعنى القولي أو الخولي هو المتعهد أو ناظر المزرعة. وقد سميت هذه الحارة أيضاً بحارة ابن صبح، وقد نشأت في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون.^(٢٣١)

(٢٢٩) الحارة هي الشارع الصغير الذي يتفرع عن الجادة وتسمية الحارة لم تكن تعني بالضرورة عند مؤرخي دمشق الشارع الصغير، بل كانت تعني

أيضاً المحلة أو الحي أو المنطقة. انظر الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ١٤٨

(٢٣٠) الرباط، ناصر: المرجع السابق، ص ٥١

(٢٣١) الإيش، أحمد والشهابي، د. قتيبة: المرجع نفسه، ص ١٤٦



الشكل ١٣٨- توضع الحارات في حي ساروجة
يوضح الشكل مكان كل حارة وموقعها في الحي

ب: حارة الجردون :

تقع إلى جانب جامع الورد.

ومما ورد من القصص الخرافية على السنة العامة أن جرذاً ظهر فيها منذ غابر الزمان ولهذا أطلق عليها حارة الجردون

أو (الجرذون)^(٢٣٢)

(٢٣٢) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع نفسه ، ص ١٣٧

ت: حارة الشالة :

تقع شمال البحصّة. وقد أنشئت في العهد المملوكي في عهد نائب السلطنة الأمير سيف الدين تذكر بأيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وقد نسبت إلى أمير مملوكي أقام بسوق ساروجة، فسميت هذه الحارة باسمه. واسم الشالة محرف عن الشالق أو الجالق، والशलّاق معناه بالتركية المتقاعد أو المصروف عن الخدمة، أما الجالق فتعني الأكتع.

وعند تنظيم منطقة البحصّة في الستينيات زالت هذه الحارة. وقد ذكر ابن رافع السلامي الدمشقي في كتابه (الوفيات) في القرن الثامن الهجري مقبرة الشالق. (٢٣٣)

ث: حارة القرماني:

سميت هذه الحارة نسبة إلى مسجد القرماني الموجود في تلك الحارة. أنشئ هذا المسجد في العهد العثماني عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م من قبل محمد القرماني. أما اسم قرماني فيرجع إلى أعظم سلالة تركمانية نشأت في آسيا الصغرى أواخر القرن السادس الهجري. وقد قضى عليهم الأتراك العثمانيون سنة ٨٧٢هـ. (٢٣٤)

ج: حارة المفتي:

تقع هذه الحارة إلى جانب جامع الورد. وقد كانت تسمى سابقاً دخلة بني المرادي، نسبة لقصر المفتي المرادي الذي بني في آخر هذه الحارة. وأسرة آل المرادي توارثت عبر أجيال فتاوى الحنفية في دمشق في فترة العهد العثماني.

وقد اقتصر الآن اسم الحارة على حارة المفتي. وكان من آل المرادي على سبيل الذكر: محمد خليل بن علي المرادي الذي توفي عام ١٢٠٦هـ ، وهو المؤرخ المشهور صاحب كتاب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر». (٢٣٥)

ح: حارة داور آغا:

داور آغا اسم علم من العهد العثماني ومعناه بالتركية حاكم أو حكم دار. أما لقب آغا فيدل على رتبة عسكرية من فرق الانكشارية. وفي هذه الحارة يقع جامع داور آغا أيضاً، لكنه زال عند تنظيم المنطقة. (٢٣٦)

(٢٣٣) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع نفسه ، ص ١٤٠: الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ج ١، ص ١٥٣

(٢٣٤) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٤٥، ١٤٤

(٢٣٥) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٤٩

(٢٣٦) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٧١

خ: دخلة الأزعر:

تقع هذه الدخلة بين حارة القولي وزقاق داور آغا. واسم الأزعر هو كنية لعائلة (معناه معروف بالعامية)، أما باللغة الفصحى فكلمة أزعر تعني صاحب الشعر القليل أو المتفرق. ورد ذكر هذه الدخلة في ذيل كتاب « ثمار المقاصد في ذكر المساجد »،^(٢٣٧) حيث ذكر مكانها بدخلة المنير، حوش التوتة.^(٢٣٨)

د: حارة الورد:

سميت نسبة لحكر الورد، الذي كان يملكه الأمير ابن صبح، وقد اشتهر هذا الحكر في الربع الأول من القرن الثامن الهجري. وبقيت أعقاب العائلة حتى أيامنا هذه. وقد هدمت دار آل صبح في مطلع هذا القرن عند تنظيم المنطقة. وكان موضع حكر ابن صبح شمال المدرسة الشامية البرانية، وكان لدينا حكران (حكر ابن صبح) شمالي المدرسة الشامية كما ذكرنا، و(حكر الورد) غربي حكر ابن صبح.^(٢٣٩)

الأزقة في حي ساروجة:

أ: المَعْمَشَة:

زقاق في سوق ساروجة، يقع إلى الجنوب من مقبرة الدحداح. وقد ذكر في سجلات المحاكم الشرعية لعام ١٢٠١ هـ، ولم يفهم معنى تسميته أو مدلولها.^(٢٤٠)

ب: العنتابية :

زقاق في سوق ساروجة. ربما سمي بهذا الاسم نسبة إلى القادمين من عنتاب إحدى مدن الأناضول شمالي سورية. والعنتابية صيغة جمع عن (عنتابي). فقد نزلوا في هذا الزقاق فترة العهد العثماني، لأن هذا الحي كان من الأماكن المفضلة لدى الأتراك. وفي هذا الزقاق أيضا يقع مسجد الخليلي وهو من المساجد المندثرة.^(٢٤١)

(٢٣٧) ابن عبد الهادي: المصدر السابق، ص ٢٥٩

(٢٣٨) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٨٠

(٢٣٩) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٥٢

(٢٤٠) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤٩٥

(٢٤١) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤١٧، ٤١٦

ت: زقاق الكمّار : سوق ساروجة، حارة الورد.

(الكمّر) كلمة تركية وهو ما يشد به على الوسط كالزنار. ولعل هذه التسمية، يمكن أن تكون لصناعة يدوية (الكمرجي) أو كنية لشخص كان يصنع الأكمار. ويعود سبب تسمية هذا الزقاق بهذا الاسم إلى وجود مسجد الكمّار وهو مندرثر أيضاً.^(٢٤٢)

ث: نزلة ستي زيتونة:

هي نزلة في سوق ساروجة، شرق قبر السلطان مجاهد. وقد شاع إطلاق هذا الاسم الذي يعود وفق ما قيل إلى ستي زيتونة الولية الصالحة، إلا أن الملفت للنظر هو أن هناك لافتة خشبية فوق باب حجري قديم شبه متداع كتب عليها: (هذا مقام الشهداء الستة الذين دفنوا تحت الزيتونة). وفي وقتنا الحاضر لا وجود لهذه الزيتونة ومن الممكن أنها كانت نقطة علام لأهل المنطقة. وقد حرف الناس أيضاً التسمية كما شاع الأمر في عدة مناطق مثل ستي جابية وستي حفيظة.. إلخ.^(٢٤٣)

ج: زقاق بين القبرين : في حي ساروجة، غربي زقاق (تحت المتذنة).

ورد ذكره في خريطة شرطة دمشق (١٩٢٢-١٩٤٢ م) باسم زقاق بين القبرين، ويتقاطع مع دخلة بين القبرين، حيث يقعان إلى الشرق من زقاق داور آغا. ولم يعرف صاحب هذين القبرين، لأنهما اندثرا، ولم يكونا مشهورين.^(٢٤٤)

ح: زقاق جوزة الحدبا:

يقع في سوق ساروجة. عرف قديماً باسم (طلعة جوزة الحدبا)، أو نزلة جوزة الحدبا. وسمي بذلك الاسم نسبة إلى شجرة جوز كانت هناك، وذلك أسوة بتسمية (حي التوتة) ويدلنا الاسم على أن جذعها كان مائلاً. وفي مكان هذا الزقاق كان مسجد بناه الوزير المزدقاني في العهد الفاطمي وهو مندرثر.^(٢٤٥)

توزيع المياه:

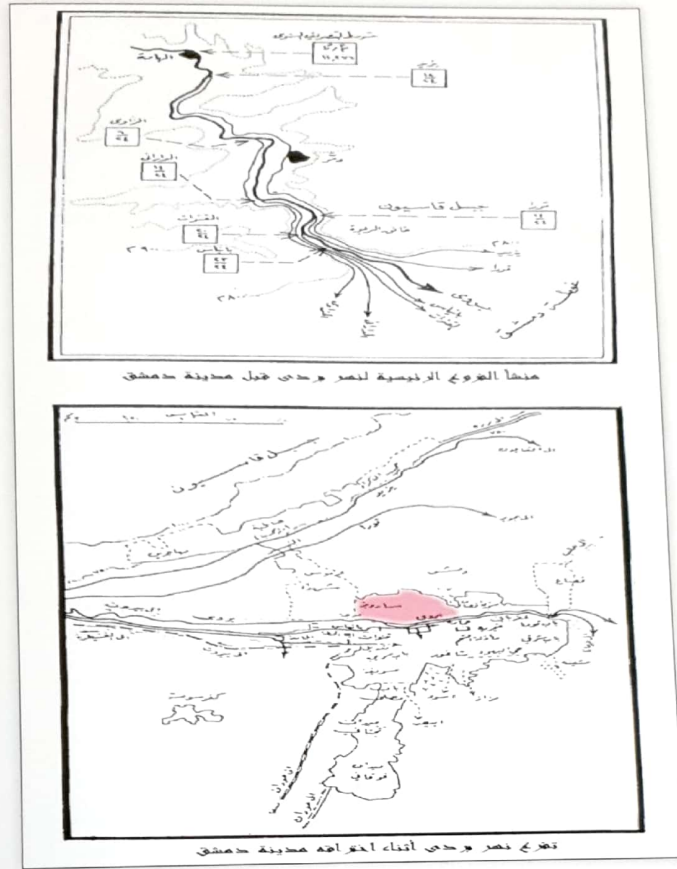
يعدنهر بردى هو النهر الوحيد بفروعه الثلاثة (تورا، بانياس، القنوات) الذي يغذي مدينة دمشق القديمة. (الشكل ١٣٩)

(٢٤٢) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٥

(٢٤٣) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٢٨٣، ٢٨٤: الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، ص ٢٦١

(٢٤٤) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: معالم دمشق التاريخية، ص ٨٩، ٩٠

(٢٤٥) الإيبش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ١٣٣



الشكل - ١٣٩ - نهر بردى

تفرع نهر بردى أثناء اختراقه مدينة دمشق

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

فقد غذى فرع تورا الأحياء الواقعة في الضفة اليسرى من نهر بردى، بينما غذى فرع بانياس الأحياء الواقعة على الضفة اليمنى ووصل إلى بين القلعة والجامع الأموي والقيصرية مروراً بباب توما. أما فرع القنوات فيغذي الأحياء الواقعة إلى جنوب نهر بردى. وتجري المياه بين الأحياء التي تتغذى من هذه الأنهار بواسطة القساطل التي يطلق عليها اسم الطالع في مدينة دمشق، وهي عبارة عن حوض مستطيل تظهر فيه الفوهة الموصلة للمياه، وعلى جانبيه فتحات، تحدد نسبة تدفق المياه بين طالع وآخر، لأن بعضها يؤمن المياه لمنزل، وآخر يؤمنه لحي كامل. وكان على هذه الفتحات أن تنقل المياه من القناة الرئيسية إلى الأفتية الثانوية لترسلها للمنازل عن طريق قساطل جوفية.

ومن الملاحظ أن معظم الأقبية الرئيسة كانت تخدم الجوامع والحمامات العامة، لأن للحمامات أهمية كبيرة في دمشق، لذلك فإن القساطل كبيرة الحجم تتجه إلى الحمامات بعد الجوامع، وفي أغلب الحالات لا تتقاسم البيوت السكنية سوى المياه الفائضة من حاجة الحمامات. وكان يشترك في تغذية الحمام غالباً نهران لحاجة الحمام للجريان الدائم للمياه بداخله، وكان للمرتبة الاجتماعية دور بين العائلات الدمشقية في عملية توزيع المياه، فقد حصلت بعض العائلات على امتيازات تمنحها فروعاً ثانوية خاصة، كما تمكن أصحاب المكانة المرتفعة من الحصول على نصيب خاص من المقاسم الرئيسة القريبة منهم.^(٢٤٦)

عين الماء:

أ: عين الكرش :

تبعد هذه العين عن جامع القرمشي شمالاً نحو ٣٠٠م، حيث كانت مياه هذه العين تشكل بحيرات متتابعة تغمر المنطقة بأكملها قبل الغزو العمراني للمنطقة، وللأسف فقد جفت هذه العين، وغارت مياهها مع الزمن، وانحسرت المياه التي كانت تمر إلى جانب جامع القرمشي بحارة العبيد.

ب: عين الباشا:

هي نبع ماء قديم ، كانت في سوق الهال القديم في حديقة سامي باشا مردم بك ، ونسبة مردم بك كانت لجد عائلة مردم بك ، وهو لالا مصطفى باشا.^(٢٤٧)

ت: عين دار البطيخ :

هي عين ماء كانت عند دار البطيخ في محلة تحت القلعة. (منطقة الهال القديمة).^(٢٤٨)

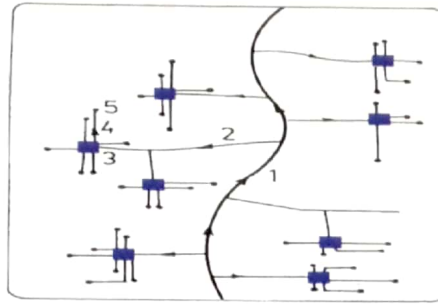
ث: وصول الماء إلى البيت الدمشقي:

قبل أن تروى مدينة دمشق من مياه عين الفيحة، كان هناك ما يسمى بالأقنية والطوابع، وفي (الشكل ١٤٠ و ١٤١) توضيح مبسط لعملية توزيع الماء على البيوت الدمشقية، وذلك عن طريق قناة ري يُعد مصدرها أحد فروع بردى، حيث يخرج منها

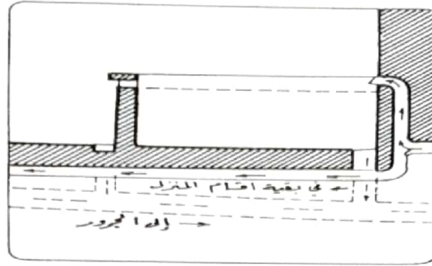
(٢٤٦) الحوليات العربية السورية، مج ٣٥، ص ٢٧٧، ٢٢٩

(٢٤٧) الإيش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: المرجع السابق، ص ٤١٧

(٢٤٨) الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، ص ١١٣

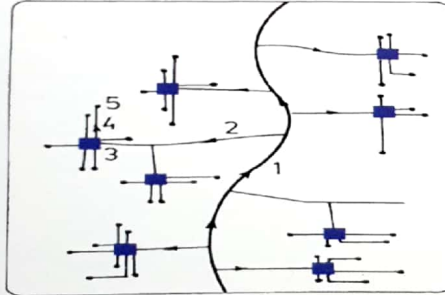


مخطط ١ - ١ - ٢٧

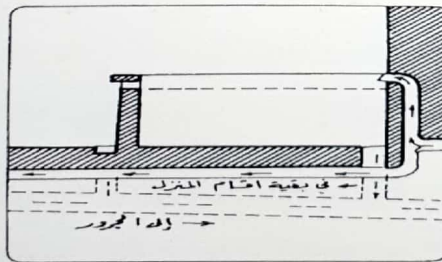


الشكل ١٤٠- طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي
وصول الماء إلى البيت الدمشقي بالأقنية والطوالع

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



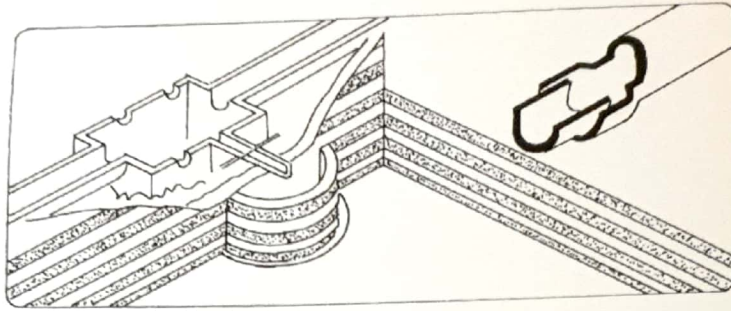
مخطط ١ - ١ - ٢٧



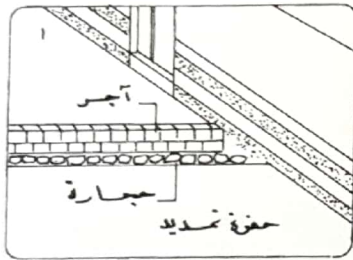
الشكل ١٤١- طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي
وصول الماء إلى البيت الدمشقي بالأقنية والطوالع

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

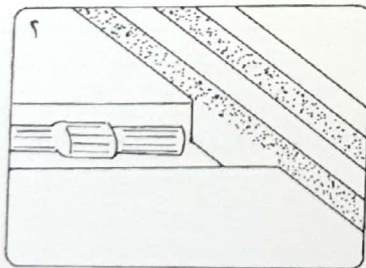
تفرعات تمر بدورها ضمن الحارات والأزقة، لتصعد وتخرج من الطوابع ، حيث يتفرع من كل طالع حصص كل منزل وفق اشتراكه، ويتبع هذا التقسيم قانوناً يطلق عليه نظام القراريط. ثم يدخل كل فرع إلى المنزل الخاص به ليصب في بحرة أو (كشاف). والكشاف عبارة عن بحرة صغيرة في أغلب الأحيان، كانت تتواجد قرب المصدر المائي للمنزل. وتقوم البحرة بمهمة أخرى، إضافة إلى عملها في مجال التنظيف، تتجلى في كشف العطل في حال حدوثه، فإن كان العطل من خارج الدار، فإن المياه في البحرة ستقطع تلقائياً، وإن لم تنقطع كان العطل داخلياً. (الشكل ١٤٢) ^(٢٤٩)



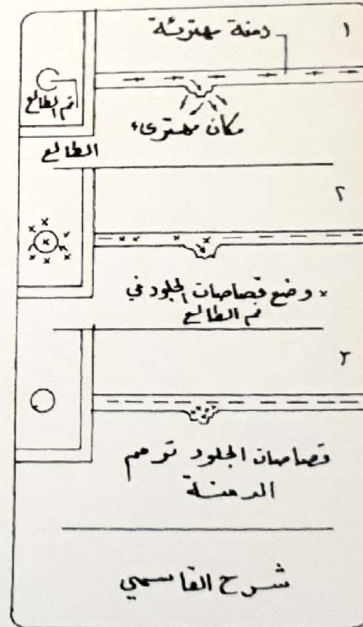
شكل 28 - 2 - 1



شكل 28 - 2 - 2



شكل 28 - 2 - 3



شكل 28 - 2 - 4

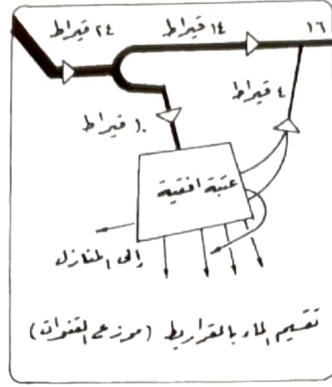
الشكل ١٤٢- طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي

وصول الماء إلى البيت الدمشقي بالأقنية والطوابع

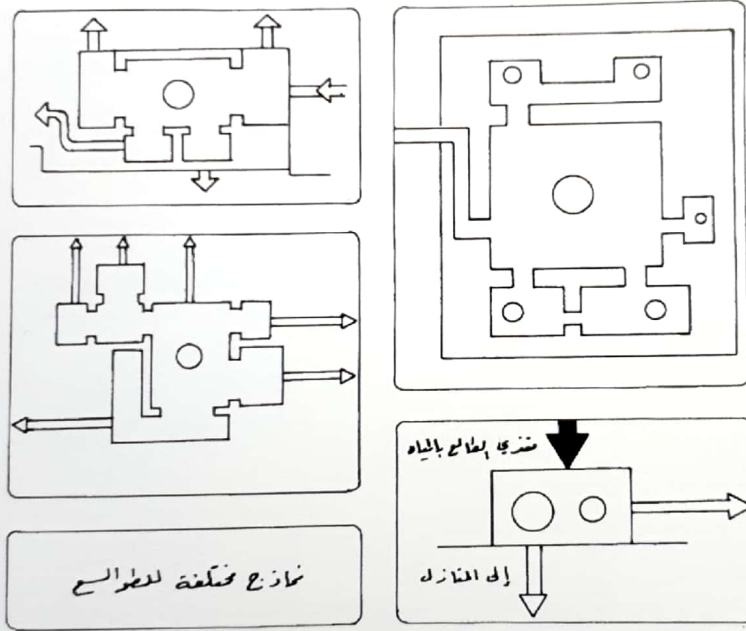
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

١: نظام الري بالقراريط:

إن القناة التي تغذي الطالع تحتوي على ٢٤ قيراطاً من المياه. وهذا الطالع يقوم بدور التغذية للمنازل عن طريق فتحات فيه، وذلك وفق اشتراك العائلة، فقد يشترك دار بغيراطين أو أكثر وفق مساحة الدار. وهذا مثال يوضح تلك العملية^(٢٥٠). (الشكل ١٤٣)



شكل 28 - 1 - أ



شكل 28 - 1 - ب

الشكل ١٤٣- طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي

وصول الماء إلى البيت الدمشقي بالأفنية والطوالع

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

(٢٥٠) كبريت، م. محمد: المرجع نفسه، ص ٢٨

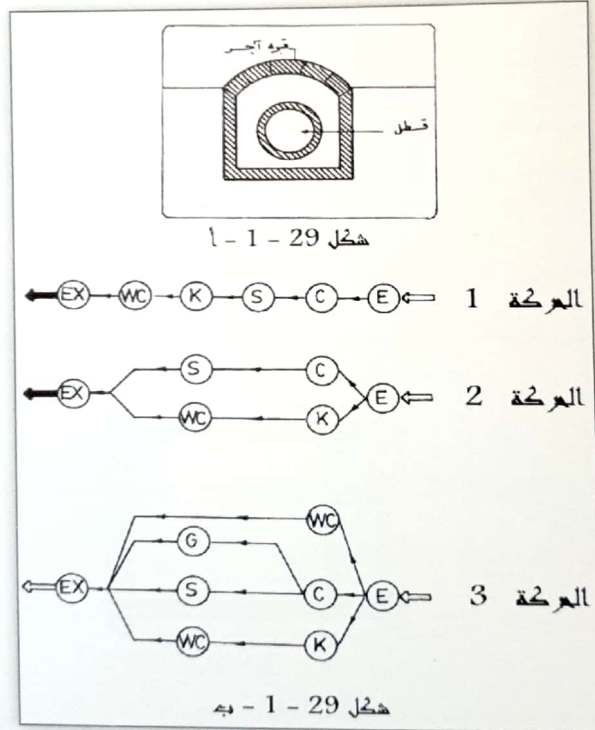
٢: الآبار والطوابع في ساروجة:

كانت المنازل تتغذى من الطوابع بنسبة ٦٠٪ ، بينما تتغذى من الآبار بنسبة ٤٠٪ (٢٥١).

٣: الحركة المائية: (٢٥٢)

ويمكن تقسيمها كالتالي:

- نقطة دخول الماء نرمل لها E حدائق الفناء G
- الخدمات المطبخ نرمل لها K دورات المياه WC
- بحرة الفناء نرمل لها C القاعات S
- نقطة خروج الماء نرمل لها EX (الشكل ١٤٤)



الشكل - ١٤٤ طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي

وصول الماء إلى البيت الدمشقي بالأقنية و الطوابع

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

(٢٥١) كبريت، م. محمد: المرجع نفسه، ص ٢٩

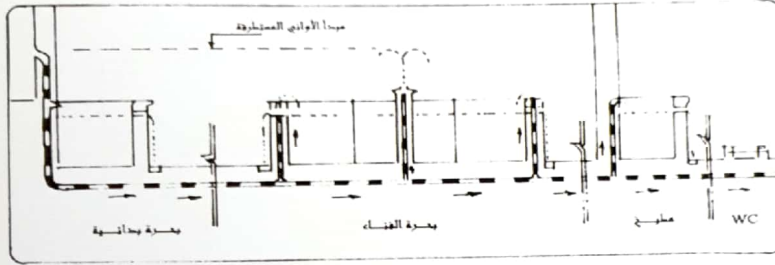
(٢٥٢) كبريت، م. محمد: المرجع نفسه، ص ٢٩

٤: مبدأ عمل البحرات في بيوتات دمشق:

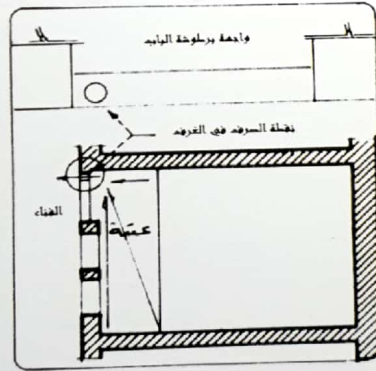
يُعد منسوب الطالع أعلى من منسوب المنزل بشكل دائم، وعلى مبدأ الأواني المستطرقة، فإن أية نقطة مائية على مستوى منسوب المنزل نفسه، سوف يصعد فيها الماء إلى ارتفاع يساوي ارتفاع مياه الطالع، ولكن الفرق هو أن تغذية البحرات يتم من أعلاها، لأن هذه العملية تعمل كصمام (عدم رجوع) للمياه الملوثة^(٢٥٣).

٥: التصريف ضمن الغرف:

إذا وجدت فسقية، فهي تأخذ نقطة مجرور، أما إذا لم يوجد فسقية، فيتم التصريف من خابور محفور في برطوشة (عتبة) باب الغرفة، وتوجه العتبة نحوه.^(٢٥٤) (الشكل ١٤٥)



شكل 30 - 1 - أ



شكل 30 - 1 - ب

الشكل ١٤٥- طريقة وصول الماء للبيت الدمشقي

الصرف ضمن الغرف في البيت الدمشقي

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

(٢٥٣) كبريت، م. محمد: المرجع نفسه، ص ٣٠

(٢٥٤) كبريت، م. محمد: المرجع نفسه، ص ٣٠

٦: عناصر التوزيع العام:

للمنزل الدمشقي عناصر رئيسة عامة، وعناصر داخلية تفصيلية، وهي:

القسم الأول: (البراني أو السلمك) قسم استقبال الضيوف

يقع بالقرب من المدخل العام للمنزل، وهو مخصص لاستقبال الضيوف، وتكون مساحته نحو ربع مساحة البيت ككل، ولا يوجد فراغات معمارية تميزه عن قسم الحرمك.

القسم الثاني: (الجواني، أوجناح الحرمك) قسم المعيشة والحريم

هو الجناح المخصص للمعيشة، يوصل إليه بمسار متعرج لتأمين الخصوصية والخدمات.^(٢٥٥) وهو أهم أقسام البيت فهو مكان لعب الأطفال ونشأتهم، ونشاطات نساء البيت. وهو يتضمن أيضاً الفناء الواسع، مع البركة، والنافورة، والمزروعات والأشجار المثمرة، والإيوان، والقاعة من الشمال والجنوب، ثم المطبخ.

القسم الثالث: (جناح الخدمك)

هو الجناح المخصص للخدم كالحارس والطاهي وغيرهما، ويحتوي على غرفة صغيرة، ومطبخ، وغرفة مؤن، وحمام، ودورة مياه، وغرف الخدم وغيرها. ويوجد حول الصحن بركة صغيرة، وقد كان لهذا الجناح مدخل خاص في الجهة الخلفية من المنزل، ومنه باب يؤدي إلى الإسطبل.

وهذا الترتيب كان في بيوت الولاة والأغنياء، حيث تواجدت في طابق أرضي واحد الصحن، ومداخل متعددة المنافذ، أما بيوت العائلات الدمشقية العادية، فقد كان الترتيب فيها كالتالي:

* الطابق الأرضي:

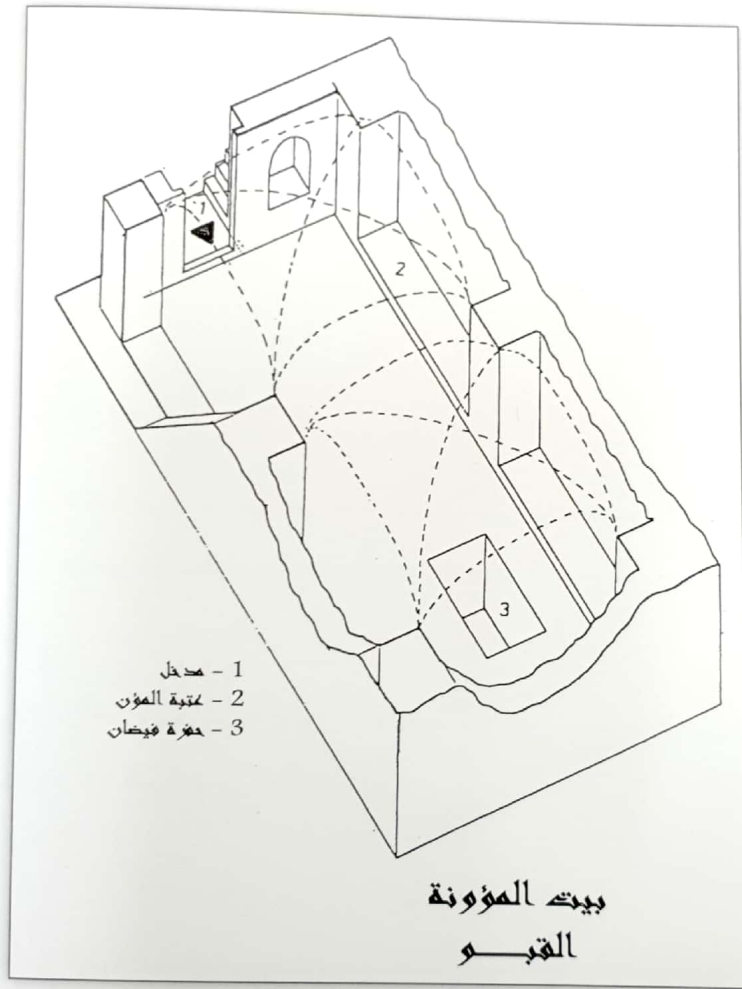
يضم جناح الاستقبال، أما في الجهة الشمالية منه فتتوضع القاعة، وفي الجنوبية يكون الإيوان، وهناك قاعتان على جانبيه، ثم المطبخ، والخدمات، ودرج للقبو. منوهين إلى أن الطابق الأول يصعد إليه بدرج، وجميع هذه العناصر كانت تحيط بالصحن الواسع.

(٢٥٥) الحوليات العربية السورية، مجلد ٣٥، ص ٤٨

* الطابق الأول :

هو جناح المعيشة، ويضم غرف سكن العائلة، حيث تفتح على رواق مطل على صحن المنزل، يصعد إليه بسلاسل حجرية مخفية في مكان مسقوف أحياناً، حيث الفتحات في الطابق العلوي لإدخال نور الشمس، والإطلالة على الصحن.

* القبو: يتم الوصول إليه عبر درج. وكان مخصصاً لتخزين المؤن والمياه، لأن الحرارة والرطوبة فيه تكون معتدلة صيفاً وباردة شتاءً. (الشكل ١٤٦)



الشكل ١٤٦- بيت المؤونة (القبو)

مفتاح الشكل:

حفرة فيضان

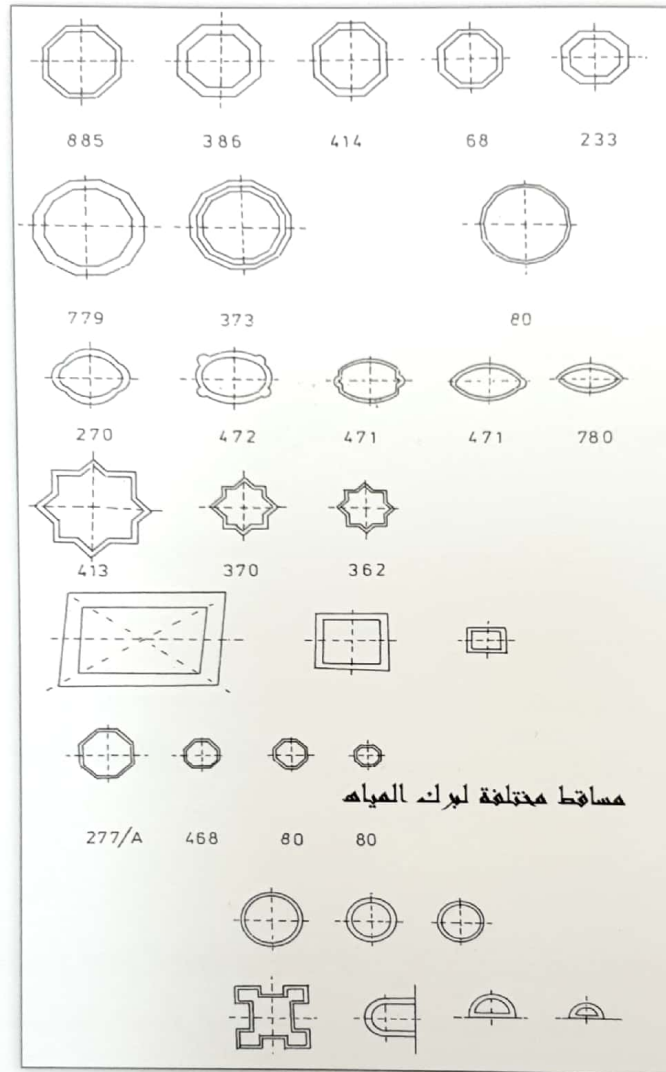
عتبة المؤن

مدخل

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العناصر الرئيسية المكونة للقاعات:

- ١- العتبة: وهي فراغ ممهد، يتم عن طريقها الدخول للقاعة. ومن عادة أهل البيت ألا يتركوا الضيف واقفاً عند العتبة.
- ٢- الطزر: هو المكان المخصص للجلوس، ويطلق عليه اسم (المجلس)، بحيث يكون على شكل حلقة مفتوحة من جهة العتبة لتسهيل الرؤية.
- ٣- الفسقية: هي بحرة ماء رخامية توضع في الوسط لتلطيف الجو. (الشكل ١٤٧)



الشكل ١٤٧- مساقط مختلفة لبرك المياه

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

٤- الكتبتات: هي خزن جدارية ذات رفوف صغيرة مخصصة لوضع الكتب والصمديات، تكون في منتصف الجدار، تعلوها أطر من الكتابات.

٥- الخرستان: هو الخزانة الصغيرة لوضع الوسائد والأغطية.

٦- الليوك: هو خزانة أكبر من الخرستان، توضع فيها الأغطية المكونة من اللحف، والفرش، والوسائد، وغيرها، وتسدل عليها ستارة. وهو مصطلح تركي على الأغلب.

٧- المشكاة: هي طاقة صغيرة تتوضع في الجدران لاحتواء أباريق الماء لخدمة الضيوف، إضافة إلى عناصر الإنارة كالقناديل، والشموع، أو النرجيلة.

٨- المصب: فتحة في جدار العتبة لانصباب الماء منه، ويستعمل عادة لتلطيف جو القاعة الرئيسة ويقال له الشادروان.

٩- النوافذ السفلية.

١٠- النوافذ العلوية.

١١- القوس.

١٢- المصطبة: وهي البناء المرتفع قليلاً يجلس عليه، وتقال بالسين والصاد، وتعرف أيضاً بالدكة. (٢٥٦)

البنية الإنشائية للبيت الدمشقي:

الجدران:

يتم تشييد الجدران عبر إحدى الطرق الأربع التالية:

١- طريقة اللبن:

تعتمد على اللبن العريض في بناء الجدران فقط، وذلك بخلط الطين بالقش المكسر، ووضع هذا الخليط عرضة للشمس حتى يجف ويصبح قاسياً، ثم تبدأ عملية بناء الجدار بوضع الأساس فالحلقات، ويوضع بينها الملاط لتتماسك بعضها مع بعض، وبعد هذه العملية يتم تغطية الجدار بطبقة رقيقة من الطين الممزوج باللبن. (٢٥٧)

(٢٥٦) عبد الروؤف المناوي، محمد: المرجع نفسه، ٢٥٠

(٢٥٧) دغمان، موفق: المرجع نفسه، ص ١٣٢

٢- الهيكل الخشبي:

تستعمل هذه الطريقة غالباً في المنزل ذي الطابقين، حيث تستخدم الأخشاب والتراب. يتم إنجاز الجدران على مرحلتين، الأولى تبدأ بإقامة هيكل خشبي يتألف من جذوع أشجار الحور، أما الثانية فيتم ملء الفجوات بقطع اللبن، ثم تطلّى الجدران بعد ذلك بطبقة مصقولة لحماية الجدران من الأمطار.

٣- طريقة الدك:

هي من أقل الطرق انتشاراً، حيث يتم إحضار لوحين خشبيين مستطيلين يتم تثبيتهما بعيداً بعضهما عن بعض بشكل رأسي، ويسد الجانبان الآخران بلوحين صغيرين فيتشكل قالب خشبي بقاعدة مستندة إلى الأرض، ثم يتم الملء بالتراب والحصى الممزوجين بالماء، ويضغط حتى يصبح كتلة واحدة، ثم يرفع القالب، ويتم إعادة هذه العملية مرات عديدة، وعندما تنتهي إقامة الصف الأول من الدك، تقام فوقها عدة صفوف أخرى، حتى يصل إلى الارتفاع المطلوب، حيث تتماسك الحجارة بعضها مع بعض بالملاط الطيني، و يفصل بين كل دك والآخر طبقة صغيرة من الحجارة الصغيرة، ومن مجموعة هذه الطبقات الترايية تتشكل الجدران الصلبة، وتصبح قاسية بعد جفافها. ويتم تجديدها كل ثلاث سنوات.^(٢٥٨)

٤- طريقة الحجارة:

وهي أقل انتشاراً من النوع الترابي، لأنها اقتصرّت على بيوت الأسر البسيطة والمباني العامة، وهذه المساكن الحجرية تكون أطول عمراً.

ويقام أساس البيت الحجري عادة باستخدام الحجارة مع الملاط ويتم رفع الجدران فوقها، حيث تملأ الفراغات بينها بالملاط والحجارة غير المنحوتة. ومعظم الحجارة المستخدمة تكون ذات أحجام مختلفة.

الأسقف:

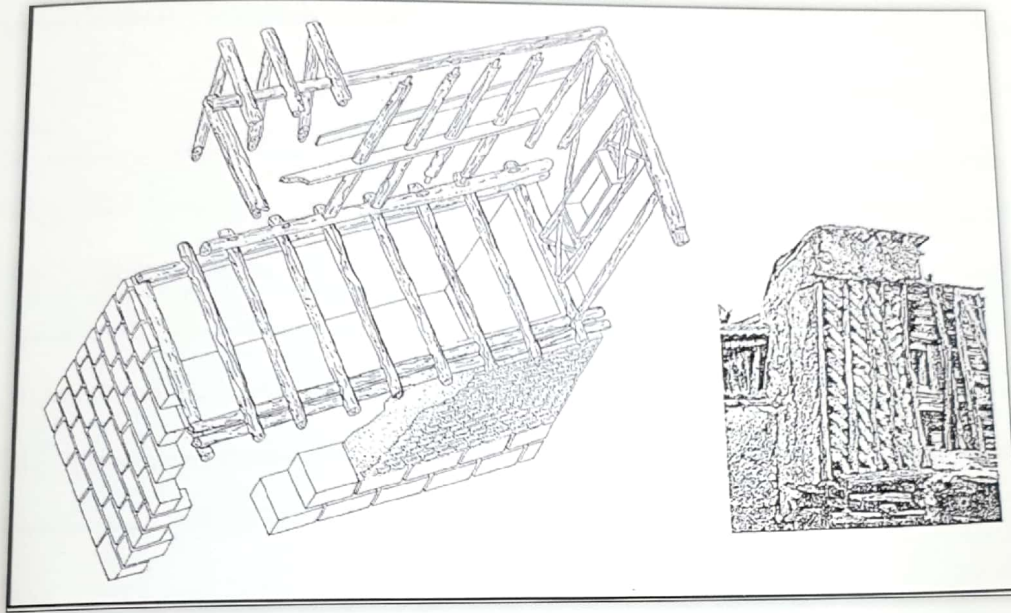
تدخل الأخشاب في بناء المساكن لتغطية سقفه وبناءه، ويستخدم خشب الحور لتوافره في هذه المنطقة، ويتم بناء السقف بعد رفع الجدران كالتالي:

يوضع عمود من الخشب الغليظ، يستند على منتصف جدران لتستند عليه أعمدة الحور، ثم توضع فوق الأعمدة رفوف

(٢٥٨) دغمان، موفق: المرجع نفسه، ص ١٣٤

خشبية، تسمى الطبقة، وتفرش فوقها طبقة من التراب تدعى (البلة) ثم تضغط، ويصنع للسقف ميلان خفيف ليسهل انحدار مياه الأمطار، وهناك فتحات أفقية للتهوية. كما وجد لبعض البيوت الراقية أروقة مثبتة بأعمدة خشبية مستندة إلى الأرض. (٢٥٩)

(الشكل ١٤٨)



الشكل -١٤٨

البنية الإنشائية للجدران و السقف في البيت الدمشقي

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

المساكن الموجودة في حي ساروجة:

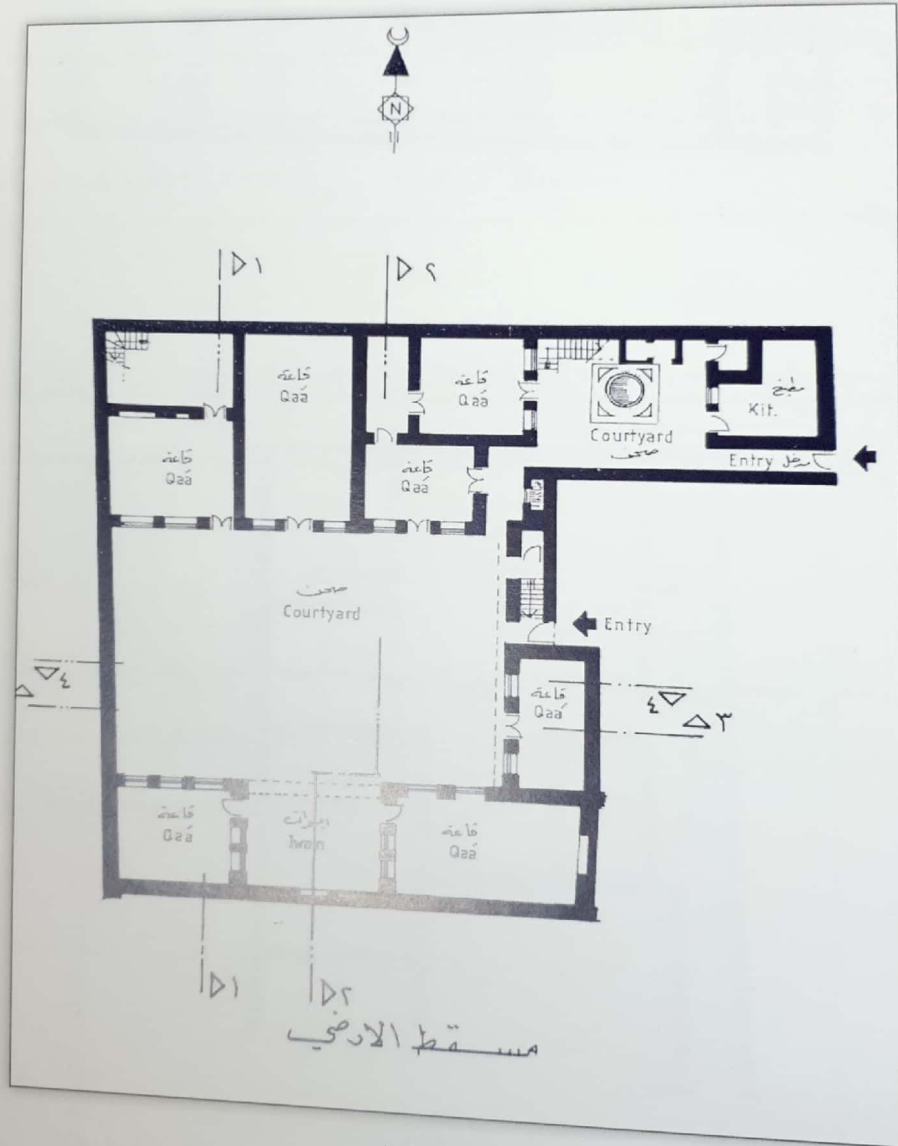
امتازت دمشق بطراز بنائها وهندستها، فقد كانت العادة في منازل القاهرة والإسكندرية وبيروت أن تكون حديقة المنزل محيطة بها، أما منازل الشام فحداائقها في داخلها، وعندما تدخل المنزل تجد الفسقية في منتصف الفناء الخارجي يتدفق منها الماء، وتحيط بها الأشجار وكافة أنواع الأزهار والرياحين المعطرة، وقد تختلف منازل دمشق عن حاراتها، فهي متلاصقة، ضيقة الممرات، تفصل بينها أزقة. (٣٠)

(٢٥٩) دغمان، موفق: المرجع نفسه، ص ١٣٦

(٢٦٠) سبانو، أحمد غسان: سلسلة دراسات وثائق دمشق الشام، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨١م، ص ٣٤، ٣٦

العقار ٢٧٧ حارة المفتي:

ينفتح العقار عن طريق مدخلين، الأول شمالي يؤدي إلى صحن داخلي صغير، يرتبط مع خدمات المنزل، من مطبخ وحمام وعناصر الارتباط الشاقولية (الدرج)، وصالة الاستقبال، والآخر القسم الخاص بالمنزل، حيث يؤدي إلى الصحن الكبير، وهو فناء داخ يينفتح عليه إيوان، ونوافذ القاعات، فالكتيبات، والمشربيات التي يشرف عليها المدخل الجنوبي، وله مخرج مباشر على الحارة. (الشكل ١٤٩)



الشكل - ١٤٩

العقار رقم ٢٧٧ ب- حي ساروجة - حارة المفتي
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

ملاحظات:

- لا يوجد في الصحن الكبير بحرة، بينما هي موجودة في الصحن الداخلي.

- لا يوجد في الطابق الأرضي نوافذ تطل على الحارة، بينما جميعها تنفتح على الفناءات الداخلية.

العقار رقم ٢٧٨ - ٢٧٩ حارة المفتي :

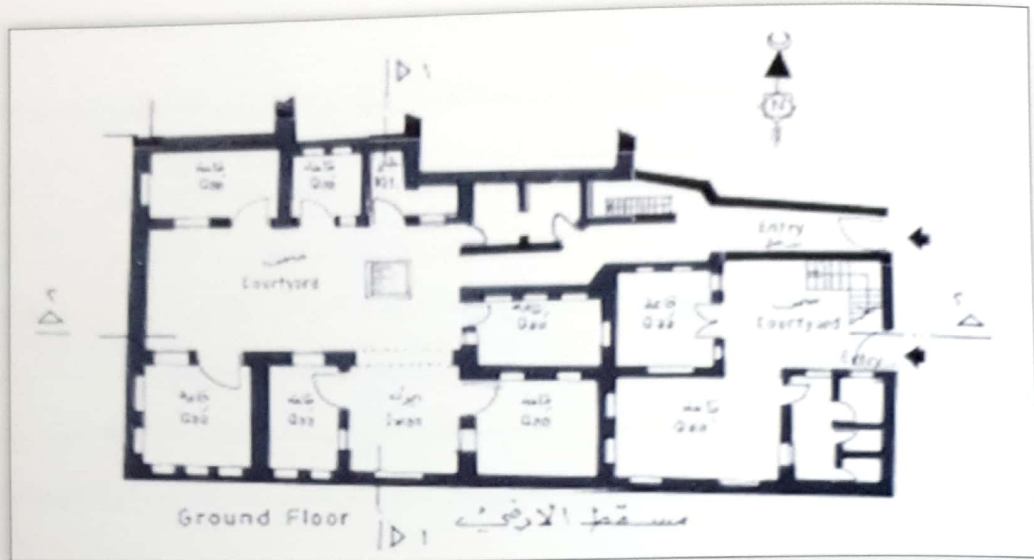
العقار ٢٧٨: يتألف من مدخل مباشر يطل على الفناء، (نظراً لصغر مساحة العقار نسبياً، فقد فتح اضطرارياً على الصحن مباشرة وليس عن طريق دهليز)، وبما أن مساحة البيت صغيرة، فقد كان فناء المنزل صغيراً، وتم الاستغناء عن البحرة والإيوان، ولا توجد فيه نوافذ خارجية.

العقار ٢٧٦:

يؤدي مدخله إلى رواق طويل، يتفرع عنه الدرج والمستودعات، وينتهي ضمن الفناء الداخلي بفتحة سماوية كبيرة، فالإيوان الذي يحتوي على كافة العناصر المعمارية، والبحرة هي قاعات منفتحة عليه بشكل عام . (الشكل ١٥٠)

العقار ٣٧٠ حارة النهر:

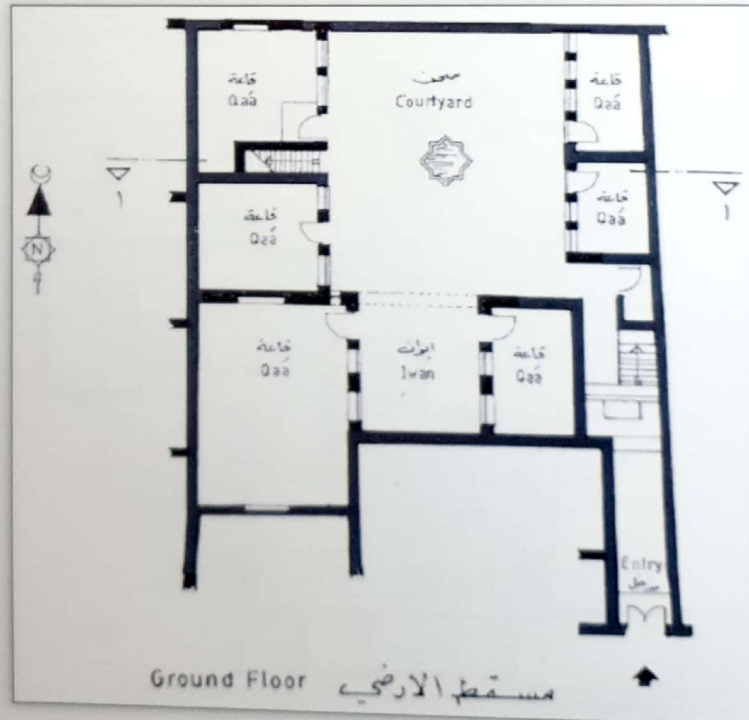
يوجد مدخل واحد للبيت، مفتوح على دهليز طويل، ينتهي بأربع درجات ليصل إلى منسوب الفناء الداخلي، ويرتبط بشكل غير مباشر مع الصحن (وذلك زيادة في الخصوصية). يحتوي على بحرة ذات شكل مثنى، حيث ينفتح عليه الإيوان، مع درج في الجهة الغربية، يؤدي إلى الطابق العلوي. (الشكل ١٥١)



الشكل - ١٥٠

العقار رقم ٢٨٧-٢٧٩ حي ساروجة

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل - ١٥١

العقار ٢٧٠ حي ساروجة حارة النهر

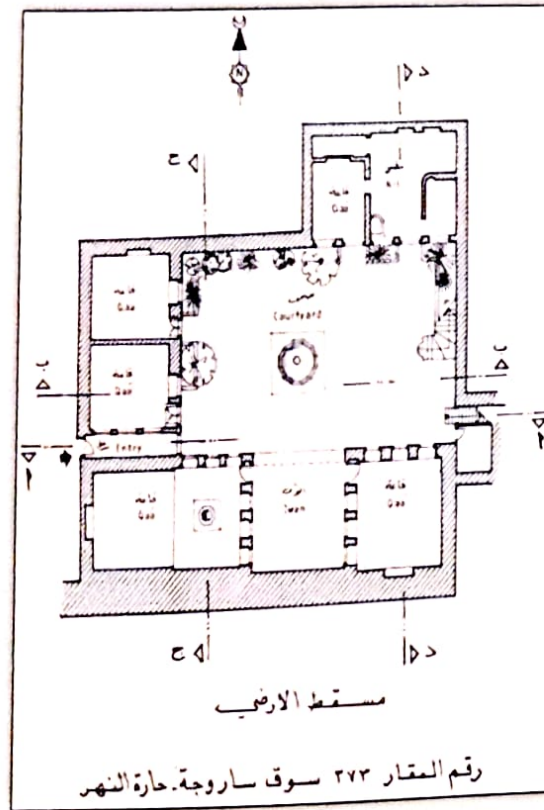
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٣٧٣ حارة النهر:

له مدخل مفتوح على رواق ينتهي بصحن كبير، متكامل بعناصره المعمارية من حيث الإيوان والصحن والبحرة. وله حديقة داخلية. وفي الجهة الشمالية للصحن مطبخ وغرفة مؤن وقاعة. أما في الجهة الشرقية فهناك درج يؤدي إلى الطابق العلوي. أما في الجهة الجنوبية فهناك إيوان يتصل مع قاعة شرقية وقاعة غربية، وهي قاعة استقبال كبيرة، تقسم إلى جزأين:

١- الجزء الأول منه، يكون وفق منسوب الصحن نفسه، ويحتوي على بحرة مثمثة الشكل، وينفتح على الإيوان والصحن بنوافذ كبيرة طولانية.

٢- الجزء الآخر من القاعة، جاء على منسوب أعلى، وهو يحتوي على جلسات استقبال، إضافة إلى كتيبة، ويدل ذلك على أن المنزل يعود لأسرة غنية. (الشكل ١٥٣)



الشكل - ١٥٣

العقار رقم ٣٧٣ حي ساروجة حارة النهر

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

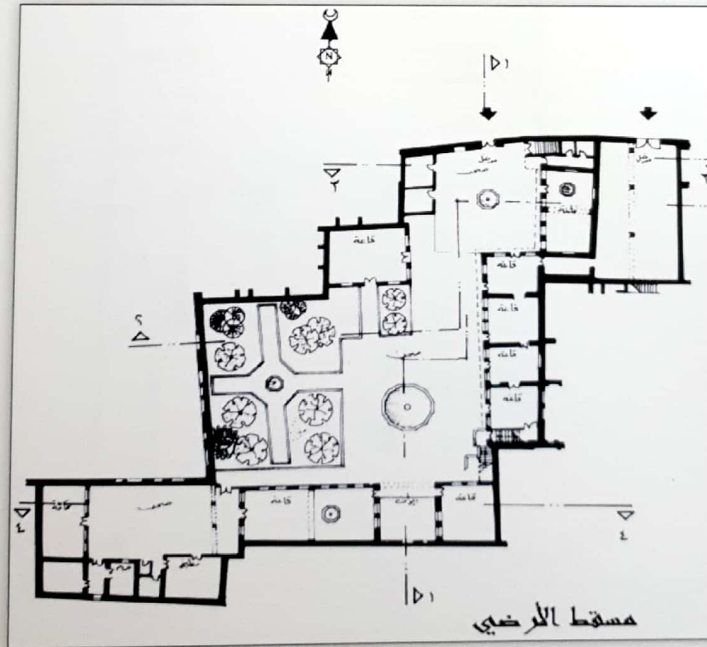
العقار رقم ٨٠ حارة الكمار :

يوجد لهذا المنزل مدخلان شماليان، يطلان على حارة الكمار، الباب الأول يمكن أن يكون باباً لإسطبل، وهو كبير نسبياً، محمول على ثلاث قناطر، أما الباب الثاني فينفتح مباشرة على الباحة السماوية الكبيرة (مقارنة مع كافة البيوت السكنية سابقة الذكر في ساروجة).

يجاوره شرقاً باب يفضي إلى درج، يؤدي إلى الطابق الثاني، وأسفل هذا الدرج يوجد مستودعان، إلى جانب الباب الرئيس، أما غرباً فهناك خدمات المنزل من مطبخ وحمام وقاعة. وهو يتألف من فناءين وحديقة، وكل فناء يحتوي على بحرة، تتصلان بشكل شبه مباشر، وينفتح عليه قاعات بنوافذ شاقولية. ونلاحظ وجود قاعتين كبيرتين للضيوف، تحتويان على ممرات، الأولى بجانب المدخل والثانية في الجهة الجنوبية إلى جانب الإيوان، وكل منهما تحتوي على بحرة مما يدل على المكانة الاجتماعية لقاطني هذا المنزل.

ويوجد في أقصى الجهة الجنوبية الغربية للقاعة الرئيسة باب يؤدي إلى صحن فناء داخلي ذي خصوصية أكبر، محاط بخدمات المنزل وقاعة، ويتصل مع قاعة الضيوف الملاصقة للإيوان.

كما يحتوي على خدمات المنزل من مطبخ ودورات المياه، وعناصر الانتقال الشاقولية في المنزل. (الشكل ١٥٢)



الشكل - ١٥٢

المسقط الأرضي العقار رقم ٨٠ حي ساروجة- حارة الكمار

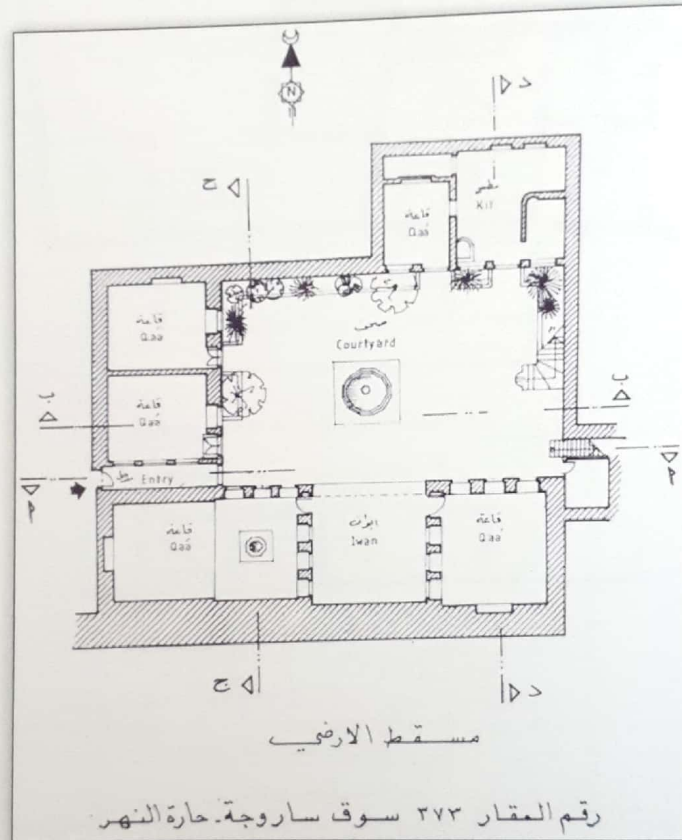
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٣٧٣ حارة النهر:

له مدخل مفتوح على رواق ينتهي بصحن كبير، متكامل بعناصره المعمارية من حيث الإيوان والصحن والبحرة، وله حديقة داخلية. وفي الجهة الشمالية للصحن مطبخ وغرفة مؤن وقاعة. أما في الجهة الشرقية فهناك درج يؤدي إلى الطابق العلوي. أما في الجهة الجنوبية فهناك إيوان يتصل مع قاعة شرقية وقاعة غربية، وهي قاعة استقبال كبيرة، تقسم إلى جزأين:

١- الجزء الأول منه، يكون وفق منسوب الصحن نفسه، ويحتوي على بحرة مثمثة الشكل، وينفتح على الإيوان والصحن بنوافذ كبيرة طولانية.

٢- الجزء الآخر من القاعة، جاء على منسوب أعلى، وهو يحتوي على جلسات استقبال، إضافة إلى كتيبة، ويدل ذلك على أن المنزل يعود لأسرة غنية. (الشكل ١٥٣)



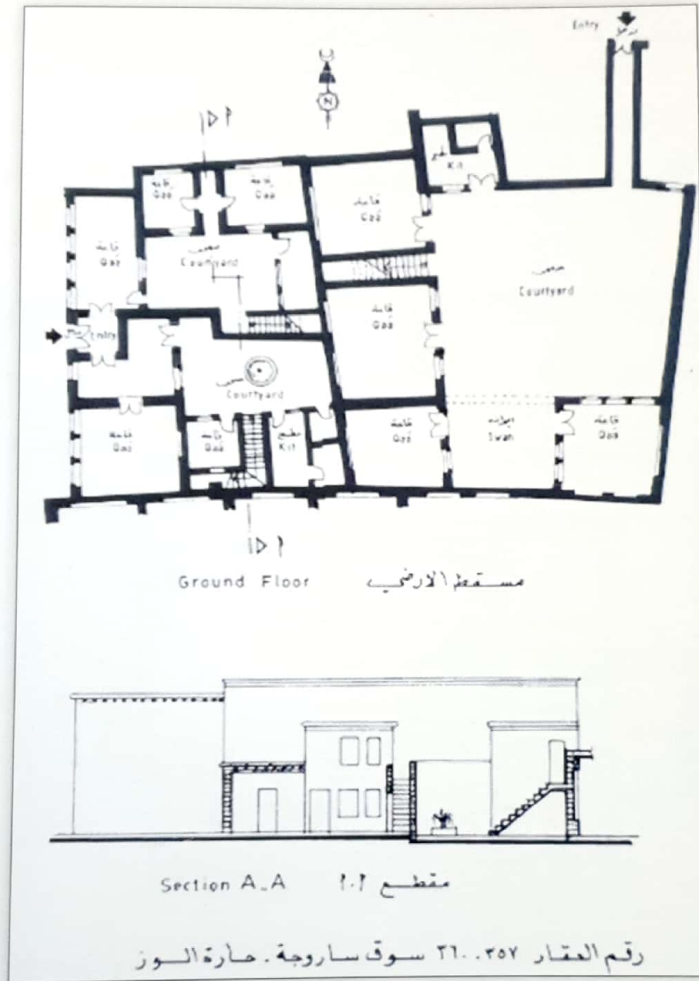
الشكل - ١٥٣

العقار رقم ٣٧٣ حي ساروجة حارة النهر

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٣٥٧ حارة الوزير:

هو منزل له مدخل وحيد في الجهة الشمالية، يفتح على دهليز ينتهي بالصحن الداخلي، ويشرف على الإيوان ونوافذ القاعات المحيطة به، إضافة إلى خدمات المنزل. أما في الجهة الغربية، فهناك درج يؤدي إلى الطابق العلوي (الشكل ١٥٤)



الشكل - ١٥٤

العقار رقم ٣٥٧-٣٦٠- حي ساروجة حارة الوزير

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

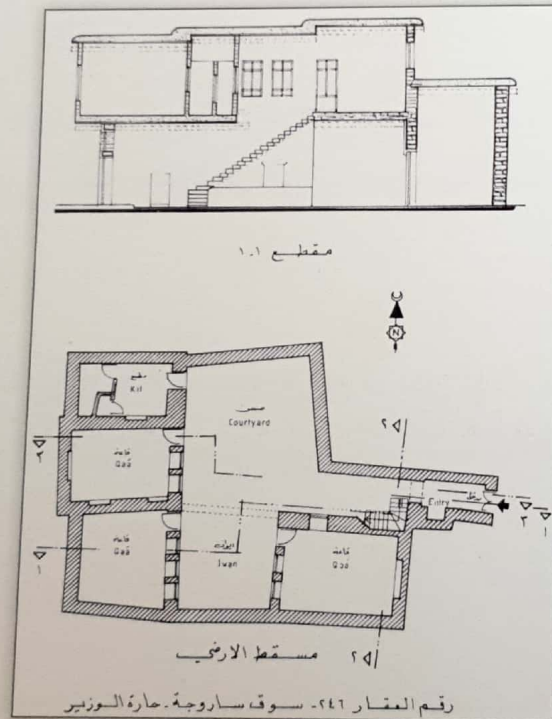
العقار ٣٦٠ / ٢-١ / حالة مميزة

هو عبارة عن قسمين ، لهما مدخل واحد:

- ١- الأول وهو الشمالي: يفتح عن طريق المدخل على قاعة مطلة على الحارة بعدة نوافذ، تؤدي إلى الصحن الداخلي المحاط بالقاعات وخدمات المنزل والدرج. وهو لا يحتوي على بحرة لأنه صغير الحجم نسبياً.
- ٢- الثاني وهو الجنوبي: يفتح عن طريق المدخل إلى بهو يؤدي إلى قاعة استقبال مطلة بعدة نوافذ إلى الحارة، إضافة إلى مدخل آخر يطل على الصحن الداخلي، الذي يحتوي على بحرة ذات شكل دائري. يحده من الجنوب قاعة، وخدمات المنزل، ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي.

العقار ٢٤٦ حارة الوزير:

يحتوي على مدخل، يفتح على دهليز، يتفرع عنه الدرج المؤدي للطابق العلوي الذي ينتهي بالصحن الداخلي المحاط بالقاعات والمطبخ والإيوان. (الشكل ١٥٥)



الشكل-١٥٥

العقار رقم ٢٤٦ ساروجة حارة الوزير

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٨٨٥ - ٨٨٦ حارة المبيض:

العقار ٨٨٦:

له مدخل منفتح على بهو يؤدي إلى الصحن المحاط بالقاعات المنفتحة عليه عن طريق نوافذ، ويحتوي على بحرة مثمثة الشكل. ويؤدي في الجهة الشمالية إلى خدمات المنزل، ودرج يفضي إلى الطابق العلوي، ويمتاز بأن له نوافذ مفتوحة على الحارة، ولا يحتوي على إيوان.

العقار ٨٨٥:

له مدخل شمالي مفتوح على الصحن الذي يحتوي على سلسبيل، والصحن محاط بقاعة منفتحة عليه بالنوافذ من الجهة الجنوبية. وفي الجهة الشرقية خدمات المنزل، والدرج المؤدي إلى الطابق العلوي. وفي قاعة الاستقبال شبك مظل على الحارة. ومن مميزاته: وجود سلسبيل. (الشكل ١٥٦)

العقار ٤٧٢ حارة القولي:

لهذا العقار مدخل شمالي منفتح على رواق يحتوي على الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي، وينتهي بصحن المنزل الذي يتضمن بحرة بيضوية الشكل، وهو محاط بأربع قاعات، إضافة إلى خدمات المنزل. وفي الجهة الجنوبية يقع الإيوان. (الشكل ١٥٧)

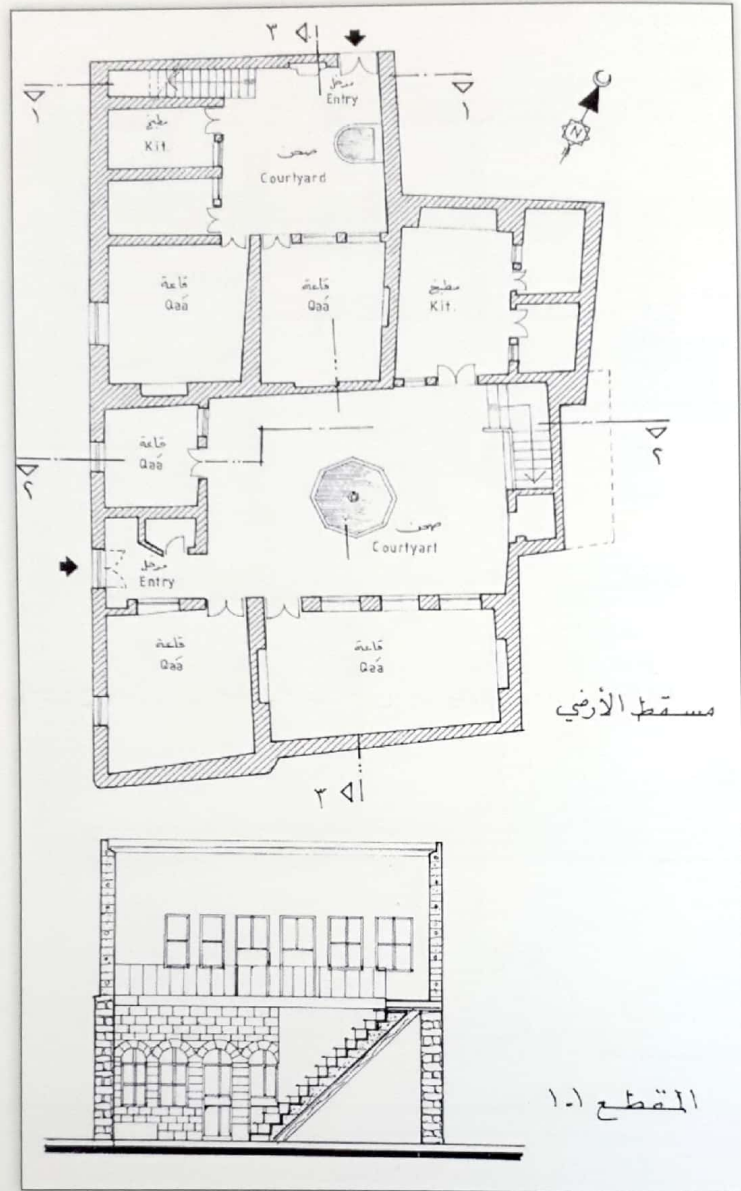
مميزات العقار:

إن الخطوط الهندسية فيه واضحة، وزواياه قائمة، ومن الأرجح أن يكون المنزل مرمماً في السابق. أما مواد البناء، فهي تقليدية (جوائز خشبية + طينة عربية)، وفي الطابق العلوي يوجد سياج، والقاعات مفتوحة على الحارة بنوافذ، كما أن صحن المنزل مفتوح بثلاث نوافذ على الحارة.

العقار ٤٧١ حارة القولي:

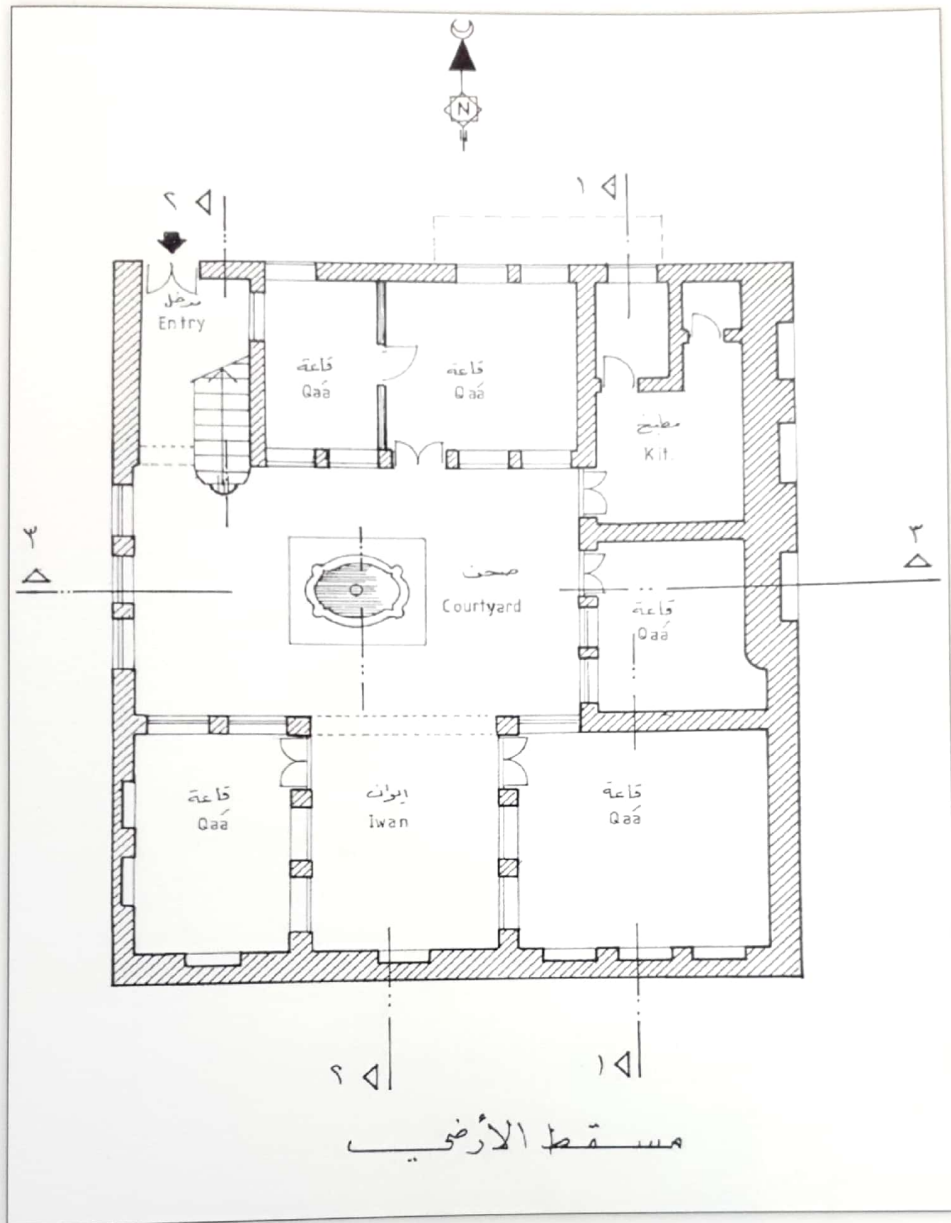
له مدخل ينفث على رواق يؤدي إلى صحنين: الأول رئيس؛ والثاني ثانوي. يوجد في الصحن الرئيس بحرة، وحديقة صغيرة، ومزروعات، وهو محاط بمطبخ، وقاعتين، وإيوان، ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي، بينما تنفتح على الصحن الثانوي قاعة جنوبية فيها كتيبات.

تم التفريق وظيفياً بين الصحنين وفق الخصوصية، فالصحن الرئيس لأهل المنزل، والثانوي للضيوف (كأن يكون مضافة مثلاً)، وهو مفتوح على قاعة الاستقبال. (الشكل ١٥٨)



الشكل - ١٥٦

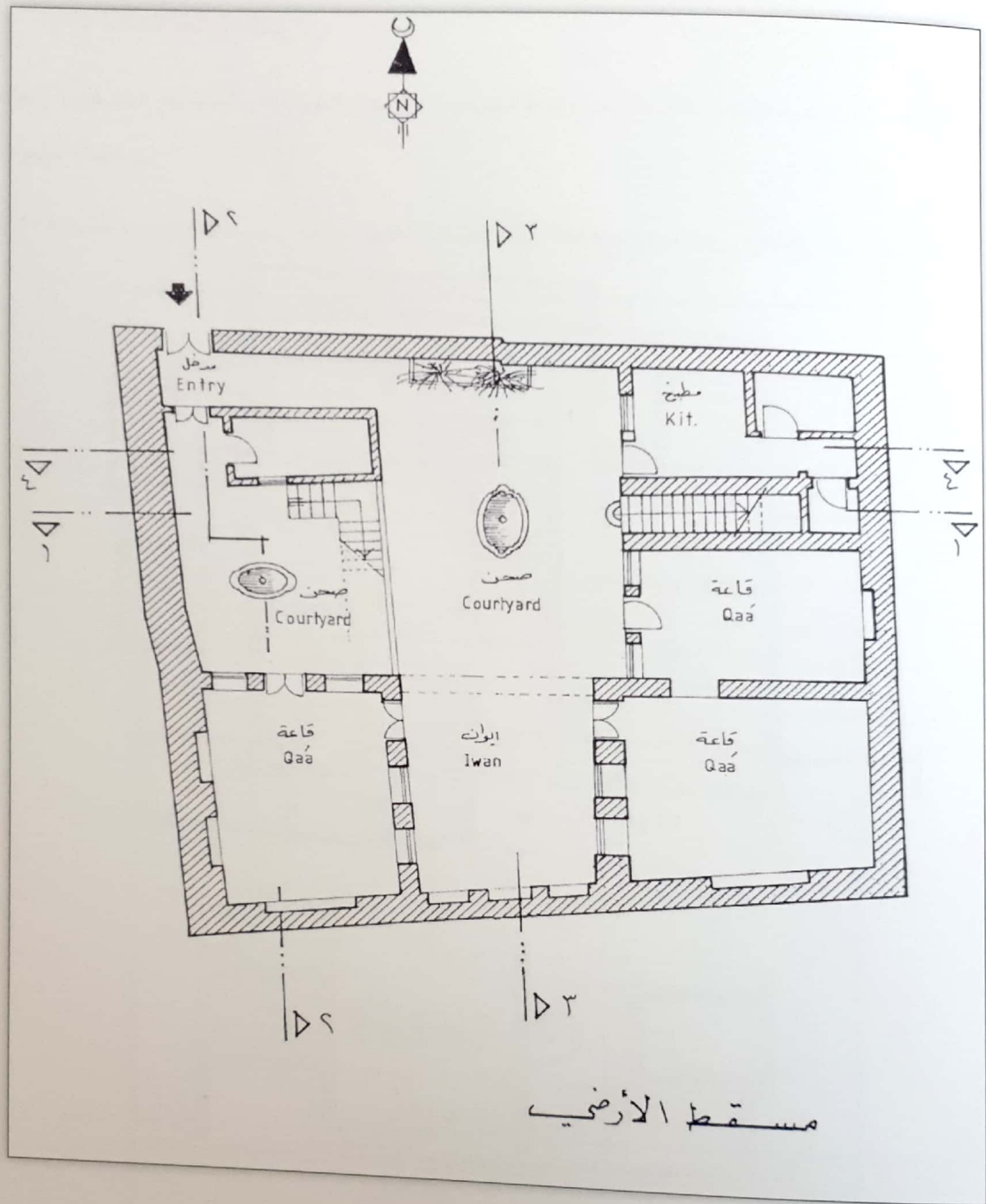
العقار رقم ٨٨٥-٨٨٦ حي ساروجة حارة المبيض
نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل - ١٥٧

العقار رقم ٤٧٢ ساروجة القولي

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل - ١٥٨

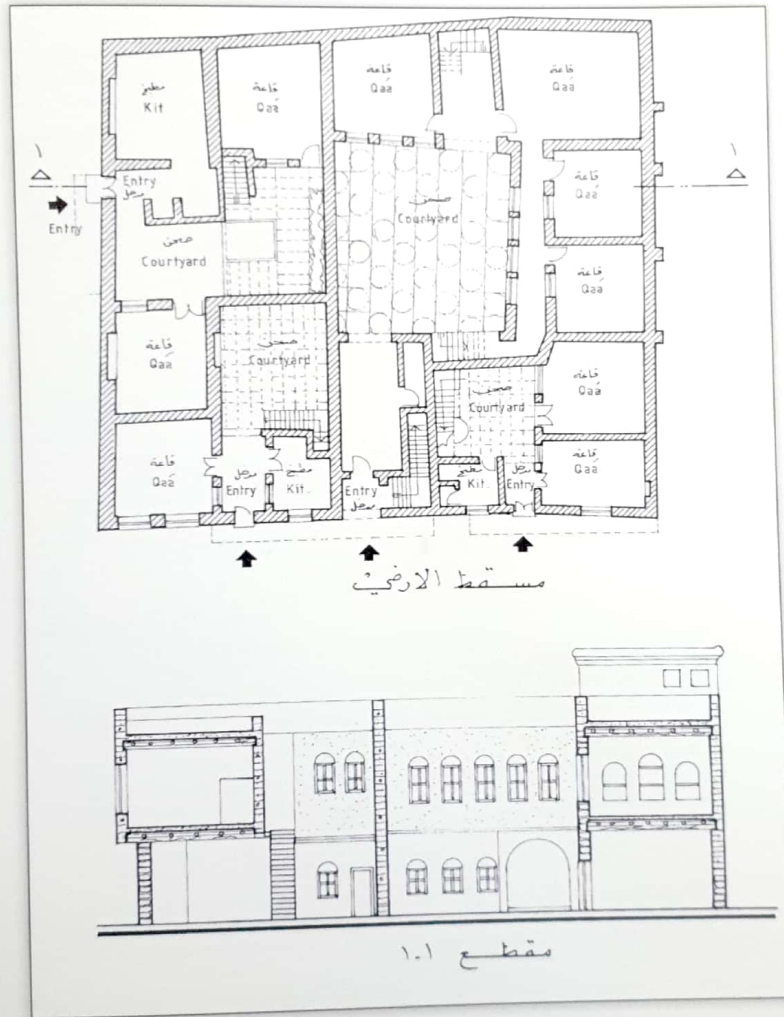
العقار رقم ٤٧١ حي ساروجة حارة القولي
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ حارة القولي:

هو عبارة عن أربعة عقارات متجاورة مستقلة المدخل. وجميعها تحتوي على فتحات سماوية، دون أن تحتوي على بحرات ولا إيوان في تصميمها المعماري.

في العقار ٤١١ حالة مميزة: فالصحن يجاور رواقاً منفثاً على القاعات، وما تبقى يحتوي على خدمات المنزل. (الشكل

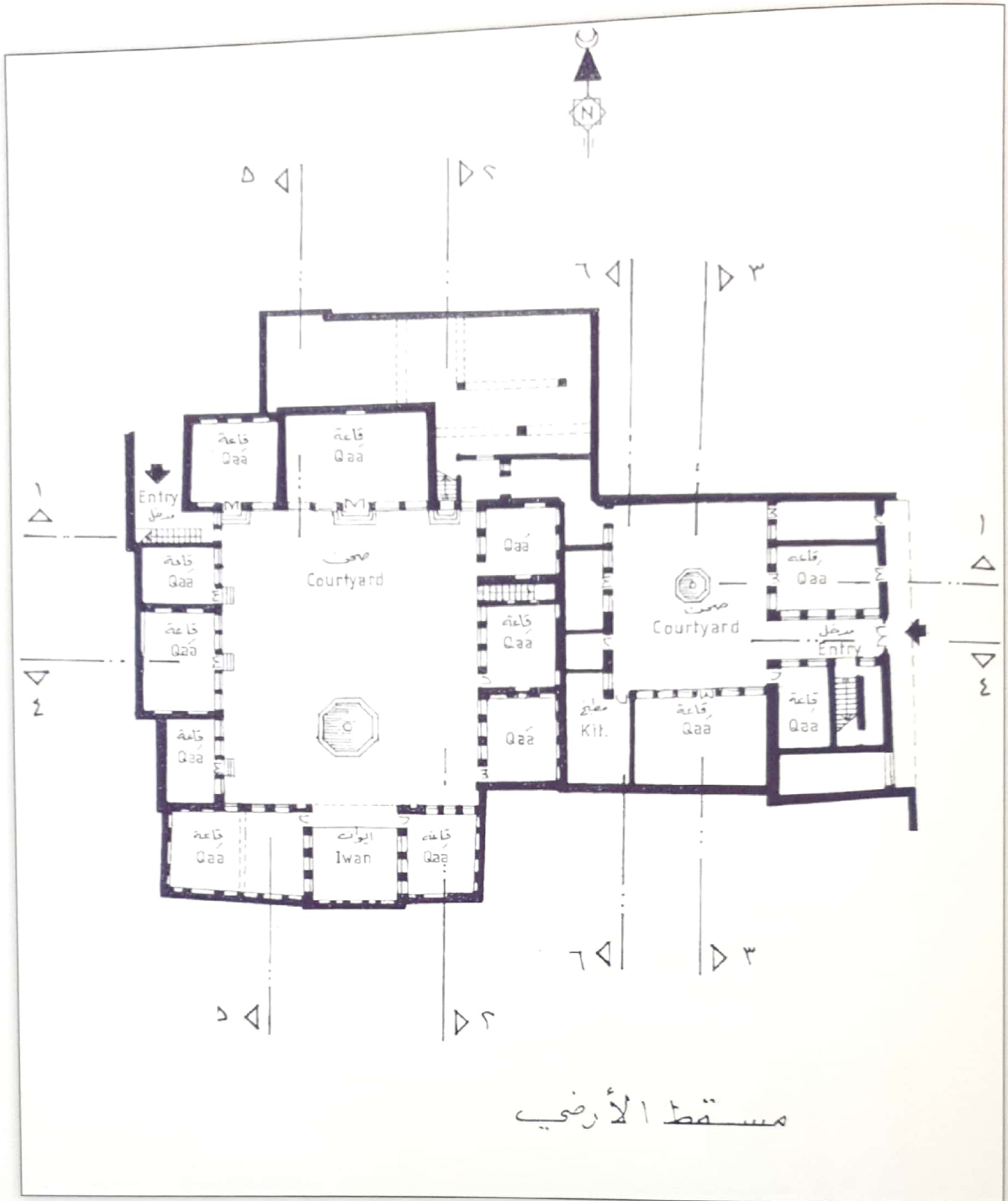
(١٥٩)



الشكل - ١٥٩

العقار رقم ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ ساروجة حارة القولي

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل - ١٦٠

العقار رقم ٣٢٥ ساروجة حارة القولي

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

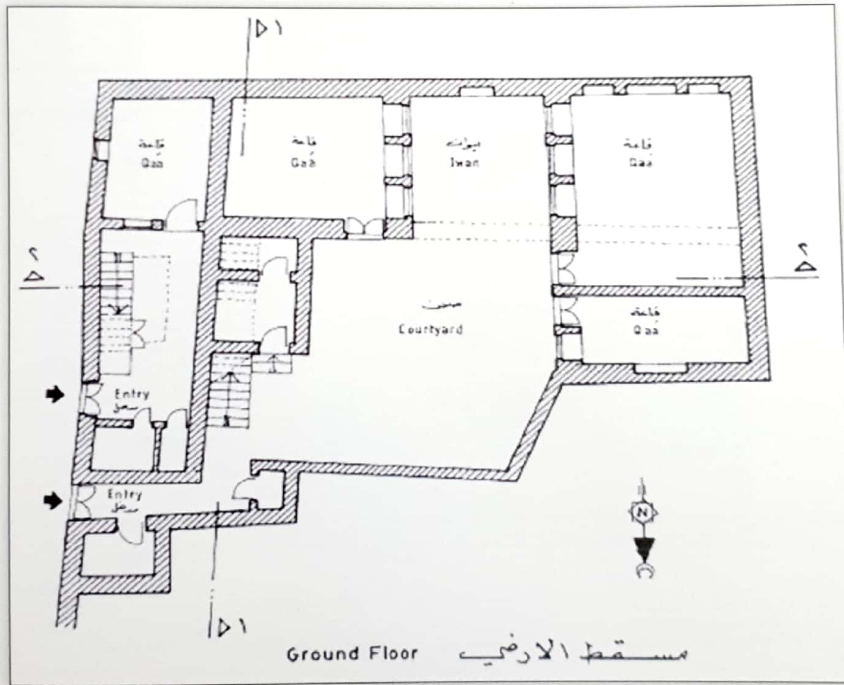
العقار ٣٢٥ حارة القولي:

له مدخلان شمالي وشرقي؛ يؤدي كل منهما إلى إيوان ينتهي بصحن، ويحتوي بدوره على بحرة، وهو محاط بعدة قاعات منفتحة عليه بنوافذ، ومن الملاحظ أن الصحن الغربي هو الرئيس، فقد احتوى على القاعات الكبيرة ذات المنسوب المرتفع، وينفتح عليه الإيوان. إضافة إلى القاعة الكبيرة التي من الممكن أن تكون مضافة أو مخزن قمح أو بايكة (الشكل ١٦٠)

العقار ٢٠٣-٢٠٤ حارة العبيد:

العقار ٢٠٣: له مدخل شرقي، يفتح على رواق يؤدي إلى صحن المنزل المحاط بثلاث قاعات وإيوان وخدمات المنزل، ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي.

العقار ٢٠٤: له مدخل شرقي، يفتح مباشرة على الفتحة السماوية أو الصحن، وفي الصحن قاعة مشرفة على الحارة عن طريق نافذة، والعقاران لا يحتويان على بحرة. (الشكل ١٦١)



الشكل - ١٦١

العقار رقم ٢٠٣-٢٠٤ ساروجة حارة العبيد

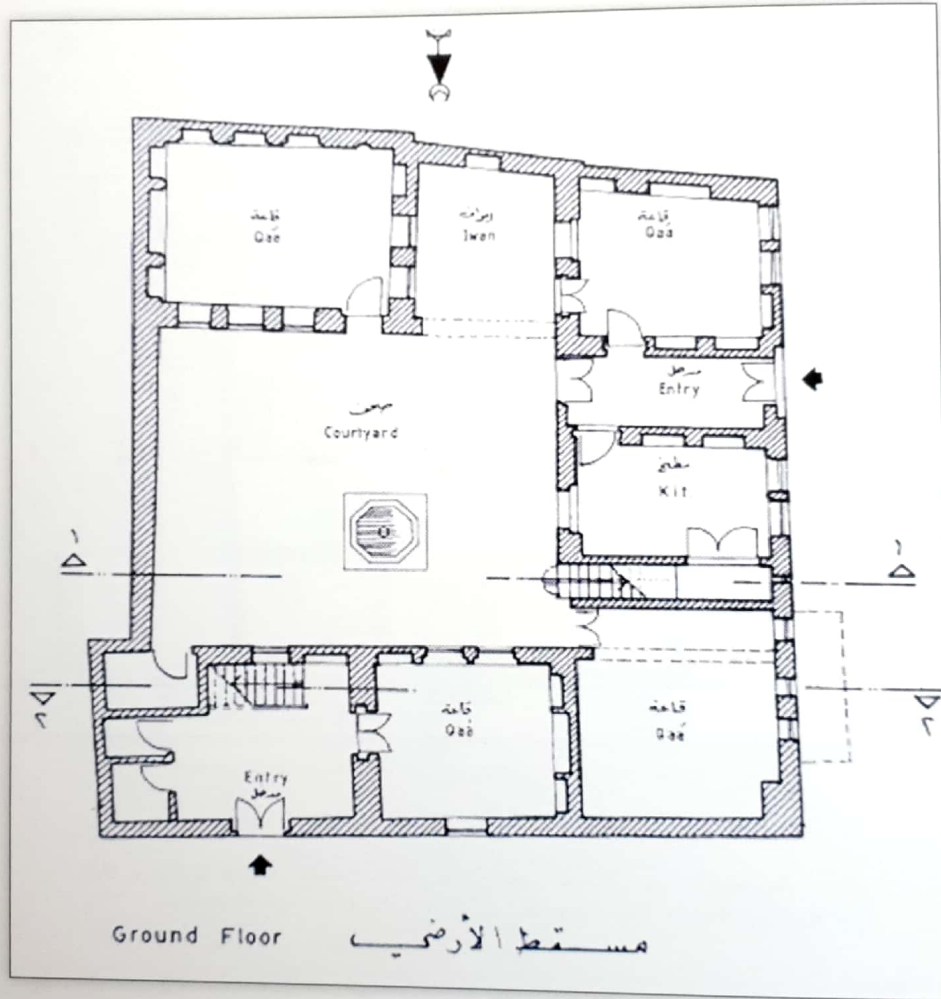
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٦٨ حارة العبيد:

له مدخل غربي وآخر شمالي؛ يفتح الغربي على بهو، وينتهي بصحن المنزل الذي يحتوي على بحرة، وهو محاط بأربع قاعات، وإيوان، وخدمات المنزل، ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي.

بينما يفتح المدخل الشمالي على بهو يحتوي على مستودع، ودرج يفتح على القاعة الشمالية، وتطل القاعات الشمالية والغربية على الحارة بنوافذ. (الشكل ١٦٢)

ويحتوي المنزل في طابقه العلوي على مشربية مطلة على الحارة الغربية.



الشكل - ١٦٢

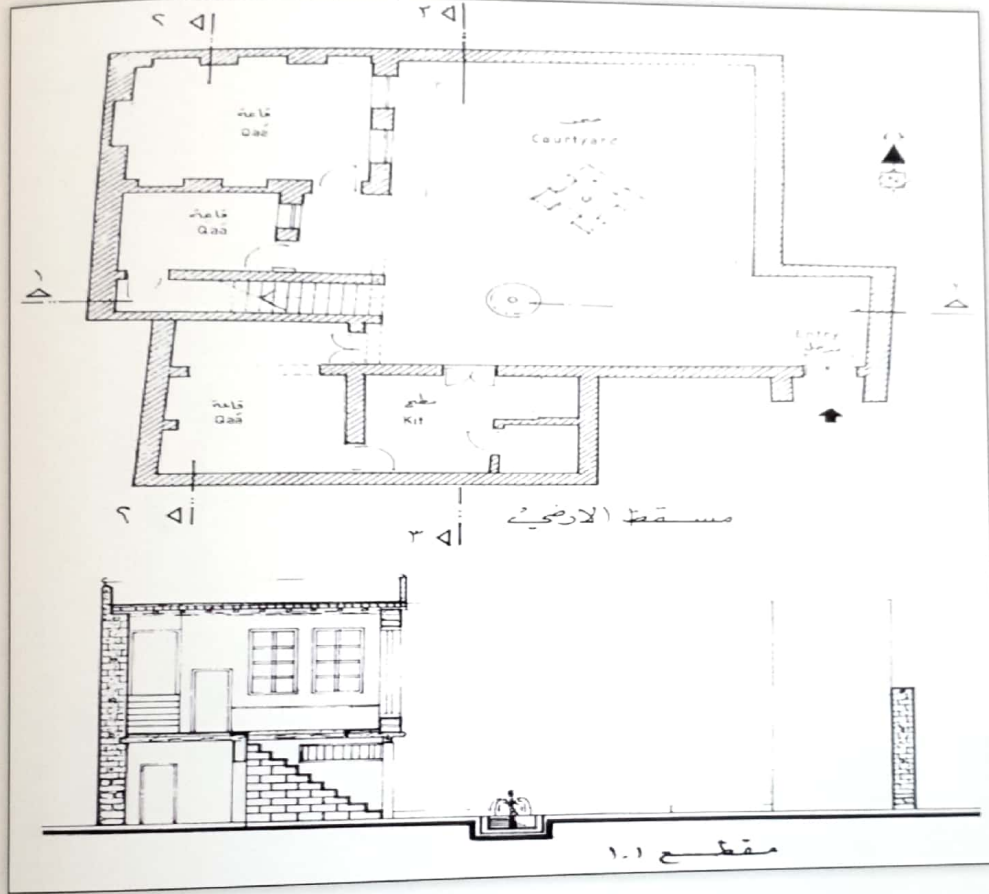
العقار رقم ٦٨ ساروجة حارة العبيد

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٦٦ حارة العبيد:

له مدخل جنوبي يفتح بطريقة غير مباشرة على الصحن الذي يحتوي على بحرتين، وهو محاط بثلاث قاعات، وخدمات المنزل، والدرج.

ولا يوجد فيه شيء مميز سوى البحرة ذات التكوين الهندسي المختلف. (الشكل ١٦٣)



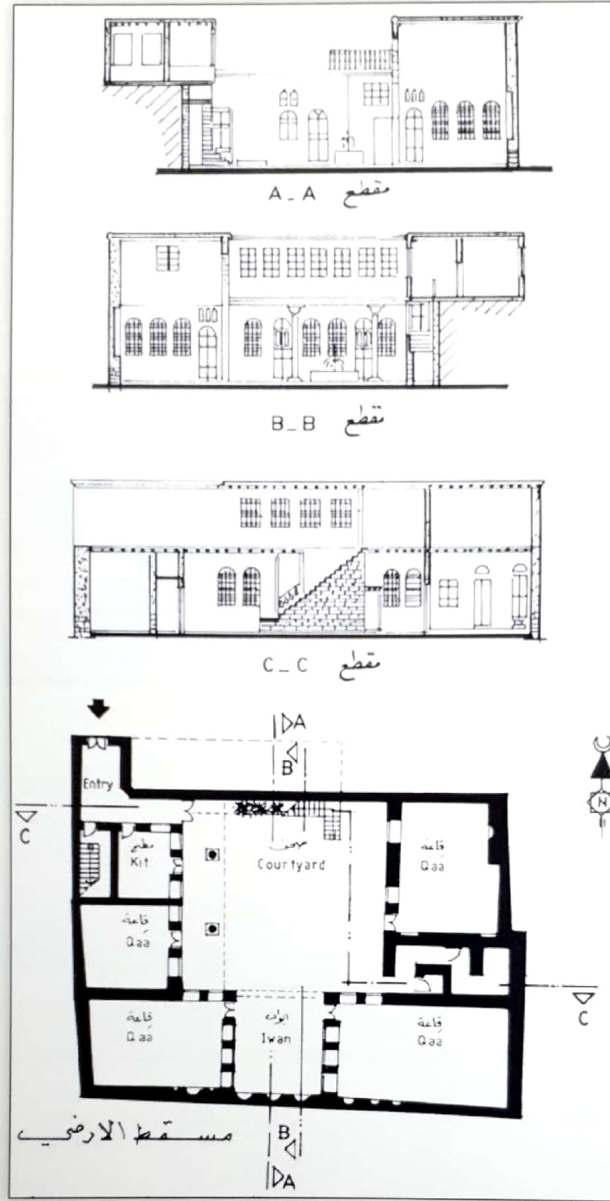
الشكل-١٦٣

العقار رقم ٦٦ حي ساروجة حارة العبيد

نقلا عن زكريا كهرت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٦٧٨ سبسية ساروجة:

له مدخل شمالي يفتح على بهو يؤدي إلى المطبخ والدرج والصحن. حيث أنشئ عمودان لحمل الطابق العلوي المطل على الصحن. وأحيط بأربع قاعات وإيوان وخدمات المنزل. (الشكل ١٦٤)



الشكل - ١٦٤

العقار رقم ٦٧٨ ساروجة سبسيه ساروجة

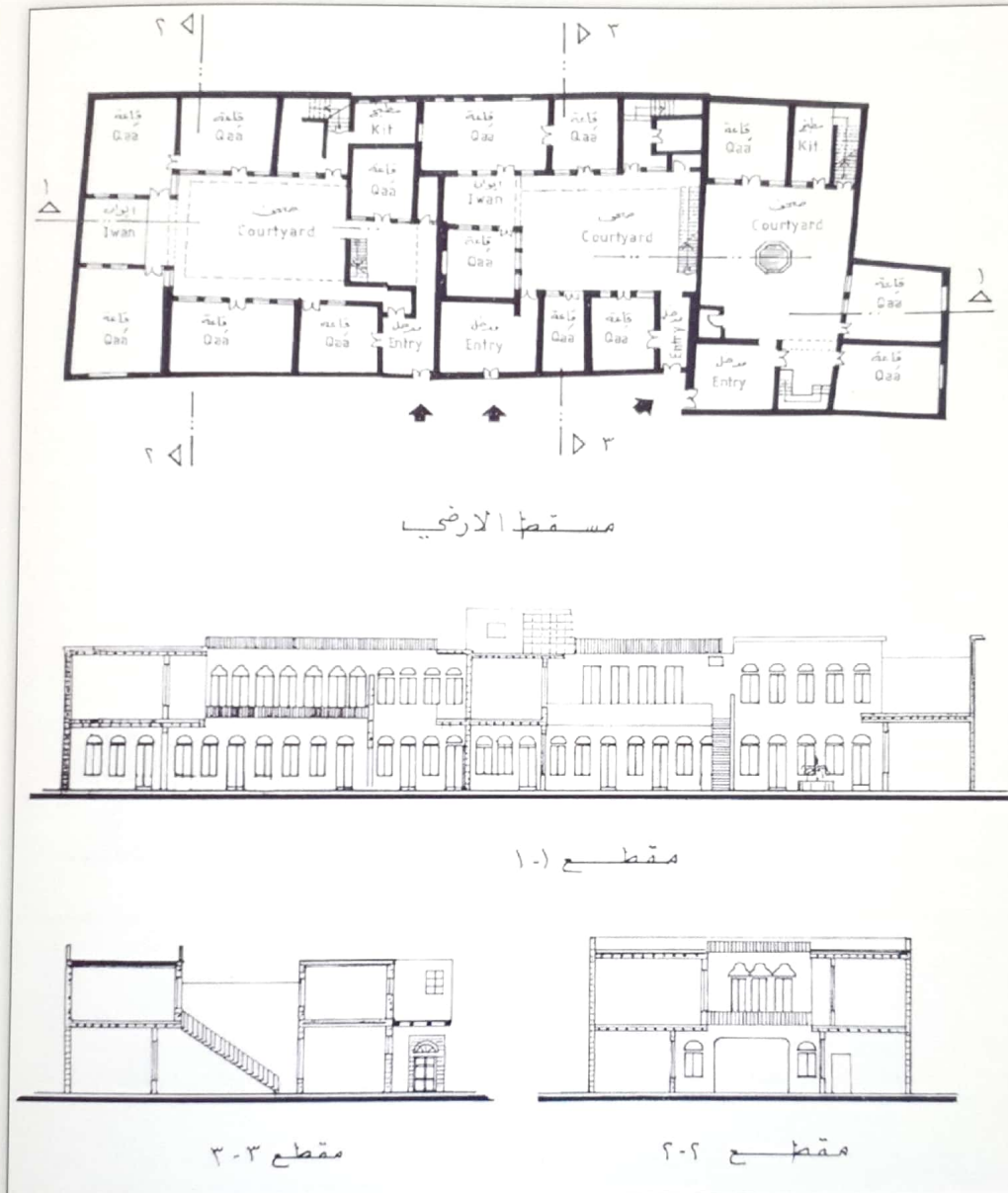
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ سبسية ساروجة:

العقار ٢٤٤: له مدخل شرقي يؤدي إلى رواق ينتهي بقاعة استقبال، ثم يفضي بشكل غير مباشر إلى الصحن الرئيس المنفتح على القاعات والإيوان (فصل وظيفياً)، ولا يحتوي على بحرة.

العقار ٢٤٥: له مدخلان شرقيان يؤديان إلى بهو، وينتهيان بالصحن السماوي المحاط بالقاعات والخدمات والإيوان، ولا يحتوي على بحرة أيضاً.

العقار ٢٤٧: له مدخل يفضي إلى بهو يؤدي إلى صحن، يحتوي على بحرة مثمثة الأضلاع، وتفتح عليه ثلاث قاعات ودرج ومطبخ. (الشكل ١٦٥)



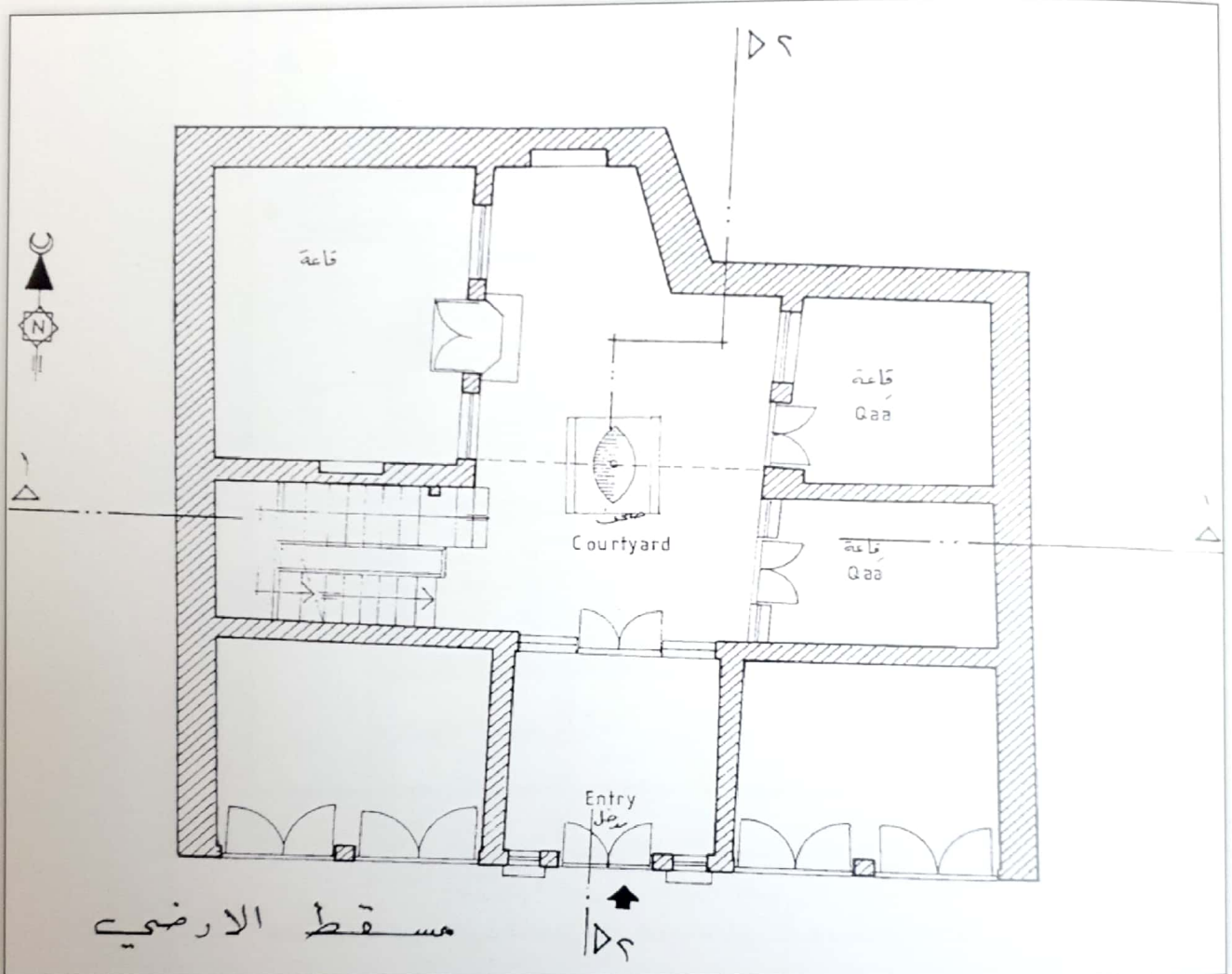
الشكل - ١٦٥

العقار رقم ٢٤٤-٢٤٥-٢٤٧ حي ساروجة سبسيه ساروجة

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٧٨٠ حارة جوزة الحدباء :

له مدخل جنوبي يتوسط محلين، ويفضي إلى بهو ينتهي بفتحة سماوية، تحتوي على بحرة بيضوية، وتفتح عليه ثلاث قاعات، ودرج. (الشكل ١٦٦)

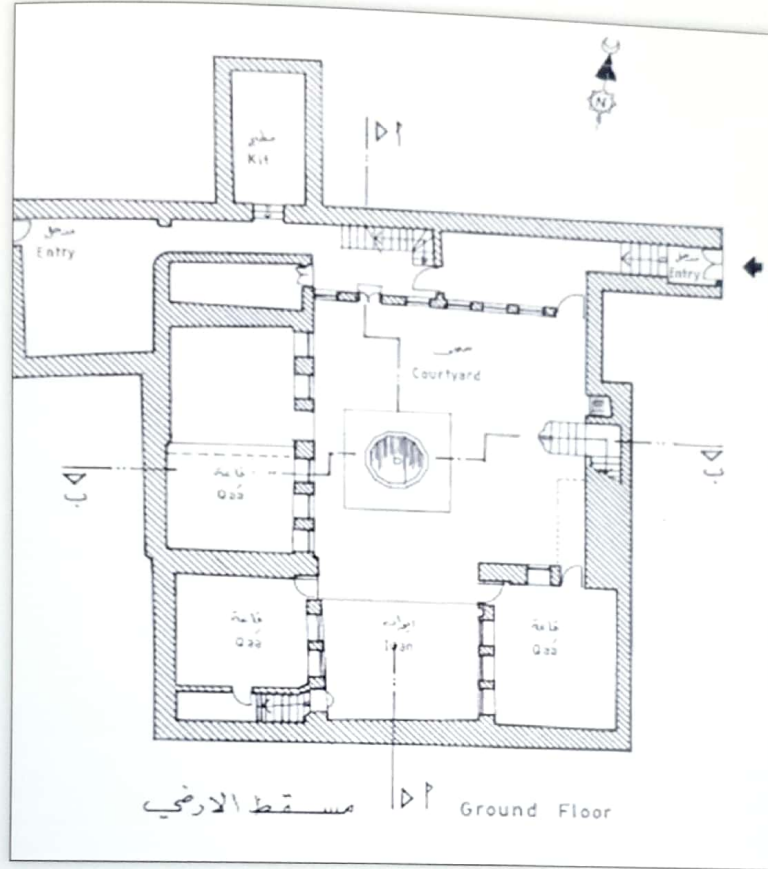


الشكل - ١٦٦

العقار رقم ٧٨٠ حي ساروجة حارة جوزة الحدباء
نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٧٧٩ جورة الحدباء:

له مدخلان؛ شرقي وغربي، يفضيان إلى بهو ينفتح على الصحن الذي يحتوي على بحرة وسلسبيل وإيوان ينفتح على قاعتين بنوافذ، إضافة إلى قاعة استقبال كبيرة، ذات منسوين، تنفتح على الصحن بخمس نوافذ. (الشكل ١٦٧)



الشكل -١٦٧

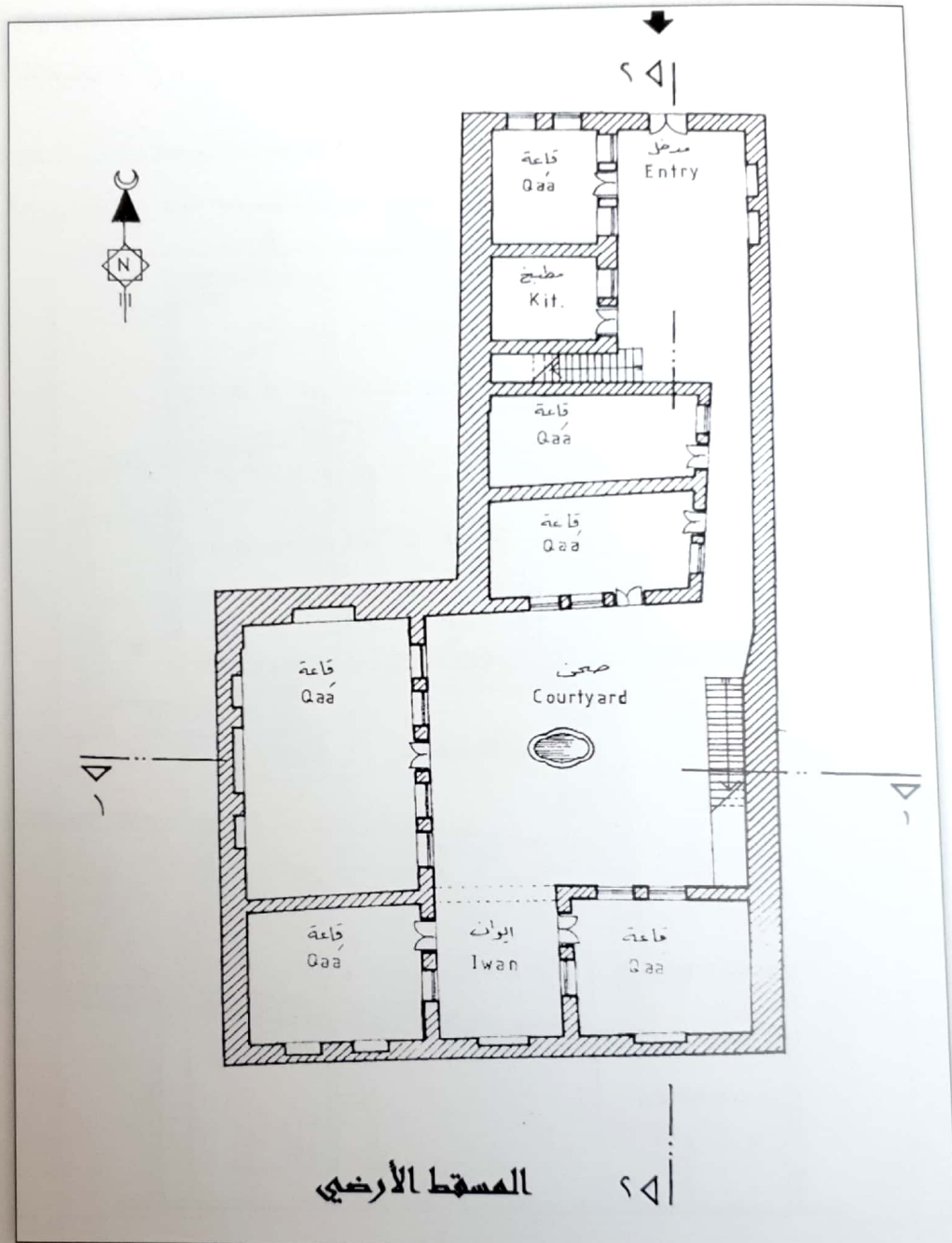
العقار رقم ٧٧٩ حي ساروجة جورة الحدباء

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٤٧٠ حارة البرج:

له مدخل شمالي يؤدي إلى بهو يفضي إلى قاعة ومطبخ ودرج، وينتهي بدھليز ينفتح على قاعتين، لينتهي بالصحن أو الفناء الرئيس، الذي يحتوي على بحرة ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي، وهو محاط بثلاث قاعات وإيوان من الجهتين الجنوبية والغربية، حيث تنفتح عليه بعدة نوافذ.

ويحتوي على كتيبات وقاعة وحيدة مطلة على الشارع بنافذتين. (الشكل ١٦٨)



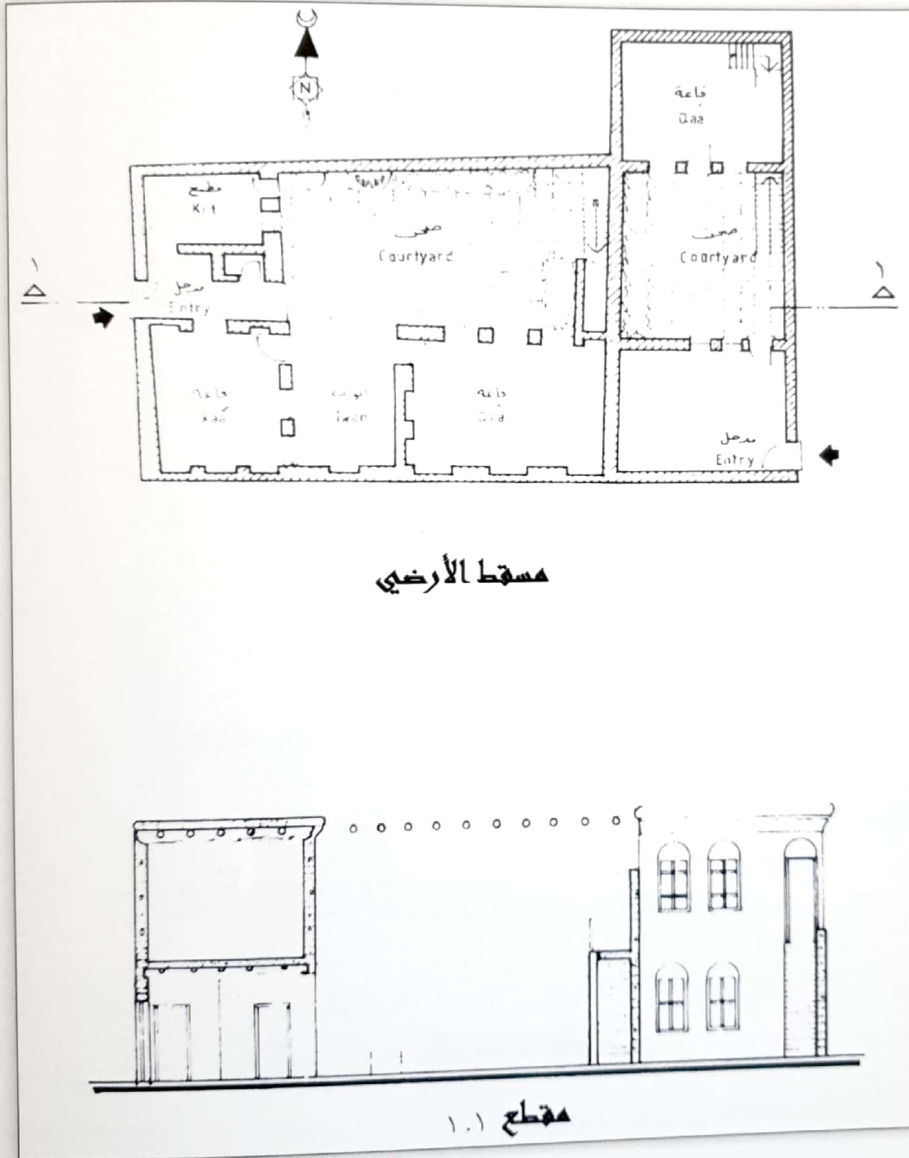
الشكل - ١٦٨

العقار رقم ٤٧٠ حي ساروجة حارة البرح المسقط الأرضي
نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

العقار ٤٠٨-٤١٧ حارة البرج:

العقار ٤٠٨: له مدخل شرقي يفتح على قاعة تفضي إلى الصحن، الذي يحتوي على درج، يفضي إلى الطابق العلوي، وتفتح عليه قاعة شمالية بنافذتين.

العقار ٤١٧: له مدخل غربي يفضي إلى بهو يتفرع عن قاعة استقبال وخدمات، وينتهي بصحن يحتوي على سلسبيل ودرج، يؤدي إلى الطابق العلوي، ويفتح عليه أيضاً قاعة وإيوان، وهو لا يحتوي على بحرة. (الشكل ١٦٩)

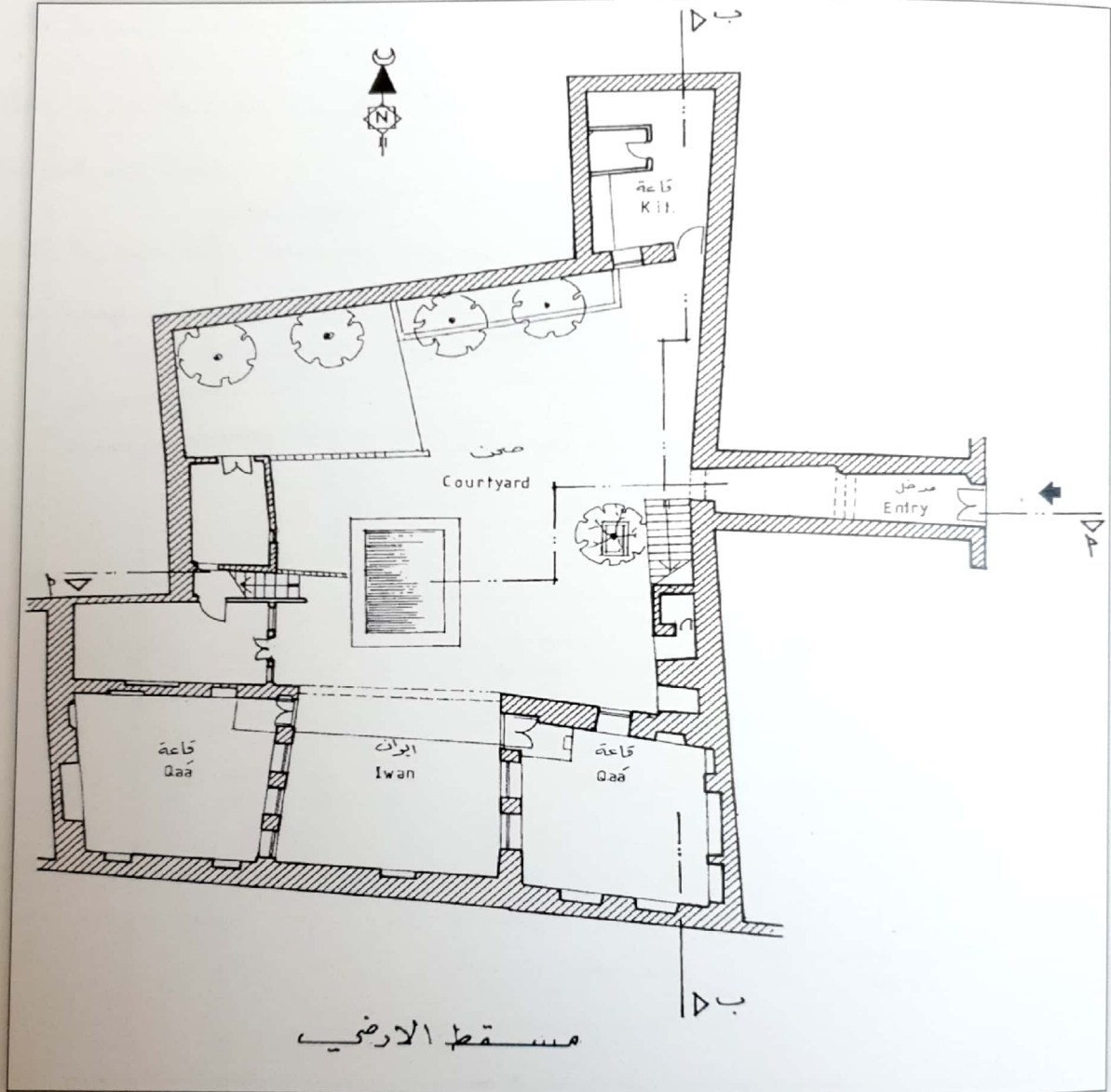


الشكل ١٦٩-

العقار رقم ٤٠٨-٤١٧ حي ساروجة حارة البرج

نقلا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

له مدخل في الجهة الشرقية، يؤدي إلى رواق، ينتهي بالصحن الرئيس، الذي يتألف من بحرة مستطيلة الشكل، وحديقة كبيرة بمزروعات، وهو محاط بإيوان ينفّث على قاعتين. (الشكل ١٧٠) ^(٢٦١)



الشكل - ١٧٠

العقار رقم ١١١ حي ساروجة حارة الإمام

نقلا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

(٢٦١) قامت الباحثة بوصف مخططات العقارات سابقة الذكر وصفاً معمارياً .

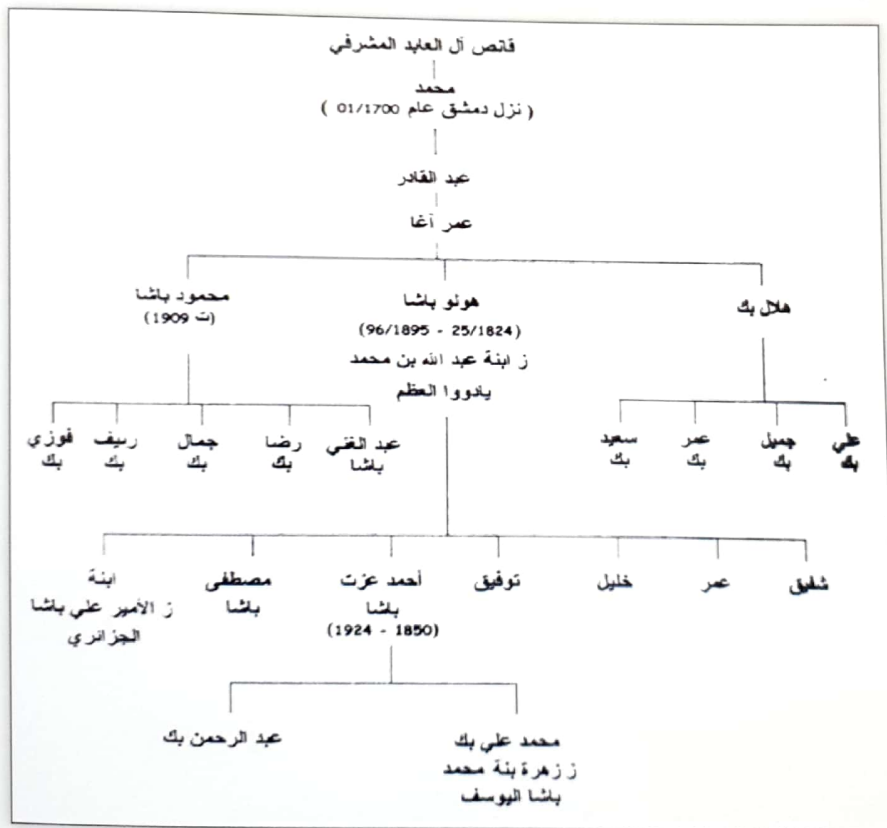
ثامنا: وصف تفصيلي لأهم المساكن الدمشقية بسوق ساروجة:

أ: بيت العابد:

انتقل كبار آل العابد من حي الميدان إلى سوق ساروجة، وقد برز من الأسرة هولو العابد، الذي خدم متصرفاً في حماة ونابلس، وكان قد وصل سنة ١٨٧٨م إلى عضوية المجلس الإداري للولاية، ثم لرئاسة هذا المجلس.

أما ابنه عزت باشا العابد فقد درس في مدرسة تبشيرية كاثوليكية في بيروت. وفي اسطنبول أصبح كاتباً لأسرار السلطان عبد الحميد وسكرتيره الخاص.

كذلك كان ابن عزت العابد: محمد علي العابد سفيراً للدولة العثمانية في الولايات المتحدة الأمريكية قبل الانقلاب على السلطان عبد الحميد، وانتخب رئيساً للجمهورية العربية السورية سنة ١٩٣٣م. (الشكل ١٧١)

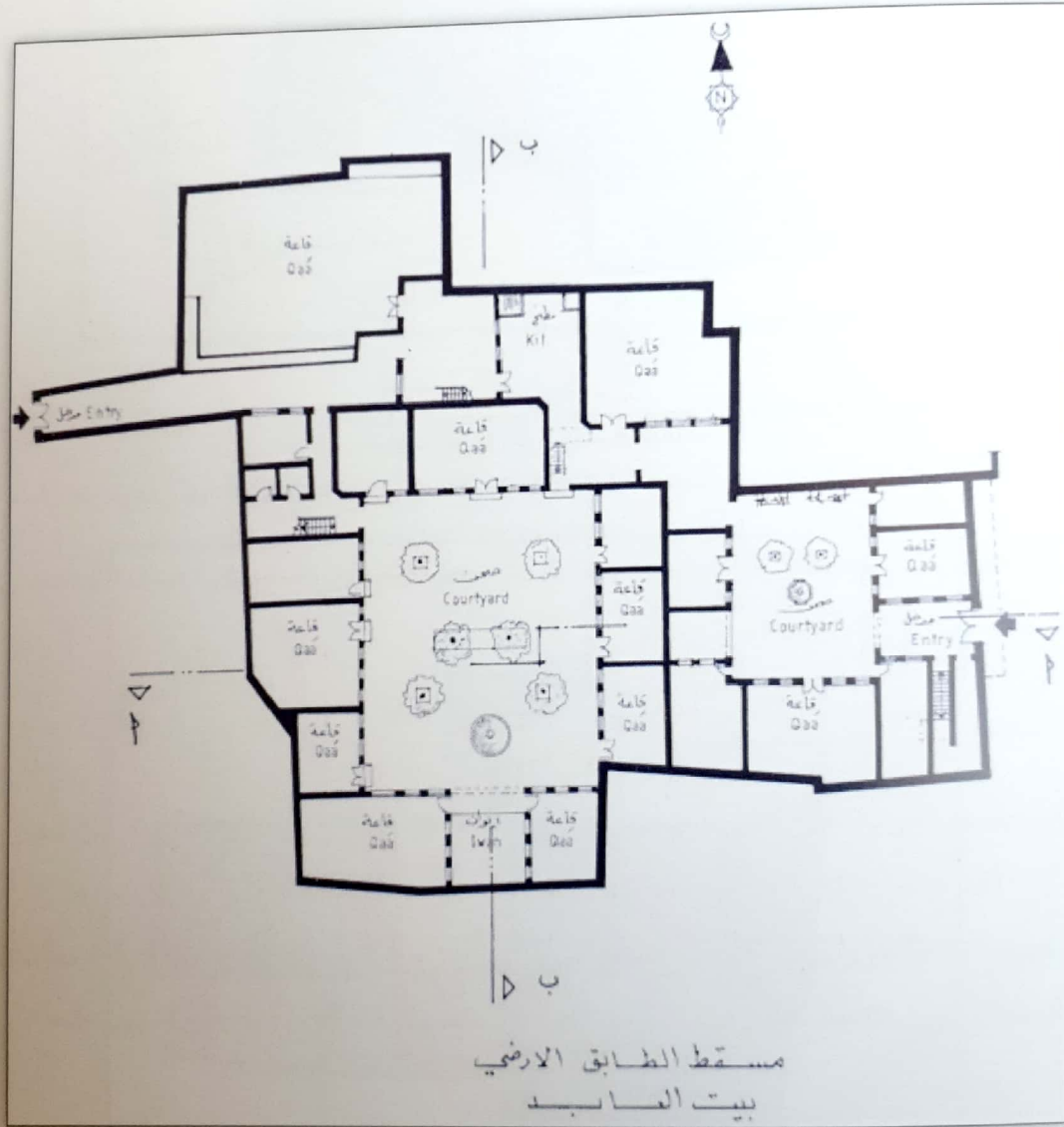


الشكل - ١٧١

شجرة العائلة لآل العابد

نقلاً عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٢م

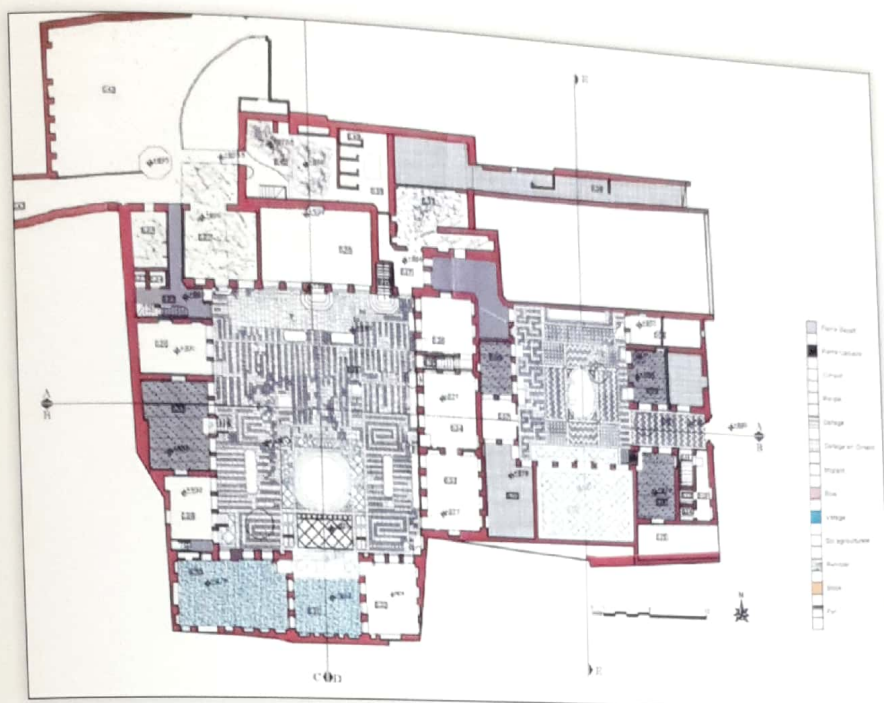
يمتد بيت العابد على مساحة ١٧٦٨,٠٤ م، (الشكل ١٧٢) ويتألف من ثلاث فتحات سماوية برانية وداخلية، وحديقة خلفية، إضافة إلى ٨٠ فراغاً موزعة بين القاعات والغرف والإيوان وخدمات المنزل، وإلى نحو عشرة سلالم تصل الطابق الأول مع الأرضي، (الشكل ١٧٣) وفراغين في الطابق الثاني وقبو وسلم للسطح. (الشكل ١٧٤ و ١٧٥) ولهذا البيت قيم معمارية وفنية وتاريخية مهمة، فهو من التحف المعمارية النادرة والمهمة في دمشق، وهو الأهم في النسيج العمراني الواقع ضمنه، فهو الآن يعاني من إهمال وسوء في الوضع الراهن، وكان سابقاً قد تعرض للحريق مرتين .



الشكل - ١٧٢ بيت العابد

مسقط الطابق الأرضي لبيت العابد

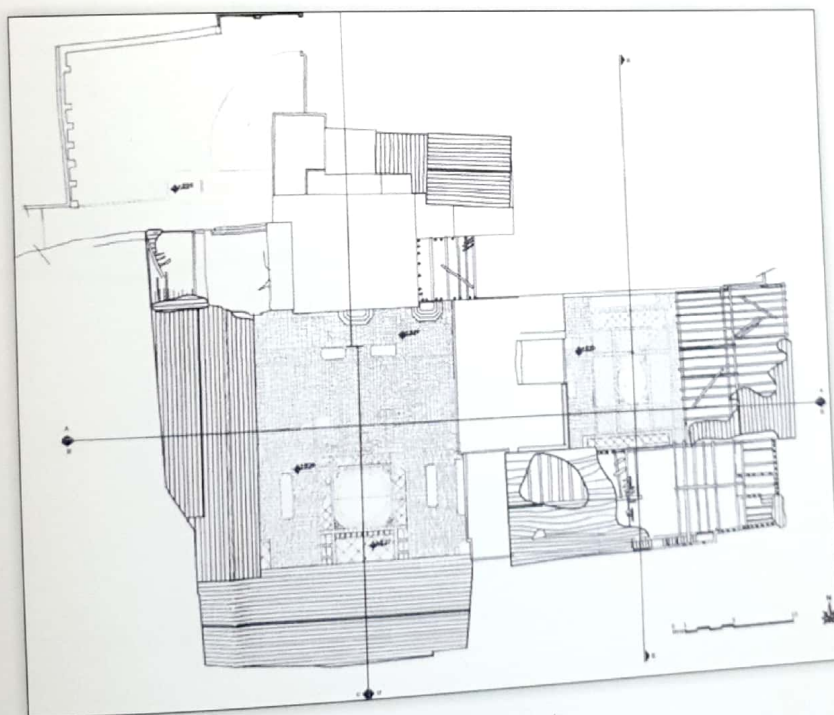
نقلاً عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م



الشكل - ١٧٣ بيت العابد

مسقط الطابق الأرضي لبيت العابد

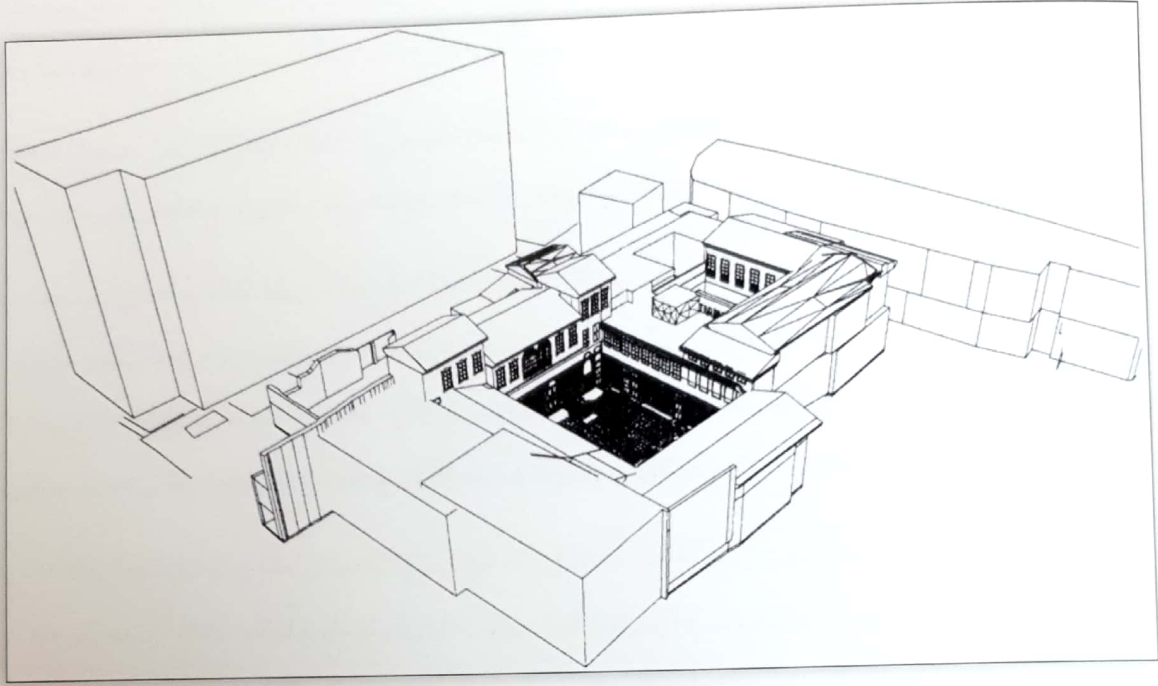
نقلًا عن : عثمان، فراس علي؛ بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م



الشكل - ١٧٤ بيت العابد

مسقط السطح لبیت العابد

نقلًا عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م



الشكل - ١٧٥ بيت العابد

منظور لسطح بيت العابد

نقلًا عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م

محمد علي العابد :

أول رئيس للجمهورية العربية السورية، هو محمد علي بن أحمد بن محي الدين أبو الهول / ابن عمر بن عبد القادر العابد (١٢٤٨ - ١٣٥٨ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٣٩ م). نشأ محمد العابد في مدينة دمشق، وتعلم فيها وانتقل بعدها إلى بيروت لدراسة الإعدادية، ثم ذهب للأستانة هو وأسرته، وأرسل بعدها إلى باريس لدراسة الحقوق ونال الشهادة. رجع للأستانة عام ١٩٠٥ م وعين المستشار القضائي لوزارة الخارجية، ودرس أصول الفقه الإسلامي، بعد أن كان قد درس أصول الفقه الروماني والتشريع الأوروبي.

تدرج في مناصب وزارة الخارجية بفضل نفوذ والده، حيث قربته من السلطان، حتى عين عام ١٩٠٨ م وزيراً مفوضاً للدولة العثمانية في واشنطن، فسكن فيها مع زوجته وأولاده. ولكنه لم يقيم في واشنطن طويلاً، فقد اضطر لمغادرتها إثر إعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ م، وفرار والده من الأستانة، فهرب محمد العابد أيضاً وقصد كاليفورنيا عبر الباخرة متخفياً

وانضم لوالده وتنقلا مع أسرتهما بين سويسرا وفرنسا وانكلترا ومصر حتى كانت الحرب العالمية الأولى، فقدموا إلى مصر، حيث توفى والده فيها.

أتقن محمد العابد اللغة التركية واللغة الفرنسية، إضافة إلى اللغة العربية الأم، وكان خبيراً بتاريخ الأدب الفرنسي والعلوم الاقتصادية، وكان على اطلاع على عدد من العلوم، كما كان على معرفة باللغتين الإنكليزية والفارسية.

انتخب محمد علي العابد نائباً على دمشق في ٩ نيسان عام ١٩٣٢ م، وفي ١١ حزيران من السنة نفسها انتخب رئيساً للجمهورية العربية السورية، وبقي نحو أربع سنوات وستة أشهر وعشرة أيام حتى عام ١٩٣٦ م، قضى منها عدة شهور في بيته، حيث خصص القسم البراني مقراً مؤقتاً لرئاسته، وبعدها انتقل إلى قصر مصطفى باشا العابد في حي المهاجرين. ثم استقال وغادر دمشق متجهاً إلى باريس، ومن ثم استقر في مدينة جنوا الإيطالية، ووافته المنية عام ١٩٣٩ م، ونقل جثمانه إلى دمشق.

وبعد وفاته قام الورثة بتأجير المنزل للبعثة الأمريكية عام ١٩٤٢ م، ثم تحول إلى المدرسة الأمريكية حتى عام ١٩٤٨ م، إلى أن قام السيد ليم يازجي (المالك حالياً) باستئجار المدرسة من المالكين وقام بتسميتها بالمدرسة الأهلية عام ١٩٨٤ م. قام السيد يازجي بشراء هذا القصر على عدة مراحل أولها عام ١٩٥١ م وقام بتحويله إلى مدرسة ثانوية أهلية من سن الحضنة وحتى الثانوي، وقد خصص جزءاً منها كمدرسة داخلية، ومع الوقت أصبحت هذه المدرسة من أفضل مدارس سورية، وتخرج فيها عدد من رجال الدولة والمجتمع.

خصص القسم البراني من هذه المدرسة للذكور والداخلي (الأرضي) للإناث وجعل القسم المتوضع بين الفسحتين البرانية والجوانية من الطابق الأول سكناً للإناث، والقسم الشمالي جعل منه اليازجي سكناً له ولعائلته.

وفي أواخر الستينيات صدر مرسوم قضى بأن تشرف الدولة على المدارس الخاصة والاستيلاء عليها، فأثر اليازجي إغلاق المدرسة عام ١٩٧٠ م بعد أن ضغطت عليه وزارة التربية، وفي العام نفسه قامت باستئجار القسم الجواني لصالح مديرية تربية القنيطرة، وتم إنشاء مدرسة نجم الدين عزت، فقام اليازجي بتأجير القسم البراني (الطابق الأرضي) لمستأجرين فأصبح ورش أحذية ومستودعات ومحال مختلفة. ويوماً بعد يوم تحول هذا القصر إلى خراب وبدأ بالتآكل ولم يعد صالحاً كمدرسة، فانتقلت المدرسة إلى مبنى آخر عام ١٩٧٨ م، وعلى الرغم من هذا، بقيت الوزارة تضع يدها على المكان.

صدر التنظيم عام ١٩٧٠ م، ووضعت كل الأحياء الواقعة خارج السور في موقع الهدم، لإنشاء أبنية جديدة، ولكن هذا القرار أوقف عام ١٩٨٩ م ولكن لم يلغ.

تعرض هذا البيت للحريق عام ١٩٩٣ م، وفي عام ١٩٩٥ م استطاع اليازجي الحصول على حكم بإخلاء الحرم ملك لمصلحته، وفي عام ٢٠٠٣ م صدر كتاب من رئاسة مجلس الوزراء بالإبقاء على ساروجة، واعتبارها شريحة أثرية. علماً أن هذا القصر قد تعرض لحريق آخر عام ٢٠٠٦ م.

وصف بيت العابد:

السلملك:

يتألف هذا المنزل من طابقين: أرضي وعلوي، يحتوي الطابق الأرضي على مدخل (٧,٥×٧ م) واسع وفتحة سماوية (٩×١٢ م) تحتوي على بركة وإيوان وقاعة وأربع غرف سكنية، وفيه بحرة ماء ومرتفقان. وفي المدخلين بحرة ماء وسلم حجري يصل إلى الطابق العلوي، الذي يحتوي على ست غرف سكن وبيت خلاء .

الحرم ملك :

يتألف من طابقين: أرضي وعلوي، يحتوي الطابق الأرضي من مدخل وفتحة سماوية كبيرة (١٦,٥×٢٠)، فيها بركة ماء وأشجار مثمرة، وعلى قبوين تحت مستوى الأرض وإيوان وقاعتين وصالة وسبع غرف للسكن ودهليز ومرتفقين وثلاثة سلالم، أحدها خشبي يصل إلى الطابق العلوي.

القسم الثالث:

هو جزء من الجواني، وهو طابق أرضي، يحتوي على مدخل ساحة، سقف قسم منه، يحتوي على بحرة ماء وبيت خلاء ومطبخ متسع نسبياً، فيه بحرة ماء وحديقة صغيرة، تحتوي على أشجار مثمرة.

القسم الرابع:

يتألف من طابقين: أرضي وعلوي، يحتوي الطابق الأرضي على دهليز وفناء داخلي فيه بركة ماء وأشجار مثمرة ومطبخ وبيت خلاء وقاعتين للسكن وبيت مؤن صغير وسلم حجري، يصل إلى الطابق العلوي، الذي يحتوي على ست قاعات سكنية ومرتفقين ومشركة وسلم خشبي، يصل إلى الطابق العلوي الثاني، الذي يحتوي على غرفة واحدة (الطيارة). (الشكل ١٧٦)



الشكل ١٧٦- بيت العابد

رسم تصويري لواجهات بيت العابد قبل الترميم الافتراضي

نقلًا عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م

مميزات بيت العابد:

- وجود إيوان رئيس في الفسحة السماوية الرئيسية وإيوان صغير مقابل المدخل الرئيس في الفسحة البرانية.
- الفسحة الإضافية عبارة عن حديقة خلفية مسماة في الوصف العقاري (جنيّة)، و بحرة ولكنها لا تشابه الخدمك التقليدية، ويطل عليها تراس بسبب شراء محمد العابد حق المرور من العقار الخلفي المجاور.
- فيها الجملونات المتعددة التي بدأت في الظهور في مدينة دمشق، في الفترة العثمانية المتأخرة .
- لم يتم العثور في بيت العابد على قاعات ذات طرزات .
- وجد فيه طابق متوسط فوق المدخل الرئيس.

تأثير بيت العابد بالعمارة الأوروبية :

كان الاهتمام باستخدام مواد جديدة واضحاً في بيت العابد، لبنائه في الفترة العثمانية المتأخرة، حيث استخدمت المنمنمات وعناصر الزخرفة المترفة، واعتمدت على مادة الجص، وعلى زخارف نباتية نافرة و غائرة أشبه بالتي كانت في قصر فرساي، لكن الفرق أن اليد العاملة كانت عربية. وقد كانت نماذج زخارف الأسقف متأثرة بأسلوب الباروك من حيث استخدام الأشكال الدائرية والإهليلجية بشكل مركزي وشعاعي، واستخدام الأشكال النباتية كعنصر زخرفي.

وقد تم إدخال بعض التصاوير التي حملت صوراً لأبنية وأدوات جديدة كالمدافع والسفن البخارية أو القطارات والسكك الحديدية. كما استخدمت تيجان الأعمدة ذات المظهر الروماني. وكان السقف الجملوني من العناصر المعمارية التي تأثرت به العمارة التقليدية الذي بدأ بالظهور أيضاً أواخر الفترة العثمانية. (الشكل ١٧٧)^(٢٢٢)



الشكل -١٧٧ بيت العابد

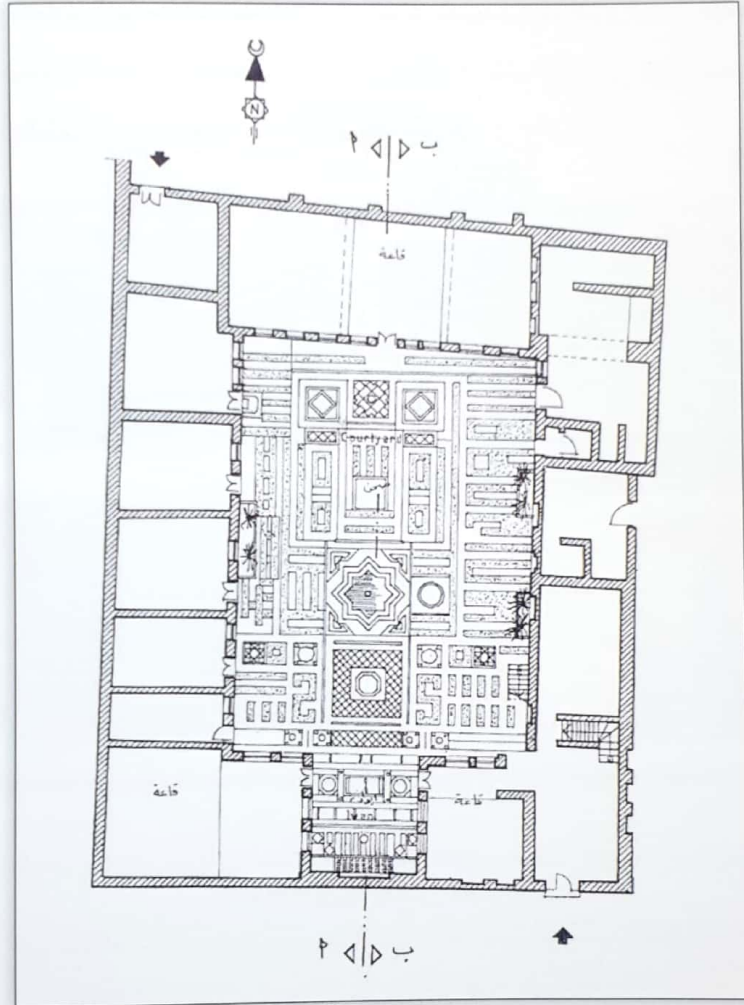
التأثيرات الأوروبية في منزل محمد العابد

نقلاً عن : عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م

(٢٢٢) عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م، ص ١٢، ١٤

ب: بيت الخطاب:

يقع بيت الخطاب في حارة القولي، وهو ذو واجهة تخلو من العناصر التزيينية، ويحتوي على باب خوخة، وهو يقسم إلى قسمين: الأول كبير لدخول الدواب، والثاني لسكان المنزل، يفضي إلى دهليز مسقوف، وعلى الجهة اليمنى هناك مدخل البايكة، ويقابله درج يؤدي إلى الطابق الأول. (الشكل ١٧٨)



الشكل ١٧٨- بيت الخطاب

مسقط الأرضي

نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

وفي نهاية الدهليز يقع الفناء الداخلي، حيث تحيط به القاعات. وقد يحتوي هذا الفناء كبقية البيوت الدمشقية على مزروعات من الأشجار المثمرة، والأزهار والورود التي تحيط بالفسقية ذات الأضلاع المثلثة.

وفي الجهة الجنوبية يقع الإيوان والقاعتان اللصيقتان به، فينفتح باتجاه الشمال بوساطة قوس مدبب الشكل، تبلغ سماكته (٤٠ سم)، يعلوه إطاران من الزخارف الهندسية، وينتهي بركيزة حجرية منحوتة بزخارف نباتية، كما يحيط بالقوس مداмик من حجارة الأبلق، تليه كوتان مقرنستان بارتفاع

(٢٠، ١ سم) وبطول (٦٠ سم) عرض (٤٥ سم) وعمق (١٥ سم)، تستعملان لوضع الفوانيس أو أباريق الماء. ويطل على الإيوان الغرف اللصيقة عبر نوافذ مستطيلة الشكل تنتهي بجزء منقوس مزخرف بأشكال هندسية، تتناسب من الناحية الجمالية مع زخارف الكوى.

هذا وقد كانت الواجهة الجنوبية الداخلية للإيوان الأغنى بالعناصر الزخرفية، حيث يتصدرها كتبية على شكل قوس بأبعاد (٢٠ × ٢، ٥ م) وإلى جانبها كتيبتيان بارتفاع أقلو بأبعاد مختلفة (٩٠ × ١٦٥ سم)، نحت فوقهما شريط من الزخارف النباتية، يعلوهما قوس عاتق محضوف من جانبيه بنافذتين للإنارة ولتهوية الغرفة.

في حين تشكل الواجهة الشرقية للإيوان واجهة القاعة الخارجية، والتي يتوسطها باب أبعاده

(٢١٠ × ٩٥ سم) محضوف بنافذتين مستطيلتي الشكل أبعادهما (٩٠ × ١٨٠ سم) وهما على ارتفاع

(٨٥ سم)، عليهما شبك حديد خارجي.

أما أرضية الإيوان فقد كسيت بالحجر الرخامي والمزي الزهري ومداмик حجرية بشكل مستطيل أبعاده (٩٠ × ١٧٠ سم) وعلى جانبيه بلاطتان دائريتان وهي رخامية محاطة بمربعات من الحجر المتتالي بعرض (٩٠ × ٩٠ سم). ويغلب على هذه الأرضية كثرة الزخارف مما يدل على قيمة هذا المنزل معمارياً.

الواجهة الشمالية :

تتماثل الواجهة الشمالية مع واجهات الطابق الأرضي؛ فكلاهما على ارتفاع طابقين. يبلغ ارتفاعها في القسم الأوسط (١٠، ٢٠ م) وعلى الجانبين (٧ م) ويبلغ عرض الواجهة (١٢ م) وهي مبنية من الحجر الأبلق الجميل حتى ارتفاع (٣، ١٠ م) حيث يعلو الواجهة إطار من الزخرفة وفي منتصفها يقع باب القاعة الخشبي أبعاده (١٠، ٢ × ١، ٠٠ م) الذي يعلوه إطار الزخارف الهندسية والنباتية. وعلى بعد (٣٠ سم) من الباب نافذة بارتفاع (٨٥ سم) وأبعاد (٩٠ × ١٨٠ سم).

أما واجهة الطابق الثاني فهي من الكلسة البيضاء، وفيها نافذتان متلاصقتان تليهما نافذتين على بعد (٥، ٣م) وأبعادهما (٩٠×١٥٠سم)، مصنوعتان من الخشب والزجاج. وهناك نافذة أخيرة تلاصق نهاية الواجهة أبعادهما (١١٠×٧٠سم) هذه الواجهة محاطة من الأعلى بدرازين معدني ذولون أسود. أما الجزء المرتفع من القاعة ظهرت فيه العوارض الخشبية على سطح الواجهة لأن سقفه صنع من الطين والخشب، كما احتوى هذا الجزء على نافذتين أبعادهما (٣٠، ١٠×١، ١م) والمسافة بين هاتين النافذتين (٧٠سم).

الواجهة الشرقية :

يبلغ طولها (١٨م)، وتحتوي على الدرج المؤدي إلى الطابق الأول، الذي يضم غرف النوم، وله درابزين من الحديد. وتوجد تحت الدرج فتحتان؛ الأولى لدخول سكان المنزل، والثانية مدخل للبايكة. وفي هذه الواجهة كتبية للزينة وفتحات للأبواب.

الواجهة الغربية :

تماثل الواجهات الأخرى، وهي ذات عرض (١٨م) وارتفاع (٦م) وفيها مصطبة مرتفعة

(٣٠سم) عن منسوب الفناء الخارجي، ذات أبعاد (٦٠، ٩٠×٣، ١م) يليها ثلاث درجات تقضي إلى غرفة ذات باب خشبي (٨٠، ٨٠×١سم) على يمينه نافذتان بأبعاد (٧٥×١٥٠سم) أحيطت بشبك معدني. تحتوي هذه الواجهة على ثلاثة أبواب خشبية تنتهي بأقواس مزخرفة، وسبع نوافذ مستطيلة أبعاد متقاربة نسبياً تطل على الفناء الداخلي. أما الطابق الثاني؛ فيحتوي على خمس نوافذ بأبعاد مختلفة، وهي ذات شكل بسيط.

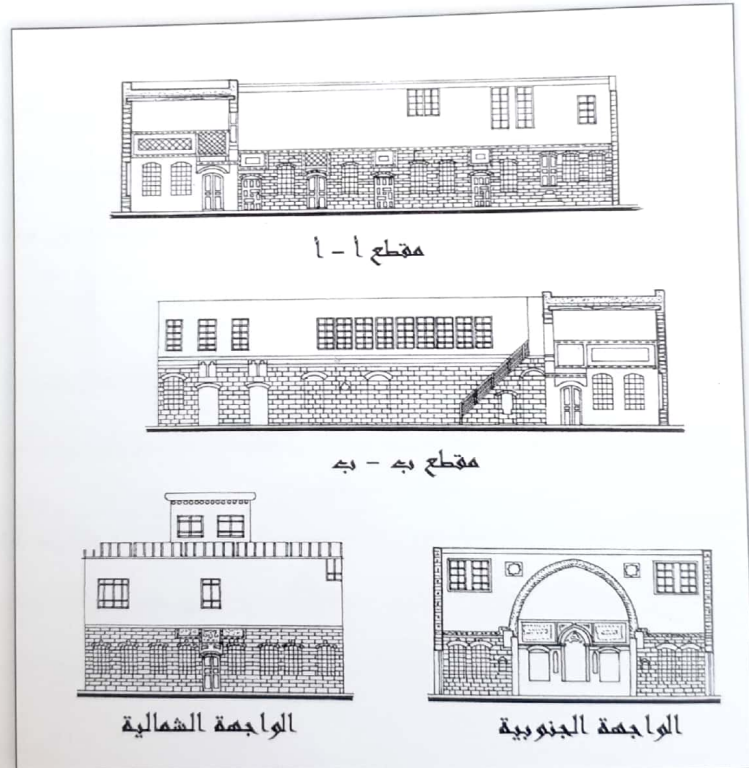
العناصر المكونة للفناء:

تشكل البحرة المركزية ذات الشكل المثلثن محاطة بدائرة نصف قطرها (١٣٠سم)، المفصل الرئيس في الفناء الداخلي، محاطة بإطار من أرضية بشكل مثلثن وهي ضمن مربع من الحجر، فتصبح بذلك أبعاد البحرة (٣٦٠×٣٦٠سم). وتقع على المحور الرئيس للإيوان، الذي يعد مركز أو مكان الجلوس والسهر لقاطني البيت.

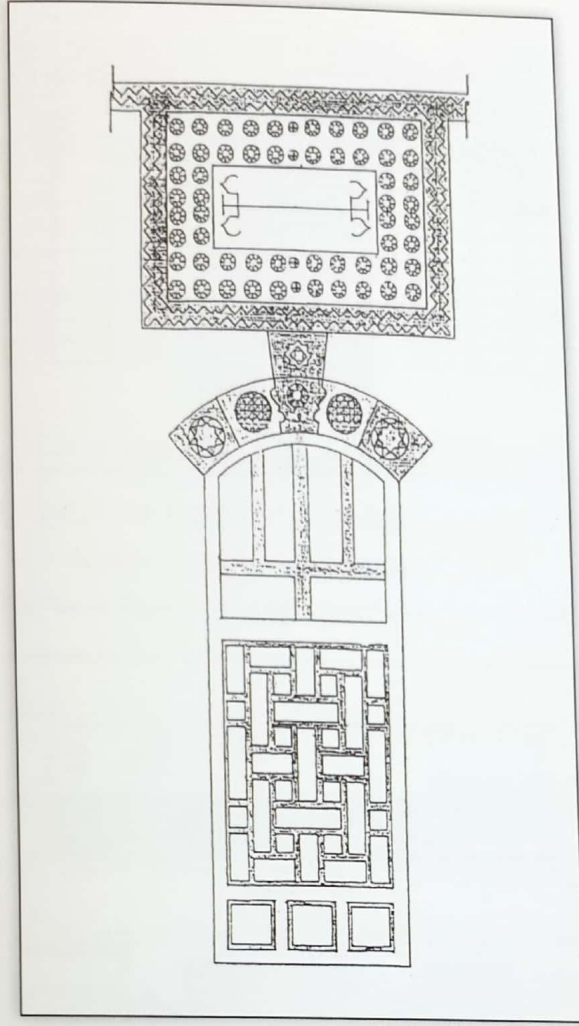
وقد شيدت البحرة والمصطبة المقابلة من الحجر الأبيض والأسود المعشق بتشكيلات وتراكيب هندسية مختلفة، تضيف مع الباحة مظهراً جمالياً هندسياً، يتناغم مع الطوق النباتي من أشجار وورود تحيط بالبحرة والفناء المكشوف الذي خصص أحد أركانه، لربط الفسحة السماوية مع الطابق الأول عبر سلم حجري جانبي. (الأشكال ١٧٨ و١٧٩ و١٨٠ و١٨١)



الشكل - ١٧٩ بيت الخطاب
الزخارف الموجودة فوق أحد أبواب الواجهة الغربية
نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل - ١٨٠ بيت الخطاب
واجهات بيت الخطاب
نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م



الشكل ١٨١- بيت الخطاب

واجهات بيت الخطاب

نقلًا عن زكريا كبريت، البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

ت: بيت سبيح :

يقع في زقاق القولي / محضر ٤١٣

يتم الدخول إليه عبر مدخل مربع الشكل، وفي جهة اليسار هناك مدخل فرعي، يؤدي إلى الباحة السماوية، وفي مواجهة الداخل، هناك باب لإسطبل صغير، ثم درج مغطى بقبوة باتجاه اليسار، وعند الخروج منها نصل إلى الساحة السماوية المحاطة بالغرف، لنجد من الناحية الجنوبية الإيوان، وهو عبارة عن غرفة مفتوحة من جهة واحدة، ومطلّة على الفتحة السماوية. وفي

صدر الإيوان هناك ثلاثة محاريب تزيينية، في داخلها زخرفة، ويوجد داخل الإيوان نافذة وبابان للغرف الجانبية المفتوحة مع الباحة السماوية عبر الإيوان، الذي أطرت واجهته المفتوحة بقوس حامل، غني بالزخارف الجصية النافرة والغائرة

في حين يحتوي الفناء الداخلي على خمس غرف محيطة، ذات منسوين، تطل على الساحة عبر النوافذ ذات الشكل المستطيل، والتي يليها في أحد الأركان الجانبية منشآت الخدم من مطبخ وحمام.

أما القاعة الكبرى فتقع مقابل الإيوان في القسم الشمالي، وتحتوي على بحرة رخامية مزخرفة، وإلى جانبها مصطبتان مرتفعتان عن منسوب الأرض، ويقابل الباب ثلاثة محاريب ذات زخارف كثيفة.

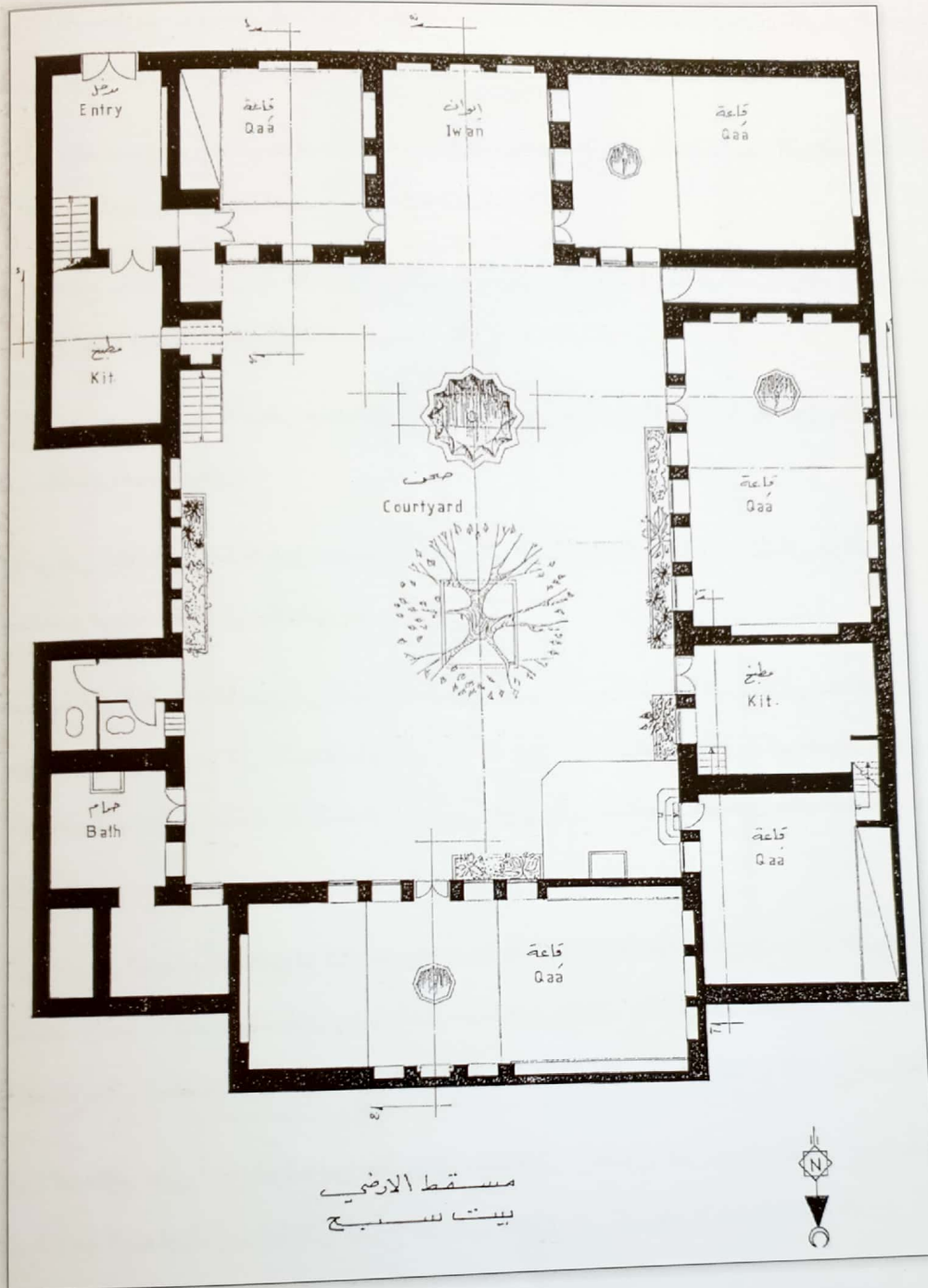
هذا ويُعد القسم الشرقي من القاعة الأصغر حجماً نسبياً، يحتوي على عدد من المحاريب، في حين يطل الجدار الجنوبي على الباحة السماوية عبر نافذتين مستطيلتين .

يتميز القسم الغربي من القاعة بارتفاعه فوق مصطبة، ويتوسط الجدار ثلاثة محاريب، تشكل خزائن جدارية ذات درفتين وواجهة زجاجية، تستخدم لوضع القناديل والأواني الزجاجية.

أما في الجهة الشرقية من الباحة فتنقسم إلى قسمين خدميين على جانب القاعة الكبرى التي يحدها من الشمال الحمام، وهذا الشيء يميز بيت سبج عن غيره، لأن الاستحمام كان يتم في حمامات جماعية في (حمام السوق)، ولهذا الحمام نافذة وباب يطلان على الباحة الأم. وإلى جانبه في الجدار الجنوبي موقد كان يستعمل لتسخين ماء الحمام. وفي شماله الغرفة الساخنة حيث يتم الاستحمام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحمام السكني لم يكن يتميز بأقسامه الثلاثة كما هو الحال في حمام السوق أو في حمامات بعض العصور، كقصر العظم، وإنما الاكتفاء بقسمين وهما قسم التسخين والموقد وقسم الاستحمام، وذلك بسبب ضيق المساحة والحيز الفراغي في السكن. يلي الحمام غرفة الإسطبل المطلة على الباحة بنافذة تحت الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني.

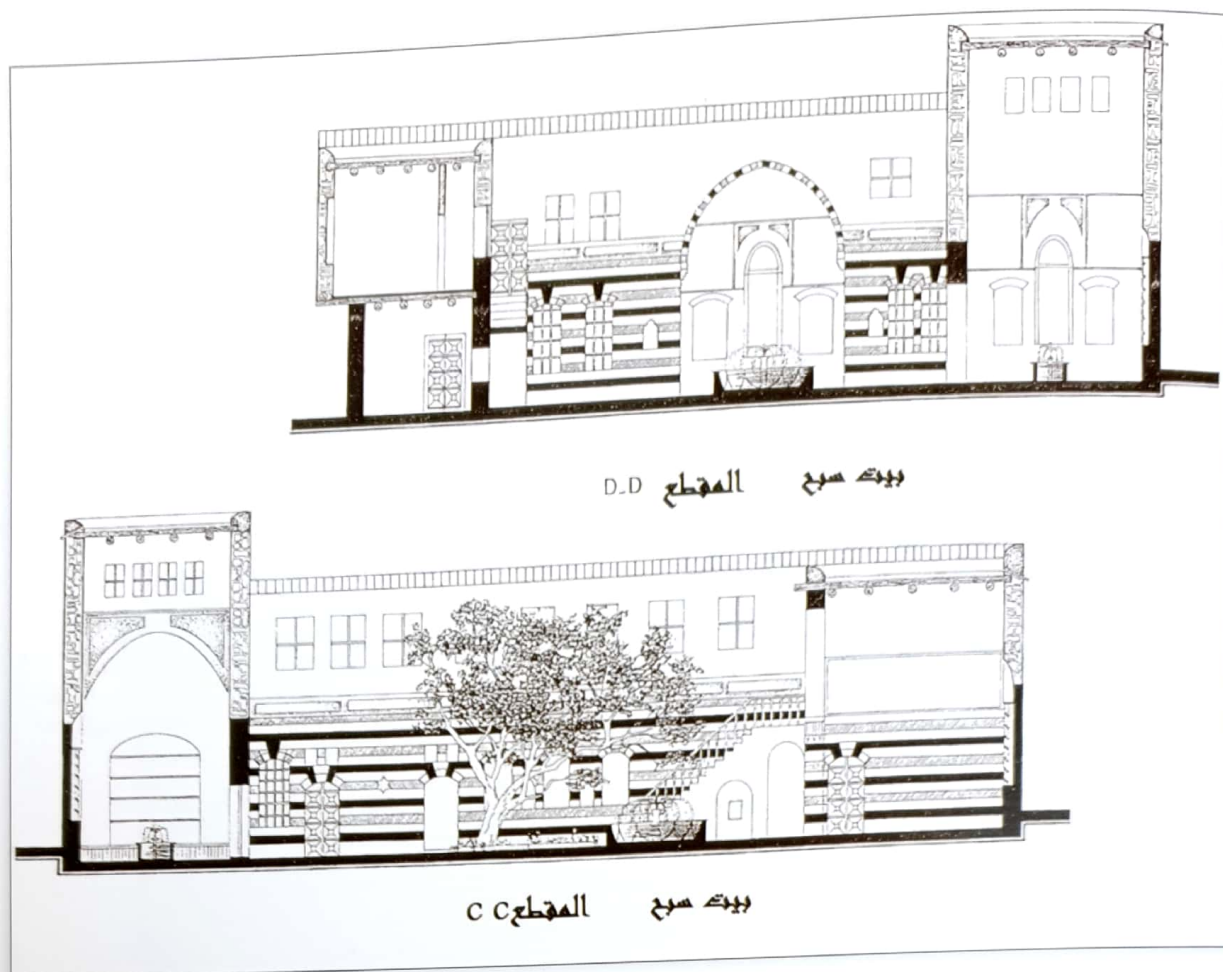
أما الطابق الثاني؛ فيحتوي على أربع غرف موزعة بشكل مستطيل، ويحتوي على غرف النوم، وعددها ثلاث، وهي تمتاز بنوافذها المطلة على الباحة السماوية، إضافة إلى الدرج الصغير المؤدي إلى السطح. (الشكل ١٨٢ و ١٨٣)



الشكل - ١٨٢

حي ساروجة بيت سراج

نقلًا عن ذكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

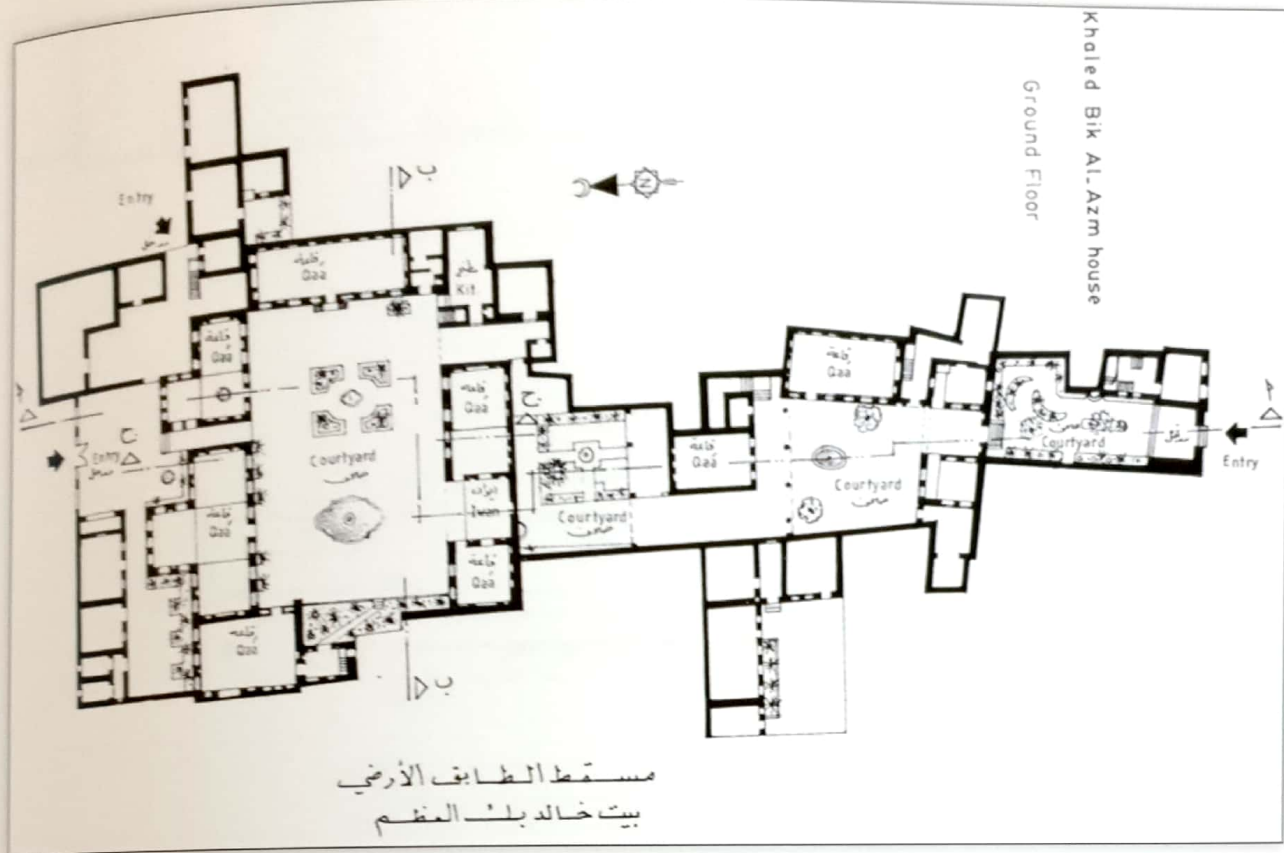


الشكل - ١٨٣

حي ساروجة بيت سبيح مقاطع تظهر عناصر البيت من الداخل
نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

ث: بيت خالد العظم :

يتألف بيت خالد العظم من ثلاثة أقسام : (الشكل ١٨٤)



الشكل - ١٨٤ بيت خالد بك العظم

حي ساروجة مسقط الطابق الأرضي لبيت خالد بك العظم

نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

١- السلملك: وهو الذي يطل على الحارة الرئيسة. (الشكل ١٨٥)



الشكل ١٨٥- بيت خالد بك العظم
الباب الموجود في الواجهة الشرقية لبيت خالد بك العظم

٢- الحرم لك: وهو يتصل بوساطة الدهليز الطويل بالحارة الغربية، وفيه باب نقش عليه الكتابات التالية:

«باسم القدير الحق رب العالمين

هذا البناء قد تم يا نعم المعين

بنيانه المرفوع أرسيه على

تقوى عليّ الشأن فخر الأعظمين.

الحمد لله تلا تاريخه

باليمن منحاً بهجة الفتح المبين

في غرة ١٢٩٤ محرم (١٨٧٧ م)»

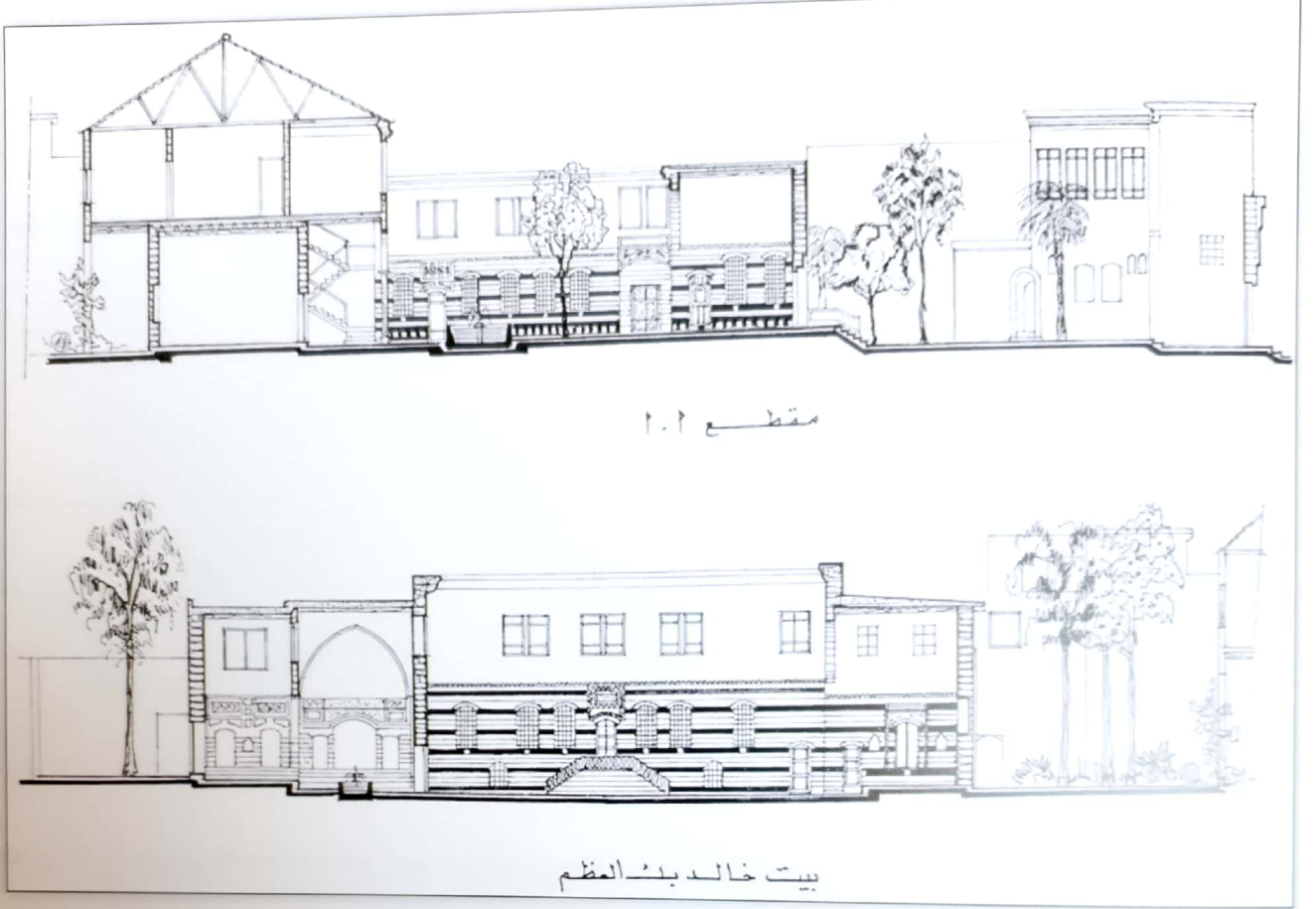
وفيه قاعة أثرية تعود إلى القرن الثامن عشر، لكنها جددت عام ١٢٤٠ م، وأضيفت إليها زخارف حديثة، لها سقفان مؤلفان من سقف خشبي وأعمدة، وقد صبغت هذه السقوف والأعمدة عن طريق التلوين والتذهيب، وهي من السقوف النادرة في دمشق.

ويوجد داخل هذه القاعة مصاطب من الرخام، ومصب رخامي في أسفله بركة صغيرة. أما الطرز فقد كسيت جدرانه بحلقة خشبية، تحتوي على زخارف ملونة ومذهبة. وفي هذه القاعة هناك سلم يؤدي إلى الطابق الأول.

الخدم لك:

هو عبارة عن باحة كبيرة محاطة بحجرة، وفوقها غرفة صغيرة، وإيوان، وقاعة كبيرة، من ثم يبدأ المدخل الذي يصل القسم الأوسط بالقسم الداخلي المطبخ، يلي ذلك سلم يؤدي إلى الطابق الأول

يلي ذلك غرفتان صغيرتان: في إحدهما مصب مكسو بالخزف، ثم دهليز. وفي الجهة الشمالية منه مخازن، وفي الجهة الشرقية باب يؤدي إلى رواق ينتهي بباب خارجي يفضي للحارة، يحتوي أيضاً على سلم يؤدي إلى الطابق العلوي، وعلى غرفتين ثم سلم ومدخل إلى حديقة خلفية، ثم القاعة الرئيسية الكبرى، وقاعة أثرية مهمة. (الشكل ١٨٦)



الشكل - ١٨٦ بيت خالد بك العظم

مقطع للفناء الداخلي في بيت خالغ بك العظم.

نقلًا عن زكريا كبريت. البيت الدمشقي خلال العهد العثماني، دراسة معمارية، ٢٠٠٠م

الإيوان :

يحتوي هذا القسم على إيوان وأربع قاعات تقع في الجهة الجنوبية، وهو يطل على الباحة بقوس له سقف بديع مزخرف بالألوان ومذهب. وفي الجهة الشرقية هناك نافذتان ذات شمسيتين من الجص. وحديثاً تم فتح باب في صدر الإيوان يؤدي إلى ممر بين القسمين الأوسط والداخلي.

القاعة الجنوبية الغربية :

وهي عبارة عن غرفة صغيرة، تحتوي على حلقات خشبية ومصاطب من القاشاني، ويوجد فوقها غرفة صغيرة.

القاعة الجنوبية الشرقية:

وهي قاعة كبيرة، تحتوي على طزر واحد، فيها سقفان من الخشب جميل الصنع، وحلقة خشبية، زينت بزخارف مذهبة وملونة، وضمت زخارف السقف مرايا تعود إلى القرن الثامن عشر. وتضم العتبة فسقية رخامية محاطة بحصيرة رخامية جميلة أيضاً.

القاعة الشمالية الرئيسية :

تُعد من أكبر قاعات الدار، وهي مؤلفة من ثلاثة طزرات وعتبة وغرفة ملحقة بها، تحتوي على سقوف خشبية مهمة ذات سوك متدلّية في زواياها وبين النوافذ. وقد كسيت أعلى الجدران بالحجر الأبلق الجميل، ووُضعت للنوافذ والمكتبات أغلاق خشبية.

القاعة الشمالية الغربية:

تحتوي القبة على بركة رخامية من الرخام المشقف. وفي صدر الطزر لوحة حجرية، كتب عليها بيتان من قصيدة البردة، وتحمل التاريخ ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.

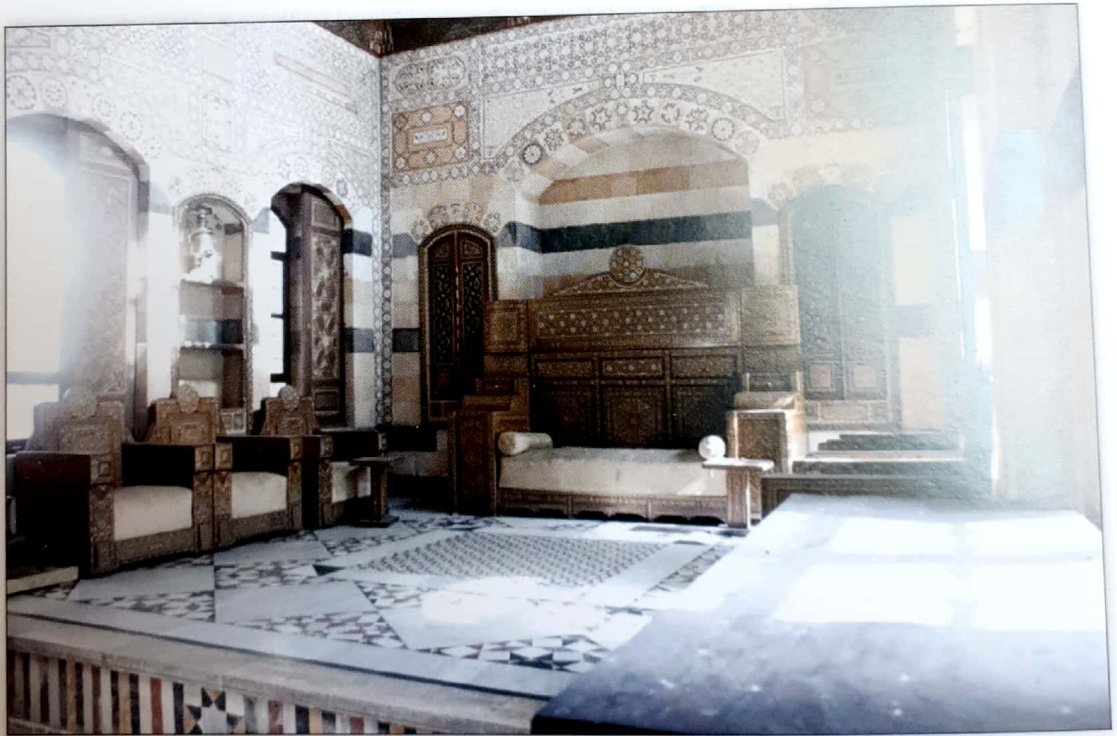
تُعد أهم قاعة في المنزل من ناحية القدم، وأسلوب الزخرفة. فيها عتبة، وطزر واحد، وغرفة جانبية، وسقفان من الخشب، وسقف العتبة مهم جداً، فيه حلقات خشبية، تُعد من الحلقات النفيسة الموجودة في دمشق، لدقة صنعها وتلوينها وأسلوبها.

وتوجد غرفة صغيرة في الجهة الشمالية من عتبة القاعة، لها سقف دهن بالألوان، وفوقها غرفة أخرى، تحتوي على السقف نفسه، ولهذه الغرفة العليا ثلاث نوافذ حجرية مزينة بزخارف، وتُعد أيضاً من الأطر الفريدة في دمشق.

وهكذا قدمت لنا هذه الدار فكرة عن البيت الدمشقي في القرن الثامن عشر، وهو من أروع المخلّفات التراثية وأجملها، فقد حفظت لنا نماذج فنية من عصور قديمة . (الأشكال من ١٨٧ حتى ١٩٥) توضح قاعات بيت خالد بك العظم.



الشكل - ١٨٧ بيت خالد بك العظم
القاعة ذات الطرازين، الإيوان لبيت خالد بك العظم



الشكل - ١٨٨ بيت خالد بك العظم
القاعات ذات الثلاث أطرزة الإيوان الشرقي لبيت خالد بك العظم



الشكل - ١٨٩ بيت خالد بك العظم
القاعة ذات الثلاث أطرزة الإيوان الجنوبي لبيت خالد بك العظم



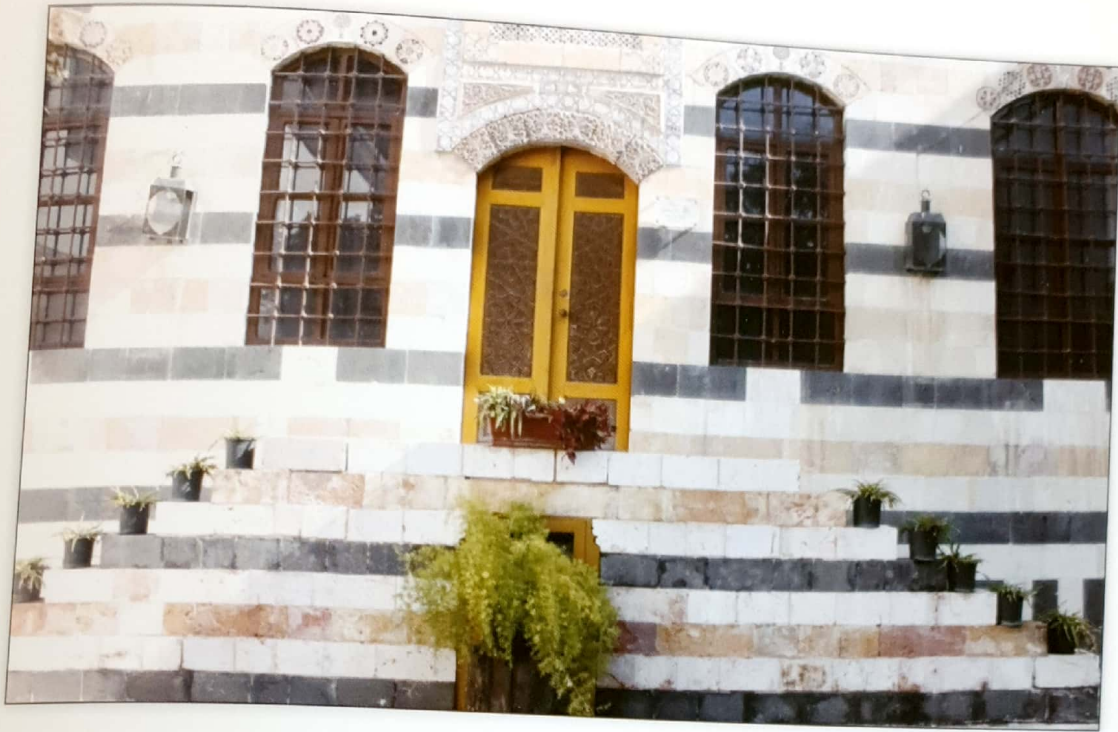
الشكل - ١٩٠ بيت خالد بك العظم
القاعة ذات الثلاث أطرزة الإيوان الجنوبي لبيت خالد بك العظم



الشكل - ١٩١ بيت خالد بك العظم
سقف القاعة الشمالية الغربية لبيت خالد بك العظم



الشكل - ١٩٢ بيت خالد بك العظم
القاعة الشمالية الغربية، البحرة في بيت خالد بك العظم



الشكل - ١٩٣ بيت خالد بك العظم
القاعة ذات المصعدين في بيت خالد بك العظم



الشكل - ١٩٤ بيت خالد بك العظم
صحن السلامك في بيت خالد بك العظم



الشكل - ١٩٥ بيت خالد بك العظم
إحدى النوافذ في الصحن الداخلي لبيت خالد بك العظم



الباب الثالث

دراسة تحليلية لعوامل تطور حي ساروجة تاريخيا
من خلال نظريات تكون المدن والأحياء

الفصل الأول

أهم النظريات تكون المدن والأحياء:

يُعد الإحياء^(٢٦٣) إحدى أهم وسائل إعمار المناطق المحيطة بالمدن والقرى، فكثير من الدراسات أكدت أن هذه القرى والمدن كانت محاطة بمزارع تحولت تدريجياً إلى عمائر سكنية،^(٢٦٤) فاستتعت رقعتها. وهذا الاتساع في المدن الإسلامية لم ينتج عن تخطيط مسبق بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما حدث نتيجة الكثافة السكانية التي أدت إلى توسع مساحة المناطق المبنية، فكان أن صدرت قرارات نمو هذه المدن العشوائية التقليدية.^(٢٦٥) إلا أن هذه القرارات لم تكن قرارات مهمة، كتخطيط منطقة أو تحديدها لأحياء سكنية أو منطقة صناعية كما يتم في وقتنا الحاضر، وفي الوقت نفسه لا يجب الاعتقاد أيضاً أن هذه القرارات البسيطة لسكان المناطق كانت فوضوية وذات نمو عشوائي للحى، بل كانت هناك أساليب ومبادئ معينة أو محددة.

إذاً لا يجب أن نغفل عن أهمية الإحياء كوسيلة في العمران والتملك في بداية تكون المدن والأحياء تاريخياً.

قسم المستشرق جرونوبوم Von Grunebaum المدن الإسلامية من حيث التكون إلى مجموعتين: مدن تلقائية أو عشوائية أو عفوية spontaneous ومدن مخططة created، فالمدن العشوائية كانت هي النمط السائد في الدول الإسلامية، وقد تأسست هذه المدن من غير تخطيط وتمونت من تلقاء نفسها، ومن هنا أتت التسمية التلقائية. أما المدن المخططة فقد قسمت إلى أربعة أنواع:^(٢٦٦)

النوع الأول: هو العواصم المستحدثة، كمدينة بغداد عاصمة العباسيين، ومدينة فأس عاصمة الأدرسة .

والنوع الثاني: مدن الأمراء، وهي التي تكونت بقرار من الحاكم، كمدينة سامراء بالعراق ومدينة الرصافة في سورية.

والنوع الثالث: هو الأربطة على الثغور الإسلامية، كمدينة الرباط في المغرب.

(٢٦٣) الإحياء: كان الاستيلاء على الأراضي أمراً شائعاً في القرون الأولى في الإسلام، حيث أنشئت المدن في المناطق المفتوحة أو التي أسلم أهلها. وعاشت هذه المدن ازدهاراً مفاجئاً، مما تطلب اتساع رقعتها. لذلك حظي موضوع إحياء الأرض باهتمام كبير ودراسة مستفيضة من العلماء؛ وكانت الأراضي غير المملوكة وغير المستخدمة تسمى بالموات. كما كانت هناك مبادئ وأعراف متبعة لامتلاك هذه الأراضي، عملاً بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «من أحيى أرضاً مواتاً فهي له». أكبر، جميل: المرجع السابق، ص ٥٥

(٢٦٤) مبارك، علي باشا: الخطط التوفيقية، ج ١، مطبعة دار الكتب، مصر ١٩٧١م، ص ٧٨

(٢٦٥) أكبر، جميل: المرجع نفسه، ص ١٦٠

(٢٦٦) Grunebaum Von. Islam: Essays in the Nature and Growth of a Cultural tradition. London: Routledge & Kegan Paul Ltd., 1961. p145-144

والنوع الرابع: هو الأمصار، ويسمى أيضاً بالمدن العسكرية، وهي المدن التي أنشئت في بداية الفتوحات الإسلامية، كالكوفة والبصرة و الفسطاط والقيروان..

لقد قدمت لنا الدراسات الكثيرة لنشوء المدن وتطورها وتكوينها، صوراً مختلفة لأشكال نمو المدن وتركيبها الوظيفي، علماً أن هذه المدن تخضع في نموها لعوامل عدة، فبعد أن كانت البداية مع المدن الدائرية أو المركزية، أدى نمو هذه المدن على محاور الحركة والطرق الرئيسية لأن يصبح شكلها أقرب إلى النجمة، التي تمت أذرعاً متعددة في اتجاهات مختلفة مرتبطة بالطرق. وبين هذه الأذرع توجد أماكن خالية، لا يشملها عمران المدينة، وهذا ينطبق على مدينة دمشق، وتكون الأحياء الخارجية خارج السور.

وأهم النظريات التي تناولت نمو المدن من حيث امتداد العمران أو أنماط استخدام الأراضي ثلاث هي:

أولاً - نظرية النمو المركزي: Concentric Zonal

قام العالم بيرجس (E. W. Burgess) أحد علماء الاجتماع بوضع نظريته عام ١٩٢٠ م، وهي دراسة عن أنماط النمو وتركيب الوظائف. وقد قامت هذه النظرية على افتراض أن أسعار الأراضي وسهولة الوصول إليها تبلغ أقصاها في قلب المدينة التجاري، وتخفض بالتدريج كلما ابتعدنا عن المركز، ويأخذ هذا النمو شكل حلقات أو دوائر تتسع مع نمو المدينة، وهذا النمو يؤدي إلى تنقل الوظائف من حلقات داخلية إلى الحلقات التي تليها باتجاه الخارج، وقد تمكن هذا الباحث من أن يحدد خمس حلقات مرتبة حول مركز المدينة من الداخل إلى الخارج كما يلي:

- حي الأعمال المركزية: يقع في قلب المدينة النابض اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وهو المكان الرئيس الذي تجتمع فيه طرق المواصلات من كافة أنحاء المدينة، وبذلك يكون هذا الحي نظرياً أكثر أجزاء المدينة الذي يسهل الوصول إليها، حيث تضم المسار الرئيسة من دور السينما والنوادي والأوبرا وسوق الأوراق المالية والمتاجر الرئيسة والفنادق الفخمة ومكاتب إدارة الشركات الكبرى والبنوك والمتاحف ..
- المنطقة الانتقالية: يختلط استخدام الأراضي في هذه المنطقة، حيث يسودها أحوال سكنية متردية، فهي تضم منازل قديمة، قطن فيها المهاجرون والطبقة الفقيرة، واحتوت على بعض الصناعات الخفيفة، التي هي أصلاً موجودة في قلب المدينة.
- منطقة سكن العمال: يقطن فيها العمال من ذوي الدخل المحدود، الذين يفضلون السكن قرب أماكن أعمالهم، ومعظمهم أيضاً من أصول مهاجرة.

- منطقة سكنية أفضل: تحتوي على مساكن الأسرة الواحدة ذات النوعية الممتازة من الفيلات والعمائر التي يقطنها أصحاب الدخل المرتفع.

- منطقة هامشية: تقع في منطقة منفصلة عن مركز المدينة، وهناك ما يفصلها عنها، علماً أن معظم سكانها ممن يكون عملهم بعيداً عن أماكن إقامتهم، وتضم هذه الحلقة بعض النواحي والمدن التابعة للمدينة المركزية.

إلا أن هذه النظرية واجهت الكثير من النقد لأن بعض الاستخدامات العامة من الصعب أن تنتقل من نطاق إلى آخر لإفساح المجال أمام الوظائف الأخرى، لتظهر من الحلقة الداخلية كمحطات السكك والخطوط الحديدية وبعض المباني ذات الاستثمارات الكبيرة. وقد رأى العالم (بيرجس) أن مكان الصناعات الثقيلة قد يكون عامل تشويه، لكنه في الواقع قد لا يكون كذلك في مدن أخرى. لأنه في كثير من المدن، يكون هناك ارتباط بين المصانع وسكن العمال ذوي الدخل المحدود، ولا تتبع المناطق الصناعية عادة نمطاً محدداً، ولكنها تمتد في معظمها ضمن الأودية النهرية والضفاف المائية وكذلك تتواجد على خطوط المواصلات. (٢٦٧)

ثانياً - نظرية القطاعات: Sectors Theory

تعد هذه النظرية إحدى التعديلات التي أدخلت على نظرية النمو المركزي، والتي قدمها هومر هويت Homer Hoyt عام ١٩٣٩م، حيث رأى أن التركيب الداخلي للمدن يتحكم به الطرق التي تخرج من داخل المدينة باتجاه الأطراف، ويؤدي الاختلاف في إمكانية الوصول إلى فروقات في أسعار الأراضي، الذي يؤثر بدوره على استخداماتها في القطاعات المختلفة. وقد رأى من خلال دراسة عدد من المدن الأمريكية، أن أسرع قطاع نمواً للخارج، ذلك الذي يحتوي على المساكن الممتازة التي تقطنها الأسر الغنية، وامتداد هذا النطاق للخارج باتجاه الأراضي ذات المناسيب المرتفعة المكشوفة، وهذا يحقق لها أفقاً ورؤية وإشرافاً أوسع. (٢٦٨)

وعندما تبدأ حركة النمو الممتازة للمساكن، تتحرك بقية الوظائف أيضاً على شكل قطاعات، تنمو باتجاه الخارج، لكنها تحافظ على المحور الأصلي لها، فالمساكن المتوسطة باتجاه الجنوب تنمو في الاتجاه نفسه، على طول محور الطريق الخارجي من الاتجاه نفسه، تليها بقية الاستخدامات. (٢٦٩) وبذلك يكون النموذج الذي قدمه (هويت) تعديلاً لنموذج العالم (بيرجس)، لأن

Everson, J. A., and B. P., Harris, C., and Ullman, E., The Nature of Cities, in Mayer and Kohan, eds., op. cit., pp282-283 (٢٦٧)

Graner, B. J. Models of Urban Geography and Settlement: Fitz Gerald, Inside the city, longman, london, 1972, pp31-34

Location, in Chorley, R. J., and Peter Haggett, eds. Modles in Geography, pp.330-340

Garner B. J. op. cit., p342 (٢٦٨)

Harris and Ullman, op. cit., p.283 (٢٦٩)

النمو الحلقي أو المركزي عند (بيرجس) يعدل الاتجاه والمسافة عند (هويت)، حيث لا يكون ضرورياً أن تنمو المدن على حلقات كاملة الاستدارة، بل على شكل قطاعات تخرج من هذه الدوائر.^(٢٧٠)

ثالثاً- نظرية النويات المتعددة: Multiple Nuclei

قام بتقديم هذه النظرية الجغرافيان الأمريكيان تشونسى هاريس و أدوارد أولمان

(Harris. C. Ullman. E) عام ١٩٤٥م / ١٣٦٤هـ وقد أتت هذه النظرية كتعديل على النظريتين السابقتين، فقد لاحظ الجغرافيان أن المدن تنمو حول أكثر من نواة أو مركز، وفي بعض الحالات ترتبط هذه النويات بنشأة المدينة، بينما قد يؤدي نمو المدينة إلى ظهور نويات أخرى، وربما تكون نواة المدينة الداخلية هي حي تجاري في المدن التي تقوم بدور المحلات المركزية، أو ربما تكون هذه النواة مصنعة أو منطقة شاطئية في مدينة متخصصة وظيفياً. وتوجد أربعة أنشطة تؤدي إلى وجود نواة مستقلة وأحياء متباينة وهي:

١- أنشطة تتطلب تسهيلات خاصة، فمناطق تجارة القطاعي^(٢٧١) مثلاً ارتبطت بأكثر أجزاء المدينة في سهولة الوصول إليها، وقد تطلبت المنطقة الصناعية مساحات واسعة من الأراضي، كما تطلبت أيضاً اتصالاً سهلاً بطرق النقل البري والبحري والسكك الحديدية.

٢- الأنشطة المتماثلة تميل إلى التجاوز عادة، لأن هذا التجاوز مفيد لاجتذاب أكبر عدد من المشتريين المحتملين، وذلك يتضح بصفة خاصة في حالة تجارة القطاعي، حيث تتوافر فرصة المقارنة لدى الراغبين في الشراء بين الأسعار وجودة السلع ووفرة أصنافها، كما أن أحياء الإدارة والمال تفرض سهولة الوصول إليها.

٣- إن بعض الأنشطة متعارضة ومعوقة بعضها لبعض، فالمصانع مثلاً تتعارض مع مساكن الطبقة الرفيعة، والأحياء التجارية تتطلب كثرة المشاة والسيارات ووسائل النقل التي تخدم التجارة والمشتريين. ولكن هذه الوسائل تتعارض مع وجود خطوط حديدية، والشاحنات الكبيرة التي تفرغ حمولتها بمناطق المخازن وتجارة الجملة.

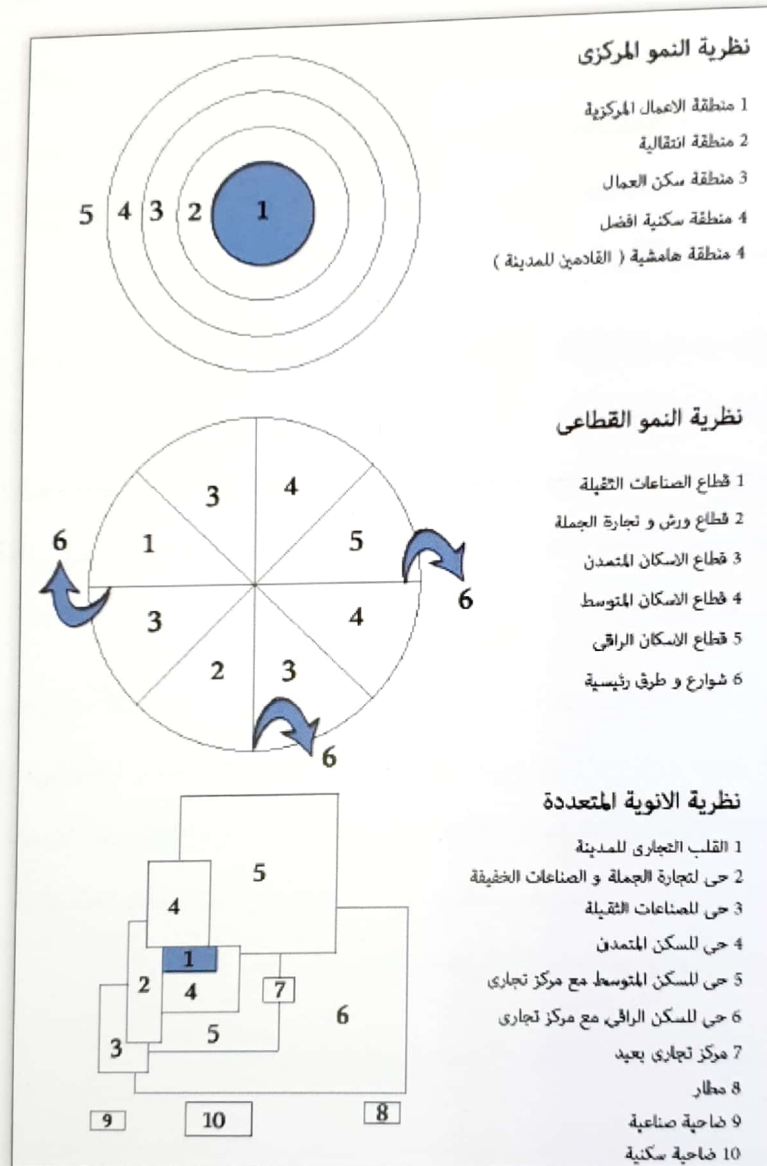
٤- وهناك أنشطة أخرى لا تستطيع دفع إيجارات باهضة، بالتالي تبتعد عن المناطق التي تحتوي على أنشطة أخرى لعدم اشتداد المنافسة بينها، كمناطق التخزين وشؤون تجارة الجملة التي تحتاج إلى مساحات كبيرة، ومساكن الطبقة الفقيرة

Everson. J.A.. op. cit.. 36 (٢٧٠)

(٢٧١) القطاعي هي البيع بالفرق وليس بالجملة .

التي لا تتحمل نفقات المساكن التي تقع في أماكن ذات موقع ممتاز، حيث المناظر الجميلة التي تؤدي إلى رفع سعر الأراضي والإيجارات.

كما لاحظ الجغرافيان (هاريس و أولمان) أن المدن تختلف في عدد مراكزها، وفقاً لتغير التطور التاريخي من مدينة إلى أخرى، ولكن عموماً كلما كانت المدينة كبيرة، تعددت مراكزها التي تؤثر في النمو، وأصبحت هذه المراكز أكثر تخصصاً. (٢٧٢)



ونلاحظ من هذه النظريات الثلاث في تفسير نمو المدن واتجاهاته، أنها متكاملة أكثر مما هي متعارضة، وفي كثير من المدن القديمة، وخاصة المسور منها في الماضي، يظهر أثر نظرية النمو المركزي بدرجة أكبر وأوضح.

أما نظرية القطاعات فقد ساعد في ظهورها تركيب شبكة الطرق في المدن، وخاصة بعد ظهور السيارات وتزايد أعدادها، مع الأخذ بالاعتبار، أن هذه الشوارع يجب أن تتناسب مع حركة السيارات فيها. وبعيداً عن الطرق الرئيسية، يوجد فراغات تنشأ من اختفاء الطريق، وتظهر كمناطق تقوم بفصل أجزاء المنطقة المبنية.

والنظرية الثالثة وهي الأكثر تأثيراً من نواة عمرانية في تشكيل نمو المدن. وهناك أنماط أخرى للمراكز المتعددة، تتمثل في انتقال بعض الأنشطة من المدينة، ونشوء نواة جديدة، أصبحت فيما بعد نواة صناعية جديدة، أسهمت في النمو العمراني.

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لتطور حي ساروجة :

ليست الغاية عند دراسة حي أو مدينة، الوصول إلى تشريح تركيبها المادي والوظيفي في صورة مساكن مدنية أو مصانع أو شوارع أو كتل خراسانية وإسمنتية أو حدائق، لأن الحي قبل ذلك وبعده هو سكن للإنسان وصورة لاستقرار المكان وتنظيمه، وغالباً ما يخضع التمييز بين الأحياء أو المدن لمقياس عدد السكان أو ما يُعبر عنه بالحجم.

وعلى الرغم من أن أحجام المدن هي الأكثر صلاحية، مقارنة بين المدن وليس الأحياء، فالحي جزء من المدينة، ولكن في الحي تكون الدراسة مجهرية، وذلك لدراسة خصائص تطور أجزاء من المدينة، واختلافها بعضها عن بعض، ومعرفة أسباب هذه الاختلافات، بين كل شريحة مختلفة من المدينة.

وإذا أخذنا حي ساروجة كجزء من مدينة دمشق، فإن النظرية الأقرب في تكوينه هي النظرية المركزية، وذلك لأن حي ساروجة امتداد طبيعي لمدينة دمشق القديمة خارج السور أولاً، وهي موقع مميز قريب من الأسواق ومركز تجاري هام ثانياً، فهذه المنطقة تقع إلى الشمال الغربي من قلعة دمشق، ويحدها من جهة الشمال منطقة البساتين الزراعية وعين كرش، ومن الناحية الشرقية العقيبة والعمارة البرانية، وهي القسم البراني لحي العمارة، كما يحدها أيضاً سوق الهال القديم، ومن الجهة الجنوبية السنجدار، ومن الغرب حتى ساحة المرجة.

وهذا الموقع يُعد مثالياً لنشوء أي حي، فتواجد الماء والمسافة النسبية لمركز المدينة وللأسواق هي أسباب قوية، لأن يتطور هذا الحي عبر العصور بسرعة كبيرة. والمتداول أن حي ساروجة تأسس كحي في العصر المملوكي، ولا نعرف السبب أو الصلة وراء هذا الافتراض، فقد تواجدت الأبنية في حي ساروجة قبل المماليك بكثير، وإذا افترضنا أن سبب ربط تكون الحي بالعهد المملوكي بكثافة البناء، فهذا افتراض على أساس غير علمي. وإذا رجعنا إلى الدراسات العلمية في تكون الأحياء والمدن، فإن تأسيس الأحياء وتكونها ولو كان تلقائياً، يرتبط بيزوغ أولى الحركات العمرانية.^(٢٧٣)

واستناداً إلى هذه المعطيات سأصنف مراحل تكون الأحياء إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الإحياء، ومن مبادئه تعمير الأرض بأي أسلوب كان كمزرعة أو بناء سكني سواء كان من الطين أو الآجر، فهو من العوامل الأساسية، التي تجذب الناس للسكن به.

(٢٧٣) أكبر، جميل: المرجع نفسه: ص ١٧٦.

المرحلة الثانية: نشوء الخدمات، والقصد هنا ولادة أمكنة غير سكنية، تجارية، صناعية، ثقافية، لخدمة سكان الحي.

المرحلة الثالثة: وهي توسع الرقعة للحي، وأهم أسبابها ازدياد عدد السكان الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً مع تطور الحي. وهذا ما حصل بالفعل في حي ساروجة، ودليلنا على ذلك بناء المدرسة الشامية من ضمن شريط من المباني التي كانت موجودة، وعلى أساسه نفترض نشوء حي ساروجة قبل بناء المدرسة الشامية. وبإمكاننا أن نصنف حي ساروجة بوقت الإنشاء والبناء بالمرحلة الأولى. وإن ما أتى من بعد بناء المدرسة الشامية من أبنية وعمارة وتعمير، يُعد تسلسلاً طبيعياً لتطور أي حي، ويمكننا القول إن المرحلة المملوكية ما هي إلا مرحلة ثالثة في تطور الحي لتكامل كل العوامل المؤسسة لحي من الأحياء.

وهناك عوامل أسهمت في تطور حي ساروجة تاريخياً، ومن هذه العوامل العامل الاجتماعي والعامل الثقافي والعامل الاقتصادي والعامل السياسي، التي من خلالها نتعرف على أهمية الحي تاريخياً وأثرياً، وهي جزء لا يتجزأ من مدينة دمشق، ذات التاريخ العريق.

العاملان الاجتماعي والثقافي :

تم بناء المدرسة الشامية ضمن خط من المباني الموجودة خارج سور المدينة القديمة، نتيجة الازدهار في الحركة العمرانية، وسعيًا إلى الأمن والاستقرار. وهذه المدرسة كانت مقراً للثقافة وسكناً للطلاب، كالعديد من المدارس التي انتشرت في دمشق في ذلك الوقت. وقد قامت بإنشائها ست الشام خاتون ابنة نجم الدين أيوب، أخت القائد صلاح الدين الأيوبي (التي ورد ذكرها مفصلاً في فصل نفسه).

وقد دبت الحياة في المنطقة، فأقيمت الخانات مثل خانقاه الطاووسية عند منطقة البحصّة، وهذه المباني تشبه الأديرة أو الرباطات المخصصة للصوفيين والمسافرين، وكانت تلحق بها على الأغلب مساجد صغيرة ومدافن ذات قبب.

ولكن تسببت الحروب الصليبية والحروب الأهلية في الفترة الأيوبية بنتائج سلبية على الواقع الاجتماعي، فتأثرت الزراعة بشكل خاص وهي مصدر رزق الأهالي الأساسي، فارتفعت الأسعار وانتشرت المجاعات.

وبلغ حي ساروجة أوج عمرانته وازدهاره في عهد المماليك، حتى قال مؤلف دمشق ابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» :

« كانت دمشق أعمر مدن العالم وأجملها »^(٢٧٤)

(٢٧٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية ٨٧٤هـ، ج ١٢، ص ٢٢٧

فلم تعد تتسع المدينة داخل السور لمزيد من المباني، مما اضطر الممالك إلى بناء المنشآت خارج السور، فنلاحظ أن المباني المملوكية داخل أسوار دمشق قليلة جداً، بالنسبة للمرحلة الأيوبية التي سبقتها، لكن لم تخل من بعض المباني الهامة كالمدرسة الجقمقية والخيزيرية وغيرها، ولكن الإعمار المملوكي الفعلي كان خارج الأسوار، فامتدت الأحياء الجديدة اتساعاً، لم يسبق له نظير.

وهذا يدل على ازدياد عدد السكان ازدياداً طردياً، مع ازدياد الحركة العمرانية، فقد اتسعت الضواحي التي بدأت بشكل أساسي في عهد الأيوبيين، وقامت أحياء هامة تُعد امتداداً طبيعياً للمدينة، كحي حي ساروجة والعقبة والصالحية والميدان والشاغور والقنوات وباب سريجة، فاتحدت الأحياء الخارجية مع المدينة المسورة، وشكلت هنا نظرية القطاعات إحدى نظريات نمو المدن وامتداد العمران. وبنيت جوامع كثيرة، انتشرت في كل الأحياء كمثال على الامتداد العمراني، ففي حي ساروجة بني جامع يلغا، وجامع الورد، وجامع القرمشي ومسجد بلبان ومسجد المرادي، فازدادت القباب والمآذن الشامخة في أنحاء الحي، مما منح الحي شكلاً متميزاً. ثم تطور العمران بحي ساروجة، فأقيمت الأسواق والمساكن ذات الطبقات والحمامات كحمام الجوزة وحمام الورد وحمام الخانجي وحمام القرماني، وفي غرب ساروجة كان هناك حي الشرف الأعلى والأدنى، الذي سكنه الرؤساء والأعيان في ذلك الوقت.

وبنى الوالي المملوكي يلغا اليحياوي جامعة في محلة البحصنة تحت القلعة^(٢٧٥) وكانت هذه المنطقة أو المحلة هي ساروجة، التي تتمتع ساحتها الواسعة بشهرة عظيمة، حيث تحيط بها أسواق عدة، كسوق الخيل وخان البطيخ وخان الزين وسوق الخضار. وكانت تعج بالمشتريين والباعة والزوار والمسافرين. وقد انتشرت فيها الحوانيت والمطاعم والمقاهي التي لا تتوقف ليلاً ونهاراً. ففي حارة الورد المرصوفة بالحجارة والتي يتفرع إلى يمينها طريق جوزة الحدباء يقع إلى جانبه مقهى الكركوزاتي الذي اكتسب هذا الاسم

(٢٧٥) تحت القلعة: هي البقعة الواقعة في شمال قلعة دمشق تحت القلعة، وموقعها بين القنطرتين، أي بين المرجة والعمارة، وكانت تشمل دار البطيخ وسوق الخيل وسوق التبن ومقابر العونية، وتطل عليها الأحياء والدور والقصور، وتألقت (زمن الانتداب الفرنسي) من شوارع البحصنة والمرجة والسنجدار والناصرى وسوق علي باشا وسوق الخيل وسوق العتيق وسوق التبن وخان البطيخ وباب الأغا والبحرة المدورة (التي أزيلت لتوسيع الطريق بين سوق التبن وسوق الباشا والسوق العتيق)، والزرايلية والسروجية والمحارية والأبازين والنحاسين والبوابجية والمناخية وبين الحواصل. وقال أبو البقاء البدرى في كتاب «نزهة الأنام في محاسن الشام»: «إن تحت القلعة مرتع القريب ومنهم الغريب، وهي ساحة سماوية تحف فيها الدور وتعلوها القصور، وقد احتوت على كل ما يروق الإنسان وتشتهي الشفة واللسان، وفيها دار البطيخ، حيث تباع جميع الفواكه، وهناك العين الشهيرة ببرودة مائها عين علي وعذوبته وخفته، وفيها سوق القماش، منه ما يباع بالذراع ومنه ما يباع مخاطاً، وجانب منها للرجال، وجانب للنساء، ثم سوق الفراء والعبي، وسوق السقاطين والنحاسين والسكاكنية والقريبة، وسوق الخيل وسوق الغنم وسوق القشاشين، والمحارية والمنجدين، والخياطين، والنقلية (باعة النقول) ثم دار الخضار، وسوق المناخية والزجاجين، والوظائفية، ويتخللها أبواب الحلقات واللفافات والمضحكون وأصحاب الألعاب والحكايات والمسايرون، والناس في المساء يكونون أكثر اجتماعاً في هذا المكان، ويسمرون فيه إلى ما بعد منتصف الليل. العظمة، عبد العزيز: مرآة الشام، ص ٦٦

من عروض كراكوز وعبواظ^(٢٧٦) التي كانت تقدم فيه، وتنتهي الحارة عند فندق الحرمين الذي بني في عهد الانتداب الفرنسي.

وفي أواخر العهد المملوكي، بدأت محلة حي ساروجة بالنمو إلى الشمال، والتي نصنفها بنظرية النمو المركزية، إحدى النظريات التي يخضع لها تطور المدن التي سبق وأشرنا إليها.

فلاحظ أن الطبقات الاجتماعية منذ بداية نشأة حي ساروجة، تُعد من الطبقات الاجتماعية العالية، كخاتون ست الشام ووالي يلبغا، والتجار الذين قطنوا بها، فأصبح حي ساروجة مركزاً تحيط به أنشطة تجارية مختلفة كسوق الخيل والبطيخ وسوق التبن والحمامات والمقاهي وحوانيت المطاعم، التي أدت إلى اجتذاب أكبر عدد من السكان من طبقات مختلفة وخصوصاً طبقات المستويات الرفيعة. فارتفع مستوى المعيشة وخاصة إذا كانت نتيجة عوامل اقتصادية جديدة كوجود طبقات غنية بالمنطقة، يؤدي إلى ارتفاع في معدلات نمو السكن في الأحياء الجديدة من المدن بدرجة أكبر من معدلات النمو في الأجزاء القديمة، وتقصد هنا بالأجزاء القديمة المدينة التي تقع داخل السور. فكثيراً ما ينتقل السكان إلى أحياء راقية في هذه المدن، حيث تقدم المساكن الجديدة لسكانها نوعاً من الرفاهية، وتبدو أكثر اتساعاً وانسجاماً مع واقعهم الاجتماعي والاقتصادي.

ازداد حي ساروجة ازدهاراً في ظل حكم العثمانيين، الذين حكموها زهاء أربعة قرون، على الرغم من أن دمشق لم تتل العناية التي حظيت بها في الفترة المملوكية. وذلك لانتشار الفساد في الدولة العثمانية منذ البداية أولاً، ولاهتمام العثمانيين بعاصمتهم الأستانة عن باقي المدن ثانياً. إلا أن موقع دمشق على رأس طريق الحج، جعلت بعض الحكام العثمانيين يقومون بإنشاء مبان هامة كالتكية السليمانية، التي أنجزت في عصر السلطان سليمان القانوني الذي خلف والده السلطان سليم في عام ٩٣٦هـ/١٥٢٠م وكان قد أمر ببنائها قبل وفاته. و أيضاً هناك الدرويشية نسبة لمنشئها الوالي درويش باشا وغيرها من التكايا و المساجد العثمانية التي زينت المدينة وأحياءها المختلفة. غير أن معظم هذه المباني يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي، أي

(٢٧٦) كراكوز وعبواظ: شخصيتان نشأتا على خلفية العادات الاجتماعية السيئة، لتناقشها وتضع لها الحلول بطرق غير مباشرة، عن طريق مسرح خيال الظل. ويعرف أيضاً بشخص الخيال، وظل الخيال، وطيف الخيال و خيال الستار، وذي الخيال. هو فن شعبي انتقل إلى العالم الإسلامي من الصين أو الهند عن طريق بلاد فارس واشتهر به العصر المملوكي على وجه الخصوص. ويعتمد هذا الفن على دمي من الجلود المجففة ذات الألوان المتباينة، يتراوح طولها بين ثلاثين وخمسين سم، ويتم تحريكها بعضاً وراء ستار من القماش الأبيض، بعد أن يتم تسليط الضوء، مما يجعل ظلها هو الذي يبرز للمشاهدين. وكان محرك الدمى، وهو فتان محترف، يعرف باسم مخايلي أو محرك الشخص. عرف العرب خيال الظل للمرة الأولى في العصر العباسي، وكان مجيئه إلى مصر في عصر الفاطميين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وكانت تمثيليات خيال الظل التي كانت تعرف في العصر المملوكي باسم بابات، ومفردها بابة، من أهم وسائل الترفيه في العصرين الأيوبي والمملوكي. وكان يقبل على مشاهدتها الناس من جميع طبقات المجتمع. حيث كانت تناقش موضوعات سياسية واجتماعية وتاريخية بطريقة فكاهية ساخرة. أعجب العثمانيون بفن خيال الظل، فنقلوا العديد من فنانيه من القاهرة إلى أسطنبول لإقامة عروضهم هناك، لكن العروض استمرت فترة طويلة في العالم العربي، وحتى بدايات القرن العشرين، لطفي، أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر السلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م، ص ٦٠؛ للمزيد انظر نعيصة، يوسف: المرجع نفسه، ص ٢٢١

إلى الفترة الأولى من العهد العثماني. وبذلك حُدد العهد العثماني بهذه الأوباد المميزة، وكان معظمها، تلك الأحياء الواقعة خارج أسوار المدينة العتيقة.

لقد أولى العثمانيون دمشق أهمية خاصة، حتى لقبت «بالشام الشريف»، تقديساً لها.^(٢٧٧) ومع انضمام بلاد الشام للحكم العثماني، وتوسعها في جنوب شرق أوروبا وانتشار الإسلام فيها، أصبحت قافلة الحج الشامية واحدة من أهم قوافل الحج في ذلك الوقت، وكانت تضم الحجاج من الشام و بلاد الأناضول، وما جاورها من البلدان. وتحتوي على ما يقارب عشرين إلى ستين ألف حاج سنوياً يتجمعون بدمشق. وتمر قوافل الحج بالأعداد الكبيرة من الحجيج ببلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها، يقيمون بالمدن الواقعة في مسيرتهم وخاصة دمشق التي كان يتمركزون فيها بعد تجمع القوافل المختلفة، ومن ثم تنطلق القافلة الشامية. وخلال هذه الحركة السنوية تنشط الحياة التجارية بدرجة عالية بدمشق. ومن أهم مؤثراتها البنية العمرانية للمدينة باتجاه طريق الحج الذي تسلكه القافلة، وكان هذا التوسع، يتم في معظمه نحو الجنوب باتجاه نهر بردى، فقد جلبت قافلة الحج نشاطاً تجارياً كثيفاً، وكان الحجاج ينتهزون فرصة بقائهم في هذه المناطق العمرانية للتجهيز و التهيؤ للسفر بالصحراء. فسوق الخيل بساروجة كان مركزاً لشراء الدواب ومواد التخميم، وشراء المؤن لثلاثة أشهر للتزود بها. وأولى العثمانيون اهتماماً كبيراً لقافلة الحج ببلاد الشام، فعين أحد الولاة برئاسة قافلة الحجيج ومرافقة المحمل الشريف، ولقب بأمرير الحج، وكان على الوالي أن يعبر طريقه إلى المدن المقدسة كقائد لهؤلاء الناس. وفي طريق العودة كانت دمشق أول مركز عمراني هام، لما يملكه من خدمات ووسائل راحة، فكان الحجاج و القوافل يقضون أطول وقتهم في مدينة دمشق.^(٢٧٨)

وقد تمركز في حي ساروجة العديد من الطبقات التركية الغنية وجنود الجيش الانكشاري من ذوي الرتب العسكرية العالية وعائلاتهم. فاكسب حي ساروجة شهرة واسعة لدرجة أنه سمي بأسطنبول الصغرى. كما عاشت قوات شبه عسكرية،^(٢٧٩) خارج المعسكرات في أحياء ساروجة واستقرت مع أسرها وكانت خليطاً من أقاليم وقوميات مختلفة. ونقف هنا قليلاً أمام محاولة معرفة أسباب هذه التسمية، التي ربما تعود إلى أن معظم سكانها من الأتراك، أو أن حي ساروجة أصبح مشابهاً أو مقارباً لأحياء أسطنبول بالتشكيل المعماري ... أو ربما للسببين معاً.

وتكمن المحاولة بدراسة سكان ساروجة من الأتراك و مدى توزعهم وكثافتهم بالحي، إضافة إلى دراسة أحياء أسطنبول القديمة وتركيبها، لعنا نجد نوعاً من التشابه بينهما.

(٢٧٧) سوفاجيه: دمشق الشام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م، ص ٤٢

(٢٧٨) Ross Burns. Damascus A History. Rourledge.2005.p229-230

(٢٧٩) قوات شبه عسكرية: هي قوات تابعة للجيش، ولكن تملك السلطة داخل المدينة، وتتألف من رجال القبائل العثمانية للدفاع عن مصالح العثمانيين داخل المدينة.

لقد كان موقع حي ساروجة موقعاً استراتيجياً، شهد أثناء حكم العثمانيين ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي زيادة في وفود الأعيان، وسكن فئات الجيش العثماني فيه، لقربه من ثكناتهم التي كانت تقع غرب السرايا والقلعة.^(٢٨٠)

وفي القرن السابع عشر زار دمشق الرحالة الفرنسي لوران دارفيو، وكتب مشاهداته عن الحياة العمرانية والثقافية والاجتماعية في دمشق، ما شكّل سجلاً هاماً عن واقع الحياة في تلك الفترة؛ ومما كتبه أن سكان دمشق يفضلون رفاهية العيش، واقتناء الأثاث الفاخر، وأن منازل المدينة توحى بالعظمة لروعته، أما فيما يخص التجارة فقد كتب دارفيو أن دمشق واحدة من الأسواق الرئيسية في الدولة العثمانية، فهي محط القوافل التجارية القادمة من مكة والهند وبلاد فارس محملة بمختلف السلع، ومكان صناعة الداماس والحريز والبروكار والتفتا، وغيرها من الأقمشة التي اشتهرت بها المدينة.^(٢٨١)

وفي عام ١٧٢٤م أسندت ولاية دمشق إلى إسماعيل باشا العظم وهو «خير وال عرفته المدينة في العصر العثماني»،^(٢٨٢) وله يعود تشييد قصر العظم الذي اعتبره فيليب حتى «أروع أثر عربي في القرن الثامن عشر».^(٢٨٣)

ولقد اهتم الوجهاء والسلطين في المجتمع العثماني بمدينة دمشق، حيث ذكر ابن كنان في «يوميات شامية»، أن السلطان محمود الذي (ولد سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وتوفي سنة ١٨٣٩م/ ١٣١٠هـ) أرسل يوصي بدمشق قائلاً: «إنها مالكانتي»^(٢٨٤) لا أحد يؤذيها بشيء».^(٢٨٥) مما يعني أنها كانت محببة لديه، ويهمه أمرها كثيراً.

عُدت دمشق ولاية من الصنف الأول بالنسبة للسلطنة العثمانية، مما انعكس إيجاباً على حي سوق ساروجة، الذي سكنه عدد كبير من موظفي الدولة العثمانية والأغوات. وتزايد عدد المنازل الفخمة والراقية التي ملكها عدد من الأعيان، وأصبح حي ساروجة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، مركزاً لسكن فئة معينة من العائلات الكبيرة والغنية والأقليات، لا سيما الحاكمة منها أو القريبة من الحكام، كما شهدت تلك الفترة هجرة العديد من العائلات من أحياء مختلفة من دمشق لتسكن فيه، فتميز هذا الحي بجمال مبانيه ذات الطراز العثماني.^(٢٨٦)

ونستنتج مما سبق أن تسمية أسطنبول الصغرى لم تسمى بذلك نسبة للكثافة السكانية للأتراك فحسب، إنما للسببين معاً،

(٢٨٠) نعيصة، جميل: المرجع نفسه، ج ١، ص ٨٩

(٢٨١) دارفيو: وصف دمشق في القرن السابع عشر، ترجمة وتحقيق أحمد الإبيش، دار المأمون للتراث ط ١، دمشق ١٩٨٢م، ص ٦٧، ٦٨

(٢٨٢) حتى، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، مطبعة بيروت الحديثة، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٣٠٨

(٢٨٣) حتى، فيليب: المرجع السابق، ص ٣٠٩

(٢٨٤) المالكانة: هو النظام الذي حل محل الالتزام في العصر العثماني، وهو في الواقع نوع من أنواع الملك المؤقت للأرض. ابن كنان الصالحي: يوميات

شامية، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني، تحقيق أكرم العليبي، دار الطباعة دمشق، ١٩٩٤م، ص ٢٨٤

(٢٨٥) ابن كنان: المرجع نفسه، ص ٥١٣

(٢٨٦) نعيصة، جميل: المرجع نفسه، ص ٨٩

فقد أصبح حي ساروجة مشابهاً إلى درجة كبيرة لأحياء أسطنبول آنذاك، (الشكل ١٩٦ و ١٩٧) فشعر السكان الأتراك بأنهم في موطنهم لوجود أبناء جنسهم، ولتشابه الروح العمرانية في حي ساروجة مع الأحياء في وطنهم الأم، فأطلقوا عليها أسطنبول الصغرى، فقد كانت ساروجة بالنسبة لهم جزءاً مقتطعاً من مدينة أسطنبول. فهذا النمط من التزيين أتى مع العثمانيين، حيث زرعوا فناً من الفنون العثمانية الجميلة في دمشق، فمن منا يجهل جمال البيت الدمشقي والذي هو بالأساس تأثير طراز معماري عثماني صارخ، ظهرت آثاره واضحة بجميع أنحاء بلاد الشام وليس فقط بدمشق. فالثقافة والعادات العربية أبقى تقاليد البناء وتقنية الإنشاء، التي استمرت حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث بدأ معه التأثير العثماني سواء كان هذا التأثير في الأحياء الجديدة أو القديمة. (الأشكال ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١)



الشكل - ١٩٦

حارة تجارية بمنطقة جلاتا في أسطنبول القديمة
يبين الشكل تشابه الروح العمرانية بين أحياء أسطنبول و حي ساروجة



الشكل - ١٩٧

حارة خدمية في ساروجة نزلة جوزة الحدبا
تبين الصورة تشابه الروح العمرانية بين أحياء أسطنبول وحي ساروجة



الشكل-١٩٨

حارة سكنية بمنطقة جلاتا في أسطنبول القديمة
حيث نرى تشابه نمط العمارة بين أحياء أسطنبول و حي ساروجة حتى شعر أبناء الحي أنهم في موطنهم



الشكل - ٢٠٠

حارة سكنية بمنطقة جلاتا في أسطنبول القديمة



الشكل-٢٠١

حارة خدمية في ساروجة من جهة شارع الثورة
نرى التشابه في العمارة بين أحياء أسطنبول وحي ساروجة

ومن الأمثلة الرائعة في ساروجة، وجود بيوت كبيرة، يملكها أثرياء هذا الحي مازالت قائمة حتى يومنا هذا (مثل بيت الكباريتي وبيت العابد وبيت الخطاب وبيت الإيبش...)

وقد اهتم العثمانيون ببناء القصور والبيوت الكبيرة التي كان لها سمات خاصة، تمثلت في انطوائها نحو الداخل ومعالجتها للعناصر المعمارية، بما يلائم طبيعتها البيئية والاقتصادية والاجتماعية. فاقترص على العناصر المعمارية البسيطة، حتى ظهرت الزخارف العثمانية المتأثرة بدورها بالفن الباروكي الأوروبي، من ناحية الاهتمام بالمنمنمات أو من حيث استخدام مواد وعناصر جديدة في الزخرفة، كالأعمدة ذات أوراق الاكانتس أو إدراج التصوير والرسومات ضمن زخارف، لكن الفرق بينها وبين زخارف البيوت الدمشقية، أن اليد التي صنعت مواد الزخرفة في دمشق هي يد محلية أضافت بعضاً من روحها عليها، لتنتج فناً زخرفياً جميلاً.

فقد وجدنا في سجلات المحاكم الشرعية: (٢٨٧)

« الدار الكاينه بمحلة الجديدة بالقرب من سوق ساروجة، وتعرف قديماً بقولي جاويش.... وإيوان خانه به قوس حجارة أبلق... » (٢٨٨)

وأيضاً في الوثيقة: « دار كاينة ظاهر دمشق المحروسة بمحلة سوقية ساروجة بالقرب من المدرسة الشامية وتعرف قديماً بدار الخانجي وتشمل... وقاعة بإيوان شرقي بقوس حجر وطزر وإيوان غربي... » (٢٨٩)

كما وجدت المشرقة في البيوت الدمشقية التي هي عبارة عن شرفة تطل على الفناء الداخلي: « دار كاينة بمحلة حي ساروجة بحارة أولي جاويش المشتملة على وسلم حجر يصعد منه إلى مشرقة بها أوده صغيرة وفرنكه » (٢٩٠)

ولكن على الرغم من اهتمام السلطنة العثمانية بالمدينة التاريخية القديمة، إلا أنهم لم يحاولوا تغيير بنية المجتمع الدمشقي، أو الاهتمام بتحسين الظروف الحياتية للسكان، إذ لم يهتم بالإدارة العثمانية والسلطان سوى تأمين دخل مادي كبير، يدعم الأعمال الحربية التي كانوا يقومون بها، فكانوا كهيئة حاكمة، تسعى لتوطيد الأمن وجباية الضرائب وتمجيد السلطان العثماني.

(٢٨٧) كانت الأملاك والأراضي في سورية غير مسجلة في دوائر الحكومة، كما هو الحال في باقي الولايات العثمانية، فمعاملات البيع والشراء تجري في المحاكم الشرعية فقط، وفي بعض الأحيان يتفق أصحاب الأرض والأملاك، ويتبايعون فيما بينهم بصكوك عادية لا علم للمحاكم الشرعية بأمرها، مما أدى إلى فوضى في المعاملات، وتعذر إثبات الملكية، وظهور مصاعب جمة، قد تؤدي إلى ضياع الحقوق. العظمة، عبد العزيز: المرجع نفسه، ص ٢٢٣

(٢٨٨) سجل محاكم شرعية دمشق، رقم ١٢٩٩، وثيقة ١١ ص ١٨

(٢٨٩) سجل رقم ٧، وثيقة رقم ٦٨٥، ص ٣٧٩

(٢٩٠) سجل رقم ١٢٩٩، وثيقة رقم ١١، ص ١٨

إلا أن دمشق بقيت متجددة على الرغم من الظروف الصعبة التي فرضت على السكان، حيث أدت إلى تخلف أصاب شتى ميادين الحياة.^(٢٩١)

ومن خلال دراسة وثائق الأوقاف وسجلات المحاكم الشرعية سأحاول أن أحلل وأفهم صورة الحياة والظروف في فترة العثمانيين، وكيف تأثروا بالمجتمع الدمشقي وأثروا به!

لقد تعاقب على ولاية دمشق فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني أربعة عشر والياً، فقد كان لدمشق النصيب الأوفر من الولاة المصلحين، توافرت فيهم صفات العدل وحسن الإدارة والترفع عن المطامع الشخصية، أشهرهم الوالي مدحت باشا الذي لقب (بأبي الأحرار)، حيث أسس داراً عمومية للكتب، كما أنشأ سوق مدحت باشا، واهتم هؤلاء بطريق الحج، فتم بناء التكية السليمانية كما ذكرنا في عهد السلطان سليمان القانوني لإيواء الطلبة الغرباء، وإنشاء مكان واسع يستقر فيه الحجاج. فشهدت دمشق على امتداد طريق الحج باتجاه الجنوب توسعاً عمرانياً كبيراً على مسافة تمتد نحو كيلو مترين اثنين، وهو يمثل إحدى السمات الأساسية لتاريخ المدينة العمراني في العصر العثماني.^(٢٩٢)

فترى مما سبق أن الولاة العثمانيين كان لهم تأثير إيجابي وسلبي على مجتمع مدينة دمشق، فقد كانت دمشق تحتل موقعاً قريباً من مركز السلطنة العثمانية، وكانت مركز الوسط بين عاصمة الدولة العثمانية الحاكمة والولايات العربية التي تبعت الدولة العثمانية. وكان العامل الرئيس لاهتمامهم هو وقوعها على طريق الحج، فأولتها الدولة العثمانية رعاية خاصة.

وقد كان وجوه وأعيان الأحياء ومختارها يقومون بحماية الأهالي في كل حي من دمشق، فكل حي يسهر على راحة أفراد هيئة من وجهائه وأعيانه، ومثال ذلك صاحب دار مركز الوثائق التاريخية في سوق ساروجة، الذي كان نائباً في (المبعوثان) ووزير الأوقاف، وهو والد خالد العظم، حيث جاء في إحدى الوثائق بأنه: «صاحب السعادة محمد فوزي باشا ابن العظم زاده وأحد ممتازي أعيان وجوه دمشق الشام ومعتبري تبعة الدولة العليا»^(٢٩٣)

النشاط السكاني :

إن حجم المدينة يتحدد بعدد سكانها وبالنمو السكاني فيها، فهما ينعكسان على النشاط السكاني، وهذا الشيء يتم عبر الإحصاء الذي لم يتواجد في العصر العثماني لأسباب مختلفة، منها إهمال الضباط والموظفين القائمين على هذه الوظيفة،

(٢٩١) نعيصة، جميل: المرجع نفسه، ص ٢٠٤

(٢٩٢) هندأوي، سهام محمد: تاريخ دمشق في عهد السلطان العثماني عبد الحميد، دار رسلان، دمشق ٢٠٠٩م، ص ٢١

(٢٩٣) سجل رقم ١١٣٧، و٧٤، تاريخ ١٢١٧هـ، ١٩٠٠م

ولوقوف العادات والتقاليد حائلاً أمام إحصاء عدد النساء فيها من جهة أخرى، كما أن هروب الرجال من الجندية، كان سبباً إضافياً حال دون إحصاء العدد الكامل للرجال.^(٢٩٤)

لكن بشكل عام كان سكان حي ساروجة من طبقات اجتماعية راقية مختلفة من ضباط في الجيش وأغوات وزعماء، وهم شريحة هامة من الطبقة الحاكمة، اصطبغوا بالصبغة المحلية، وقاموا بالمصاهرة مع الأسر الدمشقية البارزة، فكان منهم عبد الله الجركسي أحد أغوات الجيش الانكشاري. وفي الوقت نفسه كان جداً للمفتي العام محمد خليل المرادي،^(٢٩٥) وأسرة المرادي كانت أسرة بارزة وقتها في دمشق ولها نفوذها. من جهة أخرى كان هؤلاء الأغوات على درجات متفاوتة من الغنى المادي والمستوى الاجتماعي، فمنهم من امتلك القصور الفخمة الفارهة، حتى صارت هذه القصور في بعض الأحيان منازل لأغوات أسطنبول على سبيل الضيافة.^(٢٩٦)

لقد سكن كثير من المهاجرين الجدد الذين وفدوا إلى دمشق في القرن التاسع عشر سوق ساروجة، وخاصة الذين احتلوا مناصب إدارية مهمة في الدولة العثمانية والجيش العثماني، أي الطبقة الأرستقراطية العثمانية، فوصف حي ساروجة في تلك الفترة بحي البرجوازية.^(٢٩٧) ونقرأ في إحدى الوثائق: «اشترى عثمان آغا تقاعد محمد القونية لي، من سكان سوق ساروجة، من عزتو محمد بك أميرالاي عساكر الوارية بن طوس الأورفه لي، من سكان محلة حي ساروجة، جميع الدكان الكائنة في الحي المذكور».^(٢٩٨)

ومن مدينة الموصل في العراق، هاجر عدد منهم إلى دمشق، وسكنوا في حي ساروجة، فنقرأ في الوثيقة التالية: «.....حضر أحمد بن كلش الموصل من نفس أهالي الموصل الموجود في دمشق الشام سوق ساروجة».^(٢٩٩)

وكان لصدور التنظيمات لدى السلطنة العثمانية الأثر الكبير على السلوك الاجتماعي الدمشقي، من خلال الولاة الصالحين، الذين عملوا على إدخال الحداثة إلى المدينة. فاهتم وجهاء دمشق بتبني أسلوب جديد في السلوك والعمارة، فانعكس ذلك على الزي، بعدما كان الولاة والأعيان يتفاخرون بعظمة أزيائهم، فكان إبراهيم باشا أحد قواد الجيوش العثمانية، بسيطاً في ارتداء

(٢٩٤) نعيصة، جميل: المرجع نفسه، ص ٨٧.

(٢٩٥) آل المرادي: يعود أصلهم إلى مدينة سمرقند. وهم زعماء الطريقة النقشبندية في دمشق، وكان منهم عدد كبير من القضاة والمفتين وأصحاب الوجهة والزعامة. جاء جد آل المرادي إلى مدينة دمشق في حدود عام ١٦٥٨م/١٠٩٦هـ. وكان قبل ذلك قد أقام في أسطنبول عدة سنوات، و أنشأ في العاصمة هناك علاقات واسعة مع السلطان والوزراء. المرادي، محمد خليل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٦٣.

(٢٩٦) نعيصة، جميل: المرجع السابق، ص ٢٣٠، ٢٢٧.

(٢٩٧) سركو، د. ماري دكران: المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٢٩٨) سجل رقم ٢٦١، ٨٧٧، ١٦، ت ١٣٠٥، ١٨٨٦م، وسجل رقم ٩٧٧، ٢١٨، ت ١٣٠٩، ١٨٩٠م.

(٢٩٩) سجل رقم (٢٥٥) ٩٥١، ١١٩، ت ١٣١٠هـ، ١٨١٩م.

ثيابه، حيث اقتصر على الملابس البسيطة والطربوش، وقد اقتدى به الأعيان فلبسوا الطربوش الذي تم استعماله في منتصف القرن التاسع عشر في المجتمع الدمشقي إبان عام ١٨٣٠م/ ١٢٤٥هـ و١٨٤١م/ ١٢٥٦هـ وفرضت المساواة الاجتماعية بين عناصر المجتمع. كما أحدثت المدارس خلال العقود الخمسة الأخيرة من حكم السلطنة العثمانية، وانتشرت وسائل الإعلام المختلفة من مجلات وصحف وكتب، وأصبح المجتمع الدمشقي يتابع آخر صيحات الملابس التي كانت تظهر في أسطنبول، وهذا يُعد انعكاساً على المجتمع الدمشقي في السلوك الاجتماعي وفي العمارة.^(٣٠٠)

كما كانت الأسواق التي هي المركز الرئيس لنشاط السكان اليومي، مثلاً حياً على التغيرات العمرانية، فقد اتبع أسلوب جديد في تكوينها، وقامت أسواق جديدة، ربطت الأسواق القديمة بمناطق التوسع العمراني غرب المدينة، فخلال عامي ١٨٨٠م/ ١٢٩٧هـ

و١٨٩٠م/ ١٣٠٧هـ، قامت البلدية بتجديد بعض الأسواق مثل سوق السروجية وسوق الخيل وسوق العتيق وسوق الخجا وعلي باشا، فقد كان علي باشا وهو أمين السر أو أمين السجل للهدايا التي ترسل إلى مكة المكرمة، دور مهم في ربط ساحة المرجة بساحة سوق الخيل، حيث ربط بذلك مركز المدينة الجديد بمركز تجاري.^(٣٠١)

ومن أشهر الأسواق التي اشتهرت في ذلك العهد العثماني سوق السنانية الذي كان يوفر حاجات سفر الحجاج المسلمين، وسوق الدرويشية، وسوق محمد باشا العظم، وسوق علي باشا، وسوق مدحت باشا الذي ذكرناه سابقاً. ونستنتج من تزايد عدد الأسواق، تزايد نسبة عدد السكان حيث لم تستطع الأسواق القديمة سد حاجات المواطنين، لذلك أقيمت أسواق جديدة.^(٣٠٢)

وقد احتوت هذه الأسواق على مهن وحرف مختلفة، فقد اختص كل سوق بالحرفة التي تمارس فيه، كسوق العتيق الذي اختص ببيع الأسماك واللحوم، وأطلق عليه أيضاً اسم سوق الدجاجين، كما احتوت هذه الأسواق أيضاً على حوانيت للحلاقة وبيوت للقهوة وبعض المنشآت ذات النفع العام كالحمامات، والجوامع، والمدارس. ونجد في حي حي ساروجة أيضاً سوق ساحة الخيل المتخصص ببيع الدواب كالحمير والبغال والأحصنة ولوازمها كالسروج والأعلاف وغيرها من العتاد.

وكان الأغوات عندما يذهبون إلى المقاهي يرتدون فروات طويلة من الحرير، أحمر اللون، مبطنة بالضراء، ويتقلدون سيوفهم وخناجرهم المحلاة بالحجارة الكريمة، المعلقة بأحزمتهم، ويسير خلفهم لخدمتهم خمسة أو أكثر من الأتباع أو الخدم لحمل نراجيلهم، وعندما يصل هؤلاء الأغوات إلى تلك المقاهي، يجلسون على الأرائك أو فوق المصاطب الخارجية، لسماع أخبار المدينة وأحوال الأسواق لاستخلاص منها ما هو لمصلحتهم.^(٣٠٣)

(٣٠٠) لطفي، فؤاد لطفي: التاريخ العمراني لدمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١م، ص ٦١٦

(٣٠١) عاشور، عبد الفتاح: المجتمع الشامي في العصر العثماني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٦٠

(٣٠٢) نعيمة، جميل: المرجع نفسه، ص ٩٨: المرادي، محمد خليل: المرجع نفسه، ج ١٤، ص ١٠١

(٣٠٣) لطفي، فؤاد لطفي: المرجع نفسه، ص ٥٩٢

أما بالنسبة للحمامات، فقد كان أغوات حي ساروجة يفضلون الذهاب إلى الحمامات الفاخرة و المتميزة آنذاك خارج الحي كنوع من الرفاهية و المباهاة، كحمام الملكة الذي كان يقع جنوبي القصر العدلي الحالي، وقد هدم هذا الحمام عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م عند فتح الشارع الواقع جنوب القصر العدلي.^(٣٠٤) هذا وقد كانت الحمامات وقفاً على فئة معينة من الناس وفق منزلتها، فحمامات حي الميدان القريبة من البوابة كان يرتادها الفلاحون، وحمام الراس كان يرتاده الحجاج الأكراد.^(٣٠٥)

وقد اختلف نمط البناء في الحمامات من حمام إلى آخر من حيث طريقة الزخرفة والمواد والمساحة، ونقرأ في إحدى هذه الوثائق: «جميع الحمام الجاري بتمامه في الوقف الطابق ظاهر دمشق بمحلة حي ساروجة بزقاق الورد ويعرف بحمام الورد المشتمل كامله على براني ووسطاني والجواني، فالبراني يشتمل على ساحة مسقفة بها بركة ماء ناهدة ومساطب مستديرة وأوجاق معد لطبخ القهوة وعملها والوسطاني والجواني، ويشتمل على عدة أجرنه ومقاصير وأقيم ركب عليه حلة نحاس أحدهما نارية والثانية دخانية ومنافع شرعية».^(٣٠٦)

وقد كان الشعب يعيش وحدة اجتماعية وقومية، فقد وجدنا في إحدى الوثائق العثمانية التي كانت تشمل الأوقاف الإسلامية والمسيحية: «اشترى متري صيدح بالوكالة عن صاحب الرتبة ملاتيوس بطريق طائفة الروم الارثوذكس بالشام الدوماني الموتلي على أوقاف الطائفة المذكورة بموجب البراءة الشريفة السلطانية بمال، جهة وقف السيدة مريم الكائن في قرية سيدنايا، وذلك جميع الدار بمحلة العقيبية وحي ساروجة بثمن قدره ٣٣ ليرة ذهب عثمانية».^(٣٠٧)

ونلاحظ من الوثيقة التالية أن هناك الكثير من الأوقاف التي أوقفت في مدينة دمشق لصالح الحرمين الشريفين، وكان لها إدارة في دمشق تديرها: «محمد ناهد بيك باشكاتب قلم أوقاف الحرمين الشريفين بدمشق، ابن الأستاذة لي... وكانت أوقافه موزعة في كافة مناطق مدينة دمشق في حي ساروجة والعقيبية والصالحية وغيرها من المناطق الدمشقية».^(٣٠٨)

لقد عاش المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب، خاصة في ضواحي الصالحية والمهاجرين وسوق ساروجة، حيث ذكر في أحد الوثائق: «ذكر المدعية مارغريت بنت جرجي إجازجي^(٣٠٩) بالعساكر الشاهانية الذي توفي في داره الكائنة في سوق ساروجة».^(٣١٠) وكان للعامل الثقافى الدور الكبير في تطور مدينة دمشق ونموها، فلقد عدد النعيمي ما يقارب مئة مدرسة كانت موجودة

(٣٠٤) لطفي، فؤاد لطفي: المرجع نفسه، ص ٢٥١

(٣٠٥) نعيسة، جميل: المرجع نفسه، ص ١٣١؛ كيال، منير: المرجع السابق، ص ١٨٩، ١٧٠

(٣٠٦) مركز الوثائق التاريخية بدمشق، سجل رقم ٤٣٤ وثيقة رقم ١٥١، صفحة ١٥٧

(٣٠٧) سجل رقم ١٢٩٢، ٦٠، و ١٢٥، ت ١٣٢٣هـ، ١٩٠٦م

(٣٠٨) سجل رقم ١١٥٩، ٢١١، تاريخ ١٣١٩هـ، ١٩٠١م

(٣٠٩) إجازجي: بائع الأجزاء الطبية، الصيدلي.

(٣١٠) ١١٠ س ١٢٤٩، و ١٢٤، ت ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م

إبان مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فنرى في حي حي ساروجة المدرسة الشامية، التي بنتها خاتون ست الشام، والمدرسة المرادية، والمدرسة المجنونة.^(٣١١)

ووصل سعر مقسم مفروز في حي حي ساروجة إلى ٢٥ ليرة، وكانت هذه القيمة باهضة نسبة إلى باقي المناطق في تلك الفترة الزمنية. ونقرأ في الوثيقة التالية: « اشترى الحاج عمر الأستانة لي من سكان سوق ساروجة، بالوكالة عن زوجته فاطمة الكتاهية لي من شقيق الزوجة، جميع المقسم المفروز والمقسم في سوق ساروجة، عند جوزة الحدباء بالشارع السلطاني، بثمن قدره ٢٥ ليرة عثمانية. »^(٣١٢)

ولم يخل حي ساروجة من الطبقات متوسطة الحال، فنرى في بيوت الحي تبايناً واضحاً بين مساكن كل طبقة. فلقد رصفت أرضية البيوت لدى الأسر الثرية بالرخام، بينما رصفت لدى الأسر المتوسطة والفقيرة بالعدسة أو بالبلاط، فنجد في إحدى الوثائق الشرعية: « جميع عمارة الدار الكاينة ظاهر دمشق بمحلة تحت القلعة وتشتمل على براني وجواني فالبراني يشتمل على ساحة سماوية بها بركة ماء ناهدة يجري إليها الماء من نهر ثورا بحق شرعي وإيوان قبلي وأرك شرقية وأرك غربية وقاعة سماوية بإيوانين وإسطبل ومتبن ومنافع شرعية، والجواني يشتمل على ساحة سماوية بها بركة ماء أيضاً ناهدة مبلط ما حولها بالبلاط المتنوع يجري إليها الماء وإيوان قبلي داخله قبة وقاعة شمالية ومربعين وكيلار^(٣١٣) ومطبخ ومرتفق ومنافع شرعية. »^(٣١٤)

وكان هذا الحي الأهم بين الأحياء، حتى اعتز سكانه بأصولهم التي تعود إليه، ومنهم الكاتبة سهام ترجمان وناديا خوست الأديبتان اللتان كانت لهما مؤلفات عدة عن هذه الحي وعظمتها.

وقد سكن المهاجرين الجراكسة في مختلف مناطق دمشق وبعض قراها، ففي حي ساروجة هناك زقاق يدعى داور باشا، واسم داور شركسي محض مثل اسم زاور، ونقرأ في الأمر السلطاني:

« في حي ساروجة بالشام، جامع الورد، قد توفى إمامه وطلب إلى محاسبة الأوقاف لتولي ابنه مهام والده المتوفى ووجوب العهدة إليه بإقامة الصلاة، علماً أنه مقيم في زقاق داور آغا. »^(٣١٥)

لقد تألف المجتمع الدمشقي أيضاً من طبقات متوسطة وفقيرة من الصنائع والحرفيين والعاملين في الحمامات العامة كالنبتع والناطور والقميمي الذين سكنوا وأقاموا في بيوت صغيرة بحي ساروجة وكانت منازلهم متواضعة.

(٣١١) النعيمي: المرجع نفسه، ص ٣٠١، ٤٦٧

(٣١٢) سجل رقم ٢٨١، و ٨٤٩، و ٢١٩، تاريخ ١٣٠٥ هـ، ١٨٨٦ م

(٣١٣) كيلار: أي السرداب أو القبو أو القبوة . معجم المعاني

(٣١٤) سجل رقم ٢١، وثيقة صفحة ٢٣

(٣١٥) ٢٦٤ أوامر سلطانية، دمشق، ١٧، و ٧٩، ت ١٣٠٥ هـ، ١٨٨٦ م

العامل الاقتصادي:

أصبح الاقتصاد الحضري^(٣١٦) يشكل جزءاً أساسياً للعديد من الدراسات الأكاديمية في حقول الجغرافية والاجتماع والتنمية والتطور العمراني والمعماري للمدن والأحياء. إن دراسة العامل الاقتصادي مبني على التعرف على المقومات والميزات لأية مدينة، وفهم التنمية الاقتصادية في إطاره المحلي، والتنوع في التنمية الاقتصادية، بسبب التنوع الثقافي للسكان وتحقيق التنمية المستدامة، فالمدن ليست مستقراً سكنياً للعيش والعمل فقط، بل تحولت إلى مكان للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يسهم في التنمية المحلية للمنطقة.

تكمن أهمية الاقتصاد القصى في معالجة قضايا المدن ومشكلاتها، عن طريق علو الاقتصاد الإقليمي، فالمدن والمناطق الحضرية ما هي إلا عبارة عن أقاليم أو مناطق إدارية ضمن القطر أو الدولة الواحدة. ونتيجة لخصوصية المشكلات والقضايا المتعلقة بالمدن والمناطق الحضرية بصفة خاصة، والتي تتولد عن سرعة التحضر، فقد أدى ذلك إلى انفصال علم الاقتصاد الحضري عن الإقليمي، لا لسبب إلا للتركيز على العلاقات الناشطة الاقتصادية التي تتأثر بالخصائص المكانية للمدن والمناطق الحضرية، كما تؤثر فيها حجم المدينة وكثافة السكان وهيكليتها العمرانية ونمط استخدام الأراضي فيها. وبما أن التغير في هذه الخصائص المكانية وبالتالي التأثيرات الناتجة عنها مضطردة، فإن علم الاقتصاد المكاني يقوم بدراسة... عوامل الجذب والطرء للأنشطة الاقتصادية و المساكن، والتي تؤدي بدورها للنمو أو التراجع في المناطق أو التشتت والمحافظة أو الاستبدال لأي من المناطق الحضرية أو المدن كمواقع مدن أو مناطق حضرية جديدة. وهذا ما حصل في حي سوق ساروجة، فقد تطور عبر العصور حتى وصل إلى القرن العشرين، حين بدأ بالتدهور والانكماش من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية... وبالتالي فإن دراستنا للعامل الاقتصادي بحي ساروجة، لا يهتم فقط بتحليل النظام المكاني، بل يتعدى إلى دراسة اجتماعية لمعرفة المؤثرات بالعامل الاقتصادي وفهمها.

ومن أهم المسائل التي يختص بها دراسة علم الاقتصاد الحضري هو حجم المنطقة وعوامل التركيز والسكان والأنشطة الاقتصادية وعوامل النمو والانحسار. وتعد أهم المشكلات الرئيسية في المناطق هي مشكلة النقل والبيئة والسكان، فعلم الاقتصاد الحضري لا يتعامل فقط مع المنطقة أو الأحياء الحضرية، على أنها مجرد مجمعة من المباني والطرق، ولكن يتعامل معها على أساس خلية حية تنمو وتنكمش وتزدهر وتندثر وتتعافى وتمرض، وينظر إلى المدينة كمنشأة اقتصادية تستخدم الأرض ويتفاعل

(٣١٦) الاقتصاد الحضري: تزايدت معدلات التحضر بعد منتصف القرن العشرين، وقد أبرز ذلك العديد من المشكلات والقضايا والاجتماعية والسياسية والعمرانية الخاصة بالمدن والمناطق الحضرية، مما أدى إلى ظهور علم قائم بذاته في أوائل الستينيات من القرن العشرين، سمي بعلم الاقتصاد العمراني، أو الاقتصاد الحضري. حامد عبد الله، محمد: الاقتصاد العمراني مع التطبيق على المدن العربية، المطابع العالمية، الرياض، ١٩٩٥، (مقدمة الكتاب)

فيها رأس المال والعمل لإنتاج السلع و الخدمات، وهذا ما يسمى بالاقتصاد المكاني.^(٢١٧) ولفهم التطور العمراني ونموه لأي حي أومدينة يجب دراسة البعد الاقتصادي المكاني. فالنظام الاقتصادي يقوم بدور هام في النشاطات الإقليمية وأغلب المدن الكبيرة تؤثر على الاقتصاد القومي بأكمله، وبالتالي لا يمكن دراسة العامل الاقتصادي في حي ساروجة بمعزل عن الظروف الاقتصادية المحيطة به، التي تربطه بمدينة دمشق. فقد كان للازدهار الاقتصادي نتيجة انفتاح التجارة الخارجية في عهد إبراهيم باشا، دور في ظهور التأثير الأوروبي على العمارة من رسوم وزخارف وترقيم للأبنية والحوانيت، وعلى نمو الأسواق التي ظهرت على جوانبها الخانات والحمامات والقصور.

«دار كائنة بباطن محلة حي ساروجة بدخلة بني المرادي التي نمرتها ٩٠٠٠....»^(٢١٨)

ولقد ذكرنا أنفاً القصور، التي لم تكن لتوجد في حي ساروجة لولا الرفاه الاقتصادي الذي كان يعم البلاد في تلك الفترة، وأيضاً كانت الأبنية الرسمية من دوائر ووظائف الدولة ذات الطابع الاقتصادي لتلك السلطة.

وفي ظل هذا القيد لا يمكن استحداث نظرية شاملة تضم كافة مجالات اقتصاد المدينة، وإنما يجب اعتماد ما أسماه (ندمان عام ١٩٧٤)^(٢١٩) بالأسلوب الجزئي. فالاقتصاد الجزئي الحضري يتعامل مع الأفراد والأسر والمنشآت، ويسلط الضوء على القرارات الخاصة بالموقع، وميكانيكية عمل الأسواق الحضرية الخاصة بالأرض والنقل والسكن.

أ: نظريات الاقتصاد الحضري:

- اقتصاديات التكتل الجغرافي:

التحضر: مرت عملية التحضر بمختلف دول العالم بمراحل عدة، وتأثرت بعوامل أخرى، منها ما كان إيجابياً ومنها ما كان

(٢١٧) الاقتصاد المكاني: هو فرع من فروع علم الاقتصاد الحديث، الذي يهتم بالتوزيع الجغرافي للفعاليات والأنشطة الاقتصادية على المستوى القومي والإقليمي والمحلي، لكنه يُعد المستوى المحلي هو الأهم بين تلك المستويات، لأن التأثيرات الحضرية المعاصرة تتميز بتسارع معدلات التمدن والتحضر وتضخم المدن، مما يؤدي نشوء آثار اقتصادية واجتماعية متباينة وخطيرة، تجعل من مفهوم الاقتصاد المكاني هو السائد على الفروع الأخرى. العمار، د. علي كريم: الأزمة الاقتصادية العالمية وأثرها على تخطيط المدن، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ٢٠٠٩م، ص ٥

(٢١٨) سجل رقم ٨٧١، وثيقة رقم ١٤٠ و

(٢١٩) محبوب، د. عادل عبد الغني، خروقة، د. سهام صديق: الاقتصاد الحضري نظرية وسياسة، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٨م، ص ٢٣، ٢٥

سلبياً، إلا أن معظمها شكل أزمة كبيرة للسلطات الحضرية. فعلم الاقتصاد الحضري يرى أن أي تركيز جغرافي كبير للسكان والعناصر الاقتصادية، هو مدينة مؤلفة من شبكة متداخلة من الأسواق الاقتصادية (الأرض، السكن، العمل، النقل وغيرها). إن الكتاب في أسباب التوسع السريع للحياة الحضرية منذ منتصف القرن التاسع عشر يُعد غاية في الأهمية لفهم المشكلات

الحضرية المعاصرة، وإن عملية تحول الطبيعة الزراعية السائدة في اقتصاد المنطقة وظهور الصناعة، كان له الأثر الأكبر في تلك المرحلة، فقد تميزت نهاية القرن الثامن عشر بالزيادة السريعة في عميلة التصنيع، وتوافر مصادر جديدة من الطاقة التي رافقها اختراع الآلات البخارية التي أدت إلى زيادة الإنتاج، وأدت بالتالي إلى توسع قطاع التجارة وزيادة المهارات التخصصية وظهور وفورات الحجم وزيادة حجم المنشآت الصناعية، وكان التركيز الصناعي في بعض المناطق نتيجة التكلفة العالية في النقل، وبالتالي كان التركيز في القوى العاملة في الصناعة، مما تتطلب سكناً وخدمات أخرى لا يمكن توافرها إلا في بيئة حضرية، وبالتالي نمت المدن، وحدث التوسع الذي عززه النشاط التجاري، وزيادة الطلب الحاصل من الأفراد والمنشآت. (٣٢٠)

وقد أشاد دارفيو (أحد الرحالة الأوروبيين) بأسواق دمشق، عندما زارها عام ١٦٦٠م/ ١٠٧٠هـ، حيث قال في مذكراته: «إنها أكثر المدن تجارة في الدولة العثمانية، توجد فيها مصانع أقمشة المخمل المختلفة الأنواع والبروكار والأقمشة القطنية والحرير، وإن قوافل الحج كانت تجلب إليها الأفاوية وبضائع الفرس والهند، والفرنسيون يجلبون إليها أغطية الحرير والصوف والذهب والنيلة والسكر وغير ذلك، إلا أن القنصلية الفرنسية فيها انتقلت إلى صيدا بسبب عدم توفر الأمن في الطرقات، ولكن التجار الفرنسيين والأطباء ظلوا يقيمون فيها». (٣٢١)

– اقتصاديات التكتل: Agglomeration Economics

إن أسباب نزعة السكان إلى الإقامة في المدن، واختيار المنشآت والأفراد لمدينة أو منطقة ما دون غيرها، ومعرفة القوى الاقتصادية الأساسية هي ما شجعت المنشآت على التركيز في مكان محدد، واختيار نوع خاص من الصناعات القادرة على الانتقال لموقع محدد من المدينة. فالمناطق الحضرية تتصف بتركز مختلف النشاطات الاقتصادية فيها، والمقصود بالتركز Concentration بالنسبة للاقتصاد الحضري، هو تركز الصناعات في منطقة ما من المدينة، ويُعد أحد الأسباب الرئيسة لتركز الصناعة جغرافياً، هو وجود اقتصاديات التكتل التي تحقق الوفورات الاقتصادية التي تستفيد منها الصناعة، ولا يمكن أن تتحقق اقتصاديات التكتل، إلا عندما يكون هناك تقارب جغرافي، يولد منافع للمنشآت والصناعات.

(٣٢٠) محبوب، عادل عبد الغني و خروفة، د. سهام صديق: المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٩

(٣٢١) دارفيو: المرجع السابق، ص ٦٧

وعموماً لا توجد قاعدة ملزمة لتصنيف اقتصاديات التكتل، التي تأخذ بالاعتبار عند اختيار الموقع، مايلي:

١- الحجم المحتمل للسوق المحلي، فتركزات السكان الكبيرة والصناعات تخلق اقتصاديات التسويق، وإن زيادة حجم سكان المدينة يؤدي إلى زيادة درجة الاكتفاء الذاتي، الذي يزيد من عدد الأسواق المحتمل قيامها، فالتوسع في السوق المحلي، يُعد أفضل من التوسع في الأسواق الخارجية، للحد من الكلفة الناتجة عن النقل والتسويق.

٢- السوق المحلي الكبير، حيث يقلل من الكلفة الفعلية للإنتاج، لأنه يزيد من درجة التخصص، كما يزيد من احتمال قيام اقتصاديات الإنتاج واسع النطاق.

٣- وجود حد معين من عدد السكان، وهو من أهم الوفورات الاقتصادية، وتوفير الخدمات العامة المختلفة من قبل القطاع العام، الأمر الذي لا يتم إلا من خلال وجود حد أدنى من السكان في المنطقة الحضرية. فقد ازداد عدد سكان حي ساروجة بشكل ملحوظ عبر المراحل، خصوصاً في المرحلة المملوكية وما بعدها، ففي المرحلة العثمانية انتعش الاقتصاد بشكل أثر على مساحة البيت الدمشقي والفناء وعدد الغرف وعلى مستوى الحجر المستعمل، وعلى كمية الزخارف ونوعيتها وعلى الأرضيات بأشكال رخامية وحجرية، وعلى برك الماء ومواد الإنشاء. وازداد عدد المساكن بساروجة بشكل كبير، وأصبحت ملاصقة بعضها لبعض بازدياد النشاط السكاني.

٤- التركيز الجغرافي لنوع معين من الصناعة في موقع معين، يشجع على إقامة صناعة تكميلية، تقدم العديد من التسهيلات إلى السوق، كما حدث في حي سوق ساروجة، فعند ساحة سوق الخيل كانت تباع الأحصنة والحمير والبغال... فساعد ذلك على ظهور السراجين وبائعي الجلود، واللباس العسكري.

٥- إن التركيز الجغرافي للمنشآت المتماثلة يولد نوعاً من مصادر العمل الماهر والحرفية، كما يؤدي إلى تطوير المصادر الإدارية والتنظيمية، وإن تركّز رجال الأعمال في منطقة واحدة يسهل عملية الاتصال فيما بينهم، ويمكنهم من القيام بإجراء العمليات الإدارية بكفاءة أكبر وتعزيز الثقة والمعرفة الشخصية المباشرة وتبادل الأفكار فيما بينهم، وبكلفة أقل. ففي حي ساروجة نرى أن التاجر يقيم إلى جانب مكان عمله، لتوفير المواصلات والاتصال. فتمركز تجار حي ساروجة إلى جانب أماكن أعمالهم، تصرف طبيعي مازال يمارس حتى يومنا هذا. وهنا وثيقة إيجار لتاجر من حي ساروجة كالتالي: «استأجر مفخر الأمجد الكرام يحيى بن عبد الله الكركوتلي من سكان حي ساروجة بما له لنفسه من آل الأسطولي، جميع القهوة خانة ظاهر دمشق بمحلة سوق الخيل تابع حي ساروجة قرب جامع يلغا بأجرة عن كل سنة ١٠٨ قروش»^(٢٢٢)

(٢٢٢) ١٢١ س ١٢٩٢، و١٩٥، ت ١٢٢٣ هـ، ١٩٠٦ م

٦- إن التركيزات الحضرية توفر بيئة جيدة من الخدمات الترفيهية والاجتماعية والتعليمية، وتعد عامل جذب لإدارات جديدة عن طريق توفير وسائل الراحة. فمثال ذلك نرى في حي ساروجة المدرسة والحمام والجامع والمقهى والسوق .. وهذه من العوامل التي رفعت من قيمة الحي الاقتصادية، فوجود مثل تلك المباني العامة والدينية والأسواق كان سبباً في جذب فئات شتى من الطبقات الاجتماعية من الطبقة البسيطة وحتى الطبقة الثرية، مما حقق قيمة اقتصادية عالية للمنطقة آنذاك. ففي حي ساروجة في نزلة جوزة الحدباء تواجد أول نزل (فندق) في دمشق سنة ١٨٥٠م/ ١٢٦٦هـ عُرف باسم نزل ديمتري كاراه^(٢٢٢) لملكه الخواجه (ديمتري الأزميز بنوري اللوكنده جي^(٢٢٣)) كما ورد هذا الاسم حرفياً في مدونة الدكتور ماري دكران سركو (دمشق فترة عبد الحميد الثاني)، فنقرأ في إحدى الوثائق ما يلي: «اشترى الخواجه ديمتري الأزميز بنوري اللوكنده جي من طائفة الروم ومن سكان محلة حي ساروجة بما له لنفسهيحدها لوكنده بيد أمين جدي زاده»^(٢٢٤) وهو رجل نمساوي، وفي بعض المصادر ذكرت أنه يوناني من طائفة الروم ومن سكان محلة سوق ساروجة. وكان هذا النزل (الفندق) مجاوراً لفندق قديم لصاحبه (أمين جدي زاده). وفي الحقبة نفسها بزقاق نزلة جوزة الحدبة أيضاً من جهة الغرب، وجد فندق آخر باسم فندق دمشق (Damascus Palace Hotel) وهذا البناء كان في الأصل داراً كبيرة، بناها السيد المرحوم حسين إبيش سنة ١٨٤٤ م، ثم تحولت إلى فندق.

وقد كثرت النزل الصغيرة (اللوكندات) في تلك الفترة بمدينة دمشق بسبب كثرة السواح الأجانب وتوجه التجار والقناصل والمبشرين الأوروبيين باتجاه المدينة.^(٢٢٥)

٧- إن من أهم العوامل الديناميكية للتكتل الاقتصادي، والتي تتولد من خلال التركيز الجغرافي للصناعة هو عامل الابتكار، فهناك ارتباط كبير بين الابتكار والتركز، فوجود عدد كبير من المنشآت التي تنتج سلعاً متشابهة في المدينة، يحفز ويشجع على المنافسة وابتكار طرق جديدة في الإنتاج، ويعمق مفهوم سياسة التميز بين السلع، وذلك من خلال تبادل المعلومات بين مصنعي السلع والمجهزين والموزعين والمستهلكين، وتقوم بدور هام في ذلك وسائل الاتصال التي تعمل على نشر أخبار الابتكارات الجديدة، ليتم اعتمادها من قبل جميع المنشآت في المنطقة.^(٢٢٦) ومثال على ذلك سوق علي باشا الذي يجاور حي سوق ساروجة، فكان هذا السوق يمثل معرضاً للفواكه المحلية الطازجة والنادرة ومن مختلف أنواع الفاكهة التي كانت تعرض بطريقة فنية جذابة جداً لقربه من سوق الهال المشهور، الذي يبيع جميع أنواع الخضار والفواكه الواردة إلى دمشق

(٢٢٢) الشهابي، د. قتيبة: دمشق تاريخ وصور، ص ٧٢

(٢٢٤) أي صاحب المقهى، وتضاف (جي) للنسبة .

(٢٢٥) ٣٣٤ س ١١٠٠ و ٨٧، ت ١٣١٤ هـ، ١٨٠٧ م

(٢٢٦) دكران، ماري: المرجع نفسه، ص ٦٩

(٢٢٧) محبوب، عادل عبد الغني و خروفة، د. سهام صديق: المرجع نفسه، ص ٤٥، ٤٠

من مختلف النواحي المجاورة. وقد أشار الدكتور الشهابي في كتابه: «دمشق تاريخ وصور» إلى أن السوق فيما بعد يبيع أجود أنواع الفواكه الطازجة و المجففة، وأن بعضاً من هذه الفواكه كانت تؤجر إلى دور اللهو (النوادي الليلية) في المساء و تعاد إلى السوق في الصباح دون المساس بها، على اعتبار أنها للمنظر ولتجميل هذه الدور.

ومن الأسواق المتخصصة بحي ساروجة، سوق ساحة الخيل الذي كان عفوياً في إنشائه، فتركز المختصون ببيع لوازم الخيل خارج المدينة، حيث إن مدينة دمشق تطورت سكانياً وعمانياً بشكل ملحوظ، وأصبحت ضيقة لا تستوعب مساحات الأسواق الواسعة. كما أدى ازدياد عدد السكان فيها إلى زيادة الطلب على لوازم الخيل بدرجة كبيرة، فانقلت الأسواق إلى خارج الأسوار، وكان سوق الخيل وتبعه أصحاب الحوانيت والخضار والمواد الغذائية. إلا أنه سرعان ما أصبحت هذه الأسواق تعرض مختلف البضائع، واستغنى معظمها عن التخصص.

ب: النظرية البسيطة للموقع فيما بين المناطق الحضرية:

إن معظم الناس تتطلع إلى أن يزيد الموقع المختار من ربحهم، ويحقق نتائج إيجابية، فالمنشآت التجارية تريد أن يضمن الموقع أعلى ربح وفي بأغراضها التجارية، وعلى الرغم من أن المناطق الحضرية تشمل فئتي العمال وأصحاب العمل، إلا أن اتخاذ القرار بشأن موقع العمل يهم أصحاب العمل بشكل أكبر لسببين:

١- تقديرهم للأرباح المحتملة في مناطق حضرية معينة.

٢- التقدم التقني يؤثر ويعدل في ما تفضله المنشآت، وليس ما يفضله العاملون.

العوامل المؤثرة في تحديد الموقع الأمثل (Optimal Location) بالنسبة للمنشآت:

يعتمد صاحب العمل على دراسة إستراتيجية المكان للمنشأة التجارية، لضمان أعلى طلب على المنتجات، إضافة إلى أنه يهتم بثلاثة أنواع من التكلفة عند تحديده للموقع الأمثل لعمله، وهي:

١- تكلفة استيراد أو شراء المواد الخام الداخلة في عملية الإنتاج، وتكاليف نقلها إلى الموقع المختار.

٢- التكلفة الفعلية للعمليات الإنتاجية Processing costs التي تتضمن تكلفة العمل والخدمات المحلية المختلفة.

٣- تكلفة التسويق والتوزيع لوصول المنتجات المختلفة إلى المستهلكين Final Product cost. (٢٢٨)

العوامل المؤثرة في تحديد الموقع الأمثل بالنسبة للأسر :

إذا كانت المنشآت تتميز بين موقع وآخر بغرض الوصول لأعلى ربح أو تقليل التكلفة، فإن المردود المادي وتوفير فرص العمل يتصدران ضمن أهم أسباب اختيار الأفراد للمواقع، وإن لم يكونا السببين الوحيديين في التأثير على عملة الاختيار، حيث تفرض الروابط المحلية والحضرية دوراً فعالاً، فغالباً ما ترغب الأسر في الانتقال بين المدن والأحياء في الإقليم نفسه، وليس إلى أي إقليم آخر، ومثال ذلك هؤلاء الذين يعيرون اهتماماً كبيراً للقيم الاجتماعية والثقافية والبيئية. ويشابه ذلك أيضاً سكان حي سوق ساروجة، حيث انتقلت معظم الأسر العريقة للسكن فيه لقربه من الأسواق الأخرى، وقربه أيضاً من مركز المدينة الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فقد كوّن حي ساروجة مع ما جاوره من أحياء ومناطق مثل (العقبة، العمارة، البحصّة...) مثلاً واضحاً لتداخل المناطق العمرانية الصغيرة بعضها ببعض، لتشكل أحياء هامة كحي ساروجة وحي الصالحية وحي المهاجرين. فأحياء دمشق خارج السور شكلت تكاملاً للتطور العمراني والتاريخي لمدينة دمشق، وباتت المحور الواصل من باب العمارة في المدينة القديمة إلى العقبة، فسوق ساروجة، لتفضي إلى منطقة الصالحية في جبل قاسيون أحد المحاور التاريخية الهامة في دمشق، حيث كانت هذه الأرباض (الأحياء الموجودة خارج الأسوار) تتصل من خلاله مع أسواق المدينة وجامعها الكبير وبقية الفعاليات المركزية الأخرى.

كما يولي الناس أهمية أيضاً لتنوعية وسائل الراحة والخدمات الاجتماعية ومداها، فغالباً ما يرغب الناس بالعيش في المدن الكبيرة كدمشق، ولو بدخل منخفض، نظراً لما يقدمه ذلك من خدمات ترفيهية وثقافية واجتماعية، وبالتالي فإن الأسر تأخذ عامل الدخل بمفهوم أوسع من مجرد معدل الأجر التقليدي، إذ يؤخذ بالاعتبار مجمل الخدمات المتاحة ضمن المناطق الحضرية، فيتأثر قرار الموقع مثلاً بنوعية التعليم المرغوب للأطفال أو الخدمات الصحية، خاصة إذا علمنا أن التركيزات الحضرية الكبيرة هي التي تتمكن من تقديم مثل هذه الخدمات، بسبب المردود الاقتصادي الذي يمكنها من الاستمرار، ولأن هذه الخدمات يتطلب وجودها حداً أدنى من السكان أو المستهلكين.

خلاصة :

تتزايد المدن من حيث العدد والحجم، فبالنسبة للمنشآت يُعد ذلك ميزة إيجابية لمواقع التجمع سواءً كان مع منشآت مماثلة أو تكميلية، وأن التركيز الجغرافي يسمح بجني منافع التكتل وتحقيق وفورات الحجم مع تعديلات سريعة تقريباً بين فرص العمل وزيادة السكان، وبالنسبة للأفراد، فإن المدن توفر لهم مجالاً واسعاً من الخدمات الاجتماعية والترفيهية، وتسمح بالتمتع بمستوى أعلى من المعيشة، وهناك علاقة واضحة بين جاذبية المدن لكل من الأفراد والمنشآت.

وإن وجود السوق وتوفير الأيدي العاملة في الأحياء والمدن كحي ساروجة، هو منفعة للمنشآت، مما يجعل الأفراد تختار موقعها هناك، فهم يكسبون دخلاً أعلى نتيجة حصولهم على مجال أوسع من فرص الاستخدام ومجال أوسع للاختيار بين الوظائف والتطلع نحو مردود أعلى. وبكل الأحوال لا يهم إن كان توافر الأيدي العاملة هو الذي يجذب الصناعة أولاً أو أن فرصة الاستخدام هي التي تجذب العاملين.^(٣٢٩)

تتغير المدينة أو الحي باستمرار، وتتبدل مظاهرها بشكل دائم، وإن الأسرة أو الشخص عند اختيارهم الموقع الأمثل يتأثرون بإمكانات واقتصاديات التكتل المترتبة عليها، إضافة إلى عوامل مهمة قد تساعد في ذلك، ضمن المنطقة الحضرية. وقد قسمت إلى ثلاث مجموعات:

- ١- توافر النقل: إن الموقع يتأثر بشكل كبير بتوافر وسائل النقل ونوعيته في الحي أو المدينة، وذلك لتأمين مدخلات عملية الإنتاج دون انقطاع من مواد أولية وعمال وغيرها وحركة المنتجات بحرية، وتأمين وصولها إلى الأسواق.
 - ٢- التنافس على عناصر الإنتاج: إن انتقال العمال يتصف بحرية أكبر بين الأعمال المتماثلة ضمن المنطقة نفسها، ويرتبط ذلك الانتقال بشكل كبير بمعدل تفاوت الأجور في أية حرفة ضمن المنطقة الواحدة، حيث تكون متساوية في أغلب الأحيان. لأن اختلاف أجور العمال في المنطقة الواحدة، يكون أقل نسبياً من اختلافه في المدن.
 - ٣- انتشار سكان المدن: من النادر أن يكون هذه الانتشار متساوياً، ولكنه يكون على شكل تجمعات يترتب عليه وجود عدة أسواق ثانوية، وفي مثل هذه الحالات تعمل العوامل الاقتصادية على تشجيع اختيار موقع عند أكبر سوق ثانوي، وبالتالي التوزيع المكاني غير المتساوي للسكان، يكون حافزاً للمنشآت، للتركز في المراكز مختلفة الحجم، بدلاً من التوزع في أرجاء المدينة.^(٣٣٠)
- ونرى أنه كان أيضاً للمرأة الدمشقية دور اقتصادي في شراء العقارات السكنية والمحال التجارية وبيعها، فنقرأ في أحد

(٣٢٩) محبوب، عادل عبد الغني وخروقة، د. سهام صديق: المرجع نفسه، ص ٥٢، ٥٠.

(٣٣٠) محبوب، عادل عبد الغني وخروقة، د. سهام صديق: المرجع نفسه، ص ٧٢، ٥٨.

الوثائق: « حضرت الحرمة اسما خانم ابنة صادق أفندي ابن سعيد آغا الكيخي زكريا وأحضرت معها الحرمة فاطمة ابنة حسين بن سليمان البيللي من سكان محلة حي ساروجة وادعت اسما على فاطمة أن بعلها استقرض منها قبل وفاته بـ ٣ سنوات ولم يدفعه....» (٣٣١)

رابعاً. العامل السياسي:

يدرس الباحثون في علم الاجتماع الحضري المدينة من منظور سياسي إداري، وذلك لأن البعد السياسي محدد للمدينة، نظراً لأنها مركز إداري، أو قد يكون دورها سياسياً، لأنها مركز للحكم، تشمل فيه الإدارات الحكومية المختلفة، وقد لا تكون المدينة بالضرورة هي العاصمة السياسية، فكل مدينة لها تأثير على المنطقة المحيطة بها.

ومن البدهي أن تترافق الظاهرة الحضرية مع النمو السياسي الوظيفي للمدينة، فالدور السياسي في كثير من الأحيان يُعد سبباً جذرياً، يمثل ركناً أساسياً في نشأة المدينة، وقد يعمل على نموها وتطورها، وهو يحول في الغالب من محاولة تغيير موقعها.

ولتحليل مدى ارتباط البعد السياسي بنشأة المدينة، فإنه من السهل الكشف عن أن نمو معظم الاتجاهات السياسية والقوى المحركة، هي مسألة لا تتم إلا بالمدينة، فالتنظيمات السياسية باختلافها وأشكالها وصورها لا تنشأ إلا بالمدينة، وإن جميع الممارسات السياسية تأخذ المدينة ميداناً ومجالاً، تمارس فيه سياساتها المختلفة.

وتأتي النتائج التي تترتب على اعتماد المدينة أحياناً على العامل السياسي من أن المدينة عاصمة للدولة أو الإقليم أو المقاطعة، لأن الوظيفة السياسية تشكل البعد الحيوي للمدينة العاصمة، وهي من الظواهر الواضحة في دول العالم الثالث، أما البعد الإداري فهو شديد الارتباط بالجانب السياسي، يركز على دعامة تتمثل في خضوع المنطقة الحضرية للإدارة المحلية، وتحدد بنطاق إداري مصطلح من الدولة. (٣٣٢)

إن حي ساروجة ما هو إلا امتداد حضري طبيعي لتطور مدينة دمشق وتضخمها، نتيجة التأثيرات السياسية والإدارية التي تمر بمدينة دمشق والتي لا يمكن فصل حي ساروجة أو غيره من الأحياء عنها، فالاتجاهات السياسية تؤثر في المدن أو الدول على العمارة والعمران فيها «مركزها بالنسبة لغيرها من البلاد وعلاقتها بها، سلماً أو حرباً». (٣٣٣)

وتتمثل هذه المؤثرات السياسية، بالتالي:

(٣٣١) سجل رقم ١٣٠٠ لعام ١٣٢٤-١٣٢٣ هـ وثيقة ١٣٠

(٣٣٢) لوجلي صالح الزوي: علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة قاريونس، ٢٠٠٢م، ص ١٠٢، ١٠١

(٣٣٣) سامي، عرفان: نظريات العمارة، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، مقرر السنة الأولى.

١- الظروف السياسية التي تمر بها المدينة بحالة اضطراب أو استقرار سياسي، تؤثر أيضاً على وجود بعض العناصر أو اختفائها، كالسور في مدينة دمشق، والذي تشكل ليلاً ثم وظيفتها السياسية والإدارية، ففي فترة الأيوبيين بدأت ظهور الأحياء خارج السور، حيث نعمت البلاد بفترة من الأمان، ولكن المدينة الأساسية كانت داخل السور.

٢- الحالة السياسية للبلد من حيث إنها مستقلة أو مستعمرة (كالعثمانيين والفرنسيين) كما أن الأحداث التي تمر بها المدينة سواء كانت حدثاً تاريخياً أو سياسياً، يؤثر على تشكيلها. (٢٣٤)

٣- تعد الدولة مسؤولة عن عملية التخطيط والتنظيم، فهي تقوم بتحديد الأماكن المصرح فيها بالبناء دون غيرها، وتكون لها القدرة على إيقاف محاولة البناء في الأماكن غير المخططة بمعرفتها. (٢٣٥)

لقد تعاقبت على مدينة دمشق أنظمة سياسية على مر العصور، وهذه التقلبات السياسية أظهرت معالم نسيج حضري مختلف انعكس على عمران المدينة، وهذا واقع سياسي وثقافي، يعكس ملامح هذه المراحل التاريخية، فكل سياسة تفرض ما يتماشى مع مصلحتها ومخططاتها، ولكن الكثير من هذه المؤثرات زالت أو اختفت بتغير الحكم السياسي، إلا أن آثار العمارة والعمران تبقى دليلاً تاريخياً حياً، ليسجل أحرفه عبر شوارع ومبان ومرافق، مازالت موجودة، وقد تحولت عبر الزمن أثراً وإراثاً وملحاً عمرانياً ومعمارياً وتاريخياً بارزاً على عمارته وعمرانه.

ونظراً لأن في هذه الدراسة أعادت تاريخ نشوء حي ساروجة إلى الفترة الأيوبية، فإننا سندرس الوضع السياسي من تلك الفترة إلى الوقت المعاصر.

عاشت مدينة دمشق في الفترة الأيوبية حالة عدم استقرار سياسي، إلا فيما ندر، ومنها مدة حكم صلاح الدين الأيوبي، التي لم تتأثر كثيراً بتلك الأحداث، بل تابعت حركتها الاجتماعية والاقتصادية وازدهرت فيها النهضة الفكرية. فقد حشد صلاح الدين الأيوبي طاقات مدينة دمشق لمحاربة الصليبيين، وعندما توفي ترك خلفه دولة مترامية الأطراف، فبدأت الدولة الأيوبية بالسقوط والتهوي، وبدأت الحروب بين أبنائه للحصول على مدينة دمشق، فكانت عواقب هذه الحروب وخيمة على المدينة ولها نتائج سلبية، حيث تعرضت للخراب والدمار بسبب المتناحرين عليها، وساد الغلاء والفقر آنذاك، وطمع الأعداء بالأيوبيين نتيجة تفرقهم، فرسمت الصراعات الأيوبية وضعاً جديداً داخل البلاد، ولم يتأثر الجانبان الفكري والاجتماعي بوضع البلاد العام،

(٢٣٤) المصري، عماد حمدي: التشكيل البصري للفراغات العمرانية، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير في التخطيط العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، ص ٩١

(٢٣٥) صدقي، محمد: التلوث البصري والتشريع العمراني في مصر، دراسة وتوثيق للعلاقة التبادلية، رسالة ماجستير في تخطيط المدن، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر ١٩٩٥ م، ص ٩١

فقد شجع عدد كبير من سلاطين بني أيوب الناحية الفكرية، فكانت المدارس منارات للعلم في أيام الحرب أو السلم.^(٢٣٦)

وعلى الرغم من الأحداث التي مرت، ولاسيما دخول المغول، فقد احتفظت دمشق بحيويتها و بإمكاناتها السياسية عند طرد المغول بعد خسارتهم أمام جيش المماليك في معركة عين جالوت.

وابتداءً بهذا العهد المملوكي عام ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م ولكن لم يكن انسحاب المغول من دمشق بعد هزيمتهم في عين جالوت آخر وجود لهم، يهدد بلاد الشام، فقد استمرت غاراتهم وكان آخرها وأشدّها سوءاً على دمشق حملة تيمورلنك عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، فقد أصاب مدينة دمشق وسكانها الدمار والهلاك، وعلى الرغم من ذلك، فقد استعادت نشاطها بسرعة بعد انسحابهم ولقيت عناية كبيرة من سلاطين المماليك الذين اقتضت ظروف قتالهم لبقايا الصليبيين، إقامتهم في عاصمتهم الثانية دمشق، فكانت ولاية دمشق من أكبر ولايات السلطنة المملوكية وأهمها، وعرفت باسم «نيابة الشام»^(٢٣٧) وقامت في عهد المماليك أعمال عمرانية وإصلاحات واسعة، منها عدد كبير من المساجد كجامع القرمشي في حي ساروجة وجامع الورد ومسجد بلبان والعديد من المدارس والحمامات كحمام القرماني وحمام الورد وحمام الخانجي، كما بنوا العديد من الخانات كخان العنبري في خط سويقة ساروجة. ونعمت دمشق في عهد بعض السلاطين والأمراء كالسلطان الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون والأمير تنكز بكثير من الاستقرار، فازدهرت الحركة العلمية وكثرت المدارس وتطورت الفنون، كما نشطت الصناعة والتجارة. وتنتهي هذه الفترة من النهضة والنشاط بالكارثة التي حلت في دمشق بغارة تيمورلنك عليها، وما رافق ذلك من تدمير ونهب وقتل وسبي وإحراق، وقد عمها الخراب ودمرتها النيران وجعل حي ساروجة مكاناً لوضع منجنيقاته لقصف القلعة، فكانت حملة تيمورلنك جريمة، بحق أجمل مدن الشرق وأعظمها شهرة وعراقة. ومع ذلك فقد نهضت دمشق من سباتها في أقل من ربع قرن، وأخذت تستعيد جمالها بال عمران والنشاط الصناعي والتجاري، لكن ضعف عهد المماليك وسوء سلاطينهم في المرحلة الأخيرة من هذا العهد، أدى إلى فساد وتخلف وفقر ومجاعات وأوبئة وقتال بين الفئات المتصارعة حول السلطة والحكم، إلى أن انتهى عهد المماليك على يد الدولة العثمانية.

لقد أدى اجتياح تيمورلنك لمدينة دمشق إلى نتائج بالغة الأهمية: فمن الناحية العمرانية تعرضت المدن لما يشبه التدمير التام، أما اقتصادياً وصناعياً، فقد تدهورت الزراعة لسنوات طويلة نتيجة الإبادة الجماعية التي قام بها تيمورلنك للإنسان والأرض، ونقص المال لما جمعه من الأموال، وذلك يتضح من عجز الناس عن إعادة بناء بيوتهم المهتمة لما يعانونه من ضائقة مالية.^(٢٣٨)

(٢٣٦) الأوتاني، د. أحمد: دمشق في العصر الأيوبي، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية، التليون للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ٢٠٠٧م، ص ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٤.

(٢٣٧) كلاس، د جوزيف: المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢٣٨) لايبوس، ايرا مارفين: مدن الشام في العصر المملوكي، ترجمة د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر ط ١، دمشق ١٩٨٥م، ص ٦٤.

ومع دخول العثمانيين مدينة دمشق، تسلموا مدينة شبه مدمرة، فبذلوا جهداً عظيماً في ترميم ما تهدم، وقاموا بالبناء والتشييد لدرجة تضاعفت معها مساحة دمشق في عهدهم، فبلغت مساحة دمشق ٣١٣ هكتاراً بعد أن كانت نحو ١٥٠ هكتاراً^(٣٣٩). فالأحياء التي نشأت في الفترة السلجوقية والأيوبيّة والمملوكية امتدت واتسعت لتؤلف منطقة عمرانية جديدة ومهمة كمناطق حي ساروجة وتحت القلعة والعقبة والميدان. فبني في حي ساروجة جامع محمد بندي عام ١٦٨٩م/١١٠٠هـ، كذلك بنى الشيخ المرادي المدرسة المرادية البرانية التي في بيته في حي ساروجة وبنى معها مسجداً. أما في عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م، فقد أنشأ محمد باشا العظم وخلال الفترة الثانية من ولايته سبيلاً على الجهة الشرقية من جدار جامع الورد القبلي^(٣٤٠).

وقد حدث تغير في القوى السياسية تحت حكم السلطان سليمان القانوني (ولد عام ١٤٩٤م/٨٩٩هـ وتوفي عام ٩٧٣هـ/١٥٦٦م) وتوطدت الدولة، وبدأت ملامح التنظيم تظهر على الإدارة العثمانية. ففي عام ٩٣٢هـ/١٥٢٥م، قام العثمانيون بأول مسح للأراضي والسكان ولضرائب دمشق^(٣٤١).

إن الفترة العثمانية، فتحت صفحة جديدة من الازدهار في تاريخ المنطقة، وأكبر دليل على ذلك الوثائق العثمانية التي تبرز بوضوح الاستقرار في الريف والازدهار في المدن خلال السنوات الخمسين الأولى للحكم العثماني، إذ نمت القرى وتوسعت المدن، بعد أن كادت تندثر إثر سقوط الحكم المملوكي كحي سوق ساروجة. فقد توسط حي ساروجة قديماً وحديثاً قلب العاصمة دمشق في مساحة مفصلية خدمياً واقتصادياً، وتوزعت على جنباته الدوائر الحكومية الرئيسية ما بين شارع الثورة والبحصة وساحة المحافظة.

وبقيت التجارة الخارجية نشطة جداً، ولم تتمكن الحوادث السياسية من إيقاف نشاط التجارة الواسع والكثيف، ما أدى إلى بناء العديد من الخانات التي خدمت كفنادق للتجار، إلى جانب التبادل التجاري وحفظ المواد فيها. حيث وجد خان الدرب (الجيجاوي)، في ساحة سوق الخيل بسوق ساروجة، وهو من أوائل الخانات التي وجدت في هذه الساحة، وأحدثت لتقديم الخدمات للمارين والزبائن وتجار الخيول والجمال والبغال، فأنشئ وسط المحال التجارية في شارع الملك فيصل، وكان يحده شرقاً وغرباً المحال التجارية لبيع اللحوم، وشمالاً سوق العتيق وجنوباً سوق الجمال وشارع الملك فيصل، وكان هذا الخان في منتصف سوق العتيق المتخصص ببيع كافة أنواع اللحوم^(٣٤٢).

(٣٣٩) كلاس، د. جوزيف: المرجع نفسه، ص ٢٩

(٣٤٠) الكواكبي، نزيه: الحياة العمرانية في دمشق في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق، العدد ٥٥ و ٥٦، ١٩٩٤م

(٣٤١) نعيمة، جميل: المرجع نفسه، ج ١، ص ٨٧

(٣٤٢) الشهابي، د. قتيبة: المرجع نفسه، ص ٧٥

عين إسماعيل باشا العظم والياً على دمشق في عام ١١٣٨هـ/١٧٢٥م، وكان أول والٍ من آل العظم يعين على دمشق، ثم خلفه ولاية آخرون من الأسرة. فقد كان ظهور آل العظم في هذه الفترة كولاية، جزءاً من ظاهرة هامة، عمت كثيراً من الولايات العربية في القرن الثامن عشر، كذلك شهدت بلاد الشام في هذه الأثناء، تطوراً هاماً يتعلق بانتقال إمارة الحج إلى دمشق، وتعيين ولاية الشام باستمرار لهذا المنصب منذ عام ١١٢٠هـ/١٧٠٨م وحتى نهاية القرن الثامن عشر. وقد تولى أسعد باشا العظم ولاية الشام في ظروف صعبة، فنشر النظام والأمن في المدينة الذي بدأه باحتلال قلعة دمشق من اليرلية الانكشارية (وهم مشاة العسكر الجديد) في ١١٥٩هـ/١٧٤٦م وكانت قوة اليرلية الانكشارية الرئيسة في الميدان، وبعضها في سوق ساروجة، فخدعهم أسعد باشا بمهاجمة ساروجة، والتفت بعد ذلك إلى إخضاع الميدان، وهكذا أصاب الذعر يرلية هذا الحي بعد نجاح أسعد باشا في هجومه على ساروجة.^(٢٤٣)

لم تشهد الشام في العهد العثماني لوالٍ قصراً كقصر أسعد باشا. ويدل بناؤه على مقدار النفوذ الذي بلغه أسعد باشا مع أسرته في الشام بعد أن أمضى في حكمها نحو أربع عشرة سنة.

ومن أهم أحداث دمشق خلال القرن التاسع عشر فتح محمد علي باشا والي مصر بلاد الشام على يد ابنه إبراهيم باشا، وامتدت فترة حكمه من ١٢٤٦هـ/١٨٣١م حتى عام ١٨٤٠م/١٢٥٥هـ وكانت دمشق مركزاً أو عاصمة لبلاد الشام خلال الحكم المصري، الذي عرف بالانفتاح، فنشطت الحركة العلمية، وكثر قدوم الأجانب من تجار وسواح، وفتحت في دمشق بعض القنصليات، وكانت أولها القنصلية البريطانية.^(٢٤٤)

انتهى الحكم المصري سريعاً لتدخل الدولة الأجنبية، وعادت الدولة العثمانية لتولي أمور البلاد. أما آل العظم الذين خبا دورهم لفترة ما، فقد استعادوه مرة أخرى أيام ولاية محمد باشا العظم، حفيد إسماعيل باشا، حين عينته الدولة العلية والياً على الشام ١٧٧١م/١١٨٥هـ.

وقد سكن الحي أعيان دمشق كخالد العظم الذي ترك قصراً في سوق ساروجة، تحول اليوم إلى «مركز الوثائق التاريخية»، ويحتوي على أكثر من خمسة ملايين وثيقة ومخطوطة، يعود تاريخ أقدمها إلى ما قبل خمسمئة عام، وهو ما يتفق مع أفكار العظم الذي كان يؤمن بأن التجديد لا يتم إلا بإحياء القديم، والأخذ بما يصلح منه للأوان الحاضر والزمان الآتي. كان لخالد العظم رأي قاسٍ بالشعب الجاهل، وهو يقول أنه وبسبب هذا الجهل تصفق الشعوب العربية دائماً لحكامها من عهد جمال باشا السفاح، إلى عبد الناصر كما دون في مذكراته. وكان حي ساروجة في بداية القرن كحي المالكي في أيامنا هذه، فقد امتلأ

(٢٤٣) الكواكبي، م.نزيه: المرجع نفسه، العدد ٥٥ و ٥٦

(٢٤٤) شيلشير، ليندا: المرجع نفسه، ص ٥٩، ٦٠

بقصور السياسيين والتجار، وامتلاً بالبضائع الغالية والنادرة.^(٣٤٥)

وهكذا نلاحظ أهمية حي ساروجة الذي تكاملت بنيته العمرانية، وسكنه كبار القوم الأتراك وأصبح حياً متميزاً وارتبط النمو والتطور الذي شهده حي ساروجة بشكل قوي بالأمن الذي منحت له الدولة العثمانية، لأن العصر العثماني كان عصراً إيجابياً، فقد عم الأمان، وحقق هذا العصر نهضة عمرانية. وإن هذه المشيدات الكبيرة الدينية منها والمدنية للفترة العثمانية، التي بنيت خارج الأسوار، لتؤكد انتشار المدينة خارج أسوار دمشق القديمة.

ومع انتقال المبنى الحكومي الذي هو مقر السلطة العثمانية نحو غربي المدينة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أدى ذلك إلى تركيز الحركة العمرانية في ساحة المرجة، فتم ربط ساحة سوق الخيل بحي تحت القلعة، عن طريق سوق العتيق عند الباب الشرقي من جامع يلغا عبر سوق علي باشا. وبهذا حدث التوسع العمراني خارج أسوار مدينة دمشق القديمة باتجاه الغرب.

وبذلك نرى أن مدينة دمشق نمت من جديد في القرن التاسع عشر، وتغير وضع المدينة القديمة، وانتهى دور القلاع والحصون والأسوار، وردمت الخنادق وتحولت القلعة إلى ثكنة عسكرية.

ونرى أن حي ساروجة كان من المناطق التي فضلها رجال الإدارة والجيش وأفراد البعثات الدبلوماسية من العثمانيين، فسكنوه واهتموا بترميم شوارعه. وقد تمكنوا بوجود مساحات واسعة من الأراضي وتوافر المجاري المائية، من التوسع في شق الطرقات وأعمار الأبنية السكنية والمرافق العامة والدوائر الرسمية وفق مخطط عمراني، كان أكثر انتظاماً وسعة وتنسيقاً، مقارنة مع المدينة القديمة داخل السور، وكان لهم الفضل الأكبر في تشييد الشكل الحالي لحي ساروجة.^(٣٤٦)

وقد حافظ حي ساروجة على مكانته كحي راق حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية في مطلع القرن العشرين. وجاءت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م لتكون منعطفاً كبيراً وحاسماً في تاريخ المنطقة. وخلالها شهدت ساحة الشهداء في دمشق إعدام عدد من قادة الحركة القومية العربية في ٦/٥/١٩١٦م/١٣٣٤هـ، وفي ١٠/٦/١٩١٦م/١٣٣٤هـ تفجرت الثورة العربية الكبرى ودخل جنودها دمشق في مطلع تشرين الأول عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، وارتفع العلم العربي فوق مدينة دمشق.^(٣٤٧)

أ- المرحلة العربية :

أعلن في دمشق ومن قبل المؤتمر السوري وهو أول مجلس نواب، استقلال سورية (سورية الطبيعية أي بلاد الشام) وتم تنويع

(٣٤٥) البهنسي، دعيف: المرجع نفسه، ص ١٨٩

(٣٤٦) نعيصة، جميل: المرجع نفسه، ص ٨٩

(٣٤٧) العظمة، عبد العزيز: المرجع نفسه، ص ٤١٩

فيصّل بن الحسين ملكاً عليها وذلك في عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م واستمرت الدولة العربية لمدة عامين، طويت من بعدها صفحة الحرية والاستقلال وذلك بعد معركة ميسلون بنفس العام ضد القوات الفرنسية التي احتلت دمشق عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م بقيادة الجنرال غورو، حيث فرض الانتداب الفرنسي على سورية.^(٢٤٨)

ب: الاستعمار الفرنسي :

فرض الانتداب الفرنسي محل السلطة العثمانية على سورية، وبدأت دمشق والبلدان السورية الكبرى تكافح من أجل الاستقلال، وقد قال الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي في سورية في خطاب ألقاه ببيروت عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، قال فيه: «إنني سليل الصليبيين الذين دوّخوا هذه البلاد في غابر الزمن، وقد أتيت إلى هنا لأتمم ما تركه أولئك الأبطال».^(٢٤٩)

وقد نشأت في مدينة دمشق أحياء جديدة، قطنها موظفو السلطة الفرنسية كحي الشعلان وحي الشهداء، وشقت طرق جديدة، كشارع بغداد وطريق بيروت، وبذلك خبا بريق حي ساروجة بظهور هذه الأحياء الجديدة لما لها من طراز معماري جديد. ومع الانتداب الفرنسي قام المهندس المعماري الفرنسي ميشيل إيكوشارد بوضع مخطط تنظيم مدينة دمشق وتحديثها، فتم تصنيف جميع الأحياء الدمشقية الواقعة خارج السور كمحاضر تنظيمية، وحكم على بيوتها الدمشقية بالهدم، بهدف إنشاء أبراج سكنية جديدة مكانها، وكان أحد الأحياء التي حكم عليها المعماري الفرنسي بالإعدام هو حي سوق ساروجة.

وبذلك حصل تطور في العمارة الدمشقية في مطلع القرن العشرين، فتأثر قسم منها بالبيوت الأناضولية، فألغي الفناء وصار المدخل يحتوي على صوفا، وأصبح للغرف الأرضية نوافذ مطلة على الشارع، وهذه الميزة لم تكن موجودة في البيوت الدمشقية الأقدم طرازاً، مثل قصر أسعد باشا العظم (مكتب عنبر) ونقرأ في الوثيقة التالية: «دار كائنة ظاهر دمشق بمحلة حي ساروجة بحارة أولي جاويش المشتملة على ساحة سماوية بها بركة ماء ناهدة ومربع غربي ومطبخ ومرتفق وسلم حجر يصعد منه إلى مشرقة بها أودة صغيرة وفرنكه ومنافع شرعية».^(٢٥٠)

«دار كائنة في سويقة ساروجة زقاق دلاور مشتمل على ساحة سماوية وساحة مسقفة وإيوان ومربع ومطبخ ومرتفق وسلم حجري يد إلى مشرقة وإيوان...»^(٢٥١)

(٢٤٨) شيلشر، ليندا: المرجع نفسه، ص ٣٩؛ العظمة، عبد العزيز: المرجع السابق، ص ٤٦٢، ٤٧٢.

(٢٤٩) العظمة، عبد العزيز: المرجع نفسه، ص ٤٩٩.

(٢٥٠) سجل محاكم شرعية دمشق، رقم ١٢٩٩، وثيقة ١١ ص ١٨.

(٢٥١) مركز الوثائق التاريخية بدمشق، سجل محاكم شرعية دمشق رقم ٧١ وثيقة ١١٦.

ت: الحكم الوطني:

أصبحت دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية مدينة حديثة، وأخذت تسعى لتكون بحق قلب الأمة العربية، وتقوم بأداء مهمتها القومية والتحريرية على صعيد الوطن العربي الكبير، وبدأت تخطو في مجالات التقدم والرفق في جميع الميادين وخاصة الثقافية والعمرانية والاقتصادية والعسكرية. وبعد سلسلة من الانقلابات العسكرية في دمشق، انتهى المطاف بإقامة وحدة جمعت بين مصر وسورية عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م في عهد جمال عبد الناصر، وغدت دمشق عاصمة للإقليم الشمالي لدولة الوحدة في الجمهورية العربية المتحدة، وبقيت القاهرة عاصمة للإقليم الجنوبي وعاصمة لدولة الوحدة. ولكن فقد تم فصل الوحدة بين الدولتين بنكسة الانفصال عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١م. وعمت الفوضى وازداد الغضب الجماهيري يوماً بعد يوم، إلى أن كانت ثورة ٨ آذار ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م. (٣٥٢)

عرفت دمشق نهضة عمرانية واسعة وبصورة خاصة بعد عام ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، وتم خلالها تدشين العشرات من معالم الحضارة والعمران من مدارس ومعاهد وكليات وأبنية للمدينة الجامعية ومكتبة الأسد الوطنية والفنادق والطرق والأنفاق والجسور الحديثة، مما لم تشهدها دمشق في تاريخها من قبل، وازدادت أعمال التشجير وخاصة على سفوح جبل قاسيون المطل على مدينة دمشق. استمرت دمشق هذه المدينة العربية الخالدة تخطو نحو غد أكثر إشراقاً، متمسكة بأصالتها وعراقتها وتقاليدها، محافظة على أوابدها وآثارها، متابعة لمسيرة التطور والتغيير منذ نشأتها من ٩٠٠٠ سنة.

ومنذ إعلان التنظيم على مدينة دمشق في عام ١٩٦٨م زمن الانتداب الفرنسي على يد المهندس إيكوشادر، رأى أن دمشق أرض فارغة من التاريخ والذاكرة والعمارة، فهدم دار البلدية في ساحة المرجة، التي أعلن منها استقلال سورية، وجامع يلغا، صاحب التاريخ العريق بعد الأموي، ومدرسة ست الشام التاريخية، والقصور الثمينة كبيت المرادي في سوق ساروجة، فقد هجرت الكثير من العائلات الغنية حي ساروجة إلى أحياء أخرى جديدة وحديثة في نمط وطراز العمارة والبناء، فأصبح الحي مهملاً، وتعرض لتغيرات عشوائية من قبل السكان والتجار، وبدأت الحياة التي استمرت فيه ثمانية قرون كأنها طارئة، ففي المخطط التنظيمي القديم لمدينة دمشق، يقع حي ساروجة ضمن وسط المدينة التجاري، مما رفع سعر المتر في السوق إلى الملايين.

ولكن ماذا حل بساروجة أحد أهم أحياء مدينة دمشق؟

في النصف الثاني من القرن العشرين اعتري الإهمال حي ساروجة، وأصبح السوق ساحة نزاع بين أطراف ثلاثة هي: المحافظة

(٣٥٢) البهنسي، د. عفيف: المرجع نفسه، ص ٣٥

وأهالي الحي والمقاولون الذين يريدون إشادة أبنية جديدة في هذا الحي العريق والقضاء على تاريخه كاملاً، وعلى مر الأعوام هُدم قرابة ثلث الحي، وأصبح عرضة لتآكل منظّم من قبل أبنية الإسمنت المسلح. ونشب بذلك خلاف حاد بين المطالبين بإزالة الحي من مقاولي البناء والمستفيدين من ملاك العقارات، فبرزت عقارات حديثة على بقايا بعض بيوته الأثرية القديمة، واقتطعت أجزاء وشريحة مهمة منه لتوسيع الشوارع العامة وإقامة المباني الرسمية، كبناء مقسم آلي ومرآب في العام ١٩٩٧ م.

وفي عام ٢٠٠٢م حددت المنطقة المحمية لدمشق من قبل المجلس الأعلى للآثار الذي وضع قائمة بضواحي دمشق التاريخية، وحددت المنطقة المحمية لموقع التراث العالمي (المدينة داخل السور)، وتتضمن هذه المنطقة المحمية مناطق ساروجة والعقبة والفرايين وباب السلام. إلا أن كثيراً من المستثمرين بحي ساروجة لم يراعوا أهميته الأثرية، وكان همهم مصالحهم التجارية. ويرى كثير من الاقتصاديين أن موقع حي ساروجة وتاريخه، سيتحول عاجلاً أو آجلاً، إلى مركز اقتصادي وتجاري، يمكن أن يشكل مركز المدينة وثقلها.

ومن المحاولات القليلة للحفاظ على هذا الحي والدفاع عنه، شكلت اللجنة القرار رقم ٢٧ تاريخ ١/٨/٢٠٠٤ التي قدمت دراسة أولية للتوظيف السياحي لمنطقة ساروجة المسجلة أثرياً واقتراح مسودة دفتر شروط خاصة بالموقع، ما قامت به كلية العمارة في جامعة دمشق بتكليف من المحافظة بدراسة سوق ساروجة، واقتراح الحلول لحمايته. وقد قدمت الكلية دراسة ومجسماً اعتمدته لجنة التوثيق التي كلفت من قبل وزارة الثقافة. وكانت هناك محاولة أخرى عندما نظمت ندوة تحدث فيها محافظ دمشق ووزير السياحة وممثل اليونسكو احتفاء بحماية الحي، ولكنها لم تكن محاولات جادة وفعالية في المحافظة على هذا الحي الأثري، ومحاولة تطبيق مفهوم إدارة المواقع الأثرية عليه، فمهمة إدارة المواقع الحفاظ على المناطق الأثرية من جملة مخاطر طبيعية وبشرية تهددها، أهمها التلوث، وارتفاع درجة حرارة الأرض، والرطوبة، والمياه الجوفية، إضافة إلى الضغط السكاني، ومشروعات التنمية، والسياحة.

وقد تحدثت ممثلة اليونسكو في ندوة نظمتها المحافظة عام ٢٠٠٧م، ومما قالتها:

«ساروجة والعقبة والفرايين وباب السلام موجودة في السجل الوطني، وهي واقعة في المنطقة المحمية لموقع التراث العالمي (حرمه)، وإذا نظرنا إلى المشروع المقترح من وجهة النظر هذه، استنتجنا أنه ليس بإمكاننا فتح طريق جديد داخل هذا النسيج العمراني التاريخي.

فإن الأوابد كانت ولا تزال مرتبطة ارتباطاً عضوياً بمحيطها وبساكنيها، إذ تفقد الأوابد مبرر وجودها حين تحرم من بيئتها ومن محيطها الاجتماعي والاقتصادي.

إن منطقة شمال السور، الممتدة من سوق الهال القديم وحي ساروجة غرباً إلى مسجد الأقصاب وباب توما شرقاً، والعقبة والعمارة البرانية وساروجة شمالاً وسور مدينة دمشق القديمة جنوباً، هي منطقة حماية لمدينة دمشق القديمة المسجلة في قائمة التراث العالمي في عام ١٩٧٩م. والتي تتكون من نسيج متكامل للعمارة التقليدية تتداخل فيه الطرز المعمارية التي عرفت في دمشق على مر تاريخها الإسلامي بكل عمائرها العسكرية المتمثلة بالأسوار والبوابات، والعمائر الدينية المتمثلة بالمساجد والجوامع، والتجارية المتمثلة بالأسواق التقليدية والسويقات، والعمارة السكنية المتمثلة بالمساكن التقليدية المنتشرة، والتي قدّم تقرير اللجنة حصراً دقيقاً لها، والتي تشكل معاً نسيجاً معمارياً واجتماعياً واقتصادياً هاماً.^(٣٥٢)

ويحتوي حي ساروجة الآن في العام ٢٠١٢م على مشاغل فنية مثيرة للاهتمام، كمرسم الفنان يوسف عبد لكي،^(٣٥٤) ومشغل النحت الذي أسسه مهند ديب،^(٣٥٥) وينتشر في الحي نحو خمسة وعشرين فندقاً من الفنادق الصغيرة. والظاهر للعيان في حي ساروجة هو اختلاف طابع المكان وطبيعة زواره ما بين النهار والمساء، لتسيير معالماتهم بحكم موقع الحي الحيوي وقربه من المؤسسات العامة، فيبدو السوق بمقاهيه ومطاعمه البسيطة محطة لاستراحة سريعة، لكن مع غروب الشمس تتبدّل الوجوه، ويتصدر أغلب الأمكنة الشبان والشابات من الطلبة السوريين والأجانب، الراغبين في التعارف وتعلم اللغة وقضاء أمسية ممتعة.

إن تاريخ حي ساروجة يحتوي بين أزقته وسككه على مزايا تاريخية للدراسة في تبدل وتطور المجال العمراني والمعماري للأحياء الإسلامية في معظم الحقب، وخاصة الحقبة العثمانية. فإن الأحياء القديمة هي أولاً وقبل كل شيء ميراث مباشر لعصور متعددة، قد أثرت بعمق في البيئة العمرانية في تاريخ سائر أحياء مدينة دمشق. وكانت هذه الدراسة التحليلية لحي ساروجة محاولة لتسليط الضوء على مدى أهمية ساروجة الأثرية والتاريخية أولاً، ودراسة تطور الحي عمرانياً ومعمارياً من خلال دراسة علمية لنظريات تكون المدن والأحياء وتركيبها ثانياً.

(٣٥٢) ندوة نظمها المحافظة عام ٢٠٠٧م في مدينة دمشق لممثلي اليونسكو ومركز التراث العالمي.

(٣٥٤) يوسف عبد لكي: فنان تشكيلي سوري، ولد في القامشلي عام ١٩٥١م، حصل على إجازة من كلية الفنون الجميلة بدمشق عام ١٩٧٦م، وعلى دبلوم حفر من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس عام ١٩٨٦م ثم الدكتوراه من جامعة باريس الثامنة عام ١٩٨٩م.

(٣٥٥) مهند ديب: فنان من مواليد دمشق، خريج معهد وليد عزت للفنون التطبيقية عام ١٩٩٩م، اختصاص نحت وخزف. وهذا المشغل هو عبارة عن مكان مفتوح لجميع الفنانين التشكيليين، افتتح عام ٢٠٠٨م، بهدف استخدام مادة الإسمنت لتحسين الأماكن العامة ومعالجة التلوث البصري بطريقة استخدام الإسمنت. عضو في اتحاد الفنانين التشكيليين في سورية. شارك في عدة معارض داخل سورية، ونالت أعماله في التصميم والنحت عدة جوائز.

الباب الرابع

التجربة الافتراضية الخاصة

بترميم جزء من حي ساروجة

الباب الرابع

التجربة الافتراضية الخاصة بترميم جزء من حي ساروجة

إدارة المواقع الأثرية وتطويرها، وتطبيقها على المواقع:

اتجهت عدد من الدول العربية والعالمية في السنوات الأخيرة إلى إعادة تأهيل المناطق القديمة والتاريخية لديها، سواء أكانت على نطاق واسع كالأحياء أم على مساحات أصغر مثل الحارات أو الأسواق التقليدية. فالمواقع الأثرية والتراثية لا يمكن أن تولد من جديد، فهي ذات أهمية تاريخية لما تحتويه من معالم حضارة تاريخية وثقافية لكل بلد، لذا وجب تأهيلها وحمايتها من العوامل التي تؤدي إلى تخريبها والإفادة منها تراثياً وثقافياً، والأهم من ذلك سياحياً. فوجود الأماكن التراثية بأي بلدهي المخزون النفسي لدى الجماهير والطاقة الحيوية الوجدانية للأمة. والتراث في النهاية هو عبارة عن مجموعة من الحلول التي توصلت إليها الأجيال السابقة لبعض مشكلاتها. فهو يقوي الحس الوطني والقومي، ليصبح هوية المكان. ولقد أصبحت فلسفة إدارة المواقع الأثرية تطبق في الكثير من المواقع القديمة في العالم، بل تطبق في بعض المدن والمواقع التي يرجع تاريخها إلى بضعة مئات من السنين، فالعناصر التراثية في الثقافة تشكل مركز الثقل في أية ثقافة اجتماعية أو هوية ثقافية. وما الهوية سوى تعبير ثقافي، يجسد أعماق مكونات الحياة الثقافية والاجتماعية... إنها حالة من التشبعات الثقافية التراثية في جوهرها، والتي يعرف بها مجتمع من المجتمعات، ويتميز عن غيره. فالعادات والتقاليد والفولكلور والأزياء والعقليات هي تعبير عن هوية المجتمع الثقافية. وما نريد قوله هنا: إن التراث والتراث الشعبي تحديداً يشكل أعماق مكونات الهوية، وأكثر عناصرها دلالة وأهمية، وإن لم يكن منذ ملايين السنين.

وسنستعرض تجربة ناجحة في إدارة المواقع الأثرية وهي تجربة باب توما بمدينة دمشق. ولقد نالت التجربة صدى واسع ونجاحاً على الصعيد السياحي والثقافي، بما يؤكد فعالية إدارة المواقع التراثية والأثرية.

الفصل الأول

تجربة تأهيل ساحة باب توما:

يُعد باب توما والحي الواقع داخله، أحد أشهر الأبواب الدمشقية السبعة القديمة، الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة. وهو باب روماني، من المعتقد أنه شيد على أنقاض باب يوناني، حيث بنى اليونانيون سبعة أبواب، كما جرت العادة الدينية لديهم، وألحقوا بكل باب اسم كوكب من الكواكب الشمسية السبعة، كما نقشوا فوق كل باب على الحجر صورة شكل الكوكب، الذي يرمز إليه.^(٣٥٦)

التاريخ والموقع:

الموقع:

يمر هذا الحي أو السوق بمنطقة القصاص، وينتهي بساحة العباسيين، التي شيدت قبل نحو ٤٠ سنة، وخضعت مؤخراً لأعمال تحديث وتطوير. وما بين بوابة باب توما وساحة العباسيين تزخر جوانب الحي أو السوق بالمحال التجارية، ذات الواجهات الملونة والإضاءة الزاهية التي تجذب إليها الناس.

كما يمر الحي أو سوق باب توما بساحة برج الروس، وهي ساحة قديمة تاريخية، تعود إلى فترة تيمورلنك. ومن الشائع أن سبب تسميتها أن تيمورلنك كان يضع برجاً من رؤوس ضحاياه المقطوعة في هذا المكان، عندما غزا جيشه مدينة دمشق عام ٨٠٢م / ٧٨١هـ، لينشر الرعب في قلوب الناس، واستمرت فيما بعد تسمية هذه الساحة باسم (برج الرؤوس) أو (الروس) بالعامية. وبعد ساحة برج الروس، يقع أقدم مشفى أجنبي في سورية مازال يقدم خدماته للمرضى، وهو المشفى الفرنسي، الذي أسس عام ١٩٠٤م / ١٣٢١هـ، وبعد هذا المشفى يوجد مبنى آخر تاريخي كان يسمى مشفى فيكتوريا، وكان أول مبنى يشيد في منطقة السوق، التي كانت سابقاً عبارة عن بساتين وذلك عام ١٨٩٦م / ١٣١٣هـ أي قبل نحو ١١٢ سنة.

وفي نهاية هذا الشارع تظهر ساحة العباسيين، حيث النهاية الفعلية لسوق باب توما، والجميل حقاً في السوق أنه عبارة عن حارة واحدة، وباتجاه واحد فقط من بدايته وحتى نهايته، وعلى الرغم مما يسببه ذلك من زيادة في الازدحام، فإنه يحقق تواصلاً بين المتسوقين والعابرين.

ولقد أدركت الجهات المسؤولة عن المرور في دمشق هذه الخصوصية، فقررت منذ بضع سنوات منع مرور مختلف أنواع السيارات في سوق باب توما يومياً من السادسة مساءً وحتى العاشرة ليلاً، لكي يتاح للزوار السير بحرية في السوق.

التاريخ:

قام نور الدين الزنكي في العهد العربي الإسلامي بترميمه، وشيد إلى جانبه مسجداً ووضع مئذنة فوق الباب كما في بقية أبواب دمشق، لكن للأسف أزيل المسجد مع مئذنته في عهد الانتداب الفرنسي، وفق توصيات المهندس الفرنسي إيكوشار. أما في العهد الأيوبي، فقد قام الملك الناصر داوود بإعادة بناء باب توما، ونقش على عتبة الباب من الداخل نصاً يؤرخ الحدث. وفي العهد المملوكي أصلح تنكز نائب الشام، وأمر بأن تجدد حجارتها. كما وضع نقشاً على عتبته من الخارج يؤرخ ذلك.^(٢٥٧)

سبب التسمية:

تعود تسمية حي باب توما على اسم أشهر أبواب مدينة دمشق القديمة. ولقد أطلق اليونانيون بداية على باب توما اسم كوكب الزهرة، الذي تمثله آلهة الحب والجمال (أفرودت Aphrodite) ومعنى اسمها الوردة الفرحة. أما الرومان فأسموه باسم الربة (فينوس Venus).

وعندما دخلت المسيحية قام البيزنطيون بإطلاق أسماء القديسين على الأبواب، فأطلق على هذا الباب اسم باب توما نسبة للقديس توما أحد تلامذة السيد المسيح، حيث قامت مهرجانات عيد القديس توما عند هذا الباب.^(٢٥٨)

وفي أيام الإمبراطور البيزنطي هرقل، كان اسم زوجة ابنته والذي كان والياً وبطريكاً^(٢٥٩) على دمشق، فأمر بتقوية باب توما وترميمه، والذي من الممكن أن يكون قد نسب إليه الاسم أيضاً.^(٢٦٠)

حي باب توما:

يعد هذا الحي وسوقه، من أجمل أماكن التسوق، والأكثر حيوية وتنوعاً. ويقع سوق باب توما في منطقة غنية بالمواقع التاريخية

(٢٥٧) جود الله، فاطمة: المرجع نفسه، ص ٤٢٥، ٤٢٦

(٢٥٨) جود الله، فاطمة: سوريا نبع الحضارات، تاريخ وجغرافية أهم الآثار في سورية، دار الحصاد للنشر والتوزيع ط ١، دمشق ١٩٩٩ م، ص ٤٢٦

(٢٥٩) البطريك: جمع البطارقة، مفرد بطريك، وهي كلمة يونانية وتعني أب الآباء أو رئيس الآباء. قاموس مصطلحات الكنيسة - Dictionary

(٢٦٠) جود الله، فاطمة: المرجع نفسه، ص ٤٢٦

والأثرية، التي تجذب السياح. ويشهد السوق، ازدحاماً لا مثيل له وخاصة في عطلة نهاية الأسبوع من الزوار المحليين ومن السياح العرب والأجانب .

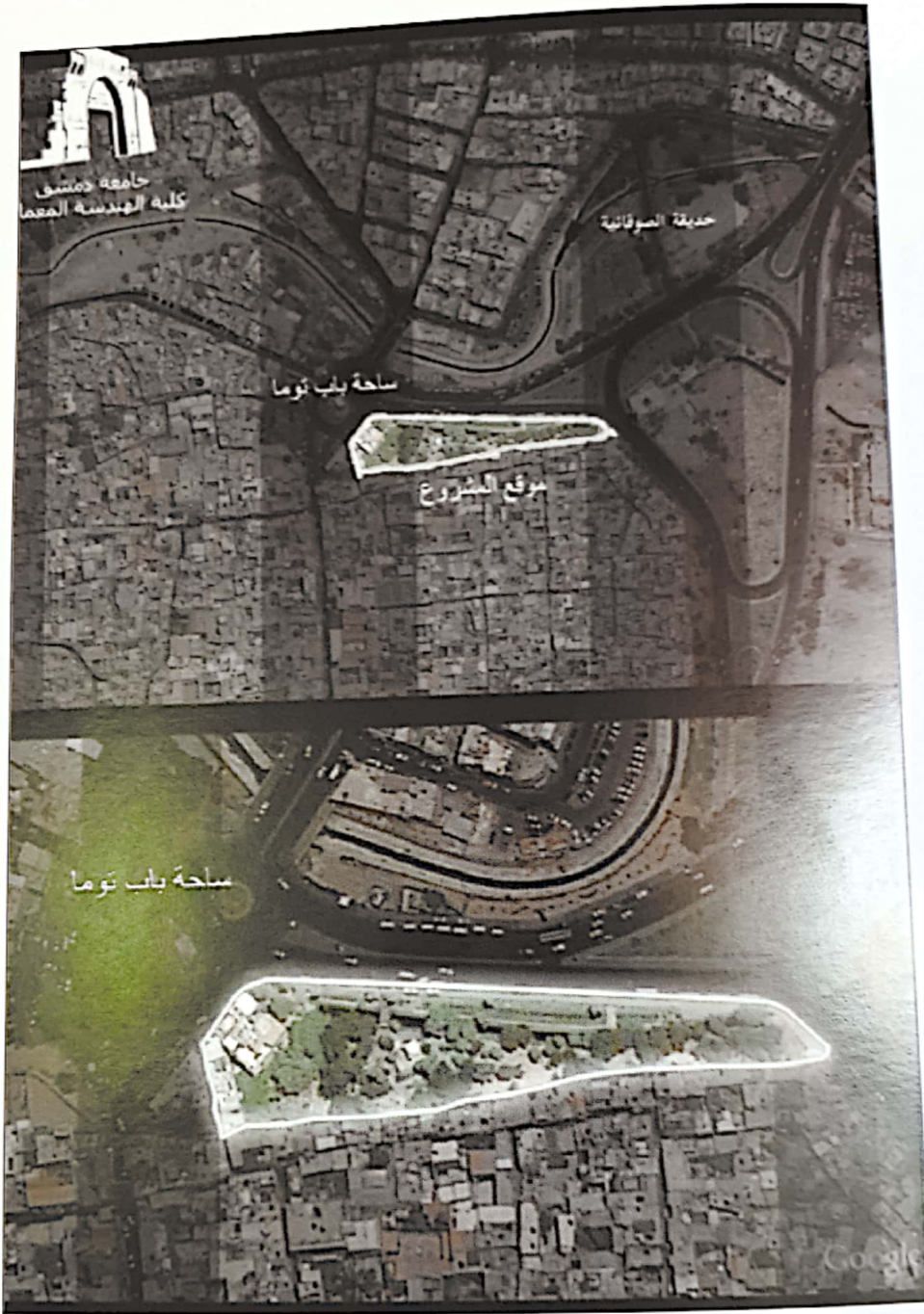
وتنتشر في هذا السوق المتاجر التي تباع المنتجات التراثية و التحف الإسلامية والعربية والنحاسيات والشرقيات والمنتجات اليدوية العريقة. وإن أهم ما يميّز هذا السوق، مع أنه حديث العهد نسبياً، إذ أسس في أواسط القرن المنصرم، أنه يشكل الحدود الشمالية الشرقية لمدينة دمشق القديمة. فهو ينطلق من أقدم بوابة دمشقية التي أخذ اسمها باب توما.

كما يتصل الحي بساحة البوابة الأثرية، وبعدد من الحارات الدمشقية القديمة، والأسواق والمواقع والمباني التاريخية.. كما تضم منطقة ساحة باب توما جامعاً تاريخياً قديماً، هو جامع الصوفانية، الذي رمم مؤخراً. وبين أشهر حارات منطقة باب توما وأسواقها وأهمها، شارع وسوق القشلة وحارة الزيتون، وتشتهر هذه الحارات والأسواق بالبيوت الشامية القديمة، التي حوّلت العشرات منها إلى مطاعم تراثية ومقاه، ويضم بعضها صالات عرض فنية.

وفي عام ٢٠١٠م أطلقت أولى حملات الهيئة الشبابية للعمل التطوعي بمشروع إعادة تأهيل حديقة خولة بنت الأزور بباب توما، والحدائق المجاورة، فقد وضع الاتحاد الوطني لطلبة سورية بالتعاون مع محافظة دمشق وجامعة دمشق ومعاهد دمشق، خطة لإعادة تأهيل الحي باعتباره نقطة هامة على كافة المستويات الخدمية والسياحية والتاريخية والأثرية والبيئية بمدينة دمشق، حيث شملت الأعمال إعادة تأهيل الدوار والساحة الرئيسة لحي باب توما، وإبراز قيمته التاريخية والأثرية، إضافة إلى ترميم جزء من سور المدينة القديمة الموازي لحي باب توما، وأبواب وشرفات المنازل المتوضعة فوقه من جهته. وقد شملت الأعمال التطوعية تنظيف فرع نهر بردى، الذي يمر في الحي ضمن حديقة خولة بنت الأزور، وتجميل الضريح الذي يضم رفات خولة بنت الأزور، وشرحيل بن حسنة نظراً لقيمتيهما التاريخية .

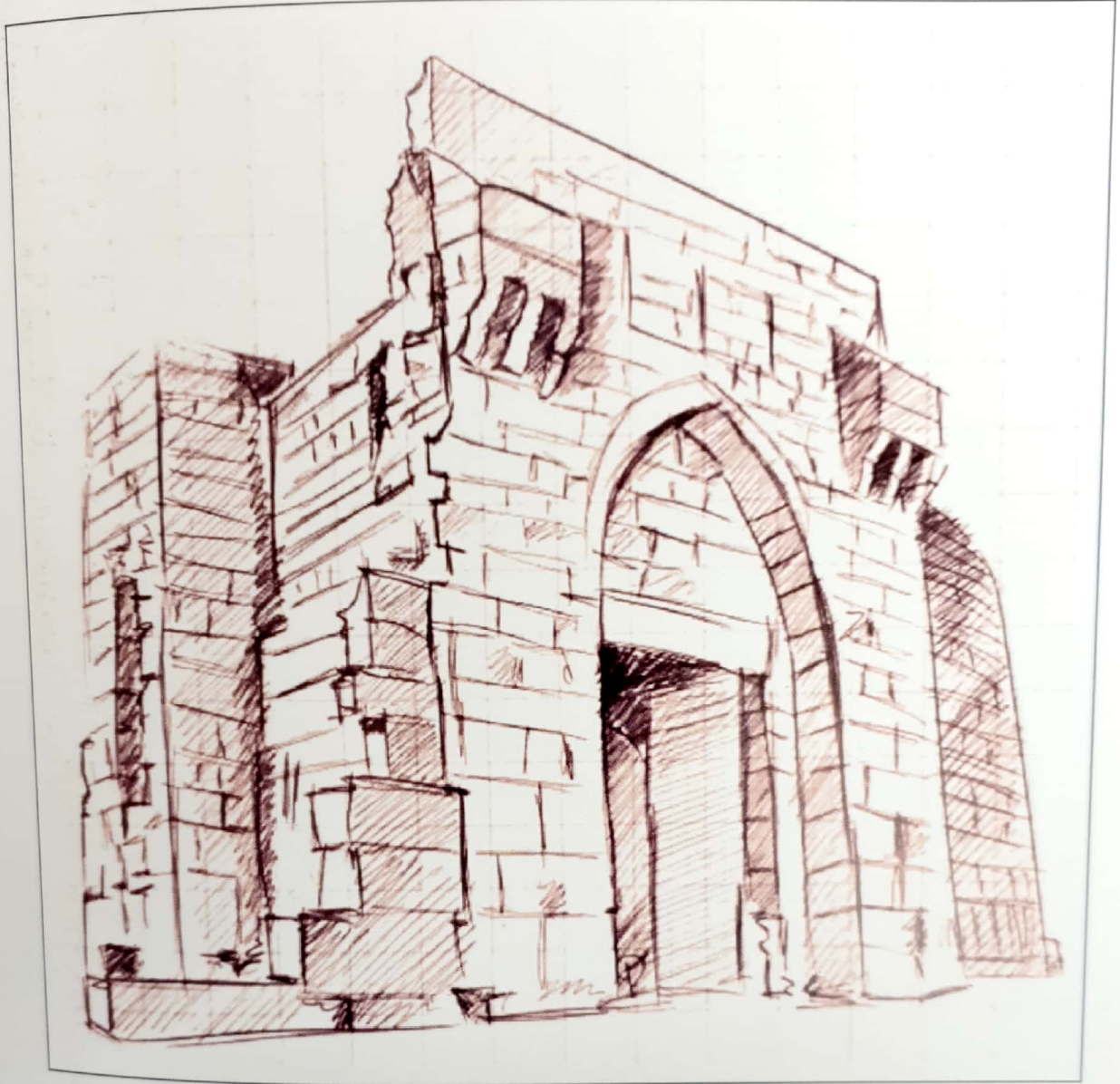
وتم إنشاء سبع حدائق جديدة ومركز للدلالة السياحية ومقاعد خشبية واستراحة وصالات للمهملات من الخشب، فقد توزع الطلاب المتطوعون من اختصاصات مختلفة من العمارة والفنون الجميلة والآثار والزراعة والمعاهد الصناعية والزراعية والطب، على محاور عدة: فكان المحور الأول من ساحة التحرير إلى ساحة باب توما، والثاني من ساحة باب توما إلى ساحة باب شرقي، مروراً بالنوفرة والقشلة والقيمرية، والمحور الثالث من باب السلام إلى الجامع الأموي إلى باب توما، أم المحور الرابع فكان من ساحة البيطرة إلى ساحة باب توما والمحور الخامس من مشعم الزبلطاني إلى ساحة باب توما .

وقد اشتملت هذه الحملة التطوعية التي اشترك فيها أكثر من ١٠٠٠ طالب جامعي على أعمال التنظيف وإزالة الملصقات الحائطية والتشوهات في المكان وتكليس نحو ٣٠٠ شجرة، وتقليمها، وطلاء مساحات كبيرة من الجدران. قام طلاب الفنون الجميلة وأساتذتهم بإنشاء منارة دمشق في باب توما، ومن ثم الإعلان عن إحداث الهيئة الشبابية للعمل التطوعي خلال الاحتفال الوطني باليوم العالمي للتطوع.

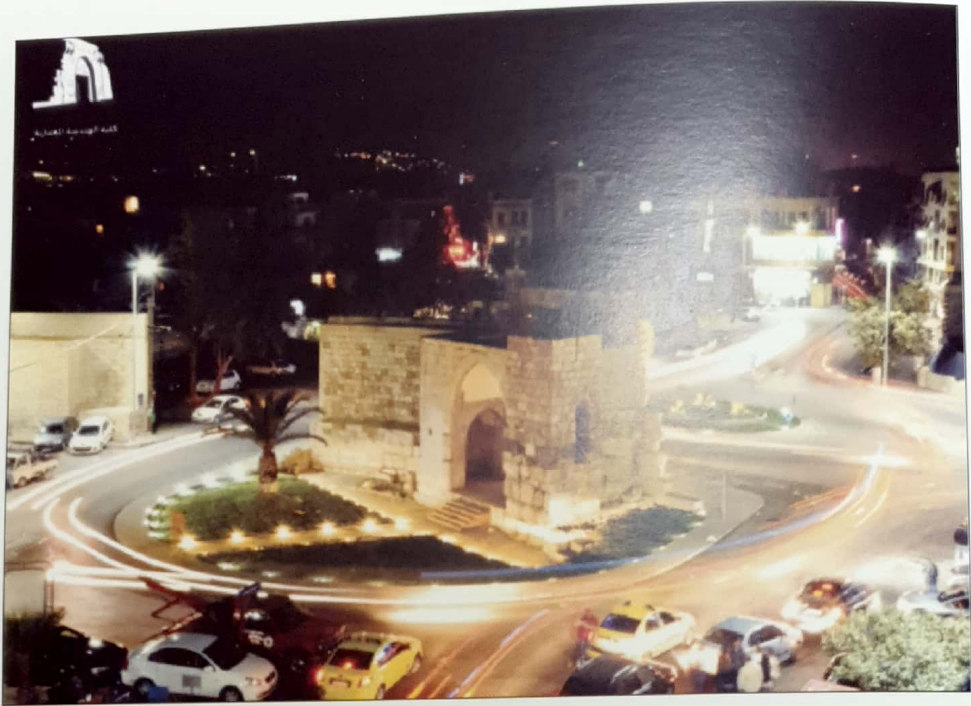


موقع المشروع المقترح جامعة دمشق كلية الهندسة المعمارية

(٢٦١) قامت دائرة آثار دمشق، بالتعاون مع جهات منها كلية الهندسة المعمارية، قسم التخطيط و البيئة بوضع مشروع تأهيل باب توما وتنفيذه. وهذه الصور قدمها الأستاذ الدكتور محمد زياد الملا في كلية الهندسة المعمارية.



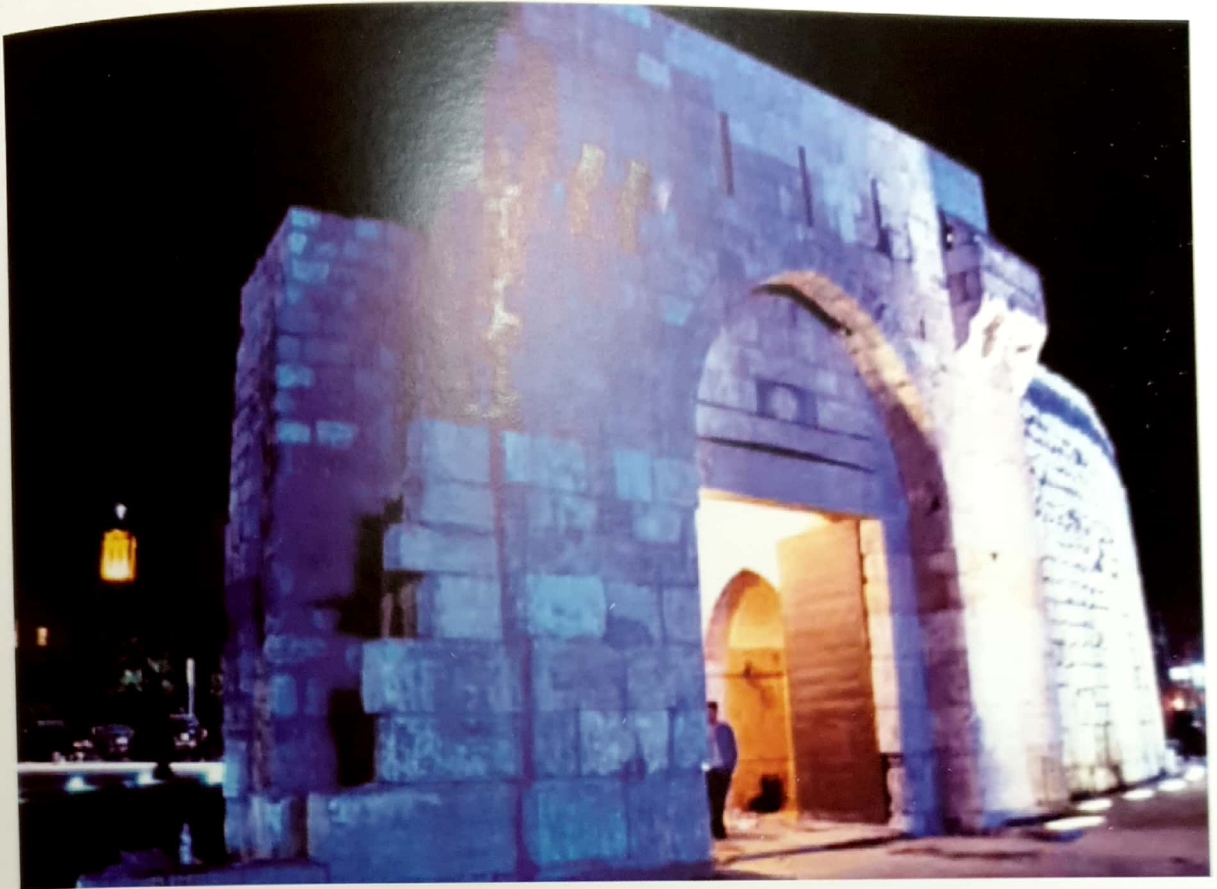
مخطط رسم تخطيطي لباب توما. جامعة دمشق - كلية الهندسة المعمارية



ساحة باب توما بعد التأهيل



باب توما ب



باب توما ب



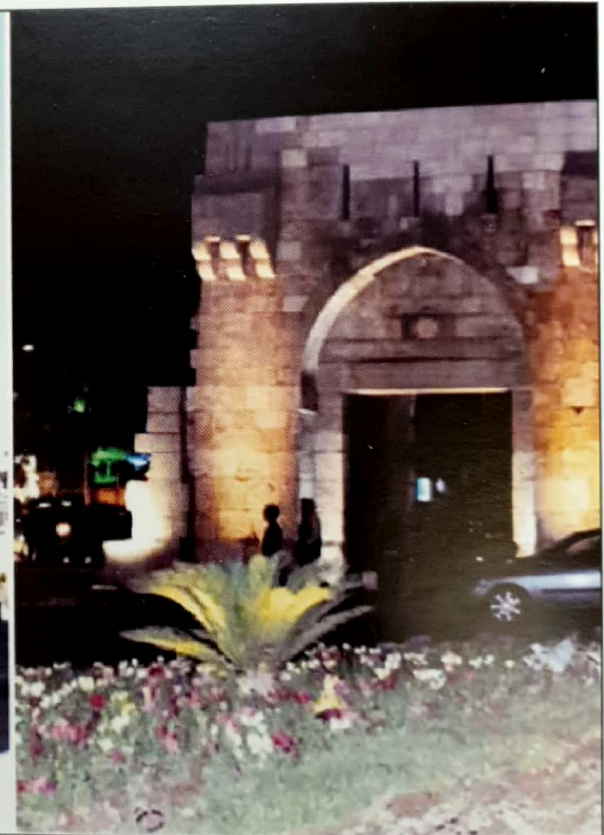
الطلاب أثناء قيامهم بتأهيل الحديقة



تأهيل السور القديم وتجميله، وتنظيف مجرى النهر، وإزالة الصرف الصحي عنه



باب توما والساحة قبل التأهيل



باب توما والساحة بعد التأهيل



إزالة التشوهات من جدران حي باب توما



الطلاب المتطوعون يقومون بتنظيف حارات حي باب توما



قبل تأهيل محور باب توما - باب شرقي



بعد تأهيل المحور



قبل تأهيل السور



بعد تأهيل السور



بعد تأهيل حارة في باب شرقي



وضع لوحات إرشادية



منظر



رسم تخطيطي تخيلي لسور المدينة القديم



السور بعد التأهيل



السور بعد التأهيل



سور المدينة بعد التأهيل



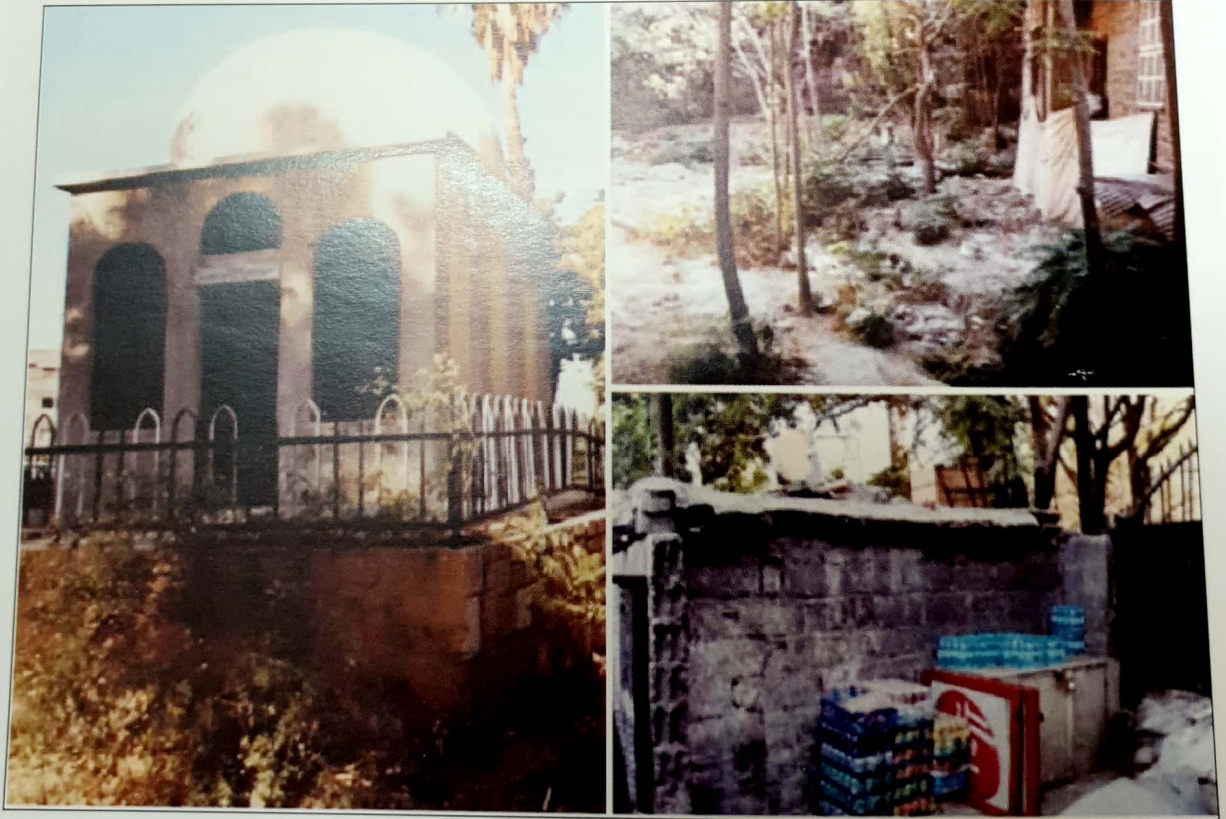
السور القديم بعد التأهيل



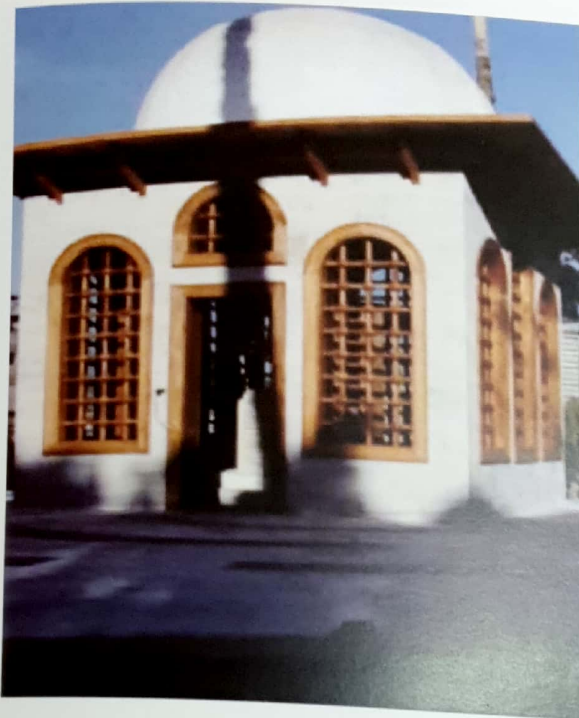
الترميمات التي أجريت على أجزاء من السور



رسم تخطيطي للضريح الموجود في حديقة خولة بنت الأزور



حديقة خولة بنت الأزور قبل الترميم



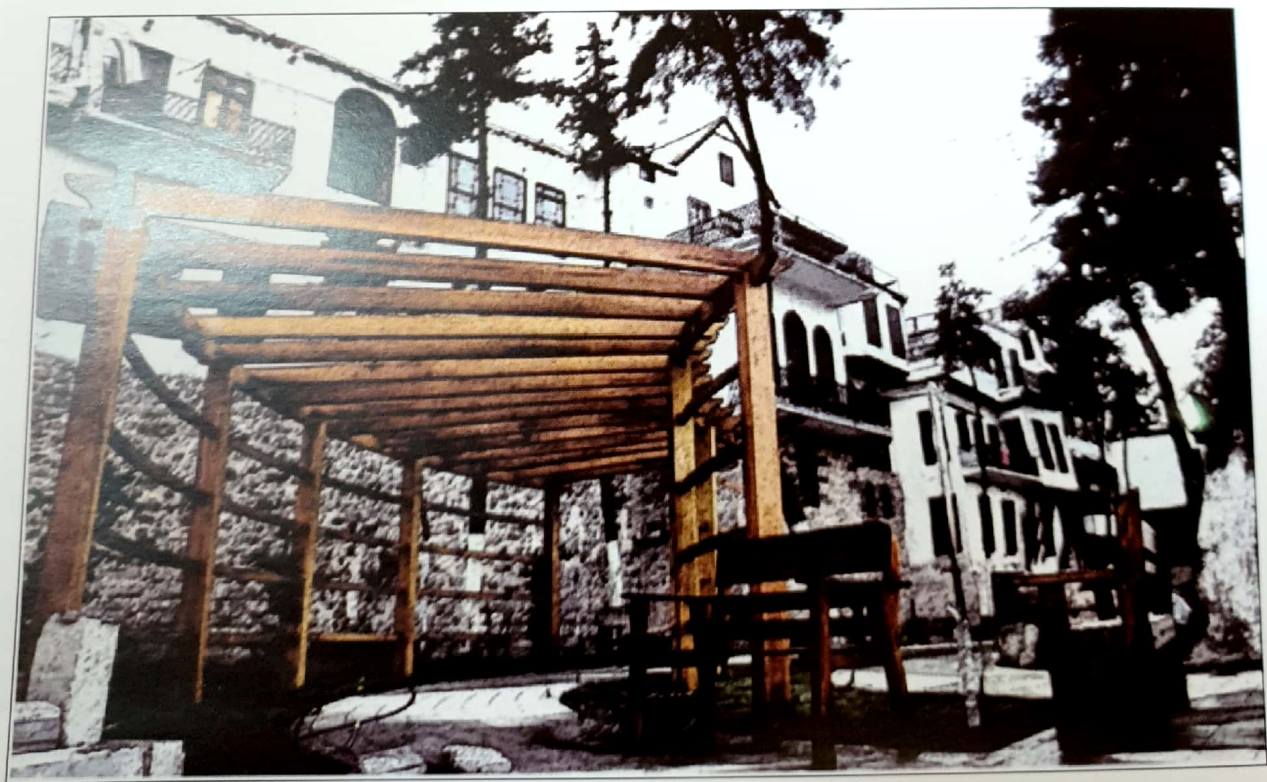
حديقة خولة بنت الأزور بعد الترميم



مدخل الحديقة بعد الترميم



حديقة خولة بنت الأزور بعد التأهيل والترميم



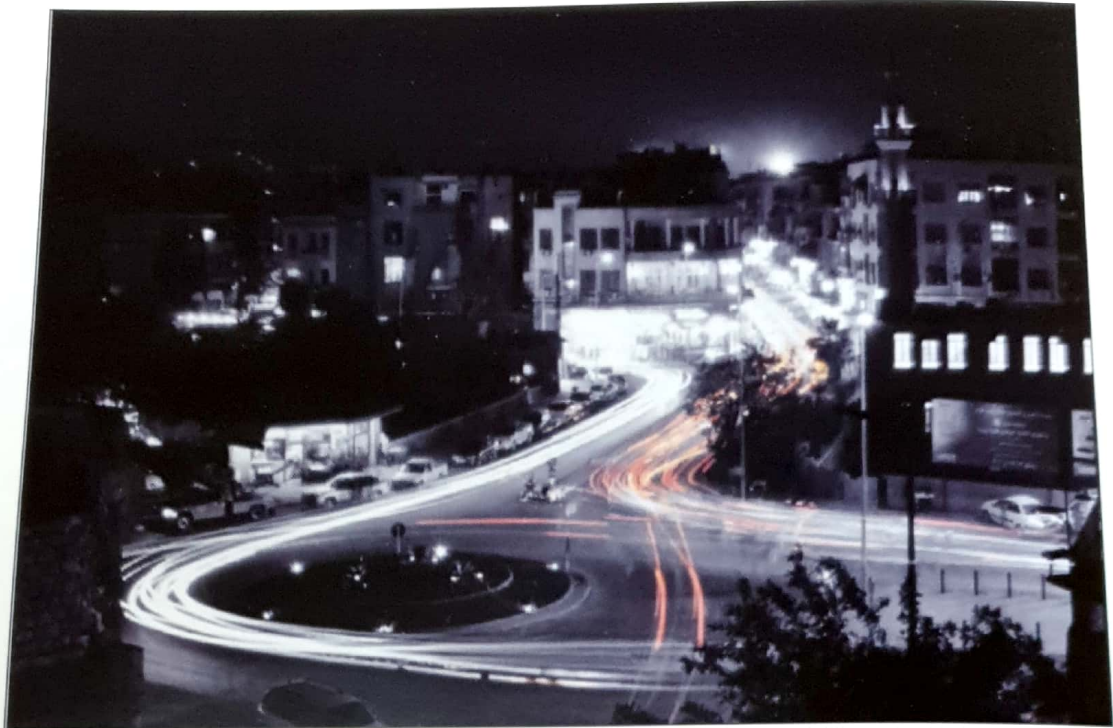
حديقة خولة بنت الأزور



الحمام العام في حديقة خولة بنت الأزور



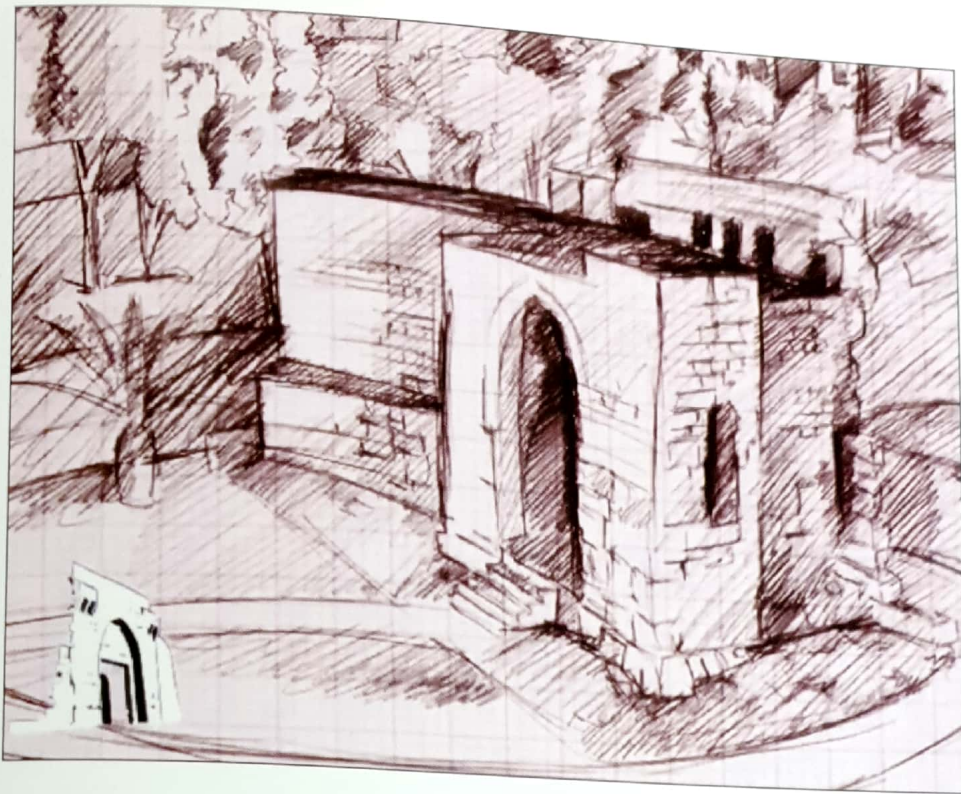
حديقة خولة بنت الأزور بعد التأهيل والترميم



ساحة باب توما في منظر ليلي



السور بعد الترميم



الساحة "منظر تخيلي"



الساحة بعد التأهيل

الفصل الثاني

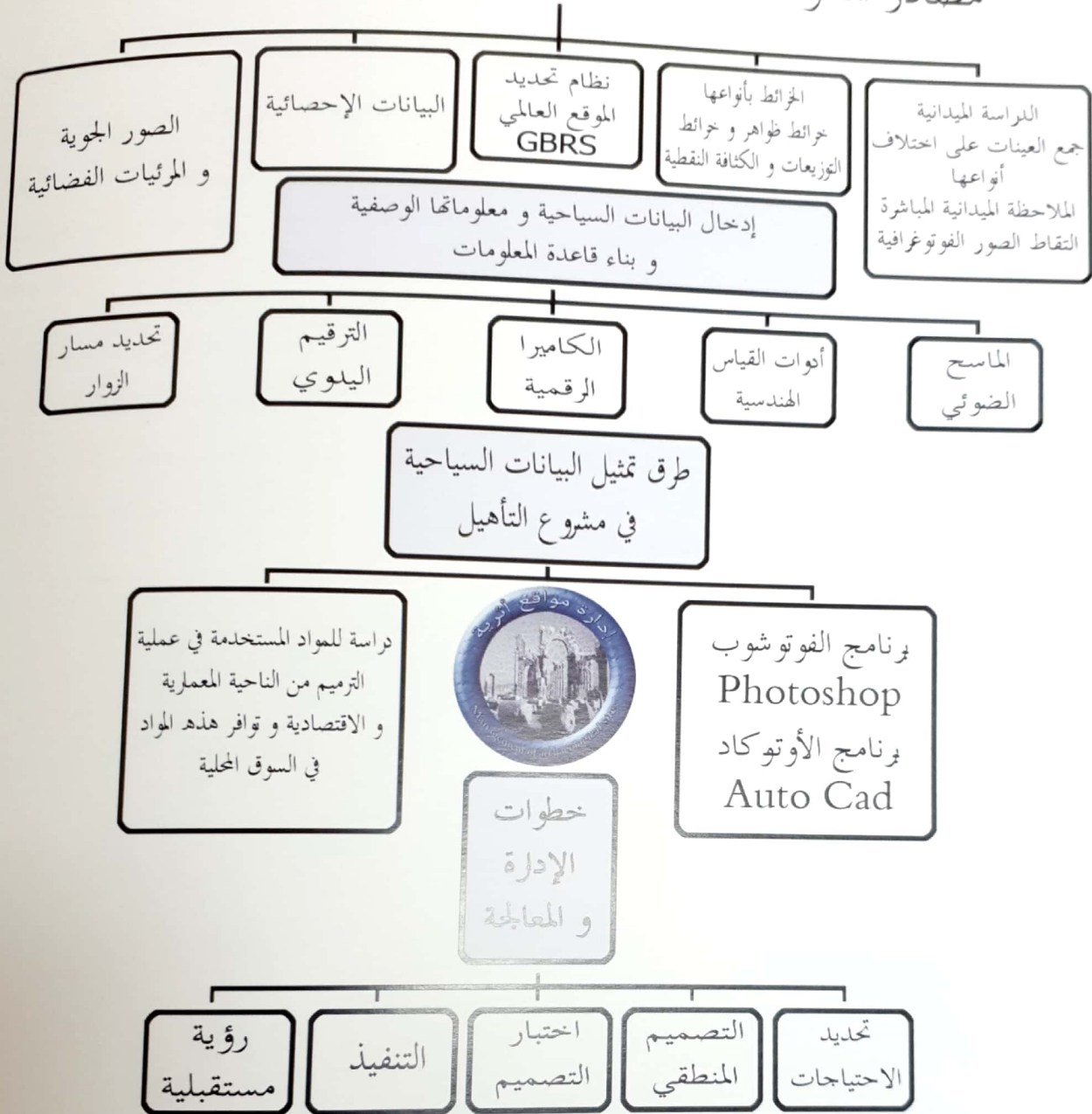
دراسة افتراضية لتأهيل موقع حي ساروجة الأثري

يُعد حي ساروجة من أقدم الأحياء تاريخياً، ولا يقل أهمية عن حي باب توما، وهو على السوية نفسها تقريباً، حيث تزخر دمشق بالأحياء والعمائر الأثرية، فأينما اتجهنا في أرجاء المدينة نجد أماكن تاريخية وتراثية متعددة، وإن إعادة إحياء حي ساروجة يفيد سورية سياحياً كمورد اقتصادي للبلد، وذلك بزيادة عدد المناطق التراثية السياحية في مدينة دمشق، أقدم عواصم العالم.

وهنا سأقدم دراسة افتراضية بإعادة تأهيل وإدارة موقع حي ساروجة الأثري^(٣٦٢) في محاولة لتوضيح أن إمكانية المحافظة على تراث في غاية الأهمية، ليس بالأمر الصعب، ومن الممكن تحقيقه إذا ما تكاتف الجهود من مختلف الجهات والأفراد، ووجود التحويلات المالية الكافية وتقارب جهات النظر من الأطراف المتنازعة من الملاك وغيرهم، لمصلحة البقاء على هذا الحي العريق من خطر الاندثار.

(٣٦٢) للاستزادة عن تاريخ وموقع وتسمية ونشأة ساروجة انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة: حي سوق ساروجة ومراحل تطوره التاريخية.

مصادر المعلومات الخاصة بدراسة تأهيل حي سوق ساروجة







خريطة توضح حدود المنطقة الافتراضية للتأهيل في حي سوق ساروجة والمسار الافتراضي للزوار

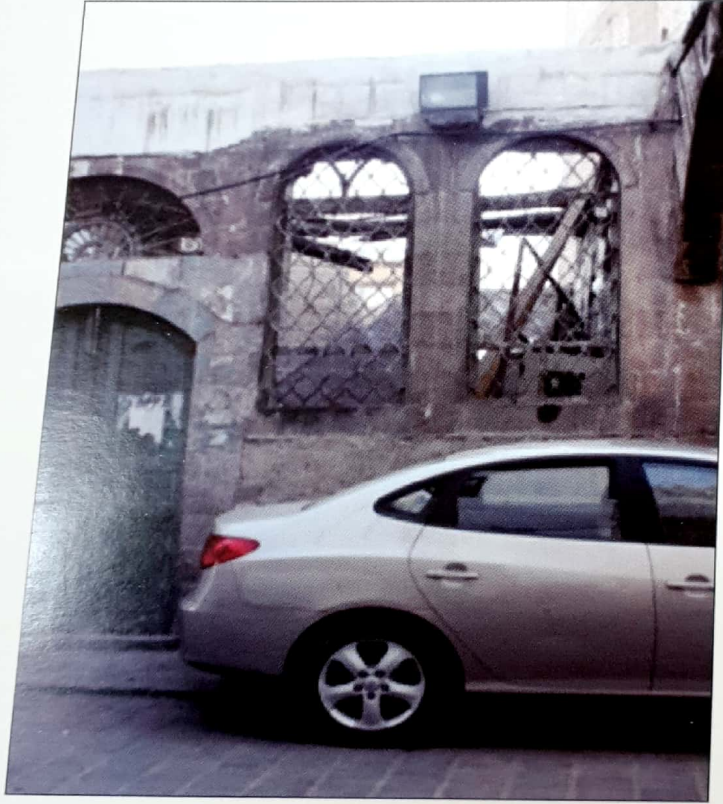
مصبغة		هاتف عمومي		مدخل رئيسي	
محل أدوات رياضية		طبيب بيطري		مدخل فرعي	
محل بيع ألحسة		ممر خاص للمعوقين		مسار الزوار الافتراضي	
محل بيع و صيانة ساعات		مكتب محاماة		شارع عام	
صاله مناسبات		مكتب هندسي		عيادة طبيب	
مخبز		مكتبة		صيدلية	
محل بيع و صيانة حواسب		مركز صرافة عملات أجنبية		طبيب أسنان	
مقهى انترنت		مساحة خضراء		مخبر تحاليل طبية	
مقهى		محل بيع أزهار		مرآب سيارات	
مطعم		محل حدادة		مكتب تكسي	
		محل عدد و أدوات		مكتب سياحة	

التجربة الافتراضية الخاصة بتأهيل حي ساروجة: (٢٦٢)

لقد تم استخدام المواد الأولية المتوافرة في السوق المحلية، في عملية الصيانة التخليية الافتراضية لسوق ساروجة، بسبب توافرها وقلة تكلفتها، دون اللجوء إلى استيرادها.

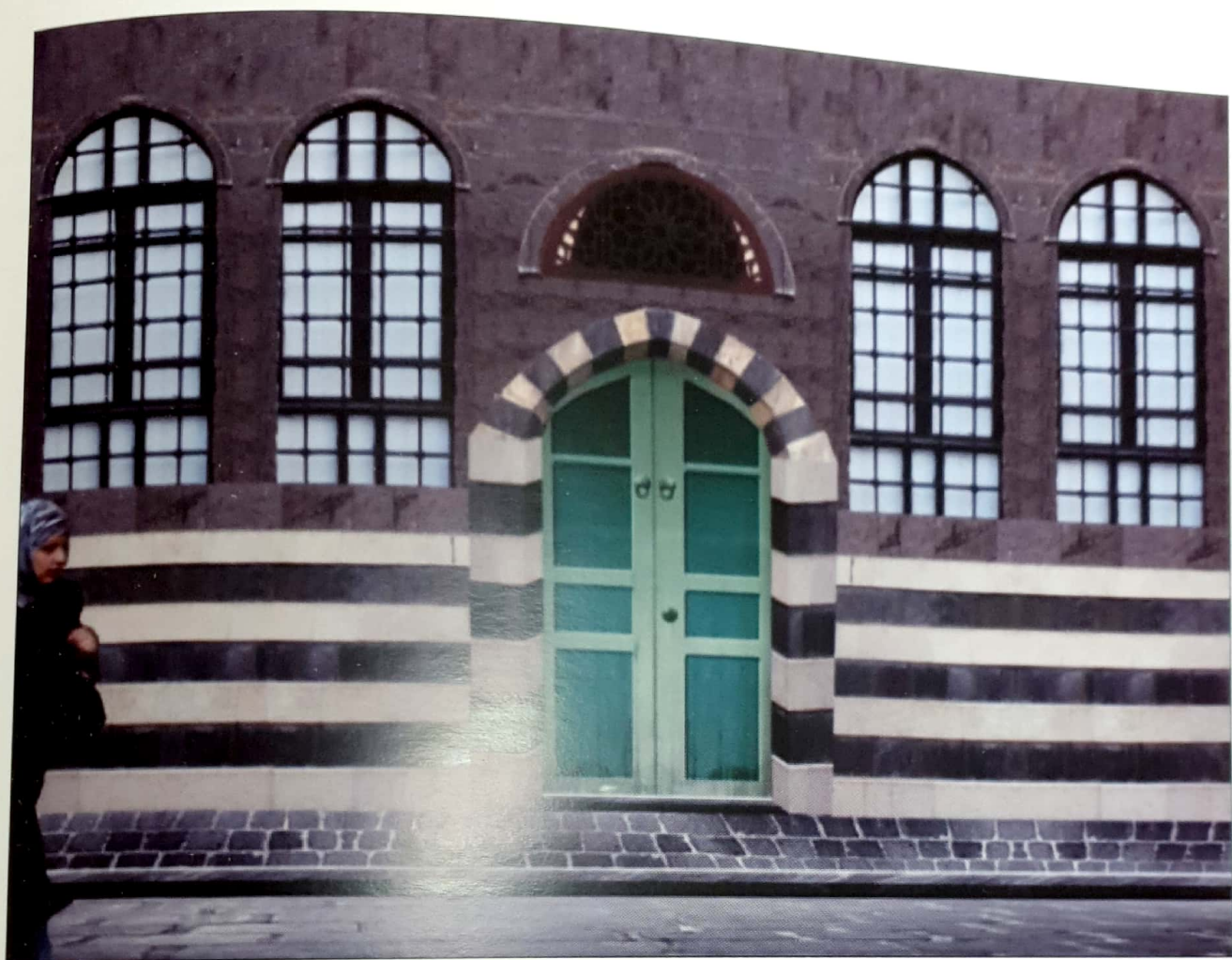
اللوحة الأولى:

تم استخدام الحجر البازلتي فيها، لإعادة ترميم الواجهة العلوية، ووضع الشبك الحديدي على النوافذ للحماية، كما تم تنفيذ حجارة الأبلق على ما بقي من الواجهة. أما باب الدخول فقد رمم وأعيد طلاؤه، بعد أن علتة قمرية لطيفة من الخشب. وقد رصفت أرضية الحارة ورصيف المشاة بالحجر البازلتي الأسود.



الصورة قبل الترميم الافتراضي

(٢٦٢) قامت الباحثة بتصوير الموقع المراد عمل الدراسة الافتراضية عليها، واستخدام برنامج الفوتوشوب لتصوير الحالة بعد الترميم.



بعد الترميم الافتراضي

تم استخدام الطينة^(٣) للواجهة ككل، أما النوافذ فقد تمت تغطيتها بالزجاج مع الخشب.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

(٣) الطينة: هي الطين الممزوج بالتبن أو القش لإعطاء متانة للطين. دغمان، د. موفق: العمائر الطينية في منطقة دمشق الشرقية، جامعة دمشق. كلية الهندسة المعمارية، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الهندسة المعمارية، ١٩٩٠م، ص ٢٩.



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الثانية : جدار في واجهة خارجية في سوق ساروجة

تم استخدام الطينة^(٣٦٤) للواجهة ككل، أما النوافذ فقد تمت تغطيتها بالزجاج مع الخشب.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

(٣٦٤) الطينة : هي الطين الممزوج بالتبن أو القش لإعطاء متانة للطين. دغمان، د. موفق: العماائر الطينية في منطقة دمشق الشرقية، جامعة دمشق. كاهندسة المعمارية، دراسة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الهندسة المعمارية ، ١٩٩٠م، ص ٢٩.

اللوحة الثالثة:

تمت المحافظة على السقف الخشبي القديم وفق الممكن، وترميمه مع المحافظة على الأسلوب المتبع ببناء السقف الأصلي.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الرابعة: واجهة تطل على فناء داخلي في منزل بسوق ساروجة

استخدمت فيها الطينة العربية للواجهة ككل، والخشب لإعادة ترميم النوافذ، والجص للقوس الذي يعلو مدخل الفناء الداخلي.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الخامسة

استخدم في ترميم واجهة الفناء الداخلي لمنزل بحي ساروجة الطينة العربية للواجهة، وتم إدخال الزجاج المعشق للنوافذ من الأعلى، ومن الأسفل بالخشب، ويعلو تلك النوافذ ساتر من أعمدة وألواح خشبية. أما مدخل البهو الذي يفضي إلى ساحة المنزل، فيعلوه قوس من الحجر الأبلق الأبيض والأسود، يتبعه أسفل النوافذ العلوية نوافذ أخرى سفلية، تمت تغطيتها بشبك حديدي للحماية، تعلوها أقواس حجرية .



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة السادسة : واجهة تطل على فناء داخلي

تم استخدام الأخشاب لترميم النوافذ، إضافة إلى الزجاج، كما وضع ساتر خشبي فوق النوافذ ومليت الواجهة بالطينة، أما النوافذ السفلية فوضعت فوقها أقواس حجرية، وغطي الزجاج بشبك معدني للحماية.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة السابعة : واجهة منزل تطل على حارة في حي ساروجة
تمت المحافظة على المواد الأصلية، لكن بعد ترميمها، حيث استخدم الزجاج والخشب للنوافذ، وبقي الساتر الخشبي فوقها.
وطليت الواجهة كاملة بالطينة .



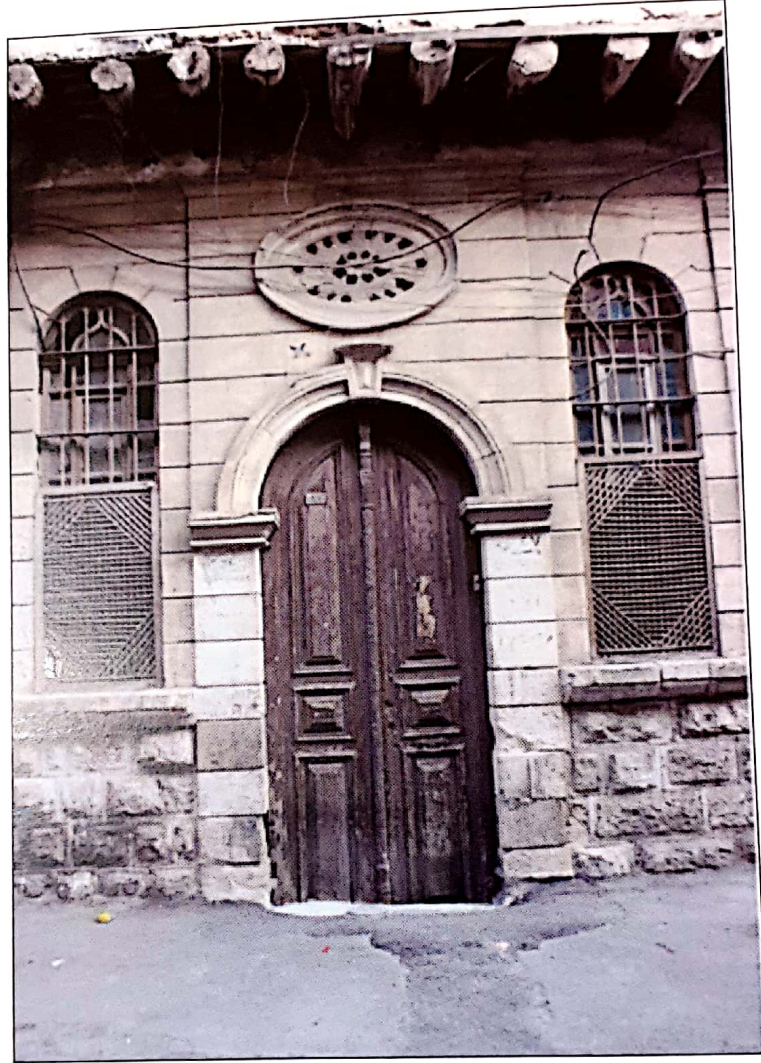
قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

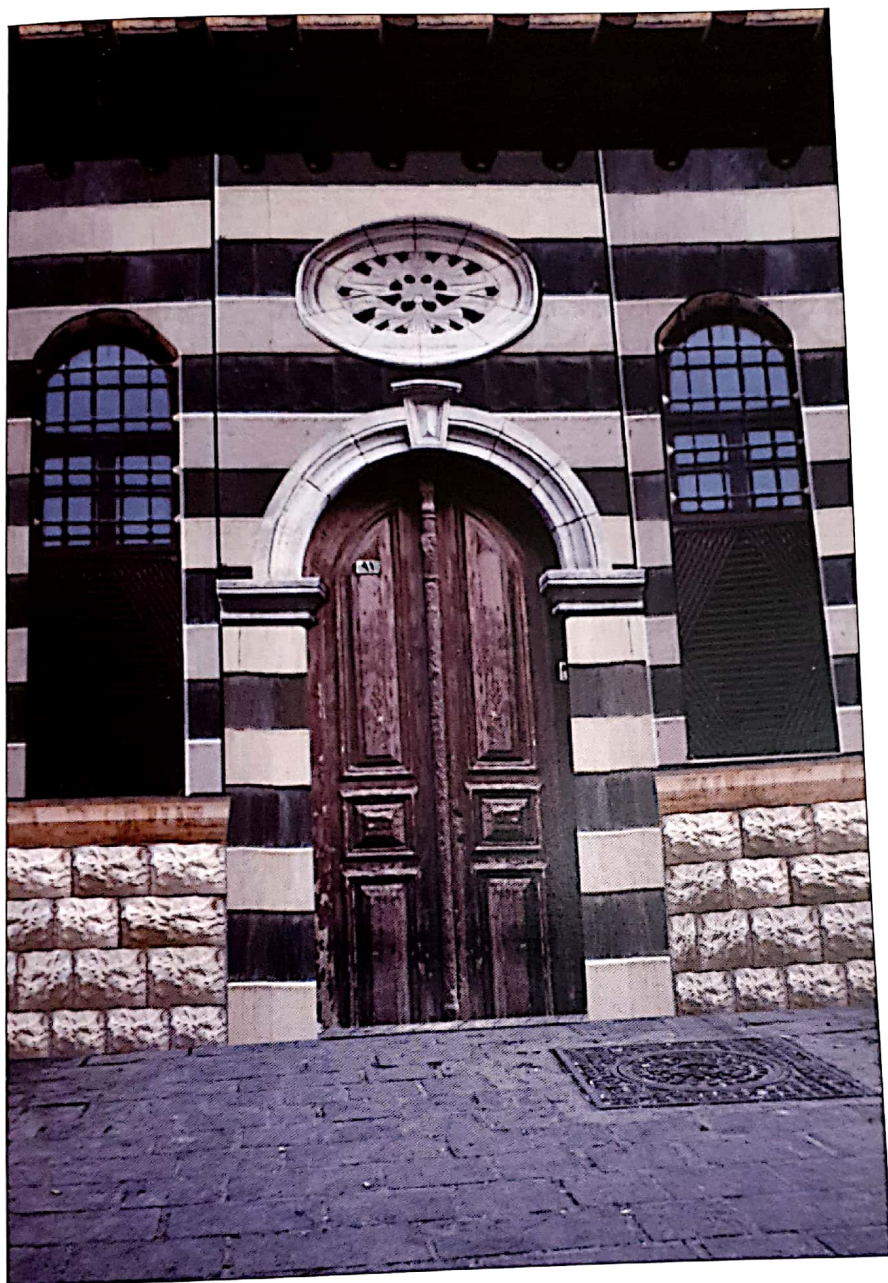
اللوحة الثامنة : واجهة لمنزل في سوق ساروجة

تم استخدام ساتر خشبي وضع فوق النوافذ التي تمت تغطيتها بالخشب كمشربية، وتحتها شبك معدني للحماية، كما زينت الواجهة بحجارة الأبلق ذات اللونين الأبيض والأسود، ووضع على جانبي الباب وعلى امتداد الواجهة السفلية حجارة الدبش،^(٣٦٥) وزين أعلى الباب بقوس عاتق حجري، تعلوه قمرية حجرية جميلة.



قبل الترميم الافتراضي

(٣٦٥) حجر الدبش : هو مادة طبيعية تستخدم في العمليات الإنشائية للمباني المتواضعة، وذلك بسبب ضعف تكلفته، ويستخدم لبناء الحوائط والأعمدة والعقود. دغمان، د. موفق: المرجع نفسه، ص ٢٩.



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة التاسعة: واجهة خارجية

تم ترميم الواجهة ككل، واستخدمت فيها الطينة، كما تم ترميم النوافذ ووضع الزجاج والمشربيات، ووضع فوق المحال التجارية سواتر خشبية (مظلات)، وتم تجديد باب المحل التجاري.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة العاشرة : حارة في سوق ساروجة

تم ترميمها وتجديدها بوضع السقوف الخشبية، كما تم طلاء واجهات الجدران بالطينة، وتمت المحافظة على الحجر الدبش أسفل واجهات المنازل، التي تطل على هذه الحارة، ورصفت أرضيتها بالحجارة البازلتية.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الحادية عشرة: مدخل حي ساروجة من جهة سوق الخجا

تمت إعادة تصور لهذه المنطقة، حيث تم القيام بإعادة ترميم الواجهات كاملة، واستخدام حجارة الأبلق وحجارة الدبش في تزيينها، وتم طلاء بعض أجزائها بالطينة، وتجميل الأبواب الخشبية بوضع الأقواس الحجرية فوقها، كما رصفت الأرض بالحجارة البازلتية السوداء.



المدخل قبل الترميم الافتراضي



المدخل بعد الترميم الافتراضي



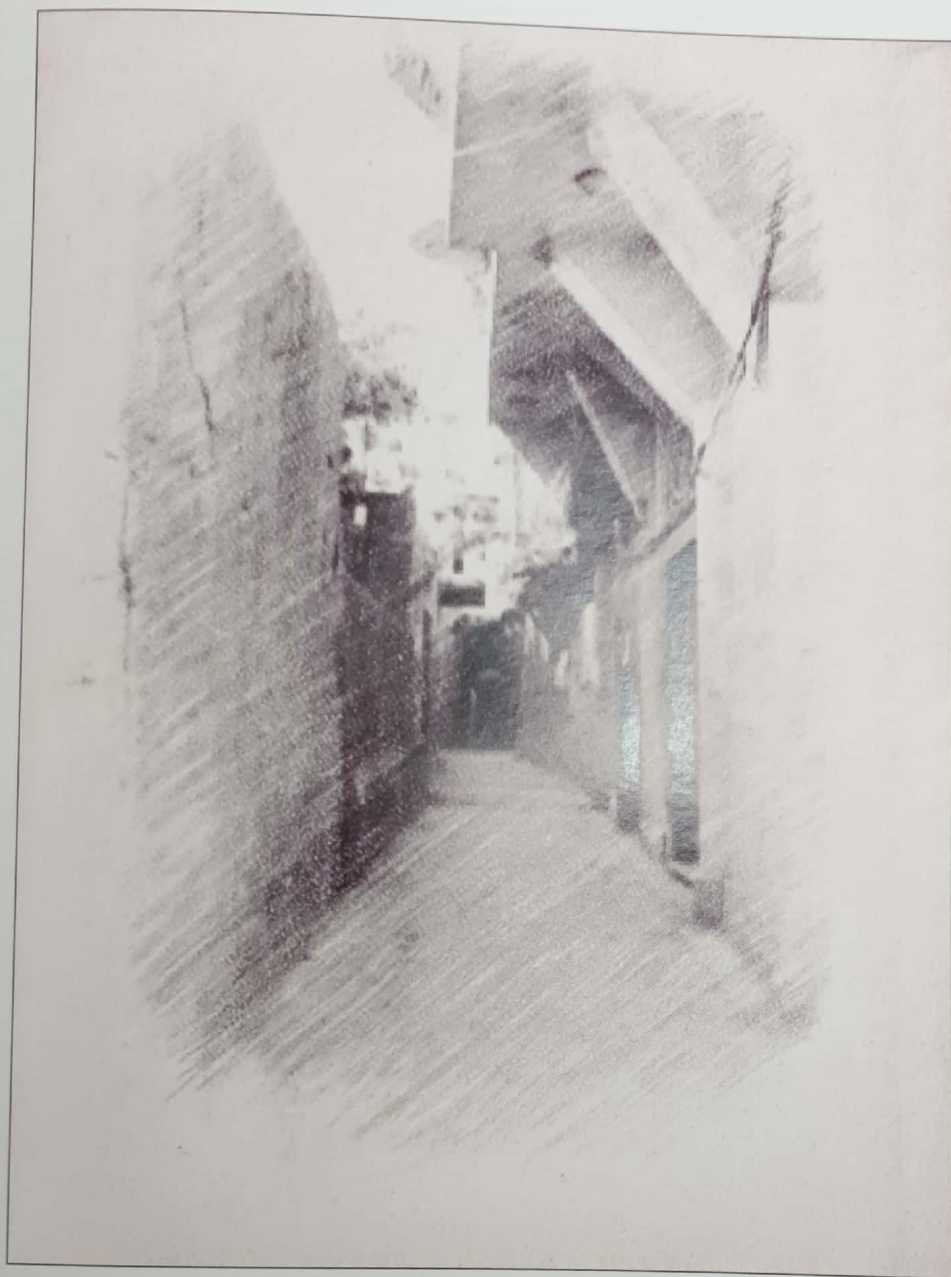
منظر مقرب للمدخل الافتراضي

اللوحة الثانية عشرة : حارة في حي ساروجة

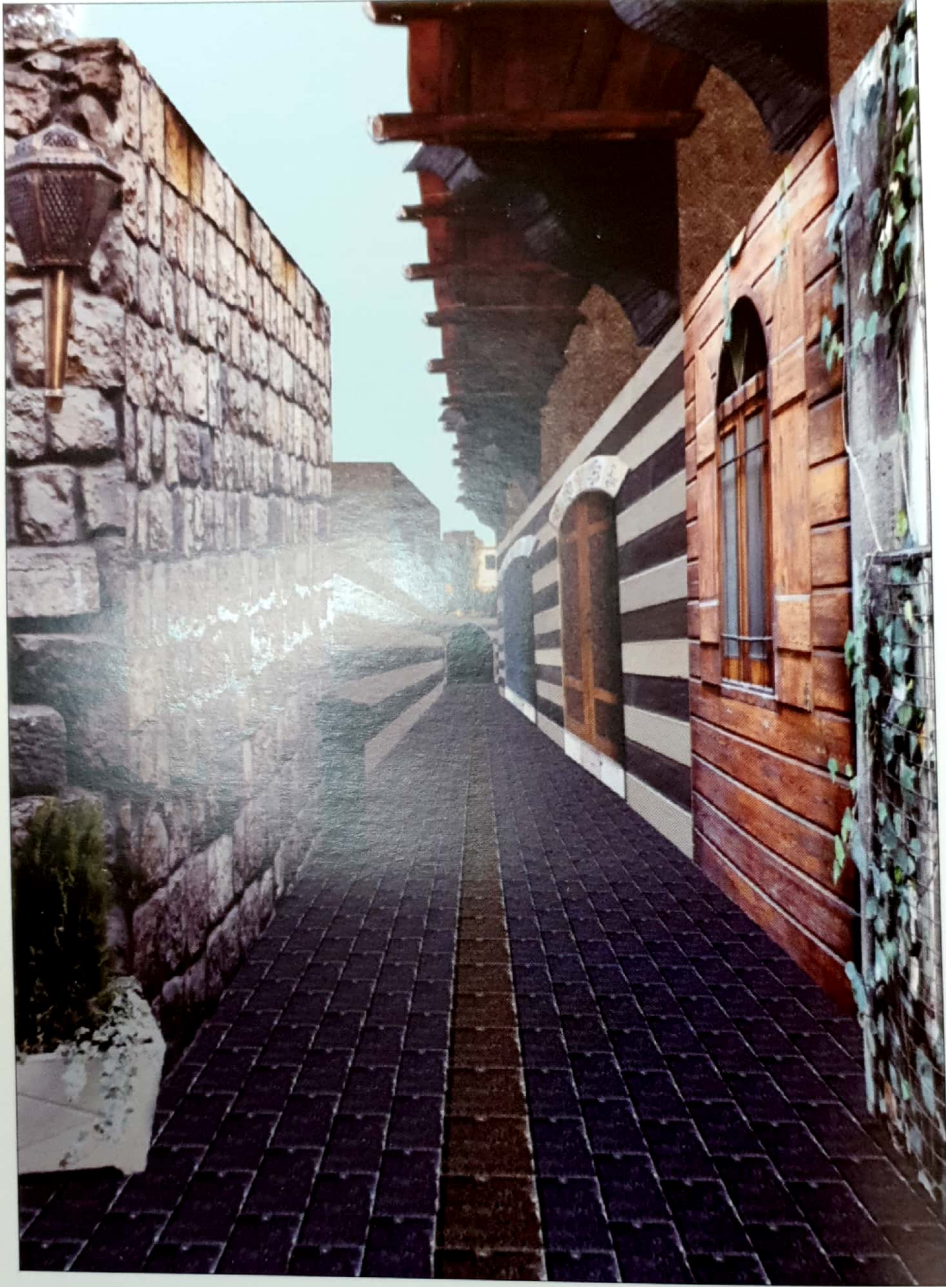
تم ترميمها وتجديدها بوضع حجارة الأبلق البيضاء والسوداء أو الأخشاب لبعض الواجهات، وفي أعلى هذه الواجهة، تم وضع كوابيل خشبية، فوقها سائر خشبي أيضاً. أما الأرضية فتم تنفيذها بالحجارة السوداء والمزينة.



قبل الترميم الافتراضي



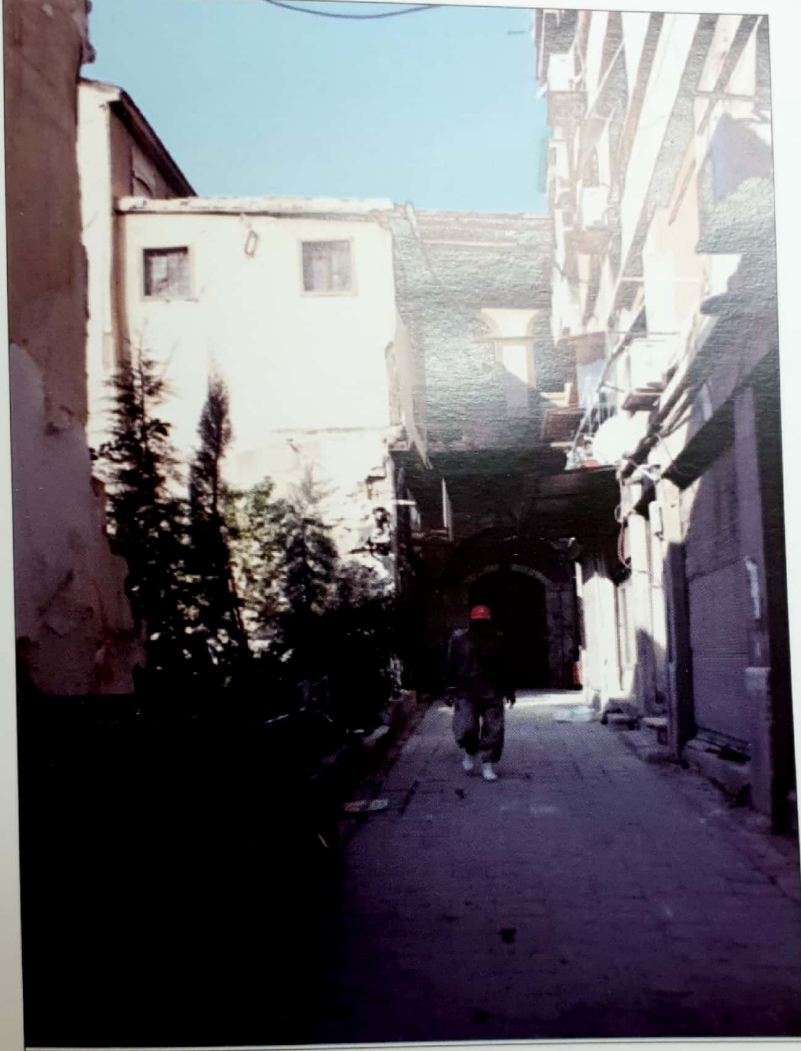
منظر تخطيطي لحارة قبل الترميم الافتراضي



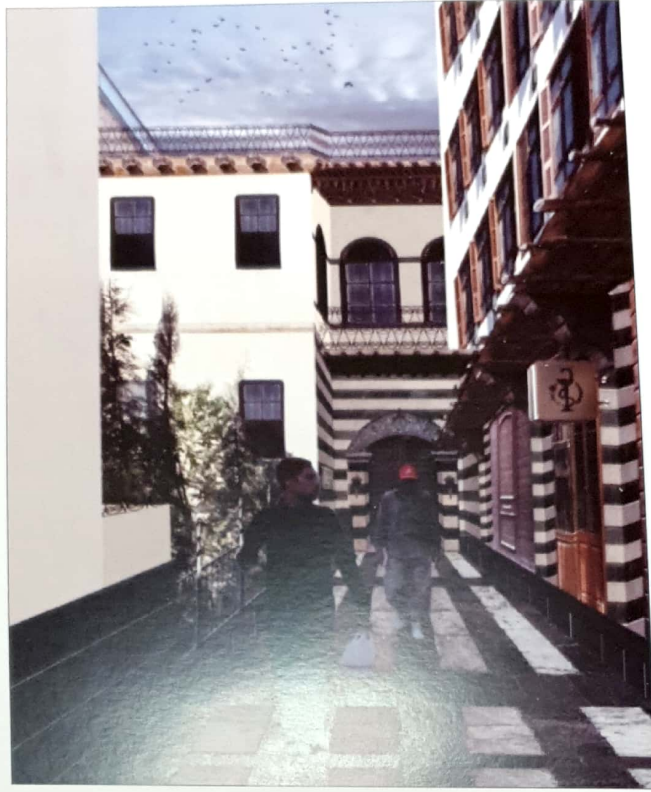
بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الثالثة عشرة

تمت إعادة ترميم تأهيل مدخل منزل آل اليوسف في سوق ساروجة، وتمت إعادة وضع الزجاج والخشب على النوافذ، التي يعلوها ساتر خشبي وفوقه درابزين، وإعادة تنظيف مدخل المنزل وتنظيف الباب الخشبي والقوس الحجري الذي يعلوه. وتم فتح محال تجارية عامة في هذه الحارة. وقد رصفت الأرضية بالحجارة البيضاء والسوداء.



قبل الترميم الافتراضي



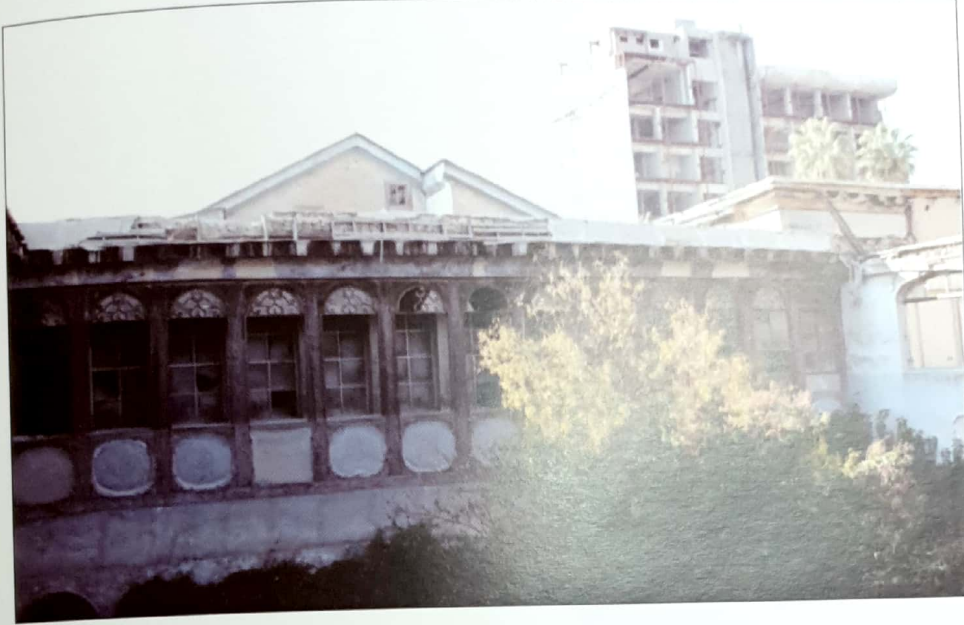
بعد الترميم الافتراضي



منظر مقرب بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الرابعة عشرة : واجهة فناء داخلي لبيت اليوسف في سوق ساروجة

تم استخدام الخشب والزجاج الملون في ترميم النوافذ ووضع فوقها ساتر خشبي، يعلوه درابزين حديدي، أما الواجهة السفلية فكسيت بالطينة، وتم وضع أقواس حجرية أعلى النوافذ السفلية، التي غطيت بشبك معدني للحماية.



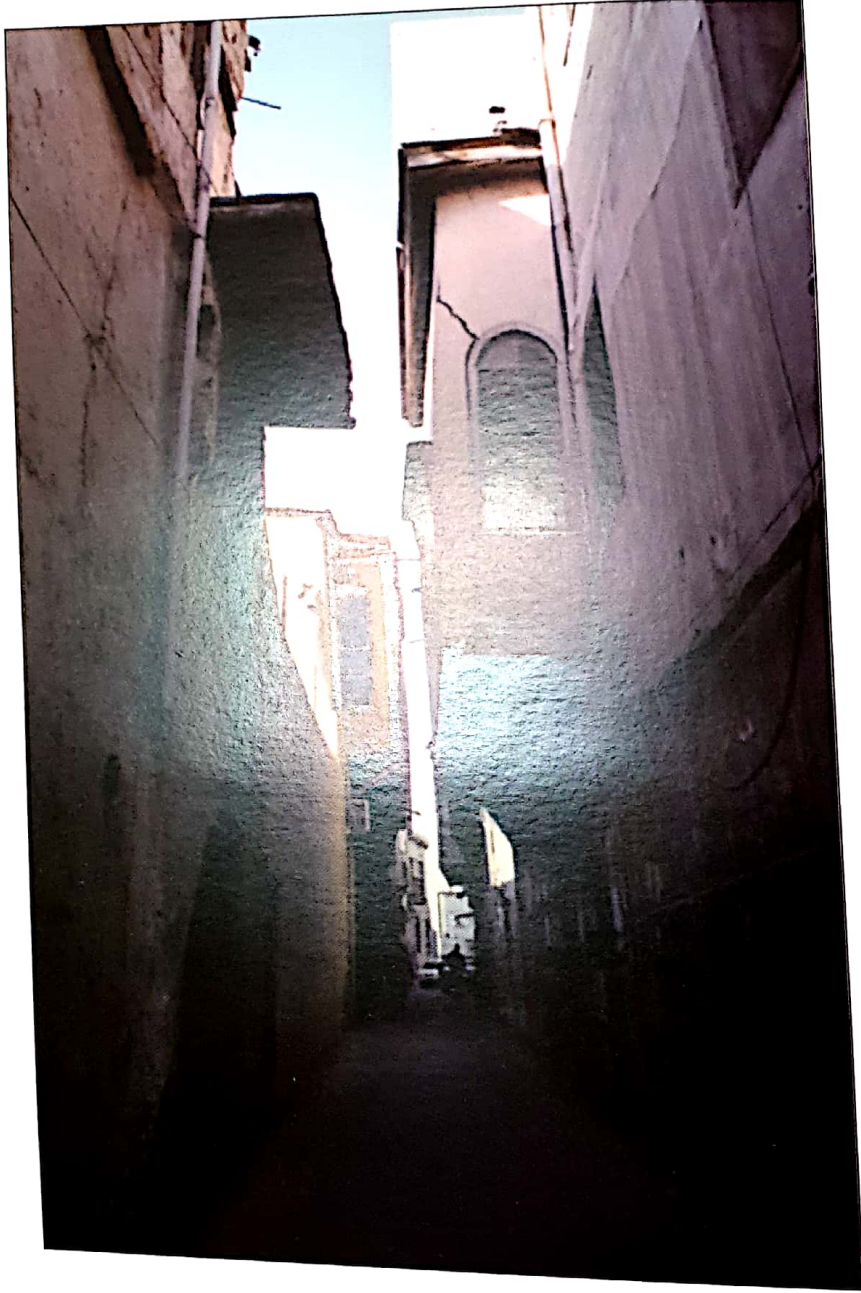
قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الخامسة عشرة : حارة متفرعة في حي ساروجة

تم ترميمها وتجميلها، فوضعت النوافذ الزجاجية، وتم طلاء الواجهات العلوية بالطينة، أما السفلية فتم وضع الحجارة السوداء عليها، وبني محل تجاري، ورصفت الأرضية بالحجارة البازليّة.



قبل الترميم الافتراضي



منظر للحارة بعد الترميم الافتراضي



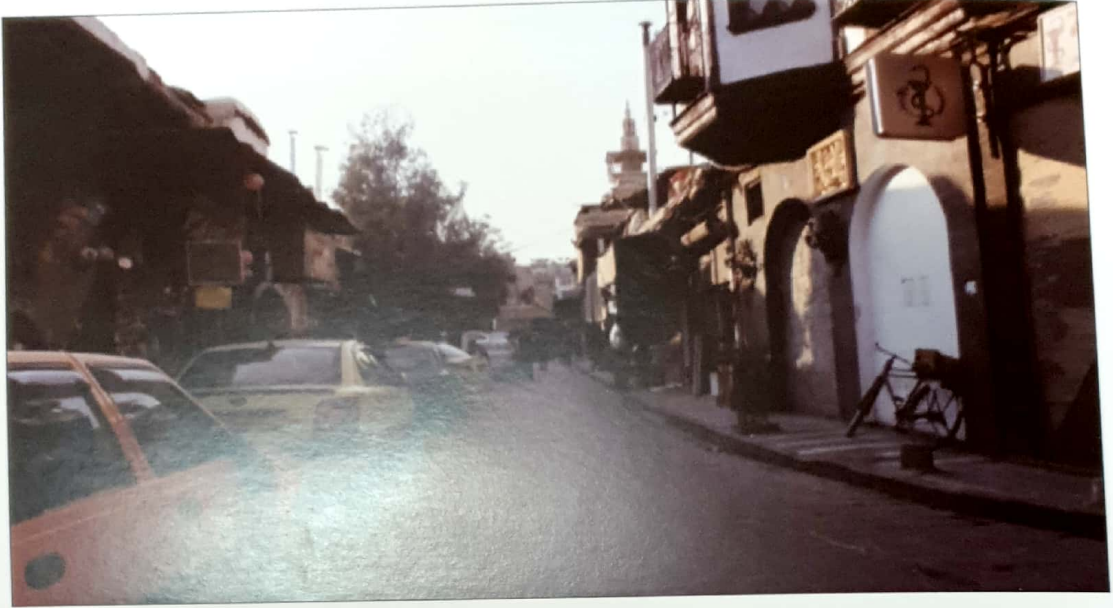
بعد الترميم الافتراضي



منظر مقرب بعد الترميم الافتراضي

اللوحة السادسة عشرة : محور حي ساروجة

تم ترميمه وتجميله، فوضعت واجهات جديدة، وأعيد تأهيل المكان بشكل كلي، وتم تزيين الشارع بالأزهار وبنيت المحال التجارية المختلفة والمطاعم.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

اللوحة السابعة عشرة : واجهة في محور سوق ساروجة

تم تجميلها وتأهيلها ،فوضعت النوافذ الخشبية، وطلبت الواجهات العلوية بالطينة، أما السفلية فتفتدت عليها حجارة الأبلق السوداء والبيضاء، وفتحت المحال التجاري ذات الاختصاصات المختلفة. ووضع على مدخل الحارة الفرعية قوس حجري جميل، تعلوه قمرية حجرية جميلة.



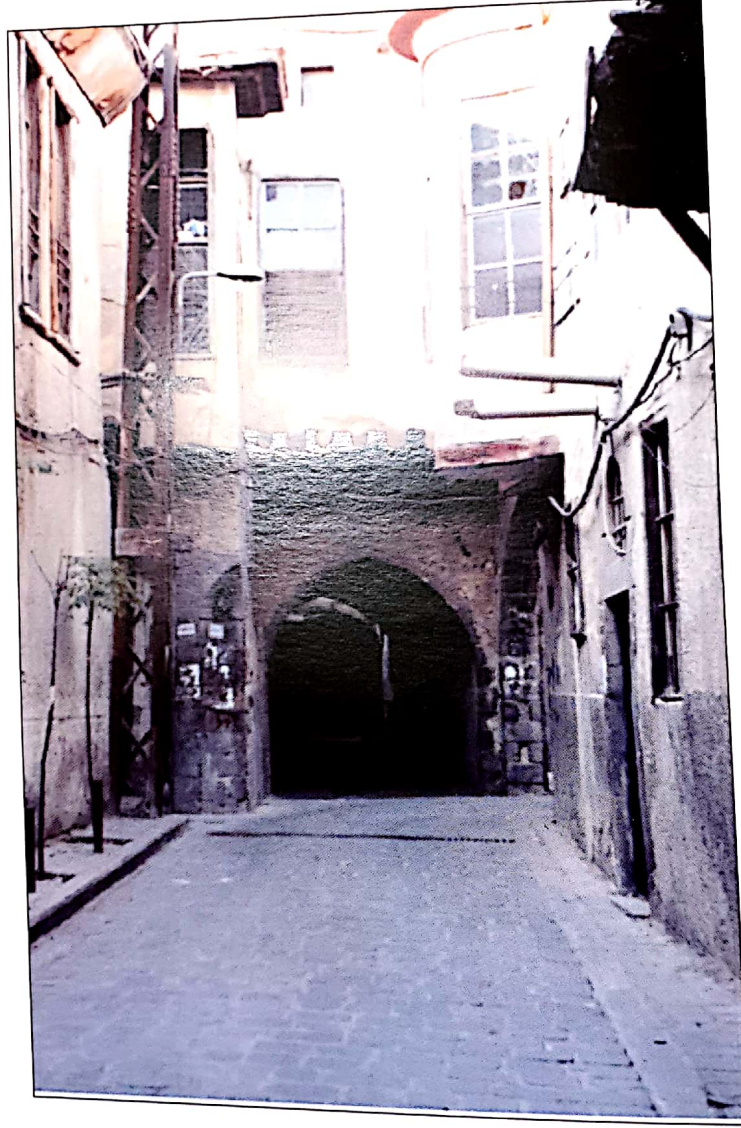
قبل الترميم الافتراضي



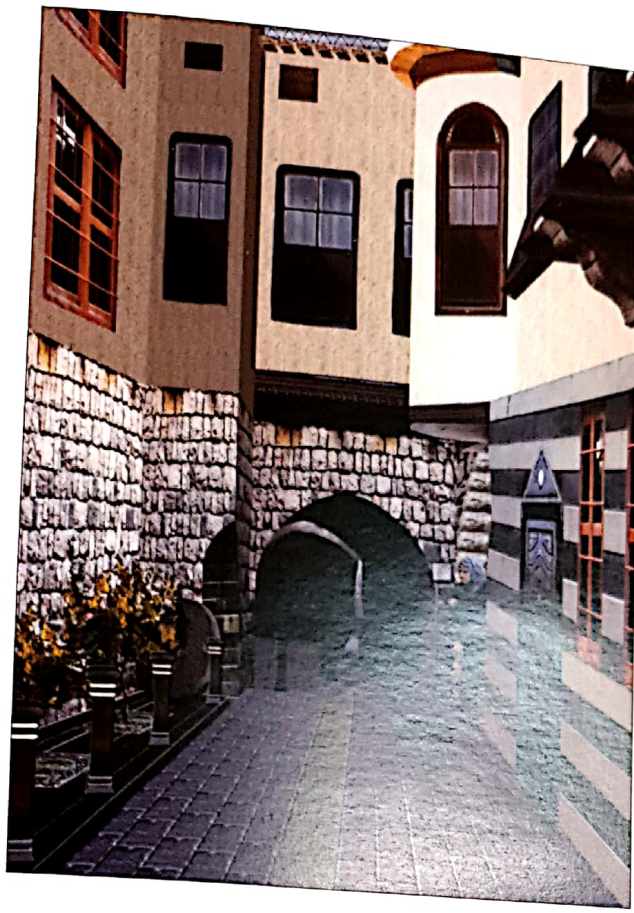
بعد الترميم الافتراضي

اللوحة الثامنة عشرة : حارة في حي ساروجة

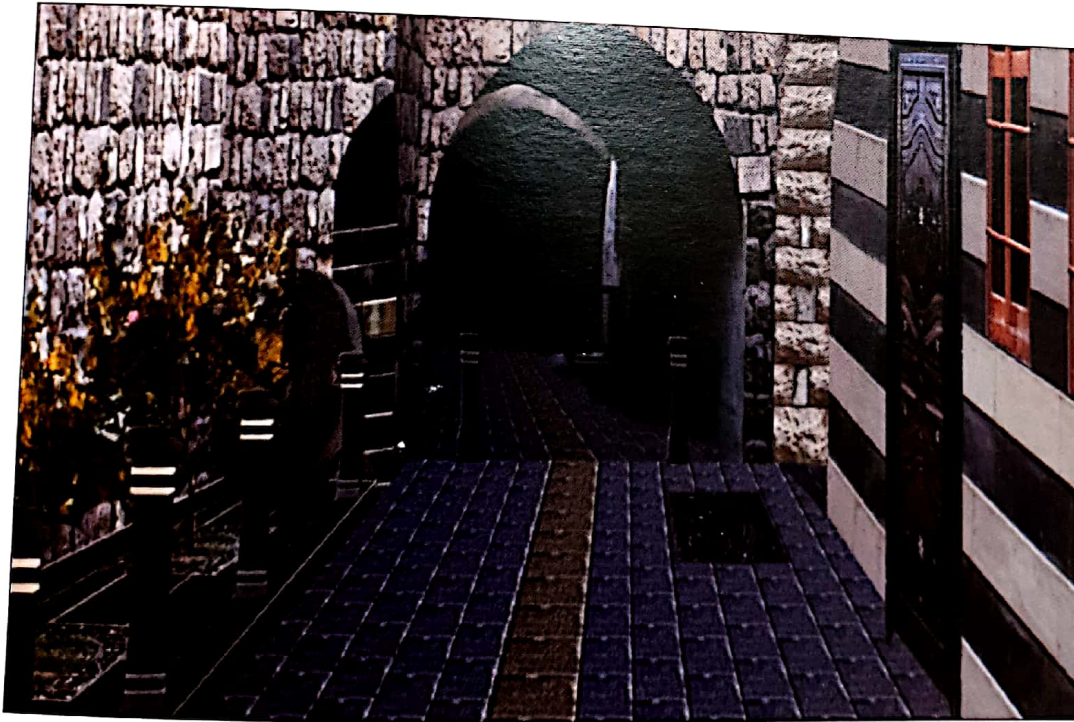
تمت إعادة تأهيلها وتجميلها، فوضعت حجارة الأبلق البيضاء والسوداء على الواجهات السفلية، التي تعلوها كوابيل منفذة بطريقة جميلة، وطلبت العلوية بالطينة، ووضع أعلاها درابزين معدني، وكسيت النوافذ بالخشب. أما الأرضية فرصفت بالحجارة البازلتية السوداء، وتم وضع النباتات الخضراء على رصيف المشاة.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي



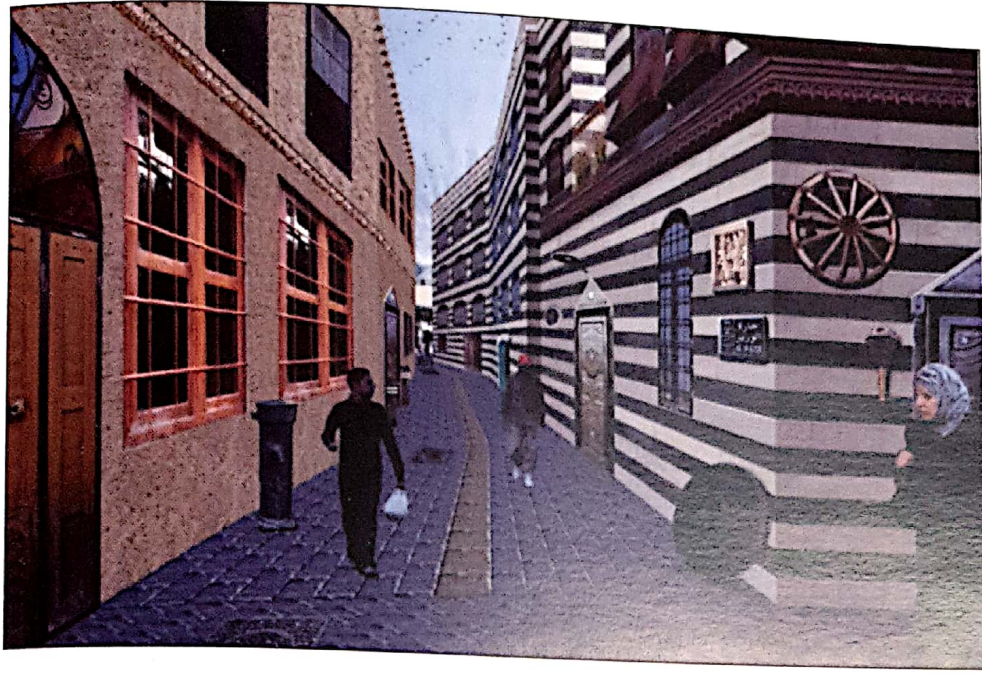
منظر مقرب للحارة بعد الترميم الافتراضي

اللوحة التاسعة عشرة : حارة في حي ساروجة

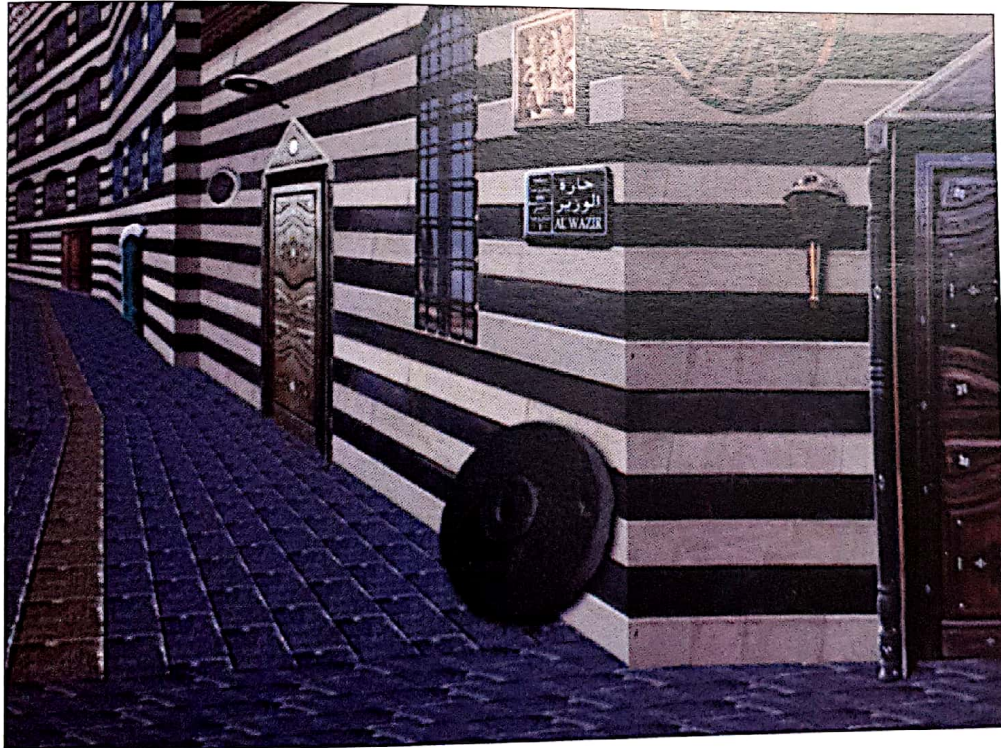
تم تجميلها وتأهيلها، فوضعت حجارة الأبلق البيضاء والسوداء على الواجهة كاملة، أما مقابلها فتم طلاء الواجهة الأخرى بالطينة، ووضع الخشب كمشربيات للنوافذ، وشبك معدني للحماية. وقد رصفت الأرضية بالحجر البازلتي الأسود.



قبل الترميم الافتراضي



الحارة بعد الترميم الافتراضي



منظر مقرب للحارة بعد الترميم الافتراضي

اللوحة العشررون : مدخل ساروجة من جسر الثورة، الذي يقابل مركز الوثائق التاريخية (بيت خالد العظم)
تم وضع سواتر خشبية محمولة على كوابيل فوق المحال التجارية، تلاها قمرية معدنية جميلة، أما الواجهة فقد زينت بحجارة
الأبلق البيضاء والسوداء، وتم وضع الشبك المعدني على النوافذ للحماية.



قبل الترميم الافتراضي



بعد الترميم الافتراضي

الباب الخامس

حي سوق ساروجة . . . نتائج عامة ..
وخطوات نحو العلاج والحفاظ عليه

الباب الخامس

حي سوق ساروجة ... نتائج عامة ..

وخطوات نحو العلاج والحفاظ عليه

مقدمة :

تعد المعالم المعمارية إفرازاً طبيعياً للتفاعلات الحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومظهراً من مظاهر التطور الإنساني، فالبينة العمرانية تتأثر باحتياجات كل مرحلة من المراحل، وتتغير تبعاً لتغيراتها. وإن دراسة التطور العمراني والمعماري، قد ساعد المجتمع على التعرف على أساليب حياة مختلفة، كانت مجهولة بالنسبة لنا، فمن خلالها نفهم تطور بيئة الإنسان عبر التاريخ، لتحل المدن والمناطق الحضرية، محل المناطق البدوية الريفية، حيث انتشرت الخدمات المركزية والنظم الإدارية والصحية. كما لا بد من الإشارة إلى تأثير الإنسان على التراث العمراني، فالعمران مرآتنا لدراسة تاريخ التطور العمراني والمعماري، بعد أن أصبح الحفاظ على التراث العمراني مسؤولية تاريخية إنسانية، تسهم في البقاء على معالم الماضي، لكي يراها أبناء المستقبل، ذلك أن وعي الإنسان، واهتمامه بتاريخه وماضيه ينعكس على ثقافته التراثية ومحافظة على الهوية الاجتماعية، وإن عدم وجود قوانين وخبراء في المحافظة على التراث العمراني، أدى إلى إهمال الكثير من المشيدات التاريخية، وإزالة العديد من المدن القديمة بتراتها وارتباطها بالأرض والعوامل الاجتماعية، واستبدالها بمدن لا تمت بصلة إلى تاريخ المنطقة وتراثها.

وفي هذه الكتاب، قدمت دراسة أثرية معمقة لتاريخ تطور حي ساروجة عمرانياً ومعماريًا، ومشكلاته المعاصرة التي يواجهها من خطر الإهمال والاندثار، إذا ما لم تتخذ محافظة دمشق إجراءات جديّة، لإنقاذه من المخاطر المحيطة به. ومن خلال دراسة موضوع الكتاب ... تم التوصل إلى النتائج التالية:

النتيجة الأولى:

وقد سلطنا الضوء في الكتاب على مراحل التطور التاريخية لحي ساروجة، فهو المنطقة الأولى في دمشق التي بنيت شمالي المدينة، أي خارج الأسوار، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، حول محور مواز لنهر بردى وللأسوار، إضافة إلى حدوده التاريخية والحديثة. وقد استندنا إلى المصادر الموثقة والأبنية الأثرية القائمة، لتقدير نشأة هذا الحي وتطوره، حيث أعدناه إلى الفترة الأيوبية.

وتمكننا من خلال تسليط الضوء على حي ساروجة ومراحل تطوره التاريخية، أن نثبت أنه المنطقة الأولى في دمشق التي بنيت شمالي المدينة، أي خارج الأسوار، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، حول محور مواز لنهر بردى وللصور، إضافة إلى حدوده التاريخية والحديثة.

ورأينا أن هذا الحي كان محاطاً بالعديد من المنشآت والأسواق، والذي عكس لنا نموها فكرة النشوء المتأثرة بأهمية المحور الاقتصادي. وهذه المنشآت والأسواق كانت عاملاً في توسع العمران والنشاط المعماري، كما وضعنا الأسس لظهور حي، سيكون له شأن كبير في العهدين المملوكي والعثماني.

وقد أبرزنا أن هذه المنطقة ازدهرت بإنشاء المدرسة الشامية إلى جانب عدة عيون للمياه، وكانت هذه المرحلة نقطة البداية في تشكل هذا الحي. واستنتجنا من خلال دراسة مراحل تطور حي سوق ساروجة التاريخية والعمرانية بترتيب زمني، أن سوق ساروجة عند خروج السلاجقة كان أحد الأرباض المتاخمة للمدينة، ولم يكن بها عمران يذكر إلا من بعض المنشآت الصغيرة.

أما في العهد الأيوبي، فقد تطورت أهمية حي ساروجة مع بناء المدرسة الشامية البرانية، لأن عمارتها كانت نقطة تحول في هذه المنطقة.

وتأثرت الحركة العلمية بدمشق بعد ذلك، وظهرت المدرسة كجزء من صف من المباني بمنطقة، كانت تسمى بأرض الحكام، تعرف بالشرف الأعلى، عمرت في بدايتها كثيرة لعلية القوم في عهد السلاجقة وضة الشرف الأعلى، وكانت تشكل شريطاً من المباني، يطل على وادي بردى من الشمال.

وقد أظهرت الدراسة أن حركة العمران نشطت في الدولة المملوكية، خاصة بعد القضاء على الصليبيين الغزاة، فازدهرت أهمية سوق ساروجة في هذه المنطقة مع نشوء حي تحت القلعة على امتداد الضلع الشمالي لها، حيث سكنه العسكر الذين أوكلت لهم مهمة حماية المدينة. فأصبحت المنطقة خاصة بسكن الضباط والجنود المماليك.

وشاهدنا كيف قامت مجتمعات مدنية في هذه المنطقة، بدليل وجود مسجد القرمشي ومسجد الورد وتربة بلبان، حيث كونوا بذلك مجموعات معمارية تقدم لحي ساروجة شواهد على أعمال التنظيم العمراني والكثافة السكانية التي كانت قائمة في تلك الفترة، والتي مازالت محتفظة بخصوصيتها حتى يومنا هذا.

كما أوضحنا استمرار التطور العمراني لحي ساروجة في العهد العثماني، والذي شهد تطوراً جديداً، خاصة بعد أن قطنه العديد من كبار موظفي الدولة العثمانية وذواتهم من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، حيث كان معظم سكانه من الأتراك المسلمين تحديداً، وما تزال أسماء الكنى الباقية تدل على ذلك. وقد ازداد في تلك الفترة عدد المساكن

الفخمة والفارحة، التي كان يملكها عدد من الأعيان، وصار حي ساروجة مركزاً تقطنه فئة معينة من جند الدولة العثمانية وهي (الانكشارية).

ولاحظنا كيفية حفاظ حي سوق ساروجة على مكانته كحي راق حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية في مطلع القرن العشرين، حيث بدأ بالانتساع شمالاً نحو عين الكرش وبساتين الصالحية، واستمر بالركي والانتساع حتى لقب بـ(أسطنبول الصغيرة) نسبة إلى الطبقات الأرستقراطية العثمانية التي كانت تقطنه، حيث كانت أسطنبول في ذلك الوقت عاصمة الشرق.

وقد سلطنا الضوء على العناصر العمرانية وصفات الأحياء في المدينة الإسلامية قديماً، ومعايير تخطيطها آنذاك، حيث نجد أنها كانت مشابهة لحال حي ساروجة، مثل تكتل المباني وتلاصقها والخلخلة في النسيج العام، فيما يتعلق بالأفنية الداخلية المفتوحة والساحات العامة، إضافة إلى تشعب مسارات الشوارع والدروب والطرق في خطوط ملتوية، وتشعب شجيرات من المسالك المقفولة، لتوفير الحماية الأمنية داخل الأحياء.

كما قمنا برسم خرائط لكل فترة زمنية على حدة، ووضعنا مفتاحاً للخرائط، يوضح تلك المراحل بشكل منفصل. إضافة إلى خريطة توضح استعمالات الأراضي في ساروجة. كما أضفنا إلى الكتاب خريطة توضح حركة السير والمشاة.

ثم قمنا بالحصول على تنقيبات السوق العتيق، الذي هدم لأنه من المهم القيام بتسجيل تقارير التنقيبات بهذا السوق كدراسة توثيقية هامة إلى جانب الدراسة التاريخية والميدانية للحي، والتي تعد أهم أجزاء الدراسات الأثرية، لما لها من أهمية كدراسة ميدانية وتاريخية. ووصفنا حفريات السوق العتيق بساروجة بالعملية المتسعة وأرجعناها إلى سوء التخطيط في عملية المسح الأثري، التي لم تتم بمنهجية تمكن من الوصول إلى البقعة الأسلم للقيام بعملية التنقيب، ولذلك اتسمت التنقيبات في السوق العتيق بقلة اللقى.

وانقلنا إلى الحديث عن النسيج العمراني، وواقع منطقة سوق ساروجة، وما صاحبها من تطورات من حيث مخطط إيكوشار المهندس الفرنسي عام ١٩٣٤م، فقد كان هدف هذا المخطط للإدارة الحضرية، تقسيم التركيبة الوظيفية للمدينة حين اعتمد عام ١٩٦٠م، وأكمل عام ١٩٩٤م، وكان السبب في اعتبار منطقة ساروجة منطقة تجارية لتصنيفها من المحافظة سابقاً، وعدم اعتبارها من الأحياء ذات الصفة الأثرية أو التراثية.

النتيجة الثانية:

أوضحت الدراسة خصائص العمارة والنسيج العمراني بحي ساروجة بترتيب تاريخي زمني، لإظهار أقدم المباني المتواجدة بالحي لمعرفة اختلاف الطراز المعماري لكل مرحلة أولاً، ولفهم مراحل التطور للمنطقة من خلال نسبة تعداد المباني الأثرية في كل مرحلة ثانياً، وذلك

لتقديم فكرة عن مستوى النمو العمراني للحي بكل مرحلة. فكان جزء من الدراسة عبارة عن دراسة تاريخية ووصف معماري للآثار الإسلامية الباقية.

كما أبرز هذا الكتاب دراسة دقيقة وشاملة للآثار، تتضمن وصفاً وشرحاً لكل مرحلة تاريخية بساروجة، وخصائص العمارة والنسيج العمراني لمباني لساروجة من مساجد وخانات وأربطة وأسبله ومدارس وحمامات وأسواق. ولم يستثن بها حتى الأبنية المندثرة. وقد رتبت دراسة المباني في كل فترة زمنية على حده، بدءاً من الفترة الأيوبية، فالمملوكية، ثم العثمانية.

وقدم الكتاب خرائط لمبان وأسواق مثل مسجد بندق. وقمنا بإثبات أنه يرجع للفترة العثمانية وحصلنا على صور للترميمات التي أجريت عليه مؤخراً. كما أضفنا إلى الكتاب صوراً ومساقط لم يسبق لأحد أن أتى على ذكرها، إضافة إلى الخرائط الجديدة. حيث أضفت هذه الصور والخرائط على الكتاب قوة ومصداقية.

كما قدمنا في هذا الكتاب خرائط تظهر الحالة الفيزيولوجية للمباني المتهاكلة، وقمنا بوضع خريطة توضح موقع سبل الماء في الحي، ومواقع كل من الأضرحة والمدارس والمعالم الدينية والحمامات كل على حده، بخرائط منفصلة قمنا برسمها وتدقيقها لأن بعض ما جاء من خرائط كان يحوي أخطاء.

هذا وبين الكتاب النسيج العمراني للحي الذي تمثل بالحارات والأزقة المهمة التي كانت وما زالت موجودة في هذا الحي العريق. وأعين الماء والطوالع التي كانت تمتد الحي بالماء. وتكلمنا بشكل مفصل عن المسكن الدمشقي وكيفية وصول الماء إليه، ونظام الري بالقراريط والحركة المائية، إضافة إلى البنية الإنشائية للبيت الدمشقي بالنسبة للجدران وطريقة تدشينها. وقمنا بوضع خريطة توضح شكل ذلك النسيج بشكل مفصل.

وأوضحنا بالشرح المفصل تفاصيل بعض عقارات سوق ساروجة ككل، وبشكل خاص بعض من العمائر السكنية المهمة كبيت العابد، بيت رئيس الجمهورية العربية السورية الأول، حيث امتد هذا المنزل على مساحة ١٧٦٨,٠٤ متر مربع، وتألف من ثلاث فتحات سماوية برانية وداخلية، وحديقة خلفية، إضافة إلى ٨٠ فراغاً، وزعت بين القاعات والغرف والإيوان وخدمات المنزل، وإلى نحو عشرة سلالم تصل الطابق الأول مع الأرضي، وفراغين في الطابق الثاني وقبو وسلم للسطح. ولهذا البيت قيم معمارية وفنية وتاريخية مهمة، فهو من التحف المعمارية النادرة والمهمة في دمشق، وهو الأهم في النسيج العمراني الواقع ضمنه، فهو الآن يعاني من إهمال وسوء في الوضع الراهن، وكان سابقاً قد تعرض للحريق مرتين. إضافة إلى بيت خالد العظم رئيس وزراء سورية الأول (البيت الشامي)، الذي يشغل وظيفة متحف دمشق التاريخي، ٢٣١٣٦م، وهو مبني بوساطة الحجر واللبن والخشب. له مدخلان شمالي وجنوبي، ويتألف من ثلاثة أقسام وحديقة خلفية:

القسم الخارجي: وفيه مدخل البيت الجنوبي، كما تتوسطه باحة سماوية تحتوي على مصب.
القسم الأوسط: ويحتوي على باحة سماوية، ورواق، وقاعة رئيسة، وغرف.

القسم الداخلي: ويضم باحة سماوية أيضاً، وقاعة رئيسة لها ثلاثة طرزات، وفسقية، وإيوان جنوبي.

أما بيت الخطاب الذي يقع في حارة القولي، ويحتوي على باب خوخة، فهو يقسم إلى قسمين: الأول كبير لدخول الدواب، والثاني لسكان المنزل، ويقابله درج يؤدي إلى الطابق الأول. وفي نهاية الدهليز يقع الفناء الداخلي، حيث تحيط به القاعات. وفي الجهة الجنوبية يقع الإيوان والقاعتان اللصيقتان به، وقد احتوى هذا المنزل على ثلاث واجهات رئيسة وهي الواجهة الشمالية المبنية من الحجر الأبلق الجميل والواجهة الشرقية، وتحتوي على الدرج المؤدي إلى الطابق الأول الذي يضم غرف النوم. أما الواجهة الغربية فقد احتوت على ثلاثة أبواب خشبية، تنتهي بأقواس مزخرفة، وسبع نوافذ مستطيلة، ذات أبعاد متقاربة نسبياً. تطل على الفناء الداخلي.

وهناك بيت سبج الذي يقع في زقاق القولي. والذي يتم الدخول إليه عبر مدخل مربع الشكل. وفي مواجهة الداخل، هناك باب لإسطبل صغير. من ثم نصل إلى الباحة السماوية حيث يحتوي الفناء الداخلي على خمس غرف محيطة، ذات منسوين، تطل على الساحة عبر النوافذ ذات الشكل المستطيل، والتي يليها في أحد الأركان الجانبية منشآت الخدم من مطبخ وحمام. أما في الجهة الشرقية من الباحة فتقسم إلى قسمين خدميين على جانب القاعة الكبرى، التي يحدها من الشمال الحمام، وهذا الشيء يميز بيت سبج عن غيره، لأن الاستحمام كان يتم في حمامات جماعية في (حمام السوق)، ولهذا الحمام نافذة وباب، يطلان على الباحة الأم. وإلى جانبه في الجدار الجنوبي موقد كان يستعمل لتسخين ماء الحمام. وفي شماله الغرفة الساخنة حيث يتم الاستحمام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحمام السكني لم يكن يتميز بأقسامه الثلاثة كما هو الحال في حمام السوق أو في حمامات بعض العصور، كتصر العظم، وإنما الاكتفاء بقسمين وهما قسم التسخين والموقد وقسم الاستحمام، وذلك بسبب ضيق المساحة والحيز الفراغي في السكن. يلي الحمام غرفة الإسطبل المطلة على الباحة بنافاذة تحت الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني.

أما الطابق الثاني؛ فيحتوي على أربع غرف موزعة بشكل مستطيل، ويحتوي على غرف النوم، وعددها ثلاث، وهي تمتاز بنوافذها المطلة على الباحة السماوية، إضافة إلى الدرج الصغير المؤدي إلى السطح.

وهنا نستطيع أن نستنتج أن هذه المساكن كانت أمثلة رائعة عن البيت الدمشقي في القرن الثامن عشر، وهي من أنواع البقايا التراثية وأجملها بحي ساروجة، فقد حفظت لنا نماذج فنية من عصور قديمة مزدهرة.

النتيجة الثالثة:

ذكرنا في هذا الكتاب واستناداً إلى الدراسات الحديثة في تكون المدن، أن حي ساروجة كان حياً متكاملًا منذ الفترة الأيوبية وليس المملوكية، كما يذكرها الباحثون سابقاً، الذين استندوا على تسميته بصاروجا، نسبة للأمير المملوكي صارم الدين صاروجة، دون دراسة فعلية لنشأة الحي.

كما أوضحنا من خلال الدراسة العلمية في نظريات تكون المدن البداية الفعلية لنشوء حي ساروجة. التي من خلالها تم التوصل إلى الوقت الذي شهد ولادة حي ساروجة من خلال نظرية الإحياء. وربطنا أيضاً نمو مدينة دمشق وتوسعها بنظرية القطاعات، وذلك من خلال فهم التشكل والتغيرات والتوسعات التي طرأت عبر العصور المختلفة. وتم من خلال هذه النظريات الاستناد بأن حي ساروجة أصبح حياً في طور المرحلة الأولى من مراحل تكون الأحياء الثلاثة التي تتضمنها النظرية المركزية في وقت الأيوبيين.

وكشفنا من خلال الدراسة العلمية لنظريات تكون المدن والأحياء وعوامل تطور حي ساروجة تاريخياً، وتطورها وتركيبها وربطها بتطور حي ساروجة، من خلال دراسة تحليلية علمية للتوصل إلى النقطة، التي يمكننا من خلالها النظر إلى ساروجة كحي، وليس من الأرياض خارج المدينة. وكان ذلك بشرح أهمية الإحياء وفهمه، كنواة أولية في العمران والتملك في بداية تكون المدن والأحياء تاريخياً.

وتطرقنا لأهم النظريات التي تناولت نمو المدن من حيث امتداد العمران أو أنماط استخدام الأراضي، وهي ثلاث:

١- نظرية النمو المركزي: Concentric Zonal

٢- نظرية القطاعات: Sectors Theory

٣- نظرية النويات المتعددة: Multiple Nuclei

ثم قمنا بوضع رسومات بيانية توضح هذه النظريات وارتباطها بحي سوق ساروجة بشكل كبير.

وقد أظهرت الدراسة نظرية تطور حي ساروجة بطريقة علمية، كما أثبتت تواجد الأبنية في حي ساروجة قبل المماليك بكثير. وإن افتراض ارتباط تكون الحي في العهد المملوكي بكثافة البناء، إنما هو افتراض يستند على أساس غير علمي.

وبالرجوع إلى النظريات والفرضيات العلمية في تكون الأحياء والمدن، يُعد تأسيس الأحياء وتكونها، ولو كان تلقائياً بيزوغ أولى الحركات العمرانية التي تسبب بنشاط المنطقة (عامل الإحياء).

وإن ما أتى من بعد بناء المدرسة الشامية من أبنية وعمارة وتعمير، يُعد تسلسلاً طبيعياً لتطور أي حي، ويمكننا القول: إن المرحلة المملوكية ما هي إلا مرحلة ثالثة في تطور الحي لتكامل كل العوامل المؤسسة لأي حي.

وأوضحنا العوامل التي أسهمت في تطور حي ساروجة تاريخياً. ومن هذه العوامل: العاملان الاجتماعي والثقافي، والعامل الاقتصادي، والعامل السياسي، التي من خلالها نتعرف على أهمية الحي تاريخياً وأثرياً، وهو جزء لا يتجزأ من مدينة دمشق ذات التاريخ العريق.

كما استنتجنا عند محاولة دراسة سكان ساروجة من الأتراك ومدى توزعهم وكثافتهم بالحي، إضافة إلى دراسة أحياء أسطنبول القديمة وتركيبها، نوعاً من التشابه بين مدينة أسطنبول وحي سوق ساروجة، وأهم أسباب تسميته بهذا الاسم.

وأظهرنا كيف عدت دمشق ولاية من الصنف الأول بالنسبة للسلطنة العثمانية، مما انعكس إيجاباً على حي سوق ساروجة، الذي سكنه عدد كبير من موظفي الدولة العثمانية والأغوات. وتزايد عدد المنازل الفخمة والراقية التي ملكها عدد من الأعيان، وأصبح حي سوق ساروجة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، مركزاً لسكن فئة معينة من العائلات الكبيرة والغنية والأقليات، لا سيما الحاكمة منها أو القريبة من الحكام، كما شهدت تلك الفترة هجرة العديد من العائلات من أحياء مختلفة من دمشق لتسكن فيه، فتميز هذا الحي بجمال مبانيه ذات الطراز العثماني.

وتوصلنا إلى أن تسمية الحي بـ (أسطنبول الصغرى) لم تطلق عليه نسبة للكثافة السكانية للأتراك فحسب، إنما للشبه العمراني أيضاً، فقد أصبح حي سوق ساروجة مشابهاً إلى درجة كبيرة لأحياء أسطنبول آنذاك، فشعر السكان الأتراك بأنهم في موطنهم لوجود أبناء جنسهم، ولتشابه الروح العمرانية في حي سوق ساروجة مع الأحياء في وطنهم الأم، فأطلقوا عليها أسطنبول الصغرى، فقد كانت ساروجة بالنسبة لهم جزءاً مقتطعاً من مدينة أسطنبول.

كما أظهرنا في نهاية الدراسة التحليلية لتطور ساروجة، أنه قد اعترى هذا الحي الكثير من الإهمال منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وعلى مر الأعوام هُدم قرابة ثلث الحي، وأصبح عرضة لتآكل منظّم من قبل أبنية الإسمنت المسلح. وبذلك ظهرت عقارات حديثة على بقايا بعض بيوته الأثرية القديمة، وتم اقتطاع أجزاء وشريحة مهمة منه لتوسيع الشوارع العامة وإقامة المباني الرسمية. وكانت هناك محاولات قليلة للحفاظ على هذا الحي والدفاع عنه، منها ما قامت به كلية العمارة في جامعة دمشق بتكليف من المحافظة بدراسة سوق ساروجة، واقتراح الحلول لحمايته. وقد قدمت الكلية دراسة ومجسماً اعتمدته لجنة التوثيق التي كلفت من قبل وزارة الثقافة. وكانت هناك محاولة أخرى عندما نظمت ندوة تحدث فيها محافظ دمشق ووزير السياحة وممثل اليونسكو احتفاء بحماية الحي، ولكنها لم تكن محاولات جادة وفعالية في المحافظة على هذا الحي الأثري، ومحاولة تطبيق مفهوم إدارة المواقع الأثرية عليه، فمهمة إدارة المواقع الحفاظ على المناطق الأثرية من جملة مخاطر

طبيعية وبشرية تهددها، أهمها التلوث، وارتفاع درجة حرارة الأرض، والرطوبة، والمياه الجوفية، إضافة إلى الضغط السكاني، ومشروعات التنمية، والسياحة.

وبالنتيجة فإن حي ساروجة قد بدأ في عهد السلاجقة، ونما في أيام الأيوبيين، وازدهر في فترة المماليك والعثمانيين، فكان مثلاً رائعاً للأحياء الإسلامية في تكونها وازدهارها. فالأحياء القديمة هي أولاً وقبل كل شيء ميراث مباشر لعصور متعددة، أثرت بعمق في البيئة العمرانية في تاريخ سائر أحياء مدينة دمشق.

النتيجة الرابعة:

لقد أوضحنا في هذا الكتاب أهمية المحافظة على الآثار، ذلك العالم الذي يعيش بيننا، دون أن نشعر به، فهو ذلك الماضي المتجسد بين أيدينا الآن، دون أن ندرك أهمية دوره، وأهمية هذا التراث الإنساني العالمي، حيث تتبع أهميته في أنه تراث إنساني، ذو قيمة علمية وتاريخية، كما أنه ذو قيمة تراثية، لاتقدر بالمال، لذا كان لابد من صيانتته والحفاظ عليه للأجيال القادمة وتوثيقه. كما أنه يدخل في البرامج السياحية للبلدان كمزار للعديد من محبي هذا العلم شديد التعقيد والأهمية في آن واحد. فكل منطقة لها مزيج ثقافي معين، يتميز عن غيره من المناطق والثقافات، وهو الذي يميز الشعوب التي تقطن به، وهو يضيف إليها بعداً ثقافياً متميزاً باندماجه مع العادات والتقاليد. من هنا ظهرت أهمية الحفاظ عليه وصيانتته، بما يمكن أن يسهم بشكل كبير في حماية البيئة، وثقافتها وتنوعها والتفاعلات بين الناس والبيئة.

وقد بينا أهمية توثيق المواقع الأثرية لما له من ضرورة في الحفاظ على المواقع. وتعد الخرائط من أهم الجوانب التي يمكن أن تسهم في توثيق هذه المواقع جغرافياً، غير أن قواعد البيانات الجغرافية، تعني أكثر من تمثيل خرائطي فقط، فهي قواعد بيانات لكل ما يمكن أن تشمله هذه المواقع من معلومات وبيانات، منها ما يتصل بمواقع جغرافية (إحداثيات) محددة، ومنها ما يأخذ أشكالاً مختلفة، كالجداول والصور والأفلام، والوثائق الخطية والخرائطية. ولا شك أن تقنية نظم المعلومات الجغرافية تتميز بالقدرة الفعالة في توثيق هذه المواقع، كمخزن رقمي، إضافة إلى القدرات التحليلية المتميزة لهذه البيانات، التي تقدمها هذه النظم.

كما استعرضنا إدارة المواقع الأثرية وتطويرها، وتطبيقها على المواقع السياحية، حيث اتجهت عدد من الدول العربية والعالمية في السنوات الأخيرة إلى إعادة تأهيل المناطق القديمة والتاريخية لديها، سواء أكانت على نطاق واسع كالأحياء أم على مساحات أصغر كالحارات والأسواق التقليدية. فالمواقع الأثرية والتراثية لا يمكن أن تولد من جديد، فهي ذات أهمية تاريخية، لمانحتوية من معالم حضارة تاريخية وثقافية لكل بلد، لذا وجب تأهيلها وحمايتها من العوامل التي تؤدي إلى تخريبها والإفادة منها تراثياً وثقافياً، والأهم من ذلك سياحياً. فوجود الأماكن التراثية بأي بلد هي المخزون النفسي لدى الجماهير والطاقة الحيوية

الوجدانية للأمة. وإن التراث في النهاية هو عبارة عن مجموعة من الحلول التي توصلت إليها الأجيال السابقة لحل بعض مشكلاتها، فهو يقوي الحس الوطني والقومي، ليصبح هوية المكان. ولقد أصبحت فلسفة إدارة المواقع الأثرية تطبق في الكثير من المواقع القديمة في العالم، كما تطبق كذلك في بعض المدن والمواقع التي يرجع تاريخها إلى بضع مئات من السنين، فالعناصر التراثية في الثقافة تشكل مركز الثقل في أية ثقافة اجتماعية أو هوية ثقافية. وما الهوية سوى تعبير ثقافي، يجسد أعمق مكنونات الحياة الثقافية والاجتماعية... إنها حالة من التشبعات الثقافية التراثية في جوهرها، والتي يعرف بها مجتمع من المجتمعات، ويتميز عن غيره. فالعادات والتقاليد والفولكلور والأزياء وغيرها هي تعبير عن هوية المجتمع الثقافية. وما نريد قوله هنا: إن التراث والتراث الشعبي تحديداً يشكل أعمق مكنونات الهوية، وأكثر عناصرها دلالة وأهمية، وإن لم يكن منذ ملايين السنين.

كما أشرنا إلى تجربتين تكللتا بنجاح كبير، لأن من المبادئ الأساسية وعناصر إدارة المواقع الأثرية الأخذ بالتجارب السابقة ومحاولة تطويرها والتعلم من السلبي وتطبيق الإيجابي منها في المواقع الأثرية، حتى يقل هامش الأخطاء... أولها تجربة سوق واقف في دولة قطر، والثانية تجربة باب توما في دمشق، محاولة للفت الانتباه بأن ترميم المناطق الأثرية والتراثية أمر ضروري من كافة النواحي الثقافية والاقتصادية والسياحية. وفوق كل ذلك يأتي الإحساس الوطني بأننا قد حافظنا على إرث حضاري لا يعوض بثمن.

وطرحنا بعد ذلك تجربة افتراضية لتأهيل حي سوق ساروجة وترميمه وتطبيق علم إدارة المواقع الأثرية للحفاظ على التراث. هذه الدراسة التخيلية جديدة، وأقول هذا بسبب اطلاعي على الدراسات السابقة التي قام بها طلاب من كلية العمارة، فقد كانت بعيدة كل البعد عن المحافظة على التراث. ومثال ذلك دراسة تمت لبيت العابد، فقد قام طالب بقص شريحة أثرية كاملة من الحي، وإعادة بنائها بطرق حديثة تماماً، وبناء مجمع تجاري حديث. وهذا تخريب لتراث ثقافي وضد مبادئ المحافظة على التراث القومي والثقافي، والتي من أجلها تأسس علم حديث، وأقصد هنا إدارة المواقع الأثرية.

قامت هذه التجربة على عدة طرق وأساليب، منها الدراسات الميدانية من مسح أثري وبيانات وعينات أثرية، والخرائط المتعددة كخرائط الظواهر والتوزيعات والكثافة النقطية، وقد أسهمت البيانات الإحصائية بإعطائنا فكرة عن أدنى الاحتياجات المطلوبة لرفع مستوى هذا الحي، ومستوى الحركة السياحية المتواجدة حالياً. وتم استخدام أدوات مختلفة في التقييم، أهمها استخدام الكاميرا الرقمية، وأدوات القياس الهندسية، والماسح الضوئي في إدخال البيانات والمعلومات الوصفية لبناء قاعدة معلومات، تفيدنا في هذه الدراسة الافتراضية. ومن ثم تم اختيار المواد الترميمية بواقعية ودقة حيث طرحت أفضل المواد للترميم، والتي من الممكن تطبيقها من حيث توافرها محلياً وجدواها اقتصادياً من غير تكاليف الشحن أو النقل، فإذا تواجد الدعم المادي كان بالإمكان تطبيقها من خلال هذه الدراسة. وتم في المرحلة الأخيرة إدخال الصور في برنامج الفوتوشوب، وإبراز الحالة الجديدة المفترضة.

الخاتمة

إن حي ساروجة وعلى الرغم من إهماله، فإنه يكتسي طابعاً سياحياً، حيث انقلبت معظم بيوته إلى فنادق ومقاه ومطاعم شعبية ومحلات تجارية، وإضافة إلى ذلك فإن بعض زائري ساروجة لا يقصدون بزيارتهم المكان التعرف على جمالياته، وإنما تمضية بضع ساعات في مقاهيه، آملين من وراء ذلك الحصول على التسلية والترفيه دون أي اكتراثٍ منهم لمعالمه الثقافية والتاريخية. ومن هنا رأينا أن يحظى ساروجة بقليل من الصيانة والتجميل، ليكون منطقة سياحية متفردة ومتميزة، وإضافة رائعة للمعالم السياحية والأثرية بمدينة الياسمين.

وبدل أن ندع الندم والتحسر يلاحقنا كما حصل بعد مخطط إيكوشار، فيمكننا ببعض الخطوات البسيطة غير المبالغة أن نسهم في المحافظة على هذا الحي، فإن أي تحسن، ولو كان صغيراً، يمكن أن يكون علاجاً لهذا الحي السقيم.

لقد خرجت من حي ساروجة أجيال كان لها شأن عظيم في تاريخ دمشق، أمثال هولوباشا العابد، ثم عزت باشا العابد مقترح الخط الحديدي الحجازي على السلطان عبد الحميد، وعبد الرحمن باشا اليوسف أمير الحج، والقلطقي وزير الحرية في الدولة العربية قبل يوسف العظمة وأحد قواد ميسلون، وتوفيق طارقي معماري وفلكي وفنان مصور من أوائل رواد الفن التشكيلي في سورية في فترة الاستقلال، وخالد العظم السياسي السوري المعروف، ومصطفى سويد (أبودرويش) أحد الظرفاء المعروفين في تاريخ دمشق، الذين عاصروا الزعيم الوطني المعروف فخري البارودي. إضافة إلى عدد من المثقفين والسياسيين المعروفين في ذلك الوقت.

إن دمشق أقدم مدن العالم وأجملها، ولا يمكن أن تضاهيها أية مدينة في العالم. وعندما نتطلع إلى أحياء دمشق خارج السور من سوق ساروجة والصالحية والميدان والعقبة والعمارة، نلاحظ أن كل حي امتاز عن الآخر داخل وحدة طراز المدينة العربية، فنرى فيها آثاراً تاريخية خالدة وبيوتاً جميلة وقبباً ضريحية، تشهد على تاريخ هذه الأحياء.

هكذا تمتزج الأحداث التاريخية بالأمكنة والآثار المعمارية، والتي لا يمكننا كشف عراقة دمشق وأحيائها من زيارة واحدة وإن ذلك ما يميز دمشق الحية حيث يظهر الإبداع في العمارة العربية ... هوية دمشق بكل ما تحمله من روعة وجمال.

المصادر

المراجع العربية :

١. محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجبائي أبو عبد الله: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، تحقيق د. محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م
٢. المناوي، محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٩م
٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م
٤. ابن زفر الأربلي: مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماتها، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ١٩٨٢م
٥. ابن السباهي: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، دار اليمامة، الرياض ١٩٨٣م
٦. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، دمشق، ٢٠٠٢
٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٦، تحقيق محمود أرناؤوط، دمشق-بيروت، ١٩٩١م
٨. ابن الفقيه: كتاب البلدان، دار صادر، بيروت ١٨٨٥م
٩. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ط ١، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٣م
١٠. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٨م
١١. ابن بطوطة ورحلاته: تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر ١٩٨٠م
١٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م
١٣. ابن جبیر: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبیر)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٩م
١٤. ابن جبیر: رحلة ابن جبیر، ج ٦، بيروت ١٩٦٨م
١٥. ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ مدينة دمشق)، حققه ونشره سامي الدهان، دمشق ١٩٦٥م
١٦. ابن طولون: أعلام الوری، المطبعة و الجريدة الرسمية، دمشق ١٩٦٤م
١٧. ابن طولون: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م
١٨. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ج ٢، دار الفكر بيروت، ١٩٩٥م
١٩. ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٥، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ط ١، القاهرة، ١٩٩٧م

٢٠. ابن كنان الصالحى: يوميات شامية، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثمانى، تحقيق أكرم العلبى، دار الطباعة دمشق، ١٩٩٤م
٢١. ابن منظور: لسان العرب، ج١٢ دار المعارف، لا يوجد سنة نشر
٢٢. أبو شامة، ذيل الروضتين دار الأندلس الخضراء، جدة ١٩٩٩م
٢٣. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، دار الجنوب للنشر، تونس ١٩٧٩م
٢٤. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م
٢٥. بدران: عبد القادر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٥م
٢٦. البدرى: نزهة الأنام في محاسن الشام، المطبعة السلفية مصر، ١٩٢٢م
٢٧. الحصنى: منتحبات التواريخ لدمشق، دار البيروتى، ط١، ١٩٧٩م
٢٨. الذهبى: ميزان الاعتدال، ج٣، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٨م
٢٩. الذهبى: سير أعلام النبلاء، بيروت ١٩٨٤م، ج٣
٣٠. الزركلى: الأعلام، قاموس تراجم، ج٣، دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٠م
٣١. السيوطى: تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربى، الوكيل، عبد الرحمن، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو- اليابان ٢٠٠١
٣٢. الشرتونى: ذيل أقرب الموارد ج٣، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٢م
٣٣. شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في روسيا ١٨٥٦م
٣٤. الصفدى: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى، دار إحياء التراث العربى، بيروت ٢٠٠٠م
٣٥. الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطريق والمسالك، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م
٣٦. قساطلى، نعمان: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربى، بيروت ١٩٨٢م
٣٧. القلقشندي: صبح الأعشا في صناعة الإنشا، ج٤، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٩م
٣٨. القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة
٣٩. المسعودى: المروج الذهبية، ج٣، طبعة باريس عام ١٩١٦م
٤٠. المقدسى: أفضل تقسيم لمعرفة الولايات، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق ١٩٨٠م
٤١. المقرئى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامىة، القاهرة ١٩٩٦م
٤٢. المقرئى: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار، ج٢، المعروف بالخطط المقرئىة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن ٢٠٠٢م

٤٣. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ٢، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق ١٩٨٨م
٤٤. ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز الجندي، ط ٣، دار الكتب العلمية، لبنان، لا يوجد سنة نشر
٤٥. يوسف بن عبد الهادي: ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق محمد أسعد طلس، المعهد الفرنسي بدمشق، بيروت ١٩٤٣م
٤٦. المراجع العربية:
٤٧. ماكنزي، نيل: القاهرة الأيوبية، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧م
٤٨. مكتب المساجد والمباني الوقفية الأثرية، مديرية أوقاف دمشق
٤٩. مانيكه، ميخائيل: نتائج المسح الأثريلتلالصالحية، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج ٣٥
٥٠. شفيق و البعلبكي، منير: المصور في التاريخ، ج ٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨م
٥١. الإبيش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦م
٥٢. زاك، دوروتيه: تطور وعمران مدينة مشرقية، ط ١، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى بدمشق، تعريب قاسم طوير، دمشق، ٢٠٠٥م
٥٣. رمضان أحمد، أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان للطباعة والنشر، بدون تاريخ
٥٤. الإبيش، أحمد: دفاتر شامية عتيقة، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق ٢٠١٠م
٥٥. أبوعساف، علي: الآراميون تاريخاً ولغة وفناً، دار أماني، طرطوس ١٩٨٨م
٥٦. كارل واتسنجير وكارل واتسنجير: الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، تعريب قاسم طوير، تعليق د. عبد القادر الريحاوي، دمشق ١٩٨٤م
٥٧. الريحاوي، د. عبد القادر: دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دار البشائر دمشق ط ٢، ١٩٩٦م
٥٨. الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م
٥٩. كيال، منير: صور دمشقية من ذاكرة الإنسان والمكان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١م
٦٠. الحمصي، أحمد فائز: العظماء الذين دفنوا في دمشق أو ما توافيها، الحوليات الأثرية السورية، المجلد الخامس والثلاثون
٦١. كلاس، د. جوزيف: دمشق الفيحاء، إصدارات الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨م
٦٢. سبانو، أحمد غسان: تاريخ دمشق القديم، منشورات دار قتيبة، دمشق ١٩٩٥م
٦٣. سبانو، أحمد غسان: سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨١م
٦٤. الريحاوي، عبد القادر: الحوليات الأثرية السورية: تاريخ دمشق العمراني، مج ١٤
٦٥. البهنسي، د. عفيف: عمران الفيحاء، دار الفكر دمشق، ط ١، ٢٠٠٣م

٦٦. عثمان، فراس علي: بيت العابد، بيت أول رئيس جمهورية، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠١٠م
٦٧. دي جورج، جيرار: دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٧
٦٨. زهدي، بشير: دمشق في عهود اليونان والرومان والبيزنطيين مجلة المعرفة، عدد ٥٣٢
٦٩. زهدي، بشير: تاريخ دمشق العمراني والمعماري، مجلة مهد الحضارات، عدده
٧٠. المنجد، صلاح: خطط دمشق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤٩م،
٧١. الشهابي، د. قتيبة: معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٩م، ٣ أجزاء
٧٢. الفرزدق: تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٣م
٧٣. ديوان الأختل: شرحه مهدي محمد ناصر الدين، ط ٢، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٩٤م
٧٤. الرئيس، د. ضياء الدين: عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية حياته وعصره، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٢٠٠٢م
٧٥. سوفاجيه، جان: دمشق الشام، لمحة عن تاريخ مدينة دمشق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م
٧٦. ذي النون، ميرفت: رسالة تخرج حول المدرسة الشامية البرانية، ١٩٩٢م
٧٧. كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ١٩٨٣م،
٧٨. المهندسان ايف روجون ولوك فيلان: الوضع الراهن للضواحي القديمة في مدينة دمشق، تقرير مدرسة باريس - بلفيل ١٩٩٦م،
٧٩. مرسي مرسي يوسف، محمود: العمائر الدينية والمدنية الباقية في دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي، مج ٢، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الاسلامية، كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م
٨٠. العلمي: مختصر تنبيه الطالب وارشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، تحقيق د. صلاح المنجد، دمشق ١٩٧٤م
٨١. الإبيش، أحمد و الشهابي، د. قتيبة: معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦م
٨٢. كاشف، سيدة اسماعيل: عبد العزيز بن مروان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م
٨٣. الجبر، موفق فوزي: حكام دمشق، الناشر موفق فوزي الجبر ٢٠٠٥م
٨٤. حسن، د. نبيلة: تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة، الإسكندرية ١٩٩٣م
٨٥. الهاشمي، عبد المنعم: الخلافة العباسية، ط ١، دار ابن حازم، بيروت ٢٠٠٣م
٨٦. أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي أصوله وفلسفته مدارس، دار المعارف ١٩٨٤م
٨٧. ماجد، د. عبد المنعم: الخليفة المفترى عليه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م

٨٨. حسن، أسامة: جوهر الصقلي، دار الامل، الاسكندرية، ١٩٩٧م
٨٩. سعيد عبد الفتاح، د. عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م
٩٠. الشهابي د. قتيبة: أسواق دمشق القديمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٦م
٩١. الهاشمي، عبد المنعم: الخلافة العباسية، دار ابن حزم، ٢٠٠٣م
٩٢. سليمان، د. أحمد عبد الكريم: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، بيروت م ١٩٨٥
٩٣. إبراهيم السامرائي: ألفاظ يمنية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثامن والسبعون
٩٤. دهمان، محمد: في رحاب دمشق، دار الفكر دمشق ١٩٨٢م
٩٥. العملة، عبد الجبار: نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز الحسامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا قسم التاريخ، ٢٠٠٠م
٩٦. الواقع السياحي في مدينة دمشق القديمة - ماضيه وحاضره ومستقبله
٩٧. يلماز أزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول ١٩٩٠م
٩٨. المديرية العامة للآثار والمتاحف
٩٩. خير، صفوح: مدينة دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٩م
١٠٠. الشهابي، د. قتيبة: دمشق تاريخ وصور، مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٤م
١٠١. الخليل، محمد قاسم: حكاية بناء التكية السلیمانیة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق ٢٠٠٨ م
١٠٢. الوطن اون لاين، مجلة الكترونية سعودية
١٠٣. العلبي، أكرم: أرشيف المديرية الآثار والمتاحف، ١٩٨٩م
١٠٤. العلبي، أكرم: دمشق عصر المماليك والعثمانيين، ط١، دار صادر بيروت، ١٩٨٢م
١٠٥. العلاف، أحمد حلمي: دمشق في مطلع القرن العشرين، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق ٢٠٠٣م
١٠٦. الإنجيل
١٠٧. المعلم، وليد: تاريخ سورية ١٩١٨-١٩٥٨م، ط١، دمشق ١٩٨٥م
١٠٨. الشهابي، د. قتيبة: مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٨م
١٠٩. أكبر، جميل: عمارة الأرض في الإسلام، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨م
١١٠. مبارك، علي باشا: الخطط التوفيقية، ج ١، مطبعة دار الكتب، مصر ١٩٧١م
١١١. العظمة، عبد العزيز: مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها، ط٢، دار الفكر دمشق، ٢٠٠٢م
١١٢. لطفي، أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر السلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩م

١١٣. سوفاجيه: دمشق الشام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦م

١١٤. دارفيو: وصف دمشق في القرن السابع عشر، ترجمة وتحقيق أحمد الإبيش، دار المأمون للتراث ط١، دمشق ١٩٨٢م

١١٥. حتى، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، مطبعة بيروت الحديثة، ط١، ١٩٨٣م

١١٦. سجل محاكم شرعية دمشق

١١٧. هنداوي، سهام محمد: تاريخ دمشق في عهد السلطان العثماني عبد الحميد، دار رسلان، دمشق ٢٠٠٩م

١١٨. المرادي، محمد خليل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٧م

١١٩. لطفي، فؤاد لطفي: التاريخ العمراني لدمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١م

١٢٠. عاشور، عبد الفتاح: المجتمع الشامي في العصر العثماني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م

١٢١. معجم المعاني

١٢٢. كتاب الاقتصاد العمراني مع التطبيق على المدن العربية، محمد حامد عبد الله، (مقدمة الكتاب)

١٢٣. العمار، د. علي كريم: الأزمة الاقتصادية العالمية وأثرها على تخطيط المدن، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي،

جامعة بغداد، ٢٠٠٩م

١٢٤. محبوب، د. عادل عبد الغني، خروفة، سهام صديق: الاقتصاد الحضري نظرية وسياسة

١٢٥. لوجلي صالح الزوي: علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة قار يونس، ٢٠٠٢م

١٢٦. سامي، عرفان: نظريات العمارة، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٨٧م، مقرر السنة الأولى

١٢٧. المصري، عماد حمدي: التشكيل البصري للفراغات العمرانية، دراسة تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير في التخطيط

العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر

١٢٨. صدقي، محمد: التلوث البصري والتشريع العمراني في مصر، دراسة وتوثيق للعلاقة التبادلية، رسالة ماجستير في

تخطيط المدن، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر ١٩٩٥م

١٢٩. الأوتاني، د. أحمد: دمشق في العصر الأيوبي، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية، التليون للطباعة والنشر،

ط١، دمشق ٢٠٠٧م

١٣٠. لايبيدوس، ايرا مارفين: مدن الشام في العصر المملوكي، ترجمة د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر ط١، دمشق

١٩٨٥م

١٣١. الكواكبي، نزيه: الحياة العمرانية في دمشق في العهد العثماني، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد

الكتاب العرب دمشق، العدد ٥٥ و ٥٦، ١٩٩٤

١٣٢. ندوة نظمها المحافظة عام ٢٠٠٧ م في مدينة دمشق لمثلة اليونسكو ومركز التراث العالمي
١٣٣. عوض، نذير: تقرير عن أعمال الدراسة والتنقيب في منطقة سوق العتيق بدمشق، مديرية المباني والتوثيق الأثري
١٣٤. الرباط، ناصر: مقدمة لدراسة تطور السوق
١٣٥. خوست، ناديا: الهجرة من الجنة، الأهالي للطباعة النشر. ط١، ١٩٨٩
١٣٦. الإبيش، د. أحمد و الحجار، عصام: دمشق الشام قصة ٩٠٠ سنة من الحضارة، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠٨ م
١٣٧. ابن إبراهيم الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، العراق ١٩٨٧ م
١٣٨. كيال، منير: الحمامات الدمشقية، مطابع ابن خلدون، دمشق، ١٩٨٤ م
١٣٩. رجا الحمود، نوفان: العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ م
١٤٠. دغمان، موفق: تقرير عن تطورات سوق ساروجة، محفوظ في دائرة آثار مدينة دمشق بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٣ م
١٤١. دغمان، موفق: الأبنية الطينية في منطقة دمشق الشرقية، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ١٩٩٠ م
١٤٢. إسماعيل، محمد عبد اللطيف: الملاءمة الوظيفية للعمارة التراثية في المدينة العربية، القاهرة ١٩٩٩ م
١٤٣. إسماعيل، كمال خلف: الإطار العام للتشريعات المنظمة للعمارة والمدينة العربية، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الهندسة، جامعة الأزهر القاهرة، ١٩٩٣ م
١٤٤. محفوظ، محمد: معالجة بيت سكاني في ساروجة، مشروع دبلوم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ١٩٨٨
١٤٥. البنسلي، لمى: تحليل وتوظيف شريحة في منطقة ساروجة، مشروع دبلوم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق ١٩٩٧ م
١٤٦. صارم، وفاء: المساجد المملوكية البحرية الدمشقية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ٢٠٠٥ م
١٤٧. عبده قاسم، قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي والاجتماعي، ط١، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٨٨ م.
١٤٨. الريحاوي، عبد القادر: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، دمشق ١٩٩٩ م
١٤٩. انظر محمد أمين، محمد وعلي إبراهيم، ليلي: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠.
١٥٠. بركات، مصطفى: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠ م
١٥١. عمارة، العربي صبري عبد الغني: دراسة مقارنة لطرز العماائر الدينية المملوكية البحرية الباقية بمدينتي دمشق والقاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣ م.

١٥٢. زيادة، عادل محمد: الحمامات الباقية بمدينة دمشق خلال العصرين المملوكي والعثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة،

كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م

١٥٣. ريمون، أندريه: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩١م

١٥٤. أمين، أحمد محمد: العمائر السكنية الباقية في مدينة دمشق في القرن ١٢هـ/ ١٨م دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير

غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م

١٥٥. يوسف، شريف: تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٢م

١٥٦. محمد كبريت، زكريا: البيت الدمشقي، حقوق النشر والطبع والترجمة محفوظة للمؤلف، دمشق، ٢٠٠٠م

١٥٧. دكران سيركو، د.ماري: دمشق فترة عبد الحميد الثاني، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة

المراجع الأجنبية:

1. Weber.Stefan.Damaskus im19 und Fruhen 20. Jahrhantdert. UneversitatBerline. Dissertation. 2001
2. S.Sauvaget: Esquissed'une histoire de la ville de Damas. Revue desetudesIslamiques
3. C.Watzinger and K.Watzinger 1921
4. Wayne T.Pitard. Ancient Damasscus. second pinting.usa 1995
5. Lababedi.Zara. The Urban Development of Damascus: Astudy of its past. presentand future. University of London. faculty of the Built Environment. London 2008
6. Sahas.Daniel j .John of DamascusonIslam.University of Waterloo 1972
7. Cf.Quatremer'e.E. M..”History des sultans mamelouks de l’Egypte”.II
8. Par SociéteLanguedocienne de géographie. Université de Montpellier. Institut de géographie. Centre national de la recherchescientifique (France) Publié par Secrétariat de la SociéteLanguedocienne de géographie. 1881
9. Grunebaum Von. Islam:Essays in the Nature and Grouth of a Culturaltradition.london. Routledge&Kegan Paul Ltd..1961

10. Harris. C., and Ullman. E.. The Nature of Cities. in Mayer and Kohan. eds.. op. cit
11. Everson. J. A., and B. P. Fitz Gerald. Inside the city. longman. london. 1972
12. Graner. B. J. Models of Urban Geography and Settlement Location. in Chorley. R j., and Peter Haggett. eds. Modles in Geography.
13. Ross Burns. Damascus A History. Rourledge. 2005
14. Alsayyad. Nezar. Cities and Caliphs. on the Genesis Arab Muslim Urbanisim. Green wood press. New York .1991
15. Dorthée Sack. Histoireet Development de la villeancienne de Damas

المواقع الإلكترونية:

1. www.world Gazetteer.com
2. www.cbssyr.org
3. www.dgam.gov.sy موقع المديرية العامة للآثار والمتاحف
4. www.discarer Islamic ant .org
5. www.Discover-syria.com
6. www.Esyria.com
7. www.mistoric areas of Estanbul .Unesco. org
8. www.Yasmin – alsham .com عماد الأرمشي، بحث بعنوان: الجوامع العثمانية
9. Alwaei.comwww.
10. www.ansab-alarab.org/vb
11. www.syriatourism.org
12. www.al-madinah.org

أهداء

١١

تمهيد

١٣

المقدمة

١٥

أهمية البحث

١٩

الباب الأول: حي ساروجة و مراحل تطوره التاريخية والعمرانية

٢١

الفصل الأول: الموقع والتسمية

٢٣

مراحل تطور حي ساروجة التاريخية والعمرانية

٢٧

أولاً: حي ساروجة في المرحلة السلجوقية والأتابكية

٢٨

ثانياً: حي ساروجة في المرحلة الأيوبية

٢٨

ثالثاً: حي ساروجة في المرحلة المملوكية

٢٩

رابعاً: حي ساروجة في المرحلة العثمانية

٣٢

الفصل الثاني:

٣٥

أولاً: تحولات النسيج العمراني وواقع منطقة حي ساروجة وما صاحبها من تطورات

٣٥

ثانياً: حي ساروجة من خلال عناصره العمرانية

٣٩

ثالثاً: التغيرات في النسيج العمراني لحي ساروجة

٤٢

رابعاً: علاقة حي ساروجة بالأحياء المجاورة

٥٧

خامساً: حي ساروجة من تطور إلى تدهور

٥٧

الباب الثاني: دراسة وصفية وتحليلية للمكونات العمرانية والمعمارية لحي ساروجة

٥٩

الفصل الأول: المرحلة الأيوبية:

٦١

أولاً: المدارس

٦٣

أ: المدرسة الشامية البرانية: ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م

٦٣

ب: المدرسة المجنونية

٧٦

ثانياً: المساجد

٧٨

أ: مسجد الوزير المزدقاني

٧٨

ب: مسجد الشيباني

٧٩

ج: مسجد رجب آغا

٧٩

ثالثاً: التربة

٧٩

أ: التربة المعينية

٧٩

ب: التربة النجمية

٨٢

ت: التربة الحسامية

٨٥

ث: تربة المهراني

٨٧

ج: تربة علاء الدين بن زين الدين (العلائية)

٨٧

رابعاً: الحمامات

٨٩

أ: حمام الجوزة

٨٩

خامساً: الأربطة

٩٥

أ: رباط المهراني

٩٧

الفصل الثاني :

٩٧

المرحلة المملوكية

٩٩

أولاً: الجوامع

٩٩

أ: جامع القرمشي

١٠٣

ب: مسجد التبريزي

١٠٥

ت: جامع الورد

١١٤

ث: مسجد وتربة بلبان المحمودي

١١٧

ج: مسجد فرخشاه

١١٧

ح: جامع الحاجب

١١٧

ثانياً: التربة

١١٧

أ: التربة والقباب الضريحية

١١٨

ب: التربة الكركية الإياسية الفخرية

۱۱۸	ت: التربة البلبانية
۱۲۱	ث: التربة البرسبائية الناصرية
۱۲۱	ج: تربة علاء الدين استدار جردمر
۱۲۱	ح: التربة اليونسية الدوادرية
۱۲۱	خ: تربة اينال
۱۲۲	ثالثاً: الحمامات
۱۲۲	أ: حمام القرماني
۱۳۰	ب: حمام الورد
۱۴۱	ت: حمام الخانجي
۱۵۰	رابعاً: السُّبُل
۱۵۲	أ: سبيل جامع الورد (برسبائي)
۱۵۴	خامساً: الزوايا
۱۵۴	ا: الزاوية الدهستانية
۱۵۴	سادساً: الخانات
۱۵۴	أ: خان العنبري
۱۵۵	الفصل الثالث: المرحلة العثمانية
۱۵۶	أولاً: المدارس
۱۵۶	أ: المدرسة المرادية ۱۱۰۸هـ
۱۶۱	ثانياً: الجوامع
۱۶۱	أ: مسجد الصبح: (مسجد الصبحي)
۱۶۲	ب: مسجد بندق
۱۷۳	ت: مسجد القرماني وهو مندر
۱۷۳	ث: مسجد الداغستاني
۱۷۳	ج: مسجد الخليلي وهو مندر
۱۷۴	ح: مسجد جرنقيل وهو مندر
۱۷۴	خ: مسجد داور آغا وهو مندر
۱۷۴	د: مسجد السليمانية وهو مندر

١٧٤	ذ: مسجد الشيخ عبد الله وهو مندر
١٧٥	ر: مسجد الشيخ عيسى وهو مندر
١٧٥	ز: مسجد الكمّار وهو مندر
١٧٥	س: جامع المرادي
١٧٧	ثالثاً: الترب
١٧٧	أ: التربة الرفاعية
١٧٧	ب: تربة المدرسة المرادية
١٧٨	رابعاً: السبل
١٧٨	أ: سبيل مسجد بندق
١٧٨	ب: سبيل مسجد بلبان
١٧٨	خامساً: الخانات
١٧٩	أ: خان الجمال
١٧٩	سادساً: الأسواق
١٧٩	أ: سوق الخيل
١٨٠	ب: سوق التبن
١٨٠	ت: سوق الهال
١٨١	ث: سوق العتيق
١٨٢	سابعاً: المقاهي
١٨٣	أ: قهوة الله كريم
١٨٥	الفصل الرابع :
١٨٥	أولاً: النسيج العمراني
١٨٥	ثانياً: الحارات في ساروجة
١٨٦	أ: حارة القولي
١٨٧	ب: حارة الجردون
١٨٧	ت: حارة الشالة
١٨٧	ث: حارة القرماني
١٨٧	ج: حارة المفتي

١٨٦	ح: حارة داور آغا
١٨٨	خ: دخلة الأزعر
١٨٨	د: حارة الورد
١٨٨	ثالثاً: الأزقة في حي ساروجة
١٨٨	أ: المَعْمَشَة
١٨٨	ب: العنتابية
١٨٩	ت: زقاق الكمّار
١٨٩	ث: نزلة ستي زيتونة
١٨٩	ج: زقاق بين القبرين
١٨٩	ح: زقاق جوزة الحدبا
١٨٩	رابعاً: توزيع المياه
١٩١	أولاً: عين الماء
١٩١	أ: عين الكرّش
١٩١	ب: عين الباشا
١٩١	ت: عين دار البطيخ
١٩١	ث: وصول الماء إلى البيت الدمشقي
١٩٤	١: نظام الري بالقراريط
١٩٥	٢: الآبار والطوابع في ساروجة
١٩٦	٣: الحركة المائية
١٩٦	٤: مبدأ عمل البحرات في بيوتات دمشق
١٩٦	٥: التصريف ضمن الغرف
١٩٧	٦: عناصر التوزيع العام
١٩٩	خامساً: العناصر الرئيسة المكونة للقاعات
٢٠٠	سادساً: البنية الإنشائية للبيت الدمشقي
٢٠٢	سابعاً: المساكن الموجودة في حي ساروجة
٢٢٦	ثامناً: وصف تفصيلي لأهم المساكن الدمشقية بحي ساروجة
٢٢٦	أ: بيت العابد

٣٢٣

٣٢٣

الفصل الثاني

دراسة افتراضية لتأهيل جزء من حي ساروجة الأثري

٣٥٩

الباب الخامس : حي ساروجة . . . نتائج عامة وخطوات نحو العلاج والحفاظ عليه

٣٦١

النتيجة الاولى

٣٦٣

النتيجة الثانية

٣٦٦

النتيجة الثالثة

٣٦٨

النتيجة الرابعة

٣٧٠

الخاتمة

٣٧١

قائمة المصادر والمراجع





مطابع الدوحة الحديثة

هاتف : ٤٤٨٠٣٤٠٤ / ٤٤٨٠٣٤٠٥ / ٤٤٨٠٣٥٢٣

فاكس : ٤٤٨٠٨٢٣٤ / ٤٤٨٠١٤٥٧